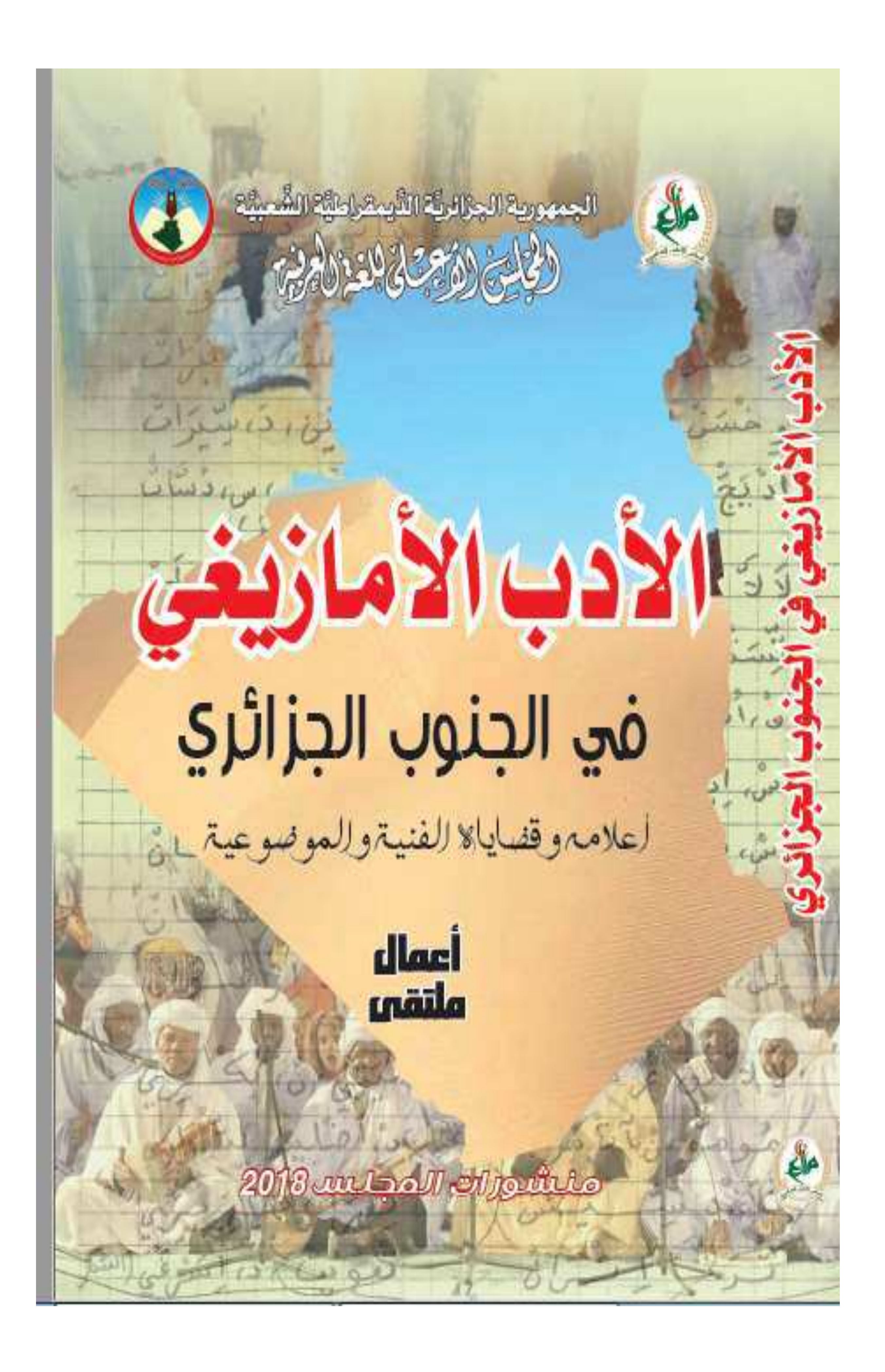

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
المجلس الأعلى للغة العربية
الأدب الأمازيغي
في الجنوب الجزائري
أعلامه وقضاياه الفنية والموضوعية
أعمال
ملتقى
منشورات المجلس 2018
الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري

قْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة




الأدب الأمازيغيّ في الجنوب الجزائريّ

أعلامه وقضاياه الفنيّة والموضوعيّة

أعمال الملتقى الوطني

منشورات المجلس 2018

كــتاب: الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري
أعلامه وقضاياه الفنية والموضوعية
أعمال ملتقى وطني
(الجزء الثالث)

- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:** 424

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2018
ردمك: 978-9931-681-17-5

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرانكلين روزفلت - الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الناسوخ :021.23.07.07

تم إخـــراج وطبــع بـ:
دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع
05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة–الجزائر
الهواتف: 05.42.72.40.22–021.68.86.48–021.68.86.49
البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr

فهرس المحتويات

التراث الأمازيغي بالجنوب الجزائري من خلال كتاب سير الوسياني (ألف في القرن 6ه/12م).

الباحث: بكير بن سليمان باعمارة
جامعة غرداية
bkrbaamara@gmail.com

يعد كتاب «السير» لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (القرن 6ه/12م) من أهم كتب السير والتراجم لأعلام الفكر الإباضي بشمال إفريقيا إذ هو نوع من أنواع الكتابة الأدبية والتاريخية في تلك الفترة، كيف لا وهو مصدر من المصادر التاريخية في العصر الإسلامي الوسيط، بما يقدمه لنا من ملامح عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والتربوية والثقافية للمجتمع الإباضي خلال ستة قرون من الزمن (ق1ه إلى ق 6ه)، ومما يتميز به كتاب السير للمؤرخ الوسياني أنه قد غطى مرحلة تاريخية مهمة من التواجد الإباضي بالجنوب الجزائري كبلاد سوف وأريغ ووارجلان ومزاب وغيرها.

ولقد حظيت الأمازيغية طيلة هذه المدة بمكانتها اللائقة لها في هذا المجتمعات الإسلامية بالجنوب الجزائري فإن لم تكن لغة التعليم والتأليف والتدوين فهي لغة التخاطب والممارسة اليومية، كيف لا وهي جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية لهذه المجتمعات حيث ساهمت في الحفاظ على بقائها واستمرارها كموروث ثقافي وتنوع حضاري بالجزائر، ولذلك فإن المؤرخ الوسياني يورد لنا في سيره شيئا ليس باليسير عن التراث الأمازيغي في هذه المجتمعات والمتمثل في وصفه للقصور والمدن، وكذلك التراجم والأعلام، زيادة على ذلك فقد نقل لنا نصوصا من الأدب الأمازيغي من خلال ذكره لجملة من الألفاظ والتراكيب أو الحكم والأمثال والنصائح الأمازيغية التي جاءت على على لسان بعض المشائخ والصالحين والأمهات الصالحات.

فانطلاقا من هذا سأتناول الموضوع وفق الخطة التالية:

مقدمة.

المبحث الأول: التعريف بكتاب سير الوسياني ومؤلفه وأهميته.

المطلب الأول: التعريف بكتاب سير الوسياني.

المطلب الثاني: ترجمة عن حياة المؤرخ الوسياني.

المطلب الثالث: أهمية كتاب سير الوسياني.

المبحث الثاني: التراث الأمازيغي بالجنوب الجزائري وممارساته في كتاب سير الوسياني.

المطلب الأول: منطقة أسوف (القصور والمدن، الأعلام، نماذج من الأمازيغية السوفية).

المطلب الثاني: منطقة أريغ (القصور والمدن، الأعلام، نماذج من الأمازيغية الريغية).

المطلب الثالث: منطقة وارجلان (القصور والمدن، الأعلام، نماذج من الأمازيغية الوارجلانية)

المطلب الرابع: منطقة بني مصعب (القصور والمدن، الأعلام، نماذج من الأمازيغية المزابية).

خلاصة وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بكتاب سير الوسياني ومؤلفه وأهميته.

- المطلب الأول: التعريف بكتاب سير الوسياني.

يعد مصطلح السير مصطلحا متداولا منذ القديم في الأوساط الإباضية مشارقة ومغاربة، ولكن على اختلاف بينهما، فقد جاء في كتاب معجم مصطلحات الإباضية[1] تعريف لمصطلح "السير" عند الإباضية المشارقة والمغاربة[2] بأنه:

عند المشارقة عبارة عن رسائل ذات طابع سياسي وعقدي وفقهي، تحمل وجهة نظر مؤلفها في مسألة من مسائل عصره أو السابقة لعصره، وعادة ما تنسب هذه السير لمؤلفيها، فيقال سيرة محبوب بن الرحيل، وسيرة قحطان بن أبي قحطان وسيرة أبي الحسن البسيوي، وسيرة ابن مدّاد.

وللسير عند المغاربة دلالتان:

الأولى: عبارة عن تاريخ ممزوج بمآثر الشخص وحسن سيرته ومن هنا جاءت بعض مصادر المغاربة تحمل عنوان السير، وعادة ما تنسب لمؤلفها كسيرة أبي زكرياء الوارجلاني وسير الوسياني وسير الشماخي.

أما الثانية: فتأتي على شكل مواعظ وحكم وأمثال، وأحكام فقهية ووصايا تربوية، ويُمثّل لذلك بسير أبي الربيع المزاتي[3].

وفيما يخص كتب السير والتراجم لعلماء الإباضية المغاربة والتي تناولت بعضا من تاريخ شمال إفريقيا والصحراء الكبرى فهي مرتبة زمنيا كالتالي:

كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين للواب بن سلام التوزري المزاتي اللواتي (ت: بعد 273ه/887م).

سير أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: سنة 471ه)

كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني. عاش مابين (450-500ه)و هو تلميذ من تلاميذ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي.

كتاب سير نفوسة لمقرين بن محمد البغطوري النفوسي. (حيٌّ في سنة : 599ه / 1203م) وهي سنة نهاية تأليفه لهذه السير.

سير أبي عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني (ت قبل سنة: 570ه/1174م)

كتاب المعلقات لمؤلف مجهول عاش مابين سنة (550– 600ه) .

كتاب سير الوسياني لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني الذي عاش مابين (550–600ه) هو تلميذ الوارجلاني.

كتاب طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670ه).

كتاب الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات لأبي القاسم بن إبراهيم البرادي (حي في: 810ه / 1407م).

كتاب سير الشماخي لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي ت: 928ه / 1522م).

تلك عشرة كاملة من كتب السير الإباضية التي وصلتنا، وجلها قد تناول التأريخ لفترة العصر الوسيط.

فمن خلال تتبع هذه المصادر وما جاء فيها من تراث أمازيغي، نجد أن للوسياني مجالُ السبق في هذا ولذلك وقع اختيارُه كنموذج في هذا البحث.

فكتاب السير لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني موضوع بحثنا هو حلقة هامة من كتب السير الإباضية[4]، ويعتبر من أهم ما ألف عن أعلام الفكر الإباضي بشمال إفريقيا فهو مصدر من المصادر التاريخية في العصر الإسلامي الوسيط، وذلك بما يقدمه لنا من ملامح عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والتربوية والثقافية للمجتمع الإباضي خلال ستة قرون من الزمن (ق1ه إلى ق 6ه).

يقع الكتاب في 03 أجزاء ولم يفصل بعدُ أهي للوسياني كلها أو جزء منها.

وقد قام الدكتور عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة – مشكورا– بدراسة وتحقيق هذه الأجزاء خصص الجزء الأخير منها للفهارس الفنية وذلك في إطار تحضيره لأطروحة الدكتوراه بجامعة وهران.

- المطلب الثاني: ترجمة عن حياة المؤرخ الوسياني.

هو أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان بن عبد الله الوسياني.[5] ينتسب الوسياني إلى قبيلة بني واسين البربرية وهي فرع من فروع زناتة.

ولد بقصطيلية من بلاد الجريد بالجنوب التونسي، ونشأ بأجلو من نواحي أريغ بالجنوب الجزائري بجوار أستاذه أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد العاصمي (ت: 528ه/1133م)، وقضى فترة من الزمن بوارجلان، أهمِّ معاقل الإباضية بعد انقراض الدولة الرستمية[6].

صنَّفه الدرجيني في الطبقة الثانية عشر (550-600ه/1155-1203م)، وقال عنه: «الحافظ للسير والآثار، المروي عنه التواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدعوة من كل الأعصار»[7].

ويعتبر الوسياني من أبرز أعلام الإباضية، إذ ترك آثارا عميقة في الفكر الإباضي بتدوين سير أعلام المذهب، وإنقاذها من الاندثار.

-المطلب الثالث: أهمية كتاب سير الوسياني.

تتجلى أهمية كتاب السير مما ذكره الوسيانيُّ نفسُه في السبب الدافع له لتأليف لكتاب عندما قال: «إنِّي نظرت إلى الآثار قد امَّحت، وإلى أخبار أهل دعوتنا قد انطمست، فأحببت أن أؤلِّف لكم منها كتابا ممَّا بلغني وصحَّ عندي، ولم تخالجني فيه الشكوك»[8].

يتَّضح من هذا النصِّ - وغيره - نظرة الوسياني البعيدة للتاريخ، ومدى احترازه في الرواية فهو لم يثبت في كتابه إلا الروايات التي صحَّت عنده، والتي لم تخالجه فيها الشكوك[9].

وتتجلى أهمية كتاب السير أكثر حينما نجده مصدرا أساسيا اعتمده كلُ من جاء بعد الوسياني من المؤرخين وكُتّاب السير واعتمدوه مرجعهم الأساسي في الكتابة التاريخية، و هو ما دل عليه المؤرخ الشيخ أبو العباس الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب، حيث يقول عنه إنه: "أحد شيوخ الحلق الكبار،الحافظ للسير والآثار، وجملة أوصافه باختصار، إنك متى وجدت في هذا الكتاب (طبقات

المشائخ بالمغرب) رواية قديمة عن أبـــي الربيـــع فهـــو راويهـــا عـــن شـــيوخه الأخيار"[10].

من مصادره في الأخبار ورواية السير: الشيخ أبو محمَّد عبـــد الله بـــن محمَّـــد العاصمي ثمَّ اللواتي، والشيخ أبو محمَّد ماكسن بن الخير الجرامي ثـــمَّ الوســـياني والشيخ معبد بن أفلح، والشيخ أبو نوح صالح الزمريني، والشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي – صاحب السؤالات – الذي أخذ عنه الكثير.

لقد حاول المؤرخ الوسياني أن يتمِّ ما قام به أبو زكرياء الوارجلاني، فقد جـــاء بأخبار جديدة، واتَّبع في كتابه طريقة تختلف عن طريقة أبي زكرياء فـــي بعـــض الوجوه، إذ أورد الروايات المنسوبة لكلِّ شيخ ترجم له. ثمَّ سلك مسلكا آخر عنـــدما خصَّص لكلِّ منطقة إباضية في المغرب الإسلامي عنوانا يـــذكر تحتـــه روايـــات مشايخها مثل روايات أهل جبل نفوسة، وروايات جربة وروايات أهـــل وارجـــلان وروايات سوف وهكذا.[11]

يمتاز أسلوبه بالسلاسة، والفصاحة عموماً، وقد يقحم عبارات بربرية أو أسلوبا خليطا من العربية والبربرية، عندما يضطر إلى الترجمة.

ويظهر – من خلال الروايات المذكورة في الكتاب – أنَّ الوســـياني أمـــلاه أو درَّسه لطلبته فكانوا يدوِّنون ما يسمعونه من شيخهم، فحافظوا بـــذلك علـــى هـــذا التراث الهام، إلاَّ أننا لم نستطع أن نتعرَّف على أسمائهم.

ويكشف الكتاب تضلع الوسياني في علوم شتى، فهو مؤرِّخ ونسَّـــابة، ومـــتكلِّم، وفقيه...

مجمل القول، لقد كانت لسير الوسياني أهمِّيتها عبر العصور فعليها اعتمد أبـــو العبَّاس أحمد الدرجيني في طبقاته، وأبو العبَّاس أحمد الشمَّاخي في سيره، وغيرهما من المؤرِّخين وكُتَّاب السير[12].

المبحث الثاني: التراث الأمازيغي بالجنوب الجزائري وممارساته فـــي كتـــاب سير الوسياني.

تتعدد أشكال التراث الأمازيغي في كتاب سير الوسياني وتتنـــوع مـــن منطقـــة لأخرى، فمنها ماهو أسماء لأعلام بارزة من الجنوب الجزائري ومنها ما هو أسماء

أماكن أو ما يعرف بالطبونوميا، ومنها ما هو ألفاظ وتراكيب أمازيغية، وذلك إيمانا منه بالمحافظة على اللسان الأمازيغي المتداول في عصره إذ هو كغيره من اللغات آية من آيات الله تعالى، وفي هذا المبحث حاولت أن أوجز ذلــك وأقســمه حســب مناطق الجنوب الجزائري الوارة في الكتاب.

المطلب الأول: منطقة أسوف (بعض القصور والمدن، والأعلام، نمــاذج مــن الأمازيغية السوفية).

1- **التعريف بمنطقة سوف:**

هي سوف أو أسوف أو واد سوف كما تعرف به حاليا، وتعني سوف بالبربرية النهر أو الواد الممتلئ، وهذه المدينة تقع بالجنوب الشرقي الجزائري على الحــدود التونسية(13)، ورقمها اليوم في التنظيم الإداري الجزائري للولايات:(39).

ذكرها الوسياني بلفظ "أسوف" وذلك في كثير من المواضع في كتابه، واقتصــر بهذا اللفظ فلم يذكر بعض أحيائها وقراها.

نسب الوسياني كثيرا من العلماء إليها ومن أشهرهم: الشيخ أبو عمرو عثمــان بن خليفة السوفي(14) وغيره.

ذكر الوسياني بعض الألفاظ الأمازيغية السوفية التي قيلت على لسان أهلهــا أو رويت عنهم، منها:

روايات سارة:

امرأة لواتية، من لواتة أسوف، صالحة عابدة، لها منبه ينبهها و يأمرها بالخير.

وذُكر عنها أنها أرادت أن تأكل تمرا من قُلّة لها، وذلك في سنة جــوع وقحــط فقال(15)لها: جاع الناس يا سارت لا تكثري الأكل، قال: " ألُّوزن ميــدن أســارت ألوالت أسّجيت أُشُّو"، فقامت إلى جرتها فتصدقت بتمرها.

فقال لها ميمون: جرّة أصبت بها الجنة، قال: "اتمُّويْمنْ أيتين أسارت أســتوطط ألجنة ".

وقال لها أيضا: أنت خيّرة لهؤلاء، افعليهنّ حيث أصبت: ركوع الضحى، صوم يوم الجمعة، الصدقة مما أعطاك الله، وتصبرين، لا يخلف الله وعده.(16)

-المطلب الثاني: منطقة أريغ (بعض القصور والمدن، الأعــلام، نمــاذج مــن الأمازيغية الريغية).

1- التعريف بمنطقة أريغ:

ريغ أو أريغ أو وادي أريغ كما تعرف به حاليا، وتعني ريغ بالبربرية: السبخة وهي منطقة بالجنوب الشرقي الجزائري تابعة لولاية وارجلان، وأهم مدنها اليوم تقرت وتماسين ولمغير، يقول عنها الإدريسي (548ه/ 1134م) : " تقع بلاد أريغ شرق وارجلان طولها نحو مسيرة خمسة أيَّام بها حروث، ونخل كثير، ومياه كثيرة تتبع على وجه الأرض، ولها سوق كبيرة تعقد يوم الجمعة. وأرض تبعد عن أشير عاصمة بني زيري بمرحلتين"[17].

2- ذكر الوسياني كثيرا من أحيائها وقراها بأسمائها الأصلية الأمازيغية وذلك بحكم نشأته بأجلو إحدى أحياء أريغ لما كان تلميذا يتعلم على يد أستاذه أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد العاصمي (ت: 528ه/1133م)، فنجد ذكرا لأريغ وما حولها من قصور في عدة مواضع من كتابه منها:

قصر بني نوبة، آجلو، تيجديت، تين أجلو، تين ثلاث، تين يسلي، تين ويبو تين يتلن، تين بامطوس، تين يسلان، تين يليلين، أويوراست، البكرات، تادمايت تاديمت، تامّاست، تمرنت، تنكفالين، خيران...

3- ذكر الوسياني بعض الأحداث التاريخية التي وقعت في هذه المنطقة من الجنوب الجزائري من أهمها :

- الاجتماع المعروف بإجتماع أريغ سنة 422 ه الذي ضم علماء الإباضية.

- التأليف الجماعي لديوان الأشياخ بوادي أريغ، هذه الفكرة الرائدة عند علماء الإباضية وهذا الحدث التاريخي المهم، إذ يقول الوسياني في سيره عن هذا الديوان والذي وصفه بكتب العزابة: "والذين ألفوا ديوان الأشياخ، وهو يقع في خمسة وعشرين كِتَابًا، بوادي أريغ، وعددهم ثمانية، وهم:

- أبو سعيد يخلفتن بن أيُّوب الزنزفي المسناني، من نفوسة أمسنَّان، «ألَّف كتاب النكاح ومسائل الخالات».

- إسماعيل بن الشيخ بيدير «هو واضع كتاب الصلاة».

- «الشيخ أبو العبّاس هو المؤلف لكتاب الحيض غير البابين الأوَّليْن».

- «محمّد بن صالح واضع كتابي الوصايا». من نفوسة أمسنَّان.

- يوسف بن موسى الدرجيني، من قنطنار.

- يوسف بن عمران بن أبي عمران موسى بن زكرياء المزاتي، من تيجديت.

- عبد الله بن أبي سلام الرمولي، من أريغ.

- إبراهيم بن أبي إبراهيم الدجمي.

وعرضت هَذِهِ الكتب على الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: 471ه)، وأبي العبّاس أحمد بن محَمَّد بن بكر (ت: 504ه)، وأبي محمّد ماكسن بن الخير (ت: 491ه)، وقال فيها أبو الربيع: لا يقول فيها بالطعن إلا شيطان، وهي خمسة وعشرون كتابا"[18].

ومن هذا النص التاريخي للمؤرخ الوسياني نستنتج بعضا من ملامح الحركة العلمية وعلمائها بأريغ من الذين شاركوا في تأليف هذا الديوان وغيرهم.

4-ذكر الوسياني بعض الألفاظ الأمازيغية الريغية التي قيلت على لسان أهلها، ومن ذلك:

- ذكره لوفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر[19] بغاره في تين يسلي بأريغ ودفن بها وذكر موضع قبره بالأمازيغية فقال: "وقبره قبالة الغار جعلت علامته شجيرة يقال لها: العنظوان، وهي بالبربرية: تاعقايت"[20].

-<u>المطلب الثالث: منطقة وارجلان (بعض القصور والمدن، الأعلام، نماذج من الأمازيغية الوارجلانية).</u>

1-**<u>التعريف بمنطقة وارجلان:</u>**

وارجلان تعرف بعدة أسماء منها: واركلا وورقلان وورقلة واسمها مشتق من القبيلة الأمازيغية التي سكنت هذه المنطقة، وهي مدينة بالجنوب الشرقي الجزائري يصفها الحموي (626ه) بقوله:" كورة بين إفريقيا وبلاد الجريد، ضاربة في البر

كثيرة النخل والخيـرات"[21] ورقمهـا اليـوم فـي التنظـيم الإداري الجزائـري للولايات:(30).

ويصفها الأستاذ أحمد توفيق المدني بأنها « قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائري».[22]

2- ذكر المؤرخ الوسياني كثيرا من أحيائها وقصـورها بأسـمائها الأصـلية الأمازيغية منها: قصر بُكر، قصر تنديت، كريمة، جغراف، أسيلت، إفران، إنجـان أوزاغت، إيلارن، تارماست، تماواط، تين يمصون، الدرمون، الدكاكير، سـدراته إيزُوزام، تباجالت...

3- نسب الوسياني كثيرا من العلماء إليها ومن أشهرهم: أبـي عمـار عبـد الكافي بن أبي يعقوب الوارجلاني[23]، ويوسف بن إبراهيم بن مناد الوارجلاني[24].

4- ثم ذكر بعض الألفاظ الأمازيغية الوارجلانية التي قيلت على لسان أهلهـا منها:

أ – روايات أبي يوسف أطرفي اشترى جمالا وقال لراع امض إلـى موضـع يقال له "أفود انصطون"[25].

ب- وعن أبي الربيع عن الشيخ يوسف بن فتوح عن مكيت، إمرأة في قصـر بكر في وارجلان وكانت صالحة يبدو أنها سئلت عن معنى " تامتَّانت" فأجابت تـام ثمانية، تانت نسوة، ثمانية أيام ينسونه، وعن معنى "إنيلن" إليهم نريد.[26]

-<u>المطلب الرابع: منطقة بني مصعب (القصور والمدن، الأعلام، نمـاذج مـن الأمازيغية المزابية)</u>

1- **<u>التعريف بمنطقة مزاب:</u>**

مزاب أو مصاب أو مضاب أو مصعب كلها ترد في المصادر التاريخية، واسم المنطقة مشتق من القبيلة الأمازيغية التي سكنت هذه المنطقة منذ أقـدم العصـور، ويشير المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (808ه/ 1406م) إلى قبيلة مصـاب فـي كتابه: "العبر" ما نصه: "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة بما دون الرمال، وعلى ثلاث مراحل من قصـور بنـي ريغة في الغرب، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شـعوب بنـي

بادين ووضعها في أرض حرة على أحكام وضراب ممتنعة في مسارحها، وبينها وبين الأرض المحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"[27].

ومنطقة مزاب حاليا هي ضمن ولاية غرداية أو تغردايت ورقمها في التنظيم الإداري الجزائري للولايات:(47).

2- تُذكر منطقة مزاب في كتب السير الإباضية في الفترة التاريخية (القرن 5- 6- 7 ه) بألفاظ متعددة كبادية بني مصعب أو جبال بني مصعب أو قصور بني مصعب فالدرجيني مثلا يذكر كل هذه الألفاظ[28]، مما يدل على أن المنطقة عامرة في هذه الفترة ومعروفة بقصورها، أما الوسياني فيذكرها في سيره بلفظ جبل بني مصعب[29].

3- نسب الوسياني عالمين إلى مزاب وهما الشيخ با عبد الرحمن الكرثي المصعبي[30] والشيخ أبو جعفر مسعود المصعبي.

4-أما ما يخص بعض الألفاظ الأمازيغية المزابية التي قيلت على لسان أهلها فقد أورد لنا المؤرخ الوسياني رسالة الشيخ با عبد الرحمن الكرثي من مزاب والتي وجّهها إلى أبي عمار عبد الكافي بوارجلان وهي في خمس مسائل[31]، وفيها ألفاظ وأمثلة أمازيغية وهي عبارة عن تساؤلات،وهذا دلالة على أن اللغة السائدة بمنطقة مزاب خلال العصر الوسيط هي اللغة المزابية الأمازيغية زيادة إلى اللغة العربية وهي لغة التواصل والمراسلات بين العلماء، وكنموذج لذلك هذه الرسالة والتي يحتوي تعبيرها على اللغتين العربية والمزابية، ومما جاء في هذه الرسالة:

أ- هل يقال لله " أيراد" بالبربرية؟ فأجاب: بأنه ما سمعنا أحدا جوزه غير أبي سهل رضي الله عنه، ولعل هروبهم عن جوازه لاشتراك اللفظة، لقولهم للدواجن من البهائم:"أيرادن"،... وقولهم لمن يخلف الوعد: ييردي، فيُهرب من الإشكال إلى الوضوح[32].

ب- وعن معنى شيء موجود، فمعناه بالبربرية:"يلاّ ". .

ت- ومن قال بأن الله ليس ب "يوش" بالبربرية، فأجابه بأنه هالك، كمن قال: ليس بإله، ومن قال بأن الله ليس بإله فهو مشرك.[33]

خلاصة وخاتمة:

هذا ما استطعت أن أستخلصه من النزر اليسير عن التراث الأمازيغي بالجنوب الجزائري من خلال كتاب تاريخي قيم وهو سير الوسياني، وما هو إلا خطوة أولى فالموضوع في حد ذاته ثري ومتنوع يحتاج إلى دراسة مستقلة ومعمقة لاستخراج مكنونات أمثال هذه الكتب المصدرية من تاريخ الإباضية خصوصا ومن تاريخ الجزائر العريقة عموما، ومما تجدر به الملاحظة أنه وبالرغم أن جل هذه الربوع من الجنوب الجزائري كانت أمازيغية تتكلم اللسان الأمازيغي في الحياة اليومية فطرة وسليقة باعتباره أنه لغة الأم والتنشئة، لكن كان هناك اجتهاد منقطع النظير في تعلم اللغة العربية وتعليمها والاعتناء بها حتى أتقنها البعض وصار يؤلف بها ويقرض بها الشعر، وكنموذج لذلك الاجتهاد يروي لنا المؤرخ الوسياني" عن أبي محمد عبد الله عن أبي عمران موسى بن زكرياء كثيرا ما يقول: تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمانين مسألة، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة، ومن حمل إلى بلاد كتابا لم يكن فيه خير ممن حمل ألف حمل دقيقا، فتصدق به عليهم"[34].

هذا هو حالهم في المحافظة على دين الله تعالى وتعاليمه وسعيهم لتعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وخدمته، دون الاستغناء عن اللغة الأمازيغية لغة الأم فالإنسان ابن بيئته، فكيف حالنا نحن في المحافظة على هاتين اللغتين اللتين نعتز بهما أيما اعتزاز وهما جزء لا يتجزأ من هويتنا وحضارتنا.

بعض النتائج:

1) كتب السير والتراجم الإباضية هي نوع من الكتابة الأدبية والتاريخية تحتاج الكثير من الدراسة والتحليل، و من ذلك استخراج الأسماء الأمازيغية الأصيلة لهذه النواحي من الجنوب الجزائري من خلال كتب السير وهو ما يعرف بالطوبونوميا ومعرفة هذه الأسماء من مصادرها هي خطوة نحو ترسيمها.

2) هذه المدن من الجنوب الجزائري (سوف- أريغ- وارجلان- مزاب) وغيرها، كلها كانت على اللسان الأمازيغي في خطابهم اليومي وتواصلهم

الاجتماعي، بل كانت في بعض الأحيان إلى جانب العربية لغة التعليم وحتى لغة للفتوى والمراسلات.

3) تراثنا الأدبي الأمازيغي – بتنوعه وثرائه – مليء بالمبادئ والقيم الأخلاقية والتربوية والاجتماعية كالاحترام والتكافل والتضامن، فإحياءه إحياء لهذه القيم والأخلاق السامية.

4) استخدم المؤرخ الوسياني في كتابه السير كثيرا من الألفاظ بالأمازيغية والتي تخص:

أسماء المدن و القصور والمساجد والمصليات والصوامع والمقابر والمدارس والمحاضر والوديان والعيون والضِّياع والغيران والجبال، زيادة على ذلك ذكر جملة من الأعلام بأسمائها الأصلية الأمازيغية، وكثيرا من الأمثال والحكم الأمازيغية.

5) لقد كان للمرأة الأمازيغية بالجنوب الجزائري حضور قوي إلى جانب الرجل وهذا من خلال دورها الكبير في الحفاظ على اللسان الأمازيغي في الحياة اليومية من أقوال تربوية أو مما جاء على لسان بعض منهن من شعر الحكمة، وذلك من خلال ما رأيناه من بعض النماذج.

6) التراث الأمازيغي عُمُومًا وبجنوبنا الجزائري خصوصا تراث خصب للبحث والدراسة، وَهُوَ بحاجة إِلى مَزيدٍ من جهود الباحثين والدارسين.

المصادر والمراجع:

1) أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني: سير الوسياني؛ تحقيق و دراسة: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط2، وزارة التراث والثقافة، عُمان 2009م/1430ه.

2) أحمد بن سعيد الدرجيني (أبو العباس): طبقات المشائخ بالمغرب،تحقيق إبراهيم بن محمد طلاي،الجزائر، د.ت.

3) مجهول: كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن سليمان بابزيز الوارجلاني، ط 1، وزارة التراث والثقافة، عُمان 1430ه/2009م.

4) ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج:7، دار الكتاب المصري– دار الكتاب اللبناني، القاهرة– بيروت، د ت.

5) الحموي ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1979م.

6) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشره دوزي ودي خوية، المطبعة الشرقية أمستردام 1969م.

7) جمعية التراث: لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب ط1، المطبعة العربية، غرداية 1420ه/ 1999م.

8) جمعية التراث: لجنة البحث العلمي: معجم مصطلحات الإباضية:، ط 1 وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان 1429ه/2008م

9) أحمد توفيق المدني، كتاب "الجزائر" المطبعة العربية، الجزائر، 1350ه.

10) محمد كمال الدين إمام: مائة كتاب إباضي، ط1، نشر وزارة الأوقاف سلطنة عمان 1434ه/ 2013م.

هوامش الدراسة:

(1) – جمعية التراث: لجنة البحث العلمي: معجم مصطلحات الإباضية:، ط 1، وزارة التـراث سلطنة عمان 1429ه /2008م، ج1، ص 520.

(2) – مصطلح الإباضية المشارقة والمغاربة يعني: إباضـية المشـرق مـن عمـان والـيمن وحضرموت وغيرهم، وإباضية المغرب بشمال إفريقيا ولكل منهم تاريخ وتـراث هـام مـن الدواوين والمؤلفات.

(3) – معجم مصطلحات الإباضية: ج1، ص 521.

(4) – محمد كمال الدين إمام: مائة كتاب إباضي، ط1، نشر وزارة الأوقاف، سلطنة عمان 1434ه/ 2013م، ج1، ص404.

(5) – أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني: سير الوسياني؛ تحقيق و دراسة عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ج1، ط1، عُمان وزارة التراث والثقافة، 2009م/1430ه،ص 121.

(6) – جمعية التراث: لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، قسم المغـرب، ط1، المطبعـة العربية، غرداية 1420ه/ 1999م، ص 420-421.

(7) – أحمد بن سعيد الدرجيني (أبو العباس): طبقات المشائخ بالمغرب،تحقيق إبراهيم بن محمـد طلاي، الجزائر، د.ت، ج2، ص336.

(8) – الوسياني: ج1، ص228.

(9) – معجم أعلام الإباضية: ص 421.

(10) – الدرجيني: ص513.

(11) – معجم أعلام الإباضية: ص 421.

(12) – نفسه: ص421.

(13) – مجهول: كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بـن سليمان بابزيز الوارجلاني، ط 1، وزارة التراث والثقافة، عُمان 1430ه/2009م، ص 140.

(14) – عثمان بن خليفة السوفي المارغني (أبو عمرو):عاش فـي (ق: 6ه / 12م) أحـد أعـلام الإباضية البارزين من بلاد سوف، أحيى المذهب بتآليفه الهامَّة، كانت له حلقات للعلم تخـرَّج فيها علماء أفاضل، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية بـوارجلان، والتقـى أبـرزَ أعلامها، فكان من شيوخه بها: أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت: 504ه/1110م) وأبو الربيع سليمان ابن يخلف المزاتي (ت: 471ه/1078م)، وأبو سليمان أيوب بن إسماعيل.

ومن رفاقه أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوارجلاني (ت: 570ه/1174م)، وأبو عمَّـار عبـد الكافي (ت: قبل 570ه/1174م).

كان كثير الرحلات في طلب العلم ونشره، انتقل بين وارجلان وبلاد الجريد وطرابلس... تنظر ترجمته الكاملة في: جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج4، ص:601-602.

(15) - أي هذا المنبه أو الخاطر.

(16) - الوسياني: ج1،ص 760.

(17) - الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشره دوزي ودي خوية، المطبعة الشرقية أمستردام 1969م، ص 126.

(18)- الوسياني: ص704.

(19) - هو مؤسس نظام حلقة العزابة (ت سنة: 440ه 1049م) انتقل من الجنوب التونسي إلى وادي أريغ و وارجلان بالجنوب الجزائري، و يعد عند الإباضية من العلماء الذين مرَّ عليهم نسب الدين،.. تنظر ترجمته الكاملة في: جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب ج4، ص: 772 - 779.

(20) - الوسياني: ص 581.

(21) - الحموي ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1979م ج 4، ص 940.

(22) - أحمد توفيق المدني، كتاب "الجزائر" المطبعة العربية، الجزائر،1350ه، ص244.

(23) - عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني (أبو عمار):(ت قبل: 570ه / 1174م) عالم شهير من علماء عصر الازدهار العلميِّ بوارجلان - القرن السادس -، صنَّفه الدرجيني في الطبقة الثانية عشرة (550-600ه) ترك تراثاً فكرياً قيِّماً، انظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 539.

(24) - يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني (أبو يعقوب): علم من أشهر علماء الإباضية بالمغرب، ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصا، والمكتبة الإسلامية عموما، وقد جعله الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (550-600ه/1155-1203م)، نشأ بسدراتة، من قرى وارجلان؛ وأخذ مبادئ العلوم على يد علمائها، عرف برحلاتها المتعددة في سبيل طلب العلم، ويعتبر هؤلاء الثلاثة: أبو يعقوب، وأبو عمَّار، وأبو عمرو عثمان، من أشهر علماء الإباضية الذين خلَّفوا كتبا هامَّة، وبرَّزوا في علم الكلام على الخصوص... معجم أعلام الإباضية، ج4، ص 1010.

(25) - ومعناها: الركبة الضالة كما ذكر المحقق الدكتور بوعصبانة. انظر، الوسياني: ص 431.

(26) - نفسه ص399.

[27] – ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيـام العـرب والعجـم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج:7، دار الكتاب المصري- دار الكتـاب اللبناني، القاهرة- بيروت، د ت، ص123.

[28] – الدرجيني ص 210، وكذلك ص 308.

[29] – الوسياني: ص 605.

[30] – الشيخ با عبد الرحمن الكرثي المصعبي: من علماء مزاب في القرن 6 ه / 12م، كان يقيم بآت مليشت (مليكة)، فأحيا بها العلم حتّى أضحت منارة تشعّ نورا يقصدها الطّلبة من جميـع قصور الوادي، يكون ممّن أخذ العلم عن الشّيخ: أبي عمّار عبد الكافي التّناوتي الـوارجلاني فقد كان يراسله حيث تورد كتب السّير رسالة بعث بها إلى مشائخ وارجـلان يسـتفتيهم فـي مسائل العقيدة، كاليقين والقدر وأشراط السّاعة، وغيرها.. فأجابه عنها، الشيخ: أبا عمار، وهذا قبل سنة 570ه، له مسجد قبلة بلدة مليكة...انظر،_**معجم أعـلام الإباضـية**، ج02، ص245. ولفظة "با" بالأمازيغية نجدها بكثرة تتصدر أسماء المشائخ والعلماء، وليس معناهـا بالعربيـة "أبا" أي الكنية وإنما معناها هو السيد وذلك "أن البربر يكنون العظماء بأسمائهم، والعظيم مـن رجال الدين يقال له بابا فلان أي سيدنا فلان ويختصرونه إلى بافلان". انظـر، علـي يحـي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، تونس، ص 323.

[31] – نفسه ص 742.

[32] – الوسياني: ص 743.

[33] – نفسه: ص 743.

[34] – الوسياني: ص 400.

الجوانب القيمية والمقاصدية في الأناشيد الميزابية
"إزلوان نوغلان"

أ. مصطفى خير الناس
جامعة غرداية
kh.mustafa92@gmail.com

مقدمة:

للفن الأصيل صور متعددة يظهر عليها، وأشكال مختلفة يتجلى فيها، فهو يتنوع بين الكتابة والشعر والتغني بالكلمات والتمثيل والمسرح والتصوير وهلم سحبا. ولعل الجامع المشترك الذي يربط بين هذه الفنون جميعها هو تقصد التعبير عما يجيش في النفوس من المشاعر والعواطف والأفكار والتوجهات في صورة من صور الجمال المختلفة، وهذا ما حدا بأحد الأدباء إلى التعبير عن الفن بقوله: "هو القدرة على توليد الجمال أو المهارة في استحداث متعة جمالية".

غير أن الفن لا يقتصر على مجرد المتعة واللذة التي تتولد بالتفاعل مع محتوى المضمون الفني؛ بل إنها تتعداه لتشمل توجيه السلوك، وزرع القيم، وتغيير الواقع وإيصال الأفكار والتوجهات. فحقيق بالعمل الفني أن يجمع بين جمال الشكل وجمال المضمون حتى يحقق أركانه، ومن أبرز الأشكال الفنية المؤثرة على النفوس والتي تستهوي جمعا هائلا من الناس فن التغني والترنم بالكلمات، وصياغة الألحان الرائعة المجتمعة في سمفونية تقع على الأذان، لتحدث بعدها وقعا في النفس فتستهوي بمحتواها العقول، وتخلف أثرا في فكر السامع اللبيب وسلوكه. ولعل السبب الأبرز في استقطاب هذا النوع من الفنون شريحة عظمى من الناس هو الجمع بين فن الشعر والكلمة وفن اللحن والتغني.

ولكل ثقافة طابع غنائي يميزها عن غيرها، ومن أهم العناصر التي يتشكل بها هذا الطابع الفني هو الخلفية الدينية والإيديولوجية والفكرية لكل ثقافة، ولم تكن الثقافة الفنية الغنائية لحضارة أمازيغ بني ميزاب بدعا عن كل ذلك، فمنطلق الفن

فيها نابع من صميم هويتها الدينية الراسخة، وذاكرتها الحضارية الضاربة في القدم، فلم تكن أدبيات الغناء فيها مقتصرة على اللذة والمتعة المجردة؛ بل إن الناظر فيها والسابر لأغوار معانيها ليجدها مفعمة بما يوجه السلوك، ويرسخ القيم، ويحقق المقاصد التي من أجلها خلق الخلق، **لذا جاءت هذه الدراسة** لتسلط الضوء على الجوانب القيمية والفنية في أدبيات التغني والإنشاد عند أمازيغ بني ميزاب **في خطة ثلاثية:**

ابتدأتها: بمبحث تمهيدي حول التعريف بالمصطلحات ومتعلقاتها.

وثنيت: بعدها بمبحث بينت فيه تقسيمات الفنون ومقاصدها وذكر أبرز وظائفها عند علماء الجمال وتحليلها من زاوية شرعية مع إسقاط لكل ذلك بالأنموذج الميزابي.

لنعقد بعدها: مبحثا خاصا فصلنا فيه باستجلاء الجوانب القيمية والمقاصدية في الأناشيد الميزابية " إيحويفن نوغلان".

فالله أسأل أن يوفقنا في عرض تفاصيل هذا الموضوع وأن ينفع به قارئه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث التمهيدي: التعريف بالمصطلحات ومتعلقاتها.

المطلب الأول: التعريف بالقيم والمقاصد.

الفرع الأول: التعريف بالقيم.

أولا: تعريف القيم لغة:

جمع: قيمة، وهو مشتق من الفعل قوَمَ، ويطلق للشيء النفيس ماديا ومعنويا بأنه قيّم، ويقول الله تعالى:(ولا تؤتوا السفاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما)(النساء:05)؛ أي قيمة للأشياء،[1] ويقال: فلان هو قِوَام أهل بيته؛ أي القائم على أمره وشؤونه، فهو قيِّم، وتطلق لفظة القيم ويراد منها: الاستقامة، ومنه قول الله تعالى:(دينا قيما)(الأنعام: 161)؛ أي مستقيما[2]، والشيء القيم بمعنى المعتدل ومنه الملة القيمة؛ أي المعتدلة، والقِيَم: مصدر كالصِّغر والكِبَر[3].

ولم أجد في كتب اللغة ما يفيد معنى الأخلاق في القيمة؛ إلا في بعض المراجع المعاصرة، ولعل إطلاق مصطلح القيم أو القيمة على الأخلاق كان من وجهة أن

معاني القيمة دائرة حول القيام بالأمر، أو الشيء المعتدل أو المستقيم، أو المعيار في الحكم والتفاضل، وهي الشيء النفيس ماديا ومعنويا، وكل ذلك مما يصدق على الأخلاق التي هي قوام أمر الأفراد والمجتمعات وأساس صلاحها، وبها يتحقق الاعتدال، وعلى الالتزام بها تكون الاستقامة، وهي المعيار الذي يعرف به الخير من الشر؛ بل هي الشيء النفيس في مضمونه وأثره، فكانت الأخلاق رمزا للقيم فإذا أطلقت القيم أريد بها الأخلاق وإذا أطلقت الأخلاق انصرفت إلى معنى القيم وهو ما حدا بأحد المعاصرين بتعريف القِيَمِ على أنها: الفضائل والأخلاق[4].

ثانيا: تعريف القيم اصطلاحا:

تعددت تعريفات المصنفين للقيم، غير أنها متحدة المعنى من حيث الإجمال، وإن اختلفت في بعض تفاصيله، ومما قيل في تعريف القيم ما يلي:

قولهم بأن القيم هي:" مجموعة من الأحكام أو التصورات المعيارية التي يؤمن بها الفرد والمجتمع، وتعد الإطار العام الذي يحدد سلوكه"[5].

ومنهم من يعرفها مركزا على المرجعية التي تستمد منها هذه القيم بالقول:" هي تلك المعايير الأخلاقية الإسلامية التي تسير عليه حياة الفرد والمجتمع، ويمكن باتباعها أن يصل إلى درجة الكمال والجمال"[6].

فعينة دراستنا متعلقة بالمجتمع الميزابي المتشبع بالتعاليم الإسلامية، والمنطلق في سائر نواحي الحياة من منطلق الشريعة؛ كالعبادات، والأحوال الشخصية والمعاملات، ونحو ذلك، فحقيق بالقيم التي يحتكمون إليها أن تكون مستمدة من مصادر الشريعة المنقولة؛ كالقرآن وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسنسلط الضوء في هذه الدراسة على جانب من القيم الأخلاقية التي تتضمنها الأناشيد الميزابية، وتسعى إلى ترسيخها في أفراد المجتمع.

وللقيم أنواع مختلفة فمنها المادية التي تساعد الإنسان على الوجود المادي وتتحقق بها أغراضه المادية، ومنها القيم الاجتماعية التي تؤسس لتنظيم علاقة الأفراد ببعضهم البعض في المجتمع الواحد، ومنها القيم العقلانية التي تحدد معيار الصواب والخطأ في المجتمع، وهناك القيم الجماعية[7]، وهلم جرا، وهي تجتمع في كونها معيارا يحتكم إليه الإنسان في تحديد صواب السلوك من خطئه.

الفرع الثاني: التعريف بالمقاصد:

أولاً: تعريف المقاصد لغة:

المقاصد والقصود جمع مقصد، وهي لفظة مشتقة من الفعل قصد، يقصد قصدا، وقصودا، ونقول: قصدت الشيء، وله، وإليه قصدا، بمعنى: طلبته بعينه وإليه قصدي ومقصَدي، وقصد في الأمر قصدا توسط، ولم يجاوز الحد، والقصد في المعيشة هو: عدم الإسراف أو التقتير فيها، وهو على قصد: أي رشد، وطريق قصد أي: سهل وقصدت قصده أي نحوه[8].

وبالتالي فإن مصطلح المقاصد وما يتعلق به من اشتقاقات يدور حول معاني الاعتدال والاستقامة وعدم مجاوزة الحد، وكل ما توسط بين الإفراط والتفريط عد قصدًا.

ثانياً: تعريف علم المقاصد اصطلاحاً:

لقد عرف علماء الأصول علم المقاصد بتعريفات مختلفة في ألفاظها، متحدة من حيث معناها ومحتواها، ومن أبرز من عرفه إمام المقاصد ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، **فقال في تعريفه:**" هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[9]، **وعرف الدهلوي علم المقاصد بقوله:**" هو علم أسرار الدين، الباحث عن حكم الأحكام ولميّاتها، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها"[10].

فكل ما لوحظ تأكيد الشارع عليه، وبناء أحكامه على نسقه في سائر أحكامه أو غالبها فإنه يعد مقصودا للشارع، فيراعى معناه حيث ما وجد، ولقد نحت الكثير من الكتابات في عصرنا الحديث الطريقة المقاصدية في التأليف في شتى الفنون، في عملية أشبه أن تسمى بتقصيد العلوم، أي معالجتها ودراستها على ضوء مقاصد الشرع الحنيف، وجاءت دراستنا هذه على هذا النحو، وذلك ببحثها أوجه المقاصد في الإنشاد الميزابي وما يتعلق به من كلمات وأشعار، ليتبين بعد البحث في ذلك مدى مراعاة الأدب الميزابي المتمثل في التغني بالأشعار لمقاصد الشارع الحكيم.

المطلب الثاني: التعريف ببني ميزاب، وذكر خصائص لسانهم:

الفرع الأول: التعريف ببني ميزاب:

هم من أبناء مصعب بن محمد بن بـادين والـزاي والصـاد متقـاربين، فكـان الميزابيون البربر يحرفون الصاد زايا في العربية؛ كالصلاة التي يسـميها البربـر " تزاليت"، فقالوا مصاب، ثم مزاب[11]، وذلك لتقارب مخارج الصاد والزاي والضـاد من جهة، وكذا تعدد اللهجات والألسنة من جهة أخرى، وتقادم العهد من جهة أخرى، فأدى ذلك إلى اختلاف النطق بهذه الكلمة، فقالوا: مصعب ومصاب ومضاب ومزاب وميزاب.[12]

يقول مبارك الميلي:" ومن أفخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهـم المـدعو اليوم مزاب، والزاي والصاد متقاربان، وفي اللسان البربري حرف يقـرب مخرجـه من مخارج الزاي والصاد والسين، فيختلف النطق بـه عنـد التعريـب، وصـاحب الترجمان المعرب من قبيلة صيان بالمغرب الأقصى يدعونه الصياني والزياني"[13].

وانتقل أبناء مصعب إلى بلاد الشبكة مع أبناء عمهم عبد الـواد وتجـين وزرادال وهم من الطبقة الثانية من زناتة، وكانت هذه الهجرة في القرن الثاني مـن الهجـرة لأسباب سياسية، وينقل الميلي عن ابن خلدون قوله:" وقصور مصاب سـكانها لهـذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فـيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب. وبنو عبد الواد الذين بمزاب من بني مطهر بن يمل بن يزقن بن القاسم، وقال أبـو راس: بمـزاب لماية وأخلاط من صنهاجة وغيرهم."[14].

ودان بنو ميزاب بديانة الإسلام بعد انتهاء الفتح الإسلامي لشـمال إفريقيـا عـام 703م بعد أن كانوا على الوثنية التي تجسدت في عبادتهم للمظاهر التـي تـروعهم بقوتها، أو تسحرهم بجمالها، أو تستثيرهم بغرابتها، فمن الآلهة التي عبدوها الكـبش الأقرن القوي، والطاووس والحمامة والهر، وكذا بعض الكواكب؛ كالشمس والقمـر وهلم سحبا، فتبدل البربر عامة، وبنو ميزاب خاصة من عبادة الأوثان، إلى عبادة الله تعالى، ولما ظهرت المذاهب الفقهية سبقت إلى بني مصعب أصول المعتزلة فـآمنوا بها وعبدوا الله تعالى من خلالها، فسموا بذلك بالواصلية، نسبة إلى واصل بن عطـاء

وأشهر علمائهم في عهد الاعتزال هو سليمان بن عبد الجبار المدفون بالعطف، وكان معتزليا[15].

وبعد سقوط الدولة الرستمية هاجر رعايا الإباضية والرستميون من تيهرت إلى وارجلان وسدراته ووادي سوف ووادي أريغ، وانعقد مؤتمر بأريغ سنة 421هـ للنظر في شأن الرستميين اللاجئين؛ لأن أريغ قد غصت بهم، وضاقت بعددهم فاقتضى الأمر انتداب أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي ليجول في صحراء المغرب الأوسط عله يجد المكان الملائم لعيش اللاجئين الرستميين وغيرهم من الإباضية بأريغ، إلى أن وقع اختياره على وادي ميزاب العامر بالمعتزلة وقتئذ فدعاهم إلى اعتناق الإباضية، فاقتنعوا لهذه الدعوة على مراحل زمنية مديدة، فبدأت هجرة الإباضية إلى ميزاب، فأنشأوا خمس قرى عبر كامل سهل وادي ميزاب بالرغم من قساوة الطبيعة وتضاريسها، وهذه القصور لا تزال قائمة إلى اليوم[16].

وكان بنو مصعب يقطنون الخيام بادي أمرهم، إلى أن تطور بهم الأمر إلى إنشاء مجمعات سكنية أصبحت بعد ذلك قرى ومدنا، ومن أولى المدن التي أسسوها في هذا العهد " أغرم نتلزضيت"، والتي تعني بالعربية: " قصر الصوف"[17]، وقد كان أغلب الميزابيين يعيش على تربية المواشي، والتنقل بها عبر أرجاء الشبكة، بحثا عن الماء والكلأ، فكانت حياتهم في منتهى البساطة، شأنهم في ذلك شأن سائر قبائل البدو في كل مكان، واقتصرت صناعتهم على نسج الخيام والألبسة من الوبر، وهو ما تميز به سكان أغرم نتلزضيت.

ولعلنا نخلص في نهاية هذه الإطلالة السريعة أن بني ميزاب أمة عريقة ضارب تاريخهم في القدم، وحمل فكرهم ونتاجهم الديني والاقتصادي والعمراني والاجتماعي كل مقومات الحضارة، وبذور النهضة والمدنية، ومن أبرز ما ميز هؤلاء تمسكهم المتناهي بمبادئ الإسلام، وتعاليمه وقيمه، وهو ما انعكس إيجابا على سائر أحوالهم في أقوالهم وأفعالهم وعمرانهم واقتصادهم وعاداتهم وثقافتهم وغير ذلك من الجوانب وقد كانت للأصول الإباضية الدور الأبرز لهذا البعد الحضاري الذي ميزهم، من اعتقادهم بأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل، وأن المصر على الكبيرة خالد، والإنسان حر في اختياره مكتسب لأعماله غير مجبر عليها، ونحو ذلك، وهو ما أنتج لنا

التزاما في الوسط الاجتماعي ظهرت آثـاره علـى مختلـف الأصـعدة والجوانـب وستسلط الدراسة الضوء على المنطلقات القيمية والمقاصدية التـي انصـهرت بهـا أشعارهم وترانيمهم التي ملأت نواديهم، وعكسوا من خلالها مشاعرهم وأحاسيسهم.

الفرع الثاني: ذكر خصائص اللسان الميزابي وأهم قواعده:

أصل اللغة الميزابية زناتي، وهي لغة قريبة جدا من القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية. من خصائصها الابتداء بالساكن؛ كقولهم: "تْمـارت" للحيـة، و"تْفويـت" للشمس ومن خصائصها اجتماع ساكنين أو أكثر؛ كـ: "تنفوسْتْ" أو "تمورْتْ" وهلـم جرا وتتصدر تاء التأنيث فيها الكلمة، فنقول:" تبجْنَ" للرأس، وقد ترد فيها تاء أخرى في آخر الكلمة؛ كـ: "تمطت" للمرأة، و"توارت" لأنثى الأسد[18].

ومن أبرز خصائص اللغة الميزابية وقواعدها أن لا وجود لصيغة التثنية فيها، فما سوى المفرد جمع، وللجمع فيها صيغ متعددة؛ كجمع المذكر السالم:" أفريشن: كباش" أودماون: الوجوه" ونحو ذلك، وجمع المؤنـث السـالم؛ كـ:" تيـزدايين: نخيـل" وتيلويزين: النوى"، والجمع بإضافة "إيد" كـ:" إيد عمر" و:" إيد بابا" ونحو ذلك[19].

والأصل في الكلمة الميزابية المجردة أنها معرفة، وعند إرادة تنكيرها يضاف لها أحد المقطعين:"إجن" إجن ورجز: رجل"، أو "إكت" إكت تمطوت" امرأة، ويكون ذلك سواء في الجمع أم الإفراد[20].

والفعل في اللغة الميزابية كثير التصاريف فلذلك يعرب ويعرف زمانـه بحسـب سياق الكلام وتصور السامع له، وليس من مجرد تركيب الفعل، فيمكن أن نعبر عـن الماضي من غير وجود فعل ماض، غير أن للمستقبل صيغة خاصة، وحالة ثابتـة لا تبرحها فللتعبير عن المستقبل في المفرد نضيف: "أد" أدزويغ" أي أذهـب، وللتعبيـر عنه في الجمع نضيف " أن" أنش"[21].

ومن خصائصها أنها لغة غنية بالأمثال التي تغني صاحبها عن الكـلام الطويـل منها:" وي وفين وليتيف أدبرس وليتيف"، ومعنى المثل أن من وجد ولم يأخذ ويستغل سيبحث ولا يجد، وفيها من معاني استغلال الفرص واغتنامها الشيء الكثير، قبـل أن لا تكون فرصة، وأن لا يكون في الوقت فسحة، ومن أمثالهم كـذلك قـولهم:" تقـن سوولمان"؛ أي ربطت بخيط الصوف الواهي، كناية على عدم إحكام الأمور، وأخذها

بالجد والعزم والحزم وهلم سحبا[22].

كما أن للميزابيين قصائد شعرية يتغنون بها في المناسبات؛ كوقت الغرس للفلاحين وزمن النسج للنسوة، وفي مناسبات الأعراس للفتية والفتيات، وفي الأعياد الدينية كالمولد النبوي الشريف، وهي نابعة في معانيها من صميم المبادئ التي تشربوها والقيم التي تتفسوها، فحملت في معانيها الحث على العمل والإتقان فيه والدعوة إلى تزكية النفوس، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه ونحو ذلك[23].

ولا يخفى على المقلب للألفاظ الميزابية ما طرأ عليها من التأثر باللغة العربية حيث إن المجتمع الميزابي مجتمع مسلم محافظ، وهو ما دعاه إلى التمسك بالقرآن الكريم النازل باللسان العربي، فكان هذا التردد على نصوص القرآن الكريم مدارسة وتدبرا وحفظا سبيلا إلى تأثر الأمازيغية باللغة العربية، ولم تبق الألفاظ المقتبسة منها على هيئتها العربية؛ بل صاغها الميزابيون على قواعد لغتهم، فركبت تركيبا جديدا وانسجمت مع الميزابية، وصارت جزءا منها، وقد لا ينتبه إلى ذلك إلا من عرف أصلها، فكلمة "أمبارش" مأخوذ من الكلمة العربية "المبارك"، وكلمة: " يتزالا" مأخوذة من "يصلي"، ونحوها[24].

وما تأثر اللغة الميزابية بالعربية من منطلق الاهتمام بكل ما يؤدي إلى فهم القرآن وتطبيقه إلا وجه من وجوه التأثر، دونه أوجه أخرى عديدة، ويعد من أبرز الوجوه الأخرى لتأثر اللغة الميزابية بالقرآن الكريم ما تضمنته من نتاج أدبي وفكري يحوي معالم القرآن وقيمه العليا ومقاصده النبيلة في إصلاح الخلق وتحقيق الخيرية فيهم عاجلا وآجلا.

المبحث الأول: تقسيمات الفنون ومقاصدها وذكر أبرز وظائفها عند علماء الجمال وتحليلها من زاوية شرعية.

المطلب الأول: في ذكر تقسيمات الفنون:

سار الفلاسفة وعلماء الجمال إلى تقسيم الفن باعتبارات عديدة، وهو ما أدى إلى تعدد هذه التقسيمات بتعدد اعتبار تقسيمها، ومن أشهر هذه التقسيمات ما يلي:

الفرع الأول: تقسيم الفيلسوف كانط[25]:

يميز كانت بين أنواع مختلفة من الفنون الجميلة، **أولها: الفنون الكلامية:** وهي النثر والشعر الأدبي، **ثانيها: الفنون التصويرية:** وهي التي تعبر عن الأفكار بطريقة حسية، ومن الفنون التصويرية ما يلي:

1-**الفن التشكيلي:** ويتضمن النحت، وهو موضوع أعمال فنية يمكن أن توجد في الطبيعة، ويشمل كذلك على العمارة وموضوعاتها.

2-**التصوير:** ويسميه بفن المظهر الحسي، ويتضمن التصوير بمعنى خاص.

3- **فنون اللعب بالإحساسات:** مثل الموسيقى، وهي فن الإحساسات السمعية وفن التلوين، وفن الإحساس البصري.

ويضيف كانت إلى هذه المجموعات الثلاث من الفنون طائفة الفنون المركبة مثل: المسرح والغناء والأوبرا والرقص وغيرها.

الفرع الثاني: تصنيف لاسباكس[26]:

ويقسم لاسباكس الفنون إلى ثلاثة أقسام:

1-**فنون الحركة:** ويشتمل على الرقص والغناء والموسيقى، وهي أقدم الفنون أولها في الظهور، وتقوم هذه الفنون على الدفع والتأثير والتحريك في الأفراد.

2-**فنون السكون:** وهي فنون العمارة والتصوير والنحت، وتبنى هذه **الفنون** على التناسق العقلي، وتخضع للمنطق؛ ولكنه ليس منطقا فكريا صارما، والإنسان حينما يطلع على آثار هذه الفنون الساكنة يشعر بنوع من الراحة والإعجاب؛ لأن غايتها التعبير عن الجمال وفقط.

3-**الفنون الشعرية: وفيه** الشعر الغنائي، والشعر القصصي، والشعر التمثيلي المتمثل في الكوميديا والتراجيديا والأوبريت أو التمثيلات الغنائية، وتجمع هذه المجموعة من الفنون بين الفن الأدبي والموسيقي.

الفرع الثالث: تصنيف الفيلسوف نيدونسيل[27]:

والأساس في تقسيمه هو نشاط الحواس الخمس، وهي:

1- فنون لمسية: وفيها الرقص والرياضة.

2- فنون بصرية: كالنحت والعمارة والتصوير.

3- **فنون سمعية:** وفيها الموسيقى والأدب وفنون اللغة.

4- **فنون تأليفية: وتتضمن** المسرح والسينما.

الفرع الرابع: تقسيم الفنون باعتبار خاصيتي الزمان والمكان(28):

1- **الفنون المكانية:** وهي التي تجري تكويناتهـا أو وحـداتها الزخرفيـة علـى الأسطح المنبسطة للأجسام باختلاف أشكالها؛ كالدائرية والكروية والمسطحة كالحـال في العمارة والتصوير والحفر والنحت والنسيج المرسوم.

2- **الفنون الزمانية: وهي** الإيقاع بكل أنواعه وطبوعه وأشكاله وتداخلاته وتعتمد على الترجيع المنظم للصوت، وعلى ترديد الحركات، كالحال في الموسيقى والـرقص والغناء والشعر والتمثيل.

ولعل هذه الفنون وكذا الأشكال التعبيرية المختلفة في مجملها حاضرة في المجتمع الميزابي، كالفنون البصرية المتمثلة في العمارة الميزابية الخاصة، المبنية على معـايير وأسس حضارية، وقيم إسلامية، بداية بمركزية المسجد وعلويته وإحاطتهـا مـن كـل جوانبها بالمباني السكنية، والتي تنحدر على طريقة المدرجات ممثلة هرمـا عمرانيـا فريدا، وكذا مراعاة آداب الجوار والحرمة في هندسة البناء وهلم جرا، كما أن الفنـون السمعية؛ كالأدب بشقيه النثري والشعري حاضرة بقوة، وتتنـوع مجالاتهـا بـين أدب القصة والرواية والتمثيل والألغاز والأحجيات، وقد تعرض هذه الصنوف مـن الآداب على شكل غنائي هادف، أو رواية مسرحية مؤثرة، أو نحو ذلك من الفنون السمعية.

وقد تغيب بعض صور هذه الفنون أو تكاد تكون كذلك لعدم انسجامها مـع تعـاليم المجتمع وقيمه الحضارية التي نشأ عليها، كالرقص، وكل ما ارتبط من الفنون بالمجون والفساد والعبث، فلا يشيع مثل هذا النوع من الفنون في المجتمع الميزابي المحافظ مـن حيث المجمل والعموم، وتتصدر الفنون التعبيرية الأدبية على سائر الفنـون الأخـرى حيث يعتبر الإنشاد والمسرح مظهران منتشران في المجتمع الميزابي، ويقتضي ذينـك النوعين من الفنون كتابات شعرية تلحن، وروايات أدبية يعمد إليها عند التمثيل، فتكامل الشعراء والأدباء والروائيون مع الملحنين والمسرحيين، وكثرت الجمعيات والفرق التي تهتم بهذين النوعين من الفنون، وسعى المجتمع الميزابي من خلال هـذه الفنـون إلـى إصلاح المجتمع وبث روح التفاؤل والإيجابية، ومعالجة الآفـات والظـواهر السـلبية

وسعوا من خلالها كذلك إلى إيجاد البديل الملتزم والمناسب لما ظهر في الساحة من فنون تفلتت من كل القيود الأخلاقية، وسيتبين لنا فيما يتقدم من مباحث هذه الورقة الجوانب القيمية والمقاصدية التي انصهرت في الإنشاد الميزابي، ليقيس عليها اللبيب سائر مظاهر الفنون الأخرى، كون هذه القيم مثلت هوية المجتمع وثقافته التي يتنفسها ويحسن تذوقها.

المطلب الثاني: مقصدية الفن عند علماء الجمال، وأبرز وظائفه:

الفرع الأول: مقصدية الفن عند علماء الجمال:

لقد تمايزت أنظار الفلاسفة وعلماء الجمال في تحديد الغاية من الفن، والمقصد من ورائه، ولعل رأيهم يتبلور في اتجاهين كبيرين يتفرع عنهما تفصيلات يتفرد بها أصحابها، ويتمثل هذان الاتجاهان فيما يلي:

الاتجاه الأول: القائلون بأن لا غاية محددة للفن، فهو منزه عن أن يكون له غاية محددة؛ بل هو غاية في ذاته، ومقصد في أصله، بما يحدثه من البهجة والفرحة والسرور والمتعة واللذة، ويعبر عن هذه المتعة بالجمال أو إدراك الجمال، فيجعلونه غاية الفن، يقول الفيلسوف كانت:" الفن نشاط حر موجه إلى الذات؛ لإحداث بهجة جمالية منزهة عن الهوى والغاية المحددة"[29].

فيرفض أصحاب هذا الموقف أن يخضعوا الفن لقواعد الأخلاق أو الدين، وقد عرف هذا المذهب باسم: " مذهب الطبيعيين"، وقد جاء كردة فعل للاتجاه الذي يربط بين الخير والجمال وبين الحق والجمال، وأنشأ هذا المذهب كل من الفيلسوف "بلزاك" وتبعه "أميلا زولا"، وكان من المشايعين له الشاعر الفرنسي الداعر:" بودلير"[30]

الاتجاه الثاني: القائلون بأن للفن غاية تربطه بالقيود الاخلاقية: وذهب إلى هذا الاتجاه كل من قال بأن للفن ارتباط حقيقي مع الحق والجمال، ومن أبرز من قال بذلك فلاسفة اليونان، ومن أبرزهم " أفلاطون"، وكذلك الرواقيين، فيرى أصحاب هذا المذهب أن علم الأخلاق فرع من فروع الجمال، فالذوق ليس مقولة أخلاقية فحسب بل هو وحده الكفيل بالتعبير عن القيم الأخلاقية، وهو السبب الرئيس في تقويم ما اعوج منه، فالجمال عندهم قد اقترن بالشعور الخلقي، فلا يحق للفنان الانطلاق بلا حدود في تصوراته الفنية التي قد يبدو منافية للأخلاق[31].

ولم تفصل النظرة الإسلامية بين الجمال والفن، وبين الخير والشر، فهما وجهان لعملة واحدة، فالخير داخل ضمن منظومة الفن بمفهومها الواسع المترامي، والفن لا يحمل معناه، ولا يتضمن محتواه إلا إن كان داخلا ضمن المنظومة الأخلاقية المعيارية التي يتميز من خلالها الحسن والقبيح من الفعال، ولا تعد هذه الموازاة بين الفن والأخلاق كبحا لجماليات هذا الفن؛ وإنما يكون دليلا واضحا، وسبيلا قصدا لتحقيق مفهومه الحقيقي، بعيدا عن كل تشويه يشوبه ويدخل فيه ما ليس فيه، فالله تعالى ربط بين القيم والجمال في غير موضع من القرآن الكريم، ولعل من أبرز هذه المواضع قول الله تعالى:(فاصفح الصفح الجميل)(الحجر: 85)، فوصف الصفح الكامل الذي يصفو به القلب من جميع أدرانه بالجميل[32]، وعبر بالجمال عن الصبر الكامل الذي لا جزع فيه ولا شكوى[33] في قوله تعالى:(فاصبر صبرا جميلا)(المعارج: 05) والأمر ذاته في الهجر الجميل والسراح الجميل، ليتبين لنا بعد ذلك بأن الفن والأخلاق وجهان لعملة واحدة، وابتعاد أحدهما عن الآخر يبعد المفهوم من قيمته ومحتواه.

وبما أن المجتمع الميزابي مجتمع مسلم محافظ، يصدر في جميع أموره مما يقوله الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، فإننا نلحظ هذا الترابط الواضح بين أشكالهم الفنية وتعبيراتهم عن الجمال وبين المقاصد الشرعية التي من أجلها خلق الخلق، وبمقتضاها جعل الإنسان خليفة لله تعالى في هذه الأرض، فالفن عندهم ليس مدعاة إلى التفلت والابتعاد عن كل قيد ضابط؛ وإنما يكون جاريا كغيره ضمن منظومة المقاصد الكاملة التي جاء الشارع مبتغيا تحصيلها في الخلق، فكل ما كان سبيلا موصلة إلى تحصيل مقصد التعبد لله تعالى، ولو من طرق غير مباشرة فإنه يعتبر فنا وكل ما كان محتواه سبيلا إلى الابتعاد عن منهج الشارع دحض وطرد.

لذا فإن المتطلع في الفن الميزابي المتمثل في الإنشاد فإنا نجده مغمورا بكل ما يحقق مقاصد الشارع، ويعمق القيم الطيبة في نفوس الخلق، فنجد الأناشيد التي تحث على بر الوالدين؛ كنشيد:" الوالدين أيوا عزيزن" ونشيد" أيما"، ونجد الأناشيد التي تصف بديع صنع الله، وما فيه من أسباب الراحة والسكينة كنشيد:" وخسن الظل أواحدي درواح"، وأخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه والتغني

بيوم ميلاده؛ كنشيد:" يلولد سيدنا محمد"، وغيرها في الاحتفـــاء بالعرســـان وإســـداء النصح لهم، كنشيد:" توني تيدت أمغ ترجت"، وأخرى حول الحـــث علـــى الوحـــدة والتماسك وعلو الهمة، ونبذ البغض والحسد وسائر أمراض القلوب، كنشـــيد:" وجـــد أيسوجاس أناي أنداق غيرش أين أومناي" وهلم جرا.

وفي نهاية هذا العنصر يتضح لنا بأن للفن مقاصد وغايات يمكن أن يحققهـــا، ولا يعد ذلك كبحا لجماح الفن، وما تحويه من محتويات ومضامين متراميـــة الأطـــراف شاسعة النطاق؛ بل تعد تلك المقاصد هي الموجه الرئيس، والمحدد الأســـاس الـــذي يتشكل من خلاله مفهوم الفن ابتداء، فالقول بوجود فن خارج المنظومـــة الأخلاقيـــة المتعارف عليها بين العقلاء من بني البشر وهم وغلط، وهو مـــا ســـعت المنظومـــة الإسلامية لتحقيقه من خلال بيان المقصد الأساسي لخلق الإنسان في هذا الوجود وهو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وبتحقيق هذا المقصد الأول والرئيس تتجلـــى كـــل معاني الجمال في منظر بديع متسق لا نشاز فيه ولا اعوجاج، بداية من جمال صـــنع الله تعالى، وبديع خلقه في هذا الوجود، والذي يدل على وحدانية صانعه، وما مظاهر الفنون وأشكالها إلا محاكاة للجمال المنظور في هذا الوجود، وهو ما أيده جملة مـــن الفلاسفة وعلماء الجمال الذين قالوا بأن الفن هو تصوير لجماليـــات الوجـــود بأحـــد أشكال الجمال، وما دام الأمر كذلك، فإن المنطق يقتضي أن يسير في نسق مصـــدره من التناسق والتوازن والانسجام فلا يكون سببا للإفساد وإشـــاعة الرذيلـــة، ونشـــر المناكر، والدعوة إلى الباطل، فكل ما سبق يعد تفلتا وتذبذبا واضطرابا يتنافى وجمال التناسق والانسجام، وكفى بهذا الاستمداد إشارة إلى وجوب أن يكـــون الفـــن ســـائر لتحقيق غاية، وتحصيل معاني الخير والحقيقة والجمال، ولم يكتف الله تعـــالى بهـــذه الإشارة الواضحة التي تؤكد ما قلناه فقط بل بين بما لا يدع مجالا للشك بـــأن الخيـــر والحق والقيمة، والتي تعد مقاصد وغايات هي الجمال بعينه وهي الفن ذاته، والحيـــدة عنها بغير ذلك من الفعال نشاز تدخلت فيه أيدي البشر فأفســـدته، وأبعدتـــه عـــن أن يكون فنا.

فالنظرة الإسلامية للفن عند التعمق قد فاقت كل النظريات والاتجاهـــات، لأنهـــا صادرة من خالق الوجود ومدبره، وصائغ الجمال وراسمه في آياته المصـــورة فـــي

الأنفس والآفاق، فلم تكتف في نظرتها للفن بإقرار حقيقة وجود غاية للفن؛ وإنما حددتها ورسمت معالمها بحيث لا يضيع متبعها في سبل الفعال الفجاج، ولقد جسد المجتمع الميزابي صور الفن والجمال في أناشيده وأهازيجه لتشبعه بالقيم الإسلامية وتجسيده إياها في سائر تطبيقاته وتصرفاته، فجاءت هذه الدراسة لترسخ هذا الترابط بين الفن ومقصده، وبين الجمال وقيمته، من خلال استخلاص المقاصد واستجلاء الغايات التي جاءت هذه الأشعار الملحونة معبرة عنها، وساعية إلى ترسيخها في نفوس الخلق، بعد أن تمتع أسماعهم، وتشنف آذانهم، فتنشرح لمضامينها نفوسهم وصدورهم.

الفرع الثاني: وظائف الفنون عند علماء الجمال:

لقد درس الفلاسفة وعلماء الجمال أوجه العلاقة بين الفن والحياة، أو بعبارة أخرى الوظائف التي يؤديها الفن ويؤثر من خلالها في الحياة، ولم تكن هذه الوظائف محل اتفاق بين الفلاسفة جميعهم؛ وإنما تنوعت آراؤهم واختلفت تقسيماتهم بحسب الاتجاه الذي تبنوه في مسألة غائية الفن ومقصديته، فمما ذكر من وظائف الفن وأوجه تأثيره في الحياة ما يلي(34):

1- **الوظيفة التكنيكية للفن:** أي ممارسة الفن لذاته دون أن يرتبط بأي غاية أخلاقية أو عاطفية أو دينية أو سياسية، وهذا هو موقف أصحاب مدرسة الفن من أجل الفن فالفنان عند هؤلاء غير مطالب بالتزام أي شروط غير ما تقتضيه أصول الصناعة الفنية ذاتها، وما يرتبط بها من قواعد.

2- **الوظيفة الترفيهية للفن أو الفن كترف كمالي:** ولعله الأقرب من الموقف الذي يقضي بأن الفن من أجل الفن، حيث تتمثل الوظيفة الحيوية للفن في هذا القسم في أنه ينسينا الحياة بأن يصرفنا إلى اللهو واللعب أو الترفيه والتسلية، وبمعنى آخر أن تأمل الجمال هو ضرب من التسلية والمتعة وسط مشاغل الحياة وهمومها وأتعابها، فالبعض يمارس الفن بعد تعب الطلب والكد في العمل، والبعض الآخر يستعمله بعد ضائقة ألمت به، أو مشكلة نائبة حلت عليه، وهلم جرا.

3- **الوظيفة المثالية للفن:** وتكون مهمة الفنان حسب هذا الموقف الأفلاطوني في أنه يتبنى مهمة تجميل الواقع أو تجسيم المثل الأعلى، بأن يضفي على الحياة

طابعا جميلا من خياله الخصب، وهذا ما نجده ماثلا في قصص البطولة، وروايات الفروسية ولوحات بعض الفنانين الأكاديميين.

4- **الوظيفة التطهيرية للفن:** ووظيفة الفن في هذا المستوى هو أنه يطهر انفعالاتنا عن طريق التنفيس عنها في صورة من صور الجمال، فيحررنا من الألم ويحصننا أخلاقيا، فقد كتب جيته قصة من أجل أن يحرر نفسه من هواجسه التي تدعوه إلى الانتحار، ومنهم من يعبر بالفن حتى يطرد مشاعر الخوف ويستبعدها ويبتعد عن مشاعر العنف، فينعم بالراحة والسكينة.

5- **الوظيفة التكرارية أو التسجيلية للفن:** ومهمة الفن في هذا المجال هو تسجيل ظروف الحياة بقصد العمل على استبقائها والاحتفاظ بصورها، أو تكرار الوقائع مع تغيير بعض تفاصيلها بإضفاء جانب الخيال الذي يضفي إلى المحتوى شيئا من الإثارة والتشويق، ويكون الفن بذلك عبارة عن الأداة التي يصوغ بها الفنان حياته الخاصة، أو حياة الآخرين مع شيء من التعديل والتحوير.

وفي بداية حديثنا عن النظرة الإسلامية وموقفها مما قيل في تحديد وظائف الفن المختلفة، لابد لنا أن ننطلق من مبدأ وجود الغاية والمقصد من وراء كل فعل يصدر من الإنسان، ومن بين ذلك مختلف أشكال الفنون وصور الجمال، والمقصد الأساسي الذي وجب أن تنطلق منه سائر الفنون هو تحقيق العبودية لله، فكل ما جافى هذا المقصد لم يعد فنا ولو أدخل فيه بالإرغام، وسيتضح لنا بعد ذلك بأن وجود هذه الغاية لن يكون عارضا في سبيل تحقيق الوظائف الأخرى؛ وإنما وجب ألا تتنافى هذه الغايات مع الغاية العليا، وأن لا تكون الوظائف المختلفة للفن سبيلا لإبطال غاية العبودية لله تعالى.

فنقول تبعا لذلك:

- **بأنه لا وجود لوظيفة ذاتية للفن** متحررة عن كل القيود غير قيود الصناعة الفنية وقواعدها.

- **أن الإسلام لم يجئ معترضا على ما يكون من الفنون سبيلا للترويح عن النفوس** والتنزيه عنها؛ بل حث على تجديد النفوس بتجديد الأحوال، وتغيير الفعال ولكن ذلك كله في إطار الانسجام الذي جاء به الشارع الحكيم، من اجتناب المحرمات

والمعاصي ما ظهر منها وما بطن، وأن لا تكون الوظيفة الترفيهيـــة ســـبيلا لصـــدأ القلوب وغفلتها عن ذكر الله تعالى، ولقد قال صلى الله عليه وسلم لحنظلـــة:" والـــذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"(35)؛ بل إن الرســـول صـــلى الله عليه وسلم حث على ذلك في بعض المواطن والمناسبات كالأعراس، فعـــن عائشـــة رضي الله عنها قالت: كانت عندنا يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصـــار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها، فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: "يـــا عائشـــة الأنصار أناس فيهم غزل، فما قلت؟"، قالت: دعونا بالبركة، ثم انصرفوا قال: " أفـــلا قلتم: "أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم، ولولا الحبة السمراء لم تسمن عذاريكم"(36) فالوظيفة الترفيهية للفن من الوظائف المهمة للفن؛ بـــل إنها وظيفة لا تنفك عن الفن ابتداء فالجمال لا يبعث إلا بمـــا يســـر القلـــب، ويـــبهج الخاطر، ويؤنس الصدر.

- **أما الوظيفة المثالية للفن** والمتمثلة في تصوير الطبيعة، والتعبير عنها **بصـــورة** من صور الجمال، بالاعتماد على الخيال الخصب، فإنها وظيفـــة ضـــرورية إن لـــم تطرح بأسلوب وجودي مادي بحت؛ بل بمنهج يـــربط الـــدلائل بمـــدلولها، والآثـــار بموجدها والمخلوقات بخالقها، فالله تعالى يقول:(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفســـهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(فصلت:53)، ويقول الله تعالى:(إن فـــي خلـــق الســـموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)(آل عمران: 190).

- **ومن أبرز وظائف الفن المهمة وظيفة التطهير**، والتي من خلالها يعمد **الفنـــان** إلى تطهير نفسه، أو السعي إلى تطهير نفوس غيره، بإبعادها عن كل ما يشوبها مـــن أمراض القلوب، والتعبير بما يحقق صلاحها، ويبعث فيها التفاؤل والإيجابية، ويبعـــد عنها صور القنوط ومظاهر الانهزام واليأس، فحقيق بهذه الوظيفـــة أن تكـــون مـــن أولويات الفنان، ليكون فنه بذلك فنا رساليا غائيا، يحقق النفـــع والخيريـــة فـــي هـــذه الأرض، وفي ذلك يقول الشاطبي في الاعتصام:" ومنها أن يتمثل الرجل بالبيـــت أو الأبيات من الحكمة في نفسه ليعظ نفسه أو ينشطها أو يحركها لمقتضى معنى الشـــعر أو يذكرها ذكرا مطلقا"(37).

ولعل من أبرز ما يذكر في الاستشهاد بمثل هذه الوظيفة الفنية التطهيرية ما حكاه أبو الحسن القرافى الصوفى عن الحسن أن قوما أتوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماما إذا فرغ من صلاته تغنى، فقال عمر: من هو؟ فذكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه فإنا إن وجهنا إليه يظن أنا تجسسنا عليه أمره، قال فقام عمر مع جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر، قام فاستقبله، فقال: يا أمير المؤمنين ما حاجتك وما جاء بك، إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك وإن كانت الحاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له عمر: ويحك، بلغني عنك أمر ساءني، قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أتتمجن في عبادتك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين؛ لكنها عظة أعظ بها نفسى، قال عمر: قلها؛ فإن كان كلاما حسنا قلته معك وإن كان قبيحا نهتيك عنه، فقال: وفؤاد كلما عاتبته... في مدى الهجران يبغى تعبى، لا أراه الدهر إلا لاهيا... في تماديه فقد برح بى، يا قرين السوء ما هذا الصبا...فنى العمر كذا في اللعب، وشباب بان عنى فمضى...قبل أن أقضي منه أربى، ما أرجي بعده إلا الفنا...ضيّق الشيب على مطلبى، ويح نفسى لا أراها أبدا...في جميل لا ولا في أدب، نفس لا كنت ولا كان الهوى...راقبى المولى وخافي وارهبى[38].

- **وقد يعمد الفنان بفنه إلى تأريخ ظاهرة اجتماعية،** أو تسجيل علم من العلوم ليبقى محفوظا للأجيال القادمة، وينتشر في ألسن الناس، فيتوسط الفنان بفنه لتحبيب ذلك العلم، أو حفظ تلك الواقعة لدى قلوب الناس، إذ النفوس تميل إلى كل ما هو جميل كالتغني والشعر ونحوه، فتكون أميل إلى حفظها، وأدعى للاستجابة إلى ما فيها.

ولقد جمع الإنشاد الميزابي بين هذه الوظائف في مجملها، فأنشد الشعر من أجل الترفيه عن النفس، والترويح عنها، وذلك ما يلحظ جليا في أناشيد المناسبات والأعياد كمناسبة المولد والأعراس وسائر الأفراح، كما أن الوظيفة المثالية التي يصور بها الفنان الطبيعة، ويتغنى بجمالها حاضرة بقوة في الأناشيد الميزابية، كما أن الوظيفة التطهيرية أو قل الوظيفة الإصلاحية فإنها تعد الوظيفة الأبرز في الإنشاد الميزابي وتطبيقات ذلك كثيرة نرجئها إلى المبحث الموالي بحول الله تعالى، ونجد الوظيفة

التأريخية أو التسجيلية حاضرة كذلك من خلال الحوارات التي تصور بين الإبن وجده أو بين الصغير والشيخ الكبير، فيطلب الأول من الثاني، أن يحكي له شيئا من قصص الأولين وحكمهم ورواياتهم، لتشيع سيرة الأجداد بين الأبناء والأحفاد، ويعد الإنشاد الشكل التعبيري الأبرز الذي يحبب هذه القصص والسير ويشيعها في ذاكرة الأجيال فنصل في النهاية إلى إقرار حقيقة ثراء الشعر الميزابي الملحون باحتوائه وتضمنه لسائر الوظائف التي يؤديها الفن في صورة ماتعة رائعة مشوقة.

المبحث الثاني: الجوانب القيمية والمقاصدية في الإنشاد الميزابي

تمهيد:

لقد أقررنا فيما سبق من الكلام حقيقة مفادها تميز الفن الميزابي بطابعه الهادف الملتزم، الذي يصدر من مشكاة القرآن وقبس النبوة، إذ المقلب في الأشعار الميزابية الملحونة ليلحظ ذلك جليا وبارزا بأدنى تأمل، إذ يسعى الفنان الميزابي بفنه بأن يرقى بفكر المجتمع وسلوكه ليتطابق مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، حتى يكون فنه فنا رساليا هادفا يبتغي به رضوان الله، ويرجو من ورائه الأجر والثواب؛ لذا فإنا نجد المنظومة القيمية الأخلاقية منصهرة في أدبهم الملحون، ولقد أسهم الإنشاد عبر تاريخ بني ميزاب في معالجة الظواهر الاجتماعية، والانحرافات المختلفة، وكان لها دورا كبيرا في شيوع الصلاح وتحبيب العلم وبث روح التفاؤل والإيجابية بين أفراد المجتمع.

يقول الأستاذ عمر بوسعدة –الذي يعد من أحد ركائز الإنشاد الميزابي تأليفا وتلحينا– مبينا الدور الرئيس للإنشاد في المجتمع الميزابي:" ما أجمل الفن عندما يجتمع الصوت الحسن بالكلمة المعبرة، فيظهران حقا خفي، أو يصفان مشهدا توارى أو يعبران عن شعور كامن، سيما عند نية تحسين الواقع بأسلوب هادئ هادف، وبلغة واضحة ليس فيها تكلف ليفهم القوم المراد، والفن في أصله لا يدغدغ العواطف والمشاعر فحسب؛ بل يخاطب العقل والقلب أيضا، وإنه لرسالة قد تغير في المجتمع ما تعجز عنه المنابر أحيانا[39]".

ويقول الشيخ الناصر المرموري واصفا سمات الإنشاد الميزابي وذلك في تقديمه لكتاب النفحات:" فإني نظرت في هذا الديوان البديع الحاوي لنتاج أزهار الربيع ذوات الألحان الشجية، والأنغام البديعة العبقرية، مما أبدعته قرائح الشعراء السخية

وأشجان النغمات الرخية، فوجدتها بالإشهار حرية، **لما فيها من البدائع الفكرية والروائع الشعرية** والألوان المتنوعة البهية، من كل الفنون الناضرة الزهية، من الابتهاجات الإلهية، والمدائح النبوية الزكية، والمعاني الدينية القوية..."[40].

وسنشرع بحول المولى في استعراض هذه القيم، والمقاصد الشرعية التي تصب فيها، وتسعى إلى تحقيقها فيما يلي:

أولا: توحيد الله تعالى، وإخلاص الدعاء له والتضرع بين يديه:

يعد توحيد الله تعالى والإخلاص في الدعاء له من أعظم المقاصد التي سعى الخالق سبحانه لتحصيلها في خلقه، حيث يقول الله تعالى في محكم تنزيله:(فاعلم أنه لا إله إلا الله)(محمد:19)، ويقول سبحانه:(قل هو الله أحد)(الإخلاص: 01) ويتجلى توحيد العبد في جملة من الأمور، كإخلاص الدعاء له، والتضرع بين يديه وتعد هذه المعاني حاضرة بقوة في الأشعار الميزابية الملحونة؛ بل وإن أدبياتهم زاخرة بمثل هذه المعاني التي ترسخ في ذهن الأطفال والكبار والصغار والرجال والنساء، **ومن ذلك ما قاله الشاعر الأستاذ عبد الوهاب فخار:**

نشنين نلا تامورتو ندّس س "لا إله إلا الله"...بت توات أدّدول أزل وّصرا تتلي

ومما ذكر في الدعاء، وما يتعلق به من موضوعات مختلفة ما قاله ولحنه الأستاذ: موسى كريزو، وفيه:

بسم الله يا الله يا رحمن...	يا رحيم يا الله يا رحمن.
سيدل غفنغ أيا جليد نجلدان	ترد تيتا نوشتيمن دتوشتيمن
أر فتجمي ترد في غرمان	واسي درواي يسمنغ جار مدن
وني دانعزام يشمر أعزامس	أمس نيغولاد يسيفاو إينارن
وني داكراز أتناف تامورتس	دجيد أد دوجاس يينز غليفادن[41]

وجدير بالملاحظة في فاتحة استلهام القيم والمقاصد في الأناشيد الميزابية أن الفنان الميزابي يسعى إلى ربط كل قيمة بالقيم الأخرى بأسلوب بديع جميل فبالدعاء يسعى إلى تعظيم العلم والحث على طلبه، ويرفع من قدر العامل الذي غالبا ما يمثل له بالفلاح، لكون هذه المهنة هي الغالبة في المجتمع الميزابي فيما مضى من الزمان، وهلم جرا، لذا فإنا نركز على القيمة التي عليها مدار العنصر مع تنبيه خفيف إلى ما

سواها، وترك التفصيل إلى حين ذكره في موضعه.

ثانيا: الدعوة إلى تحقيق الاستقامة والالتزام بمنهج الله تعالى:

فالله تعالى خلق الإنسان في هذا الوجود لتحقيق مقصد العبودية لــه وحــده، ولا تتحقق تمام العبودية لله تعالى إلا بالاستقامة على طريقه، والالتزام بمنهجه، وسعى الفنان الميزابي إلى تحصيل هذه القيمة وتحقيق هذا المقصد في كثير من أشعاره بل إن غالب أشعاره مندرج ضمن هذا النوع، فيرغبه علــى الطاعــات، ويبعــده عــن المعاصي والآفات، حتى ينتج لنا فردا مسلما بحق، متوازنا فعالا في مجتمعه صالحا مصلحا، وإن آثار هذه الجهود ظاهرة جلية في سلوك المجتمع الميزابي الذي شهد له القاصي والداني بصلاحه والتزامه في زمن المغريات والفتن المختلفة.

وفي الحث على التزام طريق الله يقول الشاعر عبد الوهاب بن حمو فخار:

نشـــنين نـــلا تـــامورتو نـــدس س "لا إلـــه إلا الله"

بـــت تـــوت أددول أزل نوصـــرا تتلـــي

ســوطوف دربـــي أتافـــد تاشميســت غـــانزط دلحريـــر

بـــت أنســيب إزطـــوان دوجلانـــد دســـراس نـــوللي

أنطـــف إفاســـن غلتيفـــاوت أنّيجـــور، إجـــورد أيـــوا

إجـــورد أوتمـــا، إجـــورد أممـــي إجـــورد أيلـــي

ســـتوغدي نربـــي تشـــلنغ غـــل جنـــة أبريـــدنغ

أتلاعنـــغ أمقـــران أنيـــل ســـنف تملّـــي(42)

حيث يبين الشاعر في مجمل أبياته أن المجتمع الميزابي نشــأ علــى طاعــة الله تعالى، وإن هم بدلوا سيرتهم فإن الله تعالى سيغير من حالهم، كتحول قيمة الذهب إلى بخس ثمن الخيط، وإنهم تمسكوا بحبل الله فإنه يوسع عليهم من نعمه ويكلؤهم بعنايته كتحول ما نسج من الثوب بالخيط العادي إلى الحرير، ويوجه كلامه بعد ذلــك إلــى الأخ والأخت والإبن والبنت، وجميع شرائح المجتمع، ومثل هذا النصح والحث كثير في أدبيات الإنشاد الميزابي.

ثالثا: الحث على الإكثار من الذكر، والصلاة على النبي محمد ﷺ

يريد الله تعالى من الإنسان في هذا الوجود أن يكون عبدا ذاكرا لله تعالى في كـــل أحواله، منشطه ومسكنه، ومكرهه، ومن شأن ذلك أن ينتج لنا عبدا ربانيا مؤمنا بـــالله تعالى، مستحضرا له سبحانه في كل أحواله، فيبتعد الذاكر لله تعالى عن معاصـــي الله تعالى ما ظهر منها وما بطن؛ ولهذا جاءت النصوص الكثيرة التي تحـــث الإنســـان على ذكر الله تعالى ذكرا كثيرا، يقول الله تعالى:(واذكروا الله ذكرا كثيرا وســـبحوه بكرة وأصيلا)(الأحزاب: 41، 42)، ومن أعلا الأذكار فضلا الصلاة علـــى النبـــي محمد صلى الله تعالى وفي ذلك يقول الله تعالى:(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)(الأحزاب: 56)، وهذه المعـــاني كلهـــا حاضرة في أدبيات الإنشاد الميزابي.

ومن ذلك ما قاله الأستاذ عمر بن سليمان بوسعدة وأبدع في تلحينه:

ســـــــــــبح يوشـــــــــــنغ أتاغـــــــــــد أرازن

تزالـــــــــد فواســـــــــرناغ أيـــــــــوا إعزيـــــــــزن

ســـــــبح تزالـــــــد قـــــــدمانش تـــــــلا أصـــــــابت

أشـــــــطومس أتافـــــــد يـــــــدس ســـــــتييدرين

ســـــــبح تزالـــــــد قـــــــدمانس لانـــــــت تفـــــــراي

تشـــــــنت تـــــــدولي دتيلـــــــي تجمـــــــوين

ســـــــبح تزالـــــــد قـــــــدمانش يـــــــلا أجنّـــــــا

ســـــــتفويتس ديـــــــورس يســـــــن ســـــــتران[43]

فرغب في الذكر، وأمر بإتيانه من خلال بيان فضله وثوابه عنـــد الله، وذكـــر لفضل التسبيح تشبيهات عديدة منها أنها تحول الغصن الخـــالي إلـــى آخـــر ملـــئ بالسنابل، وحث على الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واسترسل فـــي ذكر التشبيهات ممثلا من خلالها عددها، والأجر الذي أعده الله تعالى للملتزم بها.

رابعاً: إسعاد العرسان وتوجيههم بالنصح والإرشاد:

يعد الزواج من أعظم الأعمال التي أمر الله تعالى عباده بهـا، فقـال:(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) ويقول صلى الله عليه وسـلم:" مـن استطاع منكم الباءة فليتزوج"، والأدلة متضافرة في تأييد هذا المعنى، ويعد الـزواج القناة المثالية التي تصون الإنسان من الوقوع في المنكـرات والفـواحش، ويعـد الزواج الناجح اللبنة الضرورية الأولى لتكوين مجتمع صـالح ومتماسـك، ومـن جاءت أهمية التشجيع على الزواج، وتزويد العرس بالنصائح والقواعد التي تحقـق لهما السعادة في الدنيا والآخرة.

وتقصد الإنشاد الميزابي إلى تحصيل ما سبق من القيم والمقاصد مـع تكـوين جو من البهجة والحبور، وإضفاء الفرحة والسرور على تلك المناسبة الغالية، فـي جو من العفاف والطهر، بعيدا عن كل ما ينتشر في الساحة مـن أغـاني الفحـش والفجور والرقص والمجون.

يقول أحد أعمدة الإنشاد الميزابي الملتزم شعرا وتلحينا وهو عمر بـن يحيـى داودي، يقول شعرا استمد لحنه من التراث الفني القديم الأصيل يصـف فيـه جـو العرس، وما يميزه من حضور الأحباب ووقوفهم جميعا بجانب العـريس مهنئـين مساعدين فرحين، **وذكر فيه:**

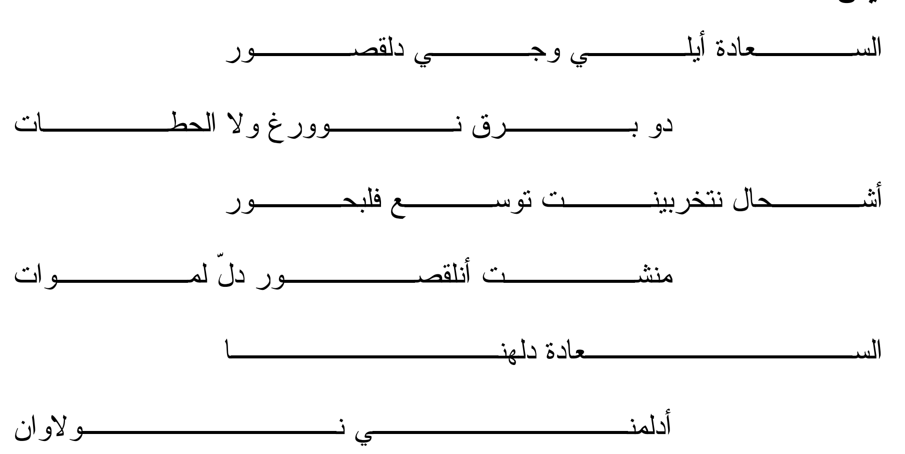
اللهـــم صـــل علـــى النبـــي
زالـــت معـــانغ فـــي النبـــي

أســو أنمــود نفــاش أتــيج ربــي دامبــارش
أنفــرح ســوملاش نطــاروانغ

يــلاه أوش الحنــي إمــدن أتســني
أداســن غلــداني أدفــرحن معــانغ

لعرســنغ ييــوض مــدننغ جــاع توســد
أشــترت أنــبش أنبــد ألعــرس نطــارونغ[44]

ومن النصائح التي تقدم للعريسة يوم تزف إلى زوجها، ما كتبه الشاعر بكير بضليس:

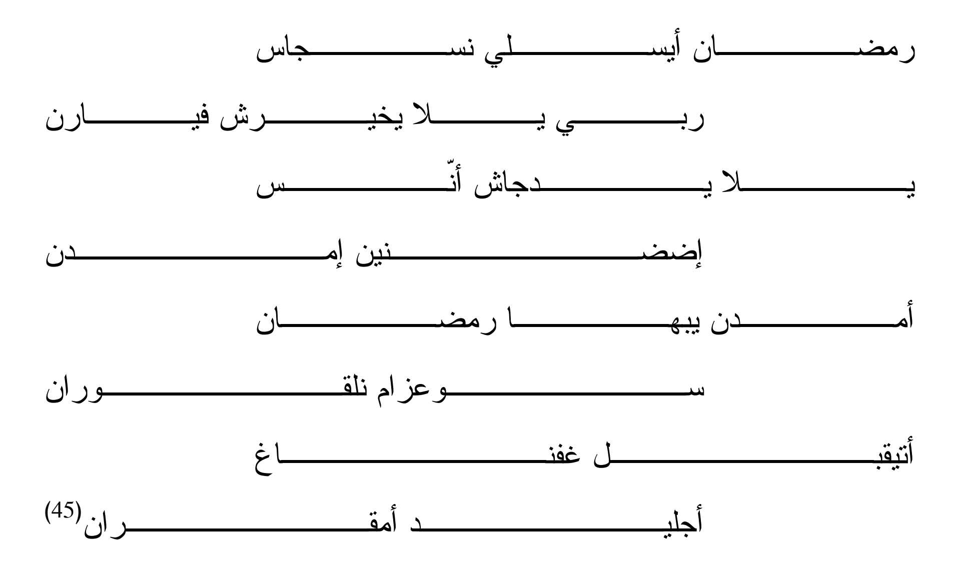


حيث يبين المعنى الحقيقي للسعادة، والذي يبعد أن يكون قصورا تسكن، أو ذهبا ومجوهرات يتزين بها، أو ملابس فاخرة تلبس، أو نحو ذلك، فكم من عروسين حققا السعادة في كوخ ضيق قديم، وكم من عروسين منيا بالبؤس والشقاء في قصور شامخة عظيمة، فالسعادة الحقيقية هي الهناء والتفاؤل والإيجابية.

<u>خامساً: الحث على عمارة رمضان بالطاعات والمبرات:</u>

لقد فضل الله تعالى رمضان على سائر الشهور من حيث الأجر والثواب، وحث عباده على عمارته بالطاعات والمبرات، ليكون هذا الشهر محطة لتهذيب النفوس وترويضها طيلة ثلاثين يوما على التزود من العبادة والاجتهاد فيها، ولقد ظهر اهتمام الميزابيين بهذا الشهر أيما اهتمام، وحرصهم على الاغتنام منه، وذلك من خلال أناشيدهم المختلفة التي تنشد استعدادا لرمضان، وتردد في مناسبات ليالي شهر الرحمة والغفران.

ولقد أبدع الفنان عمر داودي في تنبيه الناس بقدوم شهر الرحمة والغفران وحثهم على عمارته بقراءة القرآن الكريم، ومختلف العبادات، **وذلك في رائعته التي ذكر فيها:**



رمضـــان أيســـلي نســـجاس

ربـــي يـــلا يخيـــرش فيـــارن

يـــلا يـــدجاش أنّـــس

إضضـــنين إمـــدن

أمـــدن يبهـــا رمضـــان

ســـوعزام نلقـــوران

أتيقبـــل غفنـــاغ

أجليـــد أمقـــران[45]

فصور لنا رمضان بالعريس من بين الشهور الأخرى، لاختيار الله تعالى له من بين سائر الشهور، وبين لنا بأن جمال رمضان إنما يتحقق بتمام الاغتنام فيه بالطاعات والمبرات؛ كقراءة القرآن الكريم، وحري بمن اجتهد فيه أن يتقبله الله منه، فابتعد في المجتمع الميزابي رمضان من أن يكون موسما للمآكل وصنوف المشارب؛ فكان محطة للتغيير والرقي في مدارج الكمال الروحي والإشراق النفسي بطاعة رب العباد، والتزام طريقته.

<u>سادساً: بر الوالدين وذكر شيء من أفضالهما:</u>

لقد أكد الله تعالى على بر الوالدين في نصوص كثيرة متضافرة؛ بل وقرن طاعته بطاعتهما في قوله سبحانه:(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)(الإسراء: 23)، وكانت أدبيات الشعر الميزابي الملحون زاخرة بالعبارات التي تعلي من شأن الوالدين، وتدعو إلى طاعتهما، وتحذر من مغبة عصيانهما فللأب في المجتمع الميزابي هيبته ووقاره وقيمته؛ كونه المربي والمعيل والموجه وللأم مكانتها ومنزلتها؛ لأنها سهرت وضحت وربت وتعبت في سبيل تربية أبنائها وتنشئتهم على الصلاح.

ومما قيل في التغني بفضل الوالدين والحث على برهما، ما كتبه الأستاذ صالح تيريشين، ولحنه الفنان الحاج معروف، **ومما قيل فيها:**

أيما أيما أممو وليك أتيفاوت نودميك أزور نوغرميك

سيتوغي دبغور أماس نوخمال جامغ فتوحديت تيشلي دويوال

جار سن إغلن غيفي ديودال أس أغدزوان أوليتيف أدوال

فتغنى الشاعر بمآثر أمه التي تمثل نور وجهه، منذ أن كان طفلا في حجر أمه فنشأته على الصلاح في الفعال والأقوال، إلى آخر ما قال.

ومما شاع في الألسن، وذاكرة العامة من أناشيد الوالدين ما قاله ولحنه الأستاذ عمر عبد العزيز، ومما قال:

الوالدين أيوا عزيزن تدارت تيفاو تبها أسيسن

أنميزض أجرو ورازن دتنميرين دطاعتنسن

أش غبشا صبح غفسن أزواش غلبيدس مساتن

أس وسان سبسي نشرا جار إفسنسن سفرحتن

أسن ولا تدجيد أرجاز طاروش دويتليش دوعزامش

غرسن ديما تليد دارنسن ولحمق ولدسر غفسن(46)

ومما أضافه هذا النشيد عن سابقه ذكره لبعض التوجيهات العملية في بر الوالدين، وحذر من بعض التصرفات والفعال التي تصدر من الأبناء تجاههما فأمر بتحيتهما في كل صباح ومساء، وإسعادهما ولو بالقليل من المتاع، وبين بأن الرجل مهما كبر وأصبح صاحب أموال وأولاد وعلم، فإنه دائما يبقى ابنهما، فلا تضجر منهما ولا تتطاول عليهما.

سابعاً: إحياء السرور لمن رزق بمولود جديد، والتفاؤل بصلاحه ونبوغه ونفعه:

لقد اعتاد الميزابيون على الاحتفال بالمولود الجديد وختانه باجتماع أقارب العائلة، وإقامة مأدبة عشاء، وكذا وصلات فنية متنوعة في الاحتفال بهذا المولد ولقد تنوع محتوى ما يقال في هذه المناسبة بين الاحتفال بالمولود، وبين التفاؤل بأن يكون ذلك الابن الجديد ابنا صالحا عالما عاملا، ويعد هذا التفاؤل بمثابة رسائل

مبطنة للوالدين بتهيئة ظروف صلاح الابن ونبوغه، والاجتهاد في تربيته أحسن تربية، وكل هذه الخلال داخلة ضمن المنظومة القيمية والمقاصدية التي جاء الشارع طالبا تحصيلها في العباد.

ومما ورد في التراث القديم من هذا الصدد:

أكـــــرض أمـــــزور نعيســـــى نمـــــريم نشـــــا الله

أكـــــرض أمـــــزور نعيســـــى نمـــــريم نشـــــا الله

أويـــــد طامشـــــات أويـــــد تيخوتـــــام

أويـــــد طمشـــــت أســـــنكرض ســـــيس إو مختـــــول

يـــــلا ديزيـــــود تمجيـــــدا إحفـــــض لقـــــوران

يـــــلا دايزيـــــودتم ســـــوق إســـــاغ إعوبـــــان

يـــــلا دبغـــــور دلغابـــــت إرزم أمـــــان

يـــــلا دبغـــــور ســـــتمورا إويـــــد إدريمـــــن

ميمـــــيم ديـــــور يوليـــــد إيســـــيفاو إيضـــــان

ممـــــيم ديـــــور داســـــفار إســـــراح إموضـــــان[47]

فتحدث الشاعر في هذا النشيد داعيا إلى تزيين المولود الجديد بتسريح شعره وإلباسه الخاتم، ثم بعد ذلك يستمر بالتفاؤل لمستقبل هذا الطفل، بداية بترداده لحفظ القرآن الكريم، وكذا تردده إلى الحقل لسقي المزروعات، أو اغترابه وسفره طلبا للرزق، إلى آخر ما ذكره الشاعر، وكلها رسائل مبطنة إلى الوالدين بأن ينشئوا أبناءهم على هذه الخلال، وأن يرددوا الكلمات على آذانهم باستمرار ليحببوا إلى الطفل هذه الخلال منذ النعومة.

<u>ثامنا: الحث على العمل والسعي في سبيل كسب الرزق:</u>

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده"[48] قيمة العمل والكفاح في سبيل كسب الرزق الحلال من القيم التي نشأ المجتمع الميزابي عليها أبناءه، فما إن يبلغ الفتى عمر الخامسة عشر أو تزيد وتنقص، حتى يعود

الرجل على اكتساب قوته بنفسه، من غير اعتماد على والده أو من يعوله فيرسـل للاغتراب في سبيل ذلك، حتى لا يتعود على الدعة والخمول والاتكال فينشأ رجلا مسؤولا معتمدا على نفسه في جميع أحواله.

ومما قيل في أدبيات الإنشاد الميزابي مؤيدا هذا المعنى ما ذكره الشاعر عبـد الوهاب فخار، ولحنه الفنان عمر بوسعدة **ومما قيل فيه:**

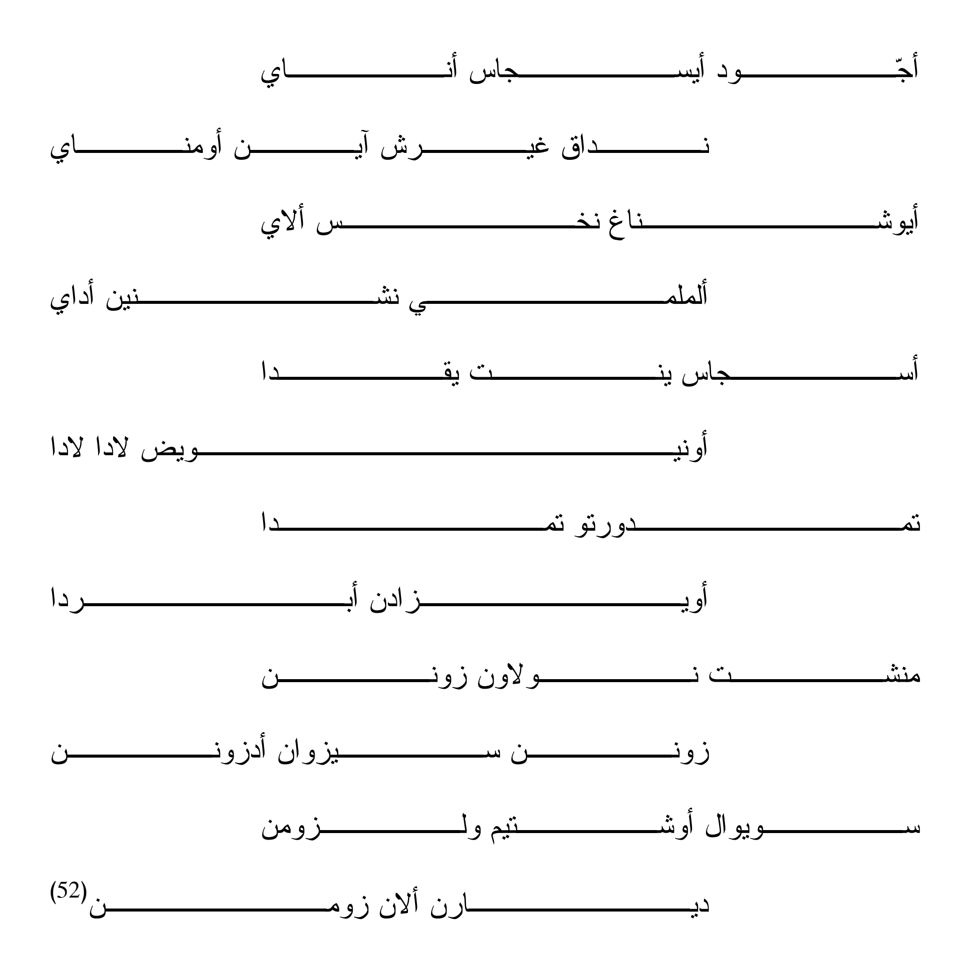
سلغاش أيابا تقارد حدني ديغس	أنغ تقارد حدني دتدرا ترش
أتشرتد أتاروك إليت جاع ديخسان	لاش ويتدجان أسو إيماون
تخسم أتشم أملاو ستزدايت	بلا وجال تليم أتناقيم أداون
نكلت تزعمي أتافم تزعمي	بت ويجي أمو أتمجرم دشاون[49]

فاستفتح قصيدته بحوار بين الابن وأبيه، وفيه يقول الابن: سـمعتك يـا أبـي تقول: ذلك الرجل صلب قوام، أو سمعتك تقول: فلان كأنه شوكة هزيلة ضعيفة، ثم يستنهض الأب بعد ذلك همم الأبنـاء ليكونـوا مثـل الرجـل الأول فـي العمـل والمسؤولية، وأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، فإذا أردت أن تأكل الثمر الجديـد اليانع من غير سعي في أسباب ذلك، سوف تأكل الثمر الفاسد الذي عادة مـا يقـدم كعلف للحيوان، فاغرسوا الطيب في أنفسكم وبأفعالكم وجهودكم لتلقوا طيبا.

تاسعا: تطبيق قيمة المحاسبة على رأس السنة وفواتح الشهور:

يدعو الفنان الميزابي في كثير من أناشيده إلى محاسبة أفراد المجتمع لأنفسـهم ومراجعة علاقاتهم بربهم، وعلاقاتهم ببعضهم البعض، في سبيل الرقي بـالمجتمع والتماسك والأخوة والوحدة، وذلك عند مرور كل سنة، وتعد هذه المحطـة مهمـة على المستوى الفردي والجمعي، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم:" الكيس مـن دان نفسه وعمل لما بعد الموت"[50]، ويقول سيدنا عمر:" حاسبوا أنفسـكم قبـل أن تحاسبوا".[51]

ومما قيل في هذا الصدد ما كتبه الأستاذ أحمد بن عمر حـاج يحيـى، ولحنـه سليمان بن محمد بولنعاش، **وفيه:**



أجّـــــود أيســـــجاس أنــــاي

نـــــداق غيـــــرش آيـــــن أومنـــــاي

أيوشـــــناغ نخـــــس ألاي

ألملمـــــي نشـــــنين أداي

أســـــجاس ينـــــت يقـــــدا

أونيـــــويض لادا لادا

تمـــــدورتو تمـــــدا

أويـــــزادن أبـــــردا

منشـــــت نـــــولاون زونـــــن

زونـــــن ســـــيزوان أدزونـــــن

ســـــويوال أوشـــــتيم ولـــــزومن

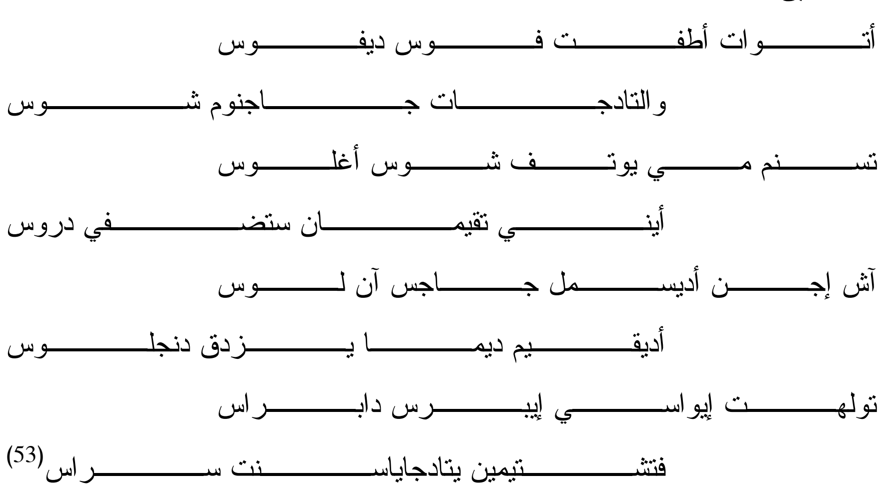
ديـــــارن ألان زومـــــن[52]

حيث إن الشاعر في مطلع قصيدته يرحب بالعام الجديد ويعبر عن شوقه تجاهه، ويعاتب نفسه بعد ذلك وكذا مجتمعه على كل مظهر من مظاهر التأخر والانحدار، ويعبر عن رغبته في التطوير والتقدم، ثم يسترسل في ذكر بعض المظاهر التي يراها سببا للتأخر، وعائقا عن التقدم، وذكر منها الخصومات التي تقع بسبب الميراث، فيشتم بها الأخ بأخيه، والقريب بقريبه، وتستمر الخصومة لسنين طوال، كل ذلك سعيا منه إلى غرس قيمة المحاسبة والتي يبتعد من خلالها الإنسان عن المعاصي والتغول في حقوق الناس، ونحو ذلك من المعاصي.

عاشرا: السعي إلى تحقيق مقصد الوحدة والأخوة:

من أبرز القضايا التي نجح من خلالها المجتمع الميزابي، وتماسك لقرون، ولا زالت تؤرقه وتعد شغله الشاغل تحقيق مقصد الوحدة، وهو ما جاءت النصوص الكريمات داعية إلى تحقيقه وتحصيله، فنهى عن التنازع والتفرق في قوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال: 46)، فالتركيبة الموجودة في المجتمع الميزابي، والتقسيمات العرفية للمجتمع، من وجود هيئة العزابة وتحصيل ولاء العامة لها، وكذا سائر الهيئات، والنظم المدرجة، كلها جاءت بناء على معايير ومقاصد أراد المجتمع بها أن يحفظ بها ديمومته وخصوصيته، ومن أبرز هذه المعايير والمقاصد هي الوحدة.

وفي ذلك يقول مصطفى بن كاسي علواني، داعيا إلى هذا المقصد العظيم من مقاصد الدين:



أتـــوات أطفـــت فـــوس ديفـــوس
والتادجـــات جـــاجنوم شـــوس
تســـنم مـــي يوتـــف شـــوس أغلـــوس
أينـــي تقيمـــان ستضـــفي دروس
آش إجـــن أديســـمل جـــاجس آن لـــوس
أديقـــيم ديمـــا يـــزدق دنجلـــوس
تولهـــت إيواســـي إيبـــرس دابـــراس
فتشـــتيمين يتادجاياســـنت ســـراس[53]

فينصحهم في مطلع هذا النشيد بالتآزر والتماسك والتآخي، حتى لا يضعفوا ويهنوا بتفرقهم كالسوسة التي تنخر سن الإنسان، وأن الوحدة سبب للبركة وعكسها محق لها، وحثهم على سلامة القلوب وصفائها ليكونوا كملاك السماء صفاوة ونقاء، وحذر في المقابل من ذلك من المغرضين الذين يبحثون عن المساوئ، ويسعون لنشر الفتن والبغضاء بين الناس.

وفي ذات المعنى يقول الفنان عمر بوسعدة:

يله أيوا أنزدي جار أولاون آجرونغ يل اتيتي يوششاض

أتات أيني زوان تحبرم جاع غلدسات   أنغ تغيلم إمار يطس تسنباض

آيبها توات مي جروان دورو إجن   أول تيفد ديسن أش إجن سوجماض

نسن جاع أهاتي وليسجوري تاسيرت   تاضفي أتناف سانيلي جاعنغ نزاض

أنمتر يوش أغنيهدا يجروانغ   فويوال إجن أونتيوض غل وجماض[54]

الحادي عشر: قيمة الحفاظ على النخلة وقس عليه سائر الزروع:

نشأ المجتمع الميزابي في عيشه معتمدا على الزراعة، وعلى زراعة النخلة بشكل أخص لتواجدهم في بيئة صحراوية، فاجتهدوا في الحفاظ عليها، وتنظيفها، والقيام عليها، مؤتمرين بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال:" أكرموا عمتكم النخلة؛ فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطبا فتمر"[55]، ولأدبيات الحفاظ على النخلة معاني ورمزيات عديدة كقيمة حفظ النعمة وشكرها بتمام رعايتها، وكذا قيمة الاعتماد على النفس في تحقيق الاكتفاء الغذائي ونحو ذلك كثير.

ومما ذكر من الأناشيد في هذا الصدد كلمات الأستاذ سعيد إبراهيم، وألحان عبد القادر زكري، **وفيها:**

تزدايت نيغزر ديما تدر   دتموتيت توسد أنغ ديغس إيتشرد

أماس لجايلت قيمغ تيليس   أنيغ الحمد لله

رزمغ تطيك أقلغ لولس   أنسغ سبحان الله[56]

ويقول صالح ترشين في شعر لحنه جابر بليدي:

تزدايت أدلال وسان   تسلت نتجما

بكري جاع إكرازن   أنان ديكت سيستما

إجيناس أمشان تحاول إيلان   ستفاس تضحا إجلوان

وخسن أوتوف نتزمرتس   أديش مناو إينيون[57]

وفي مجمل هذين القصيدين الملحنين من التغني بالنخلة، وتصويرها وكأنها العروس في وسط البستان؛ بل وإن الفلاح القديم يعدها أختا له يقوم بحقوق الأخوة تجاهها لعظيم مكانتها عنده، ولما لرطب النخلة من عظيم فائدة على الصحة، وبين الشاعر في القصيدة التي قبلها أن هذه النخلة نعمة من النعم التي تستوجب الشكر والحمد لله تعالى.

الثاني عشر: قيمة تشجيع المرأة على استغلال الأوقات بالعمل في النسيج والحفاظ على التراث:

للمرأة دور مهم في نجاح المجتمع الميزابي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومن أدوراها الاقتصادية قيامها بالغزل والنسج في وسط فناء المنزل، بروح عالية وعزيمة ماضية، ورغبة في الاسترزاق بعائد هذا المنسوج، ومساعدة الزوج في مصارف الحياة وتكاليفها، وكذا للحفاظ على هذا الموروث التقليدي من الاندثار.

وقد وردت كلمات **جميلة في هذا الصدد،** مشيدة بهذا الدور، ومنوهة بهذه القيمة المهمة من القيم الاجتماعية الإسلامية، ومن ذلك ما قاله الشاعر تريشين صالح **وفيه:**

ألالة زط إزطوان ألالة أويد إزلوان

ألالة آري وسان ستنلي جار إغرسان

آيزعم تانجمتنغ تشارد جار سنت ترسال(58)

ويقول سليمان الشيخ بلحاج:

إناس إيتينني أزنزن أضوفت سيغولاد تزنزد إغرس أن وورغ تهويد غل واد

أمنيني الله الله ألالا تخسرد أيني غلان

أمدن خزرت آين إلان آين إلان أغلان يستنغ عافنت إزطوان غير أورار كل أنشان

إغولاد اسيسنت أشورن مدن أدوان(59)

وفي مجمل القصيدين أشاد الشاعران بدور المرأة الميزابية في نسج الأفرشة وعبر عنها بلفظة:"ألالة" للاحترام والتقدير، وأن تخط وتحفر بذلك النسج راسمة تاريخها من الجد والعمل ليبقى للأجيال من بعدها، وبين فضلها في استدرار الرزق

والخير بتلك الحرفة، **غير أن الشاعر في القصيدة الثانية عاتب بعض النسوة** اللواتي تخلين عن هذا العمل العفيف المهم، واستبدلنه بالتسكع في الشوارع وكثرة الخروج من المنزل، وأن مثل هذا السلوك من بعض النسوة يردي بهن إلى المهاوي، ليستمر في المعاتبة بمعان أخرى، راجيا من ورائها استدراك ما يمكن استدراكه من هذا التخلي عن الموروث الحضاري الذي يجمع بين مقصد العفاف والقرار في المنزل وكذا مساعدة الزوج على تكاليف الحياة ومصاريفها.

الثالث عشر: الحث على عمارة المساجد، والحفاظ على الصلوات:

ومما جاءت أدبيات الإنشاد ساعية إلى تحصيله في شباب الأمة ونشئها قيمة الحفاظ على الصلاة، لما لهذا الركن الركين من أركان الإسلام من عظيم فضل وشريف منزلة عند الله، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة مستفيضة؛ وقد أثر عن أمهاتنا عبارات مهمة تحث على الصلاة، وأنها سبيل للنجاح، وشق الطريق في البحر:" أتهلا ددزاليت أشتدج أبريد لبحر"، ولم يخل الإنشاد الميزابي من هذه الأدبيات والقيم والمقاصد الجليلة؛ بل إننا واجدون فيها ما يدل على أهمية الصلاة عند المجتمع الميزابي وعظم قدرها، ويسعى المنشدون والشعراء من خلال أدبيات الصلاة أن يعالجوا ظواهر أخرى كانت السبب في التخلف عن الصلوات، والتخلي عنها.

ومن ذلك ما جاء به الفنان عمر داودي **من كلمات وأشعار، ومما قال:**

أيرجاز تشبرت تملالت	آغار أتزويد ليتمجيدا
ألالا أدنت توفرت	زال تزاليتنم تمدا
أيوا تزاليت تيف أوراغ	تيف طامطوت تاوحديت
أوتما تزاليت تيف أوراغ	تيف أيلان أدونيت
أماس نتمادمار أتوات	الكارطا ددومين يشات
ماني تلا تزاليتش	
البالون يوي الشبان	تزاليت تقار مايلان
أصطاد يدولد تامجيدا[60]	

فحث الشباب وخاطبهم بالرجال على لبس البياض، والإسراع للذهاب إلى المسجد، وحث البنت على تغطية شعرها، والمسارعة إلى الصلاة، وبين بأن الصلاة أفضل من الذهب، والمرأة الحسناء، وأفضل من جميع ما في الدنيا من متاع، ونبه إلى بعض المنكرات التي تكون سببا للإلهاء عن الذهاب إلى المسجد كاللعب بأحجار الدومينو والكارطا، أو الكرة، ونحو ذلك من الألعاب، فالملعب أصبح بذلك ملعبا، كل ذلك لكون الصلاة هي سبب فلاح العبد في الدنيا والآخرة.

الرابع عشر: تعظيم شأن العلماء، والحث على طلب العلم:

لقد بوأ الميزابيون أهل العلم مكانة محترمة من بين أفراد المجتمع، وأحبوهم وقربوهم، بل وشجعوهم على التزود من العلوم المختلفة، لما للعلم من أثر في الرقي بالمجتمع، وتبوئه معالي الرتب، فاحتفلوا بالعلم والعلماء، وكرموا أصحاب الصدارة من المتفوقين الناجحين، وهيأوا لهم الأسباب الملائمة للطلب والبحث.

وأدبيات الإنشاد الميزابي غنية بذكر مفاخر العلماء وفضلهم ومكانتهم، وتفاءلت بنبوغ الأبناء ورسوخهم في قابل أيامهم، **ومن ذلك ما قرضه الأستاذ صالح تريشين، وفيه:**

أتادجد أمشان إيورجاز إيلان
ففوس نومقران يتدجا وسان
وني دانعزام يسمقل يري
يجد أضليسن ديسن تزيري
أديواس سيلس يتيش تموسني
يسجورا أتندا أسماني إلماني(61)

فهذه القصيدة بمثابة توجيهات عبر فيها صاحبها عن ضرورة تنزيل العلماء منازلهم، لكونهم أصحاب الفضل والسبق عند الله تعالى، ولما بذلوه من تضحيات وجهود في سبيل الطلب، وكذا تبليغ العلم بالإقراء والوعظ والإفتاء وهلم جرا، وأن أثرهم لا يحده حدود، بل يعم جميع الناس.

خاتمة:

بعد نهاية فصول هذه الورقة العلمية، بداية بـإيراد مـدخل تمهيـدي لضـبط المصطلحات، والتعريف ببني ميزاب، بعدها إيراد بسطة فـي تقسـيمات الفنـون ووظائفها وإشكالية مقصديتها عند علماء الفلاسفة وعلماء الجمال، ومقارنة كل مـا سبق بالنظرة الإسلامية، ومن ثم إسقاطها على المجتمع الميزابي، كأنموذج يمثـل الرؤية الإسلامية ويجسدها في مجال الفنون، لنعـرج بعـدها تفصـيلا وتحلـيلا واستنباطا للقيم والمقاصد التي زخرت بها أدبيات الإنشاد الميزابي، ودورهـا فـي صلاح المجتمع وتوجيه سلوكه، نأتي إلى ختام عرض هذه الورقة، **مذكرين بـأبرز النتائج التي توصل إليها البحث:**

أولا: يعد الميزابيون أمة عريقة ضارب تاريخها في القـدم، وحمـل فكـرهم ونتاجهم الديني والاقتصادي والعمراني والاجتماعي كل مقومات الحضارة، وبذور النهضة والمدنية، ومن أبرز ما ميز هؤلاء تمسكهم المتنـاهي بمبـادئ الإسـلام وتعاليمه وقيمه، وهو ما انعكس إيجابا على سائر أحوالهم، في أقـوالهم وأفعـالهم وعمرانهم واقتصادهم وعاداتهم وثقافتهم.

ثانيا: إن المجتمع الميزابي مجتمع مسلم محافظ، يصدر في جميع أموره ممـا يقوله الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن هذا الأسـاس لاحظنـا وجود ترابط واضح بين أشكالهم الفنية وتعبيراتهم عن الجمـال وبـين المقاصـد الشرعية التي من أجلها خلق الخلق، وبمقتضاها جعل الإنسان خليفة لله تعالى فـي هذه الأرض، فالفن عندهم ليس مدعاة إلى التفلت والابتعاد عن كل قيد ضابط وإنما يكون جاريا كغيره ضمن منظومة المقاصد الكاملة التـي جـاء الشـارع مبتغيـا تحصيلها في الخلق.

ثالثا: لقد جمع الإنشاد الميزابي بين وظائف الفن المختلفة، فتغنـى بتصـوير الطبيعة وجمالها وربطها بموجدها وخالقها ممثلا بذلك الوظيفـة المثاليـة، وأنشـد الشعر من أجل الترفيه عن النفس، والترويح عنها، وذلك ما يلحظ جليا في أناشـيد المناسبات والأعياد، وتعد الوظيفة التطهيرية الإصلاحية هي الأبرز والأظهر مـن بين سائر هذه الوظائف.

رابعا: لقد ساهم الإنشاد الميزابي من خلال جوانبه القيمية والمقاصدية في إصلاح المجتمع، ومعالجة الظواهر الاجتماعية المختلفة، فكان له الدور الموازي للمسجد أو قد يفوقه في بعض الأحيان في هذه الوظيفة الإصلاحية الرسالية.

خامسا: لأدبيات الإنشاد الميزابي جملة من المقاصد والقيم تمثلتها عباراته وسعى الفنان من خلالها إلى الرقي بمجتمعه في مدارج الكمال، ومن أبرز هذه القيم والمقاصد توحيد الله تعالى، والسعي إلى نشر الاستقامة، والأمر ببر الوالدين والحث على العمل، وتعظيم شأن العلم والعلماء ونحو ذلك كثير.

وأسأل الله تعالى عظيم المغفرة أن يتقبل منا هذه الكتابات العاجلة السريعة في موضوع نراه جديرا بالدراسة والتعمق، بدراسات شرعية وأخرى اجتماعية تبين أوجه العلاقة بين الخلفية الفكرية والثقافية والدينية وتأثيرها على الفنون، وتعمق الدرس في بيان مدى تأثير الفنون في تغيير الواقع، وموقعها من بين سائر وسائل التغيير المختلفة، وذلك بالإبحار في أدبيات اللغة الميزابية تحليلا وتعليقا واستنتاجا.

هوامش الدراسة:

---

[1] الحميري نشوان بن سعيد: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تـ: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1999م، 5692/8.

[2] الأزهري محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تـ: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 266/9.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 503/12.

[4] أحمد مختار عبد الحميد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب، د.م، 2008م 1878/3.

[5] عادل حسن عبد الرحمن العقاب: من بحث: **القيم التربوية لإدارة الوقت في حياة الإنسان المسلم**، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، كلية التربية، السودان، د.ت، ص4.

[6] محمد أمين الحق: من مقال: **القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع**، مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونج، المجلد التاسع، 2012م، ص337.

[7] عادل حسن عبد الرحمن: **المرجع نفسه**، ص4.

[8] الحموي أحمد بن محمد: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د.ط، المكتبة العلمية بيروت، د.ت، 504/2، الهروي محمد: **المرجع نفسه**، 274/8.

[9] ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تـ: محمد الطاهر الميساوي، ط2، دار النفائس الأردن، 2001م، ص251.

[10] الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم: **حجة الله البالغة**، تـ: محمد شريف سكر، ط2، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1992م، ص12.

[11] صالح بن داود بافولولو: **مزاب بلد المعجزات**، ط1، طبع على نفقة المؤلف، غرداية 2015م، ص26.

[12] يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، ط2 المطبعة العربية، 2006م، ص7.

[13] مبارك محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د.ت، 214/2.

[14] مبارك الميلي: **المرجع نفسه**، 214/2.

[15] يوسف حاج سعيد: **المرجع نفسه**، ص9.

[16] بافولولو: **المرجع نفسه**، 29.

[17] بافولولو: **المرجع نفسه**، 29.

(18) بافولولو: **المرجع نفسه**، يوسف حاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب**، مرجع سابق، ص10.

(19) جابر الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب**، ط1، طيف للطباعة والنشر، غرداية، 2016م ص207.

(20) جابر حاج سعيد: **المرجع نفسه**، ص208.

(21) جابر حاج سعيد: **المرجع نفسه**، ص209.

(22) يوسف حاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب**، المرجع نفسه، ص10.

(23) يوسف حاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب**، المرجع نفسه، ص10.

(24) يوسف حاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب**، المرجع نفسه، ص10.

(25) محمد علي أبو ريان: **فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة**، د.ط، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، د.ت، ص170.

(26) محمد علي أبو ريان: **فلسفة الجمال**، المرجع نفسه، ص174.

(27) صالح بن أحمد الغزالي: **مقاصد الفن في العصر الحديث، من موقع**...، تاريخ التصفح: 2018/04/22م،

(28) أميرة حلمي مطر: **مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن**، ط1، دار التنوير، مصر، 2013م ص136.

(29) صالح بن أحمد الغزالي: **مقاصد الفن في العصر الحديث**، المرجع نفسه،

(30) محمد علي أبو ريان: **فلسفة الجمال**، مرجع سابق، ص120.

(31) محمد علي: **فلسفة الجمال**، المرجع نفسه، ص119،118.

(32) **انظر**: محمد الطاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، 77/14.

(33) **انظر**: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تـ: أحمد البردوني، إبراهيم اطفيش، ط 2 دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، 284/18.

(34) محمد علي: **فلسفة الجمال**، المرجع نفسه، ص 192، 193.

(35) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم: 2750، 2106/4.

(36) أخرجه الطبراني في الأوسط، باب الباء، من اسمه بكر، رقم: 3265، 215/3.

(37) الشاطبي: **الاعتصام**، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت، 272/1.

(38) الشاطبي: **الاعتصام**، المرجع نفسه، 272/1.

(39) عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، د.ط، المطبعة الجابرية، بنورة، د.ت، ص 11.

(40) يونس فرصوص: **نفحات من الحياة**، ط7، طيف للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م، ص9.

[41] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص14.

[42] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص15.

[43] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص16.

[44] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص17.

[45] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص20.

[46] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص26.

[47] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص34.

[48] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيـــده، رقــم: 2072، 57/3.

[49] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص43.

[50] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2459، 638/4.

[51] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2459، 638/4.

[52] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص44.

[53] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص45.

[54] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص51.

[55] أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، باب الألف، رقم: 198، 68/1.

[56] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، مرجع سابق، ص65.

[57] عمر بوسعدة: **أحوف نوغلان**، المرجع نفسه، ص65.

[58] يونس فرصوص: **نفحات من الحياة**، مرجع سابق، ص262.

[59] يونس فرصوص: **نفحات من الحياة**، المرجع نفسه، ص258.

[60] يونس فرصوص: **نفحات من الحياة**، المرجع نفسه، ص 254.

[61] يونس فرصوص: **نفحات من الحياة**، المرجع نفسه، ص253.

البعد الاجتماعيّ في الحكاية الشعبيّة الميزابيّة الموجّهة إلى الأطفال حكاية "أغنجا ن ماما وسّارا أنموذجًا"

أ. شاشة الزاوي
جامعة غرداية
talwit8@yahoo.com

مقدمة

ممّا لاشكّ فيه أنّ الحكي المُوَجّه إلى الأطفال يضطلع بأدوارٍ تربويّةٍ مهمّةٍ تُسهم إسهامًا كبيرًا في تأصيل القيَم الإيجابيّة في نفوس الأطفال، وتنمي ذخيرتهم المعرفيّة والأخلاقيّة، وتضفي عليهم أجواءً حكائيّةً ماتعةً تشيع في نفوسهم البهجة والأنس.

وتبدو علاقة الأطفال وطيدةً جدًّا بعالم الحكايات؛ فكثيرًا ما تستهوي الحكايات الشعبيّة الخرافيّة والعجائبيّة وحكايات الحيوان والجانّ مختلف الفئات العمريّة من الأطفال، وتستقطب اهتمامهم تلك التي توائم تطلّعاتهم وأخيلتهم من خلال شخصيات الحكاية؛ فيعايشون أحداثها ويتوحّدون مع أبطالها، إلّا أنّ حجم الاهتمام بالحكاية الشعبيّة في العصر الحالي قد تقلّص بسبب الغزو التكنولوجي الذي اجتاح البيوت؛ إذ سلب اهتمام الطفل، وأبعده عن محيطه ومكوّنات إرثه الحضاريّ، مفضّلًا الوسائط التكنولوجية المرئية والمسموعة بكلّ ما تحمله من وافدٍ يخلخل ثوابته الأخلاقيّة والثقافيّة، وساعد انصراف الكبار –لاسيما الجدّات– إلى أمورٍ حياتيّةٍ أخرى في ازدياد الهوّة بين الأطفال وتراثهم الحكائيّ وقيَمهم الاجتماعيّة.متغافلين عن دور الحكاية الشعبية الموجهة إلى الأطفال في تشكيل وعيهم بمجتمعهم وبقضاياه المختلفة و إسهامها في تنشئتهم تنشئة اجتماعية.

انطلاقًا من ذلك نطرح الإشكالية المحوريّة:

ما البعد الاجتماعيّ الذي تضطلع به حكاية "أَغَنْجا نْ مامًا وسّارًا" (مغرفة ماما وسّارا) من حيث نمط حياة المجتمع وقيَمه الاجتماعيّة؟

تُعتبر مرحلة الطفولة لبنةً أولى في تكوين شخصية الفرد؛ ولذلك فإنّ معظم الحكايات الشعبيّة الميزابيّة الموجّهة إلى الأطفال قد اضطلعت بأدوارٍ تثقيفيّةٍ تعليميّةٍ كان الهدف منها تمرير المفاهيم التربويّة والقيَم السامية إلى وعيهم، كما كان محور اهتمامها تعزيز الهوية والانتماء الثقافي في ضوء القيَم السائدة في مجتمعهم؛ ولعلّ أيّ متفحّصٍ للموروث الحكائي الميزابيّ سيلاحظ مدى تشبّعه بمؤشرّاتٍ تُنبئ عن هوية المجتمع الميزابيّ وأصالة موروثاته الحكائيّة، ونحن بذلك لا ننفي تشابهها مع موروثات الشعوب المختلفة «...لأنّها ترجع إلى أصولٍ عالميةٍ مشتركةٍ ورثتها الأجيال عن الأمم البدائيّة؛ ولكن تلك الحكايات تظلّ مطبوعةً بطابع البيئة التي تروج فيها، ويظلّ كلّ شعبٍ يحكيها بطريقته الخاصّة التي تتأثّر بما ينشأ لدى الناس من مواقف إزاء حياتهم الواقعيّة وما يحيط بهم من ظروفٍ وتحّدياتٍ»[1].

تعريف الحكاية الشعبية:

أ- لغة:

ورد في لسان العرب لفظة الحكاية في مادة (حكي): الحكاية كقولك حكيت فلانًا، وحاكَيْته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه وحكيت عنه الحديث حكاية[2].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة فقد حكى يحكي احك، حكاية، فهو حاك، والمفعول محكيّ.حكى الأمر: رواه وقصّه "حكى القصة"- حكى ما حدث، حكى مع فلان: تكلّم معه، يُحكى أنّ: عبارة تُقال عند البدء برواية قصّةٍ أو حديثٍ.(...) وحكاية: مصدر حكى، قصة ما يحكى ويقصّ سواء أكان واقعيًّا أم خياليًّا (...)حكاية شعبيّة: تتناقلها العامّة من الناس ذات طابع فلكلوريّ[3].

ب- اصطلاحًا:

أوردت **د. نبيلة إبراهيم** من خلال نقلها تعريفات للحكاية الشعبية استقتها من المعاجم الألمانية والإنجليزية بأنّ الحكاية الشعبيّة عبارة عن« قصة ينسجها الخيال الشعبيّ حول حدث مهمّ، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلاً بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية»[4].

ويعرّف **هادي نعمان الهيتي** الحكاية الشعبيّة بأنّها «نوعٌ قصصيٌّ ليس له مؤلّفٌ؛ لأنّه حاصل ضرب عددٍ كبيرٍ من ألوان السرد القصصيّ الشفهيّ الذي يُضفي عليه الرواة أو يُحوّرون فيه أو يقتطعون منه، وهو يُعبّر عن جوانبَ من شخصية الجماعة؛ لذا يُعدُّ نسبه إلى مؤلّفٍ مُعيَّن نوعًا من الانتحال ولكن يظلّ في طبيعته شعبيًّا»(5).

أمّا في معجم المصطلحات الأدبيّة فيُعرّف **إبراهيم فتحي** "**الحكاية الشعبية** **Folktale**" بأنّها «خرافةٌ (أو سردٌ قصصيٌّ) تضرب جذورها في أوساط شعبٍ وتُعدّ من مأثوراته التقليديّة وخاصّة في التراث الشفاهيّ»(6).

إذن «للحكاية معنيان، أوّلهما واسعٌ يشمل ألوان السرد القصصيّ الذي يتناقله الناس جيلاً عن جيلٍ. وثانيهما خاصٌّ يُراد به الحكاية الشعبيّة أو حكاية الواقع الاجتماعيّ الذي يحياه الناس أو ينتظرون أن يحيوه»(7)، والجدير بالذكر بأنّ الحكاية الشعبيّة تضمّ بمفهومها الواسع كلّ الموروثات الحكائيّة مثل: الحكاية الخرافية وحكاية الجانّ والحكايات المرحة وغيرها من الأنماط الحكائيّة الشعبيّة.

الطفل والحكاية الشعبية:

تتجلّى أهمية الحكاية الشعبيّة للطفل باعتبارها قناةً تساعده على التلوّن بثقافة جماعته من خلال توحّده مع بطل الحكاية وتقمّص أفعاله وصفاته؛ وهذا من شأنه أن يكسبه ثقةً واعتدادًا بنفسه(8)؛ فالأطفال يجدون متعةً كبيرةً عندما يغوصون في عالم الحكايات، وتزداد سعادتهم عندما يقومون بربط صفات شخصيات الحكاية بأقربائهم وأصدقائهم.

الحكاية الشعبيّة المُوجّهة للطفل ووظيفتها الاجتماعية:

تُعد الوظيفة الاجتماعية إحدى أبرز وظائف الحكاية الشعبية الميزابية، فهي تسهم في غرس القيم الاجتماعية، وتنشر الوعي في التكييف والتنشئة الاجتماعية للطفل بأسلوب محبب إليه، هذه التنشئة التي تبدأ من الأسرة كمجتمع مصغر وتصاحب الطفل بقية حياته، وتعلمه طرق التعايش، وتتولد عن طريق التوجيه والمطالعة والتجربة والاحتكاك بالآخرين، فهي تستهدف «... تأصيل القيم والعلاقات الاجتماعية لذا فهي غالبا ملتزمة؛ ولذا نجد أن كل حكاية تنطوي على

معنى أو نمط سلوكي تريد له أن يتحقق أو آخر تريد له أن ينبذ»[9]. ولأنّ الحاجة إلى الانتماء من أبرز حاجات الطفل الأساسيّة فإنّ «الطفل محتاجٌ لما يؤكّد له ذاته وينمي هويته وشخصيته ويحقّق له الانتماء الاجتماعيّ من خلال الاعتراف العاطفي والاجتماعي بهذه الذات ويكون أمام الطفل في تحقيق هذه الحاجة دوما تلك النماذج المرجعية التي يتوحّد بها في طفولته ويشكلون له النموذج والمثل الأعلى (...)ومنها يعبر لبناء هويته الاجتماعية بمعناها الواسع[10].

ولكي تصل هذه الثوابت إلى وجدان الطفل لابد أن تُصاغ هذه الحكايات بأسلوب تخييلي مشبع بروح المغامرة والتحدّي إذ «...إن قصص البطولة، بوجه عام، ذات أثر إيجابي كبير في الطفولة؛ لأنّها ترضي أكثر من حاجة من حاجاتهم، وهذا يقتضي إمداد الطفل بفيض منها مع الحرص على اختيار نماذج مناسبة. وثانيها: إن قصص البطولة يمكن أن تتخذ لها أبطالا حقيقيين أو خياليين من واقع حياتنا. ولكن من الأفضل أن تكون البطولة فيها جماعية»[11].

ملخّص الحكاية:

تدور فكرة حكاية" أغنجا ن ماما وسّارا" حول مبدأ التعاون بين الأفراد دون أن تغفل التلميح إلى المؤشّرات الثقافية والاقتصادية والبيئية التي تسهم في تعزيز هوية الطفل الميزابية وتعمّق انتماءه إليها[12]: كان الفأر بابا أغردا مشغولا بإعداد وجبة الغداء فجأة جاءه أصدقاؤه واحدا تلو الآخر ليدعوه للعب والخروج للتنزّه لكنه رفض دعوتهم جميعا لانشغاله بإعداد الطعام، قرّر الأصدقاء الخمسة مساعدة"بابا أغردا" في عمله فاضطلع كل واحد منهم بمهمة: إعداد الكسكس، تقطيع الخضر مراقبة الموقد، غسل الأواني، تفقد نضج الطعام. وقع الفأر الخامس المسؤول بمراقبة نضج الطعام وقع في القدر ففزع الأصدقاء وأسرعوا إلى منزل الجارة العجوز "ماما وسارا" الحادّة الطباع؛ كي تعيرهم مغرفة لينتشلوا بها صديقهم من القدر، أعطت لهم مغرفة مملوءة بالحليب وهدّدتهم بالعقاب إن ضيعوا قطرة واحدة منها، وما كان لهم إلا أن يوافقوا على شرطها، أنقذوا حياة صديقهم الفأر لكن حليب المغرفة ضاع، أسرع الأصدقاء إلى **لالا تغاط** كي تعطيهم حليبا حتّى ينجوا من عقاب العجوز **ماما وسّارا**، واستجابت لطلبهم بعد أن اجتازوا مراحل عديدة

قبل أن يحضروا لها حشيشا، وفي الأخير أرجعوا المغرفة مملوءة بالحليب كما كانت أوّل مرة للمرأة العجوز، ومن شدّة تعب الفئران الأصدقاء لم يتمكّنوا من تناول غدائهم ولم يستطيعوا اللعب.

ولكي يؤثّر النص الحكائي في الطفل «...لابد أن يعتمد على أسس رصينة وصحيحة في بنائه، وهذه الأسس هي ما تنطلق منها مقوّمات العمل القصصي المعروفة، والتي يقوم عليها بناء الفنّ القصصي والتي هي: الفكرة، الحبكة الأسلوب، الشخصيات»[13].فمن حيث المبنى ابتدأت الحكاية بعنوانها: **أغنجا ن ماما وسّارا** حيث يعتبر العنوان العتبة الأولى التي تهيّئ المتلقي لاستقبال المتن الحكائيّ، وعادة ما يكون هذا العنوان ملغزا يطرح العديد من التساؤلات التي تثير فضول الطفل إلى أن يجد إجابات عنها بعد الفراغ من الحكاية، ومع ذلك سنحاول طرح هذه التساؤلات لنبحث عن البعد الاجتماعي وراء هذا العنوان.

حكاية أغنجا ن مامّا وسّارا [14]:

إنّ أيّ قارئٍ لعنوان حكايتنا سيلاحظ جانبه الإغرائيّ الذي سيثير – حتمًا– فضول الطفل؛ فتراوده أسئلة كثيرة حول الحكاية ومضمونها، ومن بين هذه الأسئلة:

ما ميزة هذه المغرفة؟ وما دورها في الحكاية؟ من هي "مامّا وسّارا" وما علاقة المغرفة بها؟

ومع ذلك..ثمّة إشارات في العنوان قد توحي إلى الطفل ببعض ملامح أحداث الحكاية؛ وذلك من خلال ذكر **(المغرفة)** التي تحيل على المطبخ.. ذلك الحيّز المعروف بأجوائه القريبة من عالم الطفل لارتباطه بالطعام، كما أنّ احتواء العنوان على لفظة "**ماما وسّارا**" يحيل على شخصية يُتوقّع أن تكون مفصل الحكاية ولُبّها وبالتالي فإنّ مثل هذه الاحتمالات من شأنها أن تُهيِّء الطفل لاستقبال الحكاية؛ فيجد نفسه منقادًا إليها بشغفٍ ومتابعًا مسار أحداثها بكلّ حبٍّ.

افتتحت الحكاية بالعبارة السردية:**(إقن واس)** وهي عبارة تعيد الطفل إلى أجواء سرديّة تخييليّة قديمة، كما أنّ أحداث الحكاية سارت في اتجاه خطيٍّ واحدٍ، وصيغت بأسلوبٍ سهلٍ يغلب عليه السجع والتكرار الذي غطى البنية النصيّة

الحكائية تمامًا؛ ولا غرابة في ذلك إذا علمنا بـــأنّ هـــذه العبـــارات المســـجوعة والمكرّرة ستُسهم في خلق تناغمٍ إيقاعيٍّ جميلٍ، قد يساعد الطفـــل علـــى حفـــظ الحكاية وتداولها، ومثال ذلك في الحكاية:

-بابا أغردا، بابا أغردا إيا أنرار

-أيدسمحد، أليغ معا أوجّد نو**غجّار**

فالعبارتان: (أنرار)و (أغجار) عبارتان مسجوعتان ولّدتا إيقاعًا جميلاً تطرب له الأذن وتستمتع به، كما أنّ استخدام مقاطع حواريّة مناسبة لمواقف الشخصيات دون تفرقة بينها؛ أضفت للحكاية بعدًا تخييليًّا جماليّا للأطفال من خلال أنسنة الحيوانات والجمادات ولا غرابة في ذلك إذا علمنا بأنّ أنسنتها من شـــأنها «...تفسّـــر لهـــم جوانب من الحياة، بهدف أن يتعودوا آداب السلوك التي تفيدهم في الحياة»(15).

البعد الاجتماعي للشخصيات:

تعتبر الشخصيات من أهمّ عناصر البنية الحكائية في الحكايات الموجّهـــة إلـــى الطفولة، وغالبا ما تكون شخصيات هذه الحكايـــات مـــن الحيوانـــات والنباتـــات والجمادات الموجودة في بيئة الطفل، والملاحظ في حكايتنا بأنّ شخصياتها مرسومة بعناية؛ فكلّها لصيقة بعالمه الصغير؛ لاسيما الحيوانات التـــي تعتبـــر مـــن أحـــبّ الشخصيات إلى الأطفال بشكل عامّ.

أوّلا: بابا أغردا:

بابا أغردا شخصية محورية في الحكاية، وأن يشفع اسمه بـــ "**بابا**" فهذا يعنـــي أنه يكتسي أهمية ومسؤولية ومن خلال متن الحكاية يتضح شعوره بالمسؤولية تجاه ما يدور حوله ورفضه لكل ما من شأنه أن يعطّله عن أداء مهامه وتجلّى ذلك مـــن خلال رفضه في كلّ مرة دعوة أصدقائه الفئران للعب والخروج من المنـــزل قبـــل إتمام إعداد وجبة الغداء، ومن ذلك قوله: "**أول مكّن..أليغ أمعا أومود**"، كما كـــان يحسن إدارة شؤون المحيطين به وتجلّى ذلك عندما اقترح على الفأر الخامس مهمّة مراقبة نضج الطعام عندما لم يجد عملا يشارك به فقال له: "**يزهل..عس فمودي**.

ولقد تجلّى في الحكاية مدى الحبّ الذي يكنّه الأصدقاء الفئران له وذلـــك مـــن خلال دعوتهم لهم للعب والتنزّه، ولعلّ هذه الظاهرة نلاحظها عند الأطفـــال فهـــم

-عادة- لايضمّون أيا كان إلى دائرة اهتمامهم إلّا إذا احتل مكانة رفيعة في قلـــوبهم ولا ينضم إلى فريقهم إلاّ من يحبون، وأثمر ذلك تعاونهم معه فـــي إعـــداد وجبـــة الغداء.

ثانيًا: الأصدقاء الفئران:

لقد تجلّى في الحكاية تفاوت أعمار الفئران الأصدقاء واختلاف أغراضهم التـــي دعتهم للمجيء عند "بابا أغردا" إلاّ أنهم يكنّون له الحبّ ويعتبرونه موضع ثقـــتهم لذلك فهم يلتجئون إليه دائما؛ فهاهو الفأر الثالث أصغر الفئران لـــم يجـــد مخلّصـــا لضجره غير بابا أغردا الذي يمني نفسه أن يأخذه في نزهة كي يروّح بهـــا عـــن نفسه: "**أبابا أغرد إعزيزن أليّغ قلقغ، أويي معاش أنحوّس**".

ثالثًا: مامّا وسّارا:

عجوز انتهازيّة، تقدّم المساعدة إلى الآخرين بعد ابتزازهم؛ فقد أعارت المغرفة للفئران الأصدقاء كي ينقذوا بها صديقهم ولكنّ هذه المساعدة لم تكن مبنيّـــة علـــى حبّ الخير والعطاء بل كان يشوبها الابتزاز والتسلّط والتهديد، ولقد تجلّى ذلك فـــي متن الحكاية عندما هدّدت الأصدقاء الفئران بالعقاب إذ قالت لهم: "**أومسلفغ أغنجا سشّرط: يلّا يشّور سو غ أتفسيم تاستيت أدفاقع .أتخلصم!**

وتجدر الإشارة إلى أنّ توظيف النموذج السلبي من الشخصيات في الحكايـــة لا يعدّ خرقا لأصول التربية الصحيحة في تنشئة الطفل؛ فلكي يتفاعل الأطفـــال مـــع شخصيات القصة ويتماهوا معها؛ لابد أن تظهر على طبيعتها -سواء أكانت ســـلبية أم إيجابية- حتّى لا يعيش الأطفال في عالم مثالي بعيد عن واقع الحياة.

رابعًا: شخصيات ثانوية:(المعزاة- الجدول- الجرارة- الجزار):

فبالرغم من كون هذه الشخصيات ثانوية إلا أنها اعتبرت المحرّك الأساسيّ في الحكاية حيث كان تعاونهامع الفئران مقرونا بخدمتهم أوّلاً ومن مثـــال ذلـــك فـــي الحكاية ما قالته "**لالاّ تغاط**" للفئران عندما طلبوا منها حليبًا: "**أغـــارت أزّار أويتـــد تسّي نلحشيش س بابا أمدون**" وقول "**لالّا جرّارا** " لهم عندما طلبوا من البئر قليلا من الماء: "**أغارت أزّار لالّا ميزرا أويتد سيس بسّي ن تدونت**".

الأنساق الاجتماعية للحكاية:

أ- الأنساق الاجتماعية الظاهرة:

إنّ حكاية "أغنجا ن مامّا وسّارا" قد عكست الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة للمجتمع؛ وكشفت عن أنساقه وبيّنت أنماط العيش المختلفة وأهمّها:

1. النظام المعيشي:

تبرز الحكاية نمط العيش في البيئة المحلية الميزابية؛ حيث تجلّى في البيئة الاعتماد على نظام غذائي أساسه الخضروات والحبوب واللحوم والألبان ومثال ذلك في الحكاية قول الفأر: "**أجيي أدسقونتغ أشّو**" والكسكس -كما هو معلوم- مصنوع من القمح.أمّا الاعتماد على الخضروات فتجلّى في قول الفأر الثاني: "**أجيي أدنقضغ إغامّاين**" كما شكّلت التربية الحيوانية وجهة للاستفادة من ألبان الحيوانات ومن ذلك طلب الفئران من المعزاة أن تمدّهم قليلا من الحليب:"**لالا تغاط أوشنغد لحليب أستنوش إماما وسّارا**" كما تجلّى الاعتماد على اللّحوم ومشتقّاتها ولا سيما الشحم ومن ذلك قول الجزّار: "**تادونت تقضايا**" ونفاد الشحم من الجزارة دليل على إقبال المجتمع عليه واعتماده عليه في حياتهم.

2. النظام الاجتماعي:

سعت الحكاية إلى تشكيل وعي الطفل على تقديس العمل وتحمّل المسؤولية وعُدّ اللعب ومثيله من الأمور الثانوية التي يجب إغفالها في حضور العمل؛ ولعلّ ما يلفت انتباهنا اضطلاع الفئران الأصدقاء -ولاسيما **باب أغردا** -بمسؤولية إعداد الطعام وهم جميعا في مرحلة الطفولة، كما ركّزت الحكاية -أيضًا- على إبراز قيمة أفراد المجتمع بمختلف مستوياتهم وضرورة التعامل مع جميع النماذج: الخيّرة منها والنفعيّة؛ فبالرغم من انتهازية العجوز **ماما وسّارا** إلا أن ذلك لم يشكل مانعًا من التواصل معها أو جلب المنفعة منها.

ب – الأنساق الاجتماعيّة المضمرة:

توحي بعض الملامح في الحكاية أنساقًا اجتماعيّة.

أوّلًا: الأصدقاء الفئران/بابا أغردا:

تمثّل علاقة **بابا أغردا** بالفئران علاقة السلطة الحاكمة بالمجتمع (الأصدقاء الفئران) حيث يسود التعاون والإخاء، وهم بذلك يمثّلون أفراد المجتمع الذين يحترمون السلطة ويتفانون في الإخلاص لها.

الفئران (النموذج المتعاون) ← **عطاء** ← بابا أغردا (السلطة الحاكمة)

ثانيًا: ماما وسّارا/ الفئران:

تمثّل النموذج المبتزّ في المجتمع والذي تفرض ضرورات الحياة التعامل معه فبالرغم من علم الجميع بانتهازية العجوز "ماما وسّارا" إلّا أنّ ذلك لم يشكّل عائقًا في التبادل النفعي معها.

ماما وسّارا (النموذج المبتزّ) ← **عطاء+ ابتزاز** ← الفئران

ثالثًا: المعزاة، الجدول، البئر، الجزّار/الفئران:

تمثّل الشخصيات الثانوية الفاعلة في الحكاية :**(إنسان، حيوان، نبات، جماد)** والتي قدّمت العون للفئران.

المحيط الخارجي (النموذج النفعي) ← **عطاء+ أخذ** ← الفئران

مجموعة القيم الاجتماعية:

انطلاقًا مما تقدّم، يمكننا أن نستخلص جملةً من القيم الاجتماعية المضمرة من خلال علاقات شخصيات القصة مع بعضها؛ فلقد تضمّنت الحكاية مجموعة من القيَم التي تُعنى بالجانب الاجتماعي من خلال التعامل المباشر مع مختلف أفراد المجتمع والتعاون معهم ممّا يجلب المنفعة المتبادلة التي تقرّها الحياة العامة بفضل التعاضد الاجتماعيّ الذي يسهم في تماسك المجتمع وبنائه.

ومن أهمّ القيَم المستفادة من الحكاية:

1. **<u>إعطاء الأولوية للعمل:</u>**

من خلال دعوة الفئران الأصدقاء للعب، فضّل **بابا أغردا** إتمام إعداد الطعام أوّلا وعبّر عن رفضه عروض أصدقائه الفئران:

قال للفأر الأول:"**أيد سمحد أولتيفغ، أليغ معا أوجد نوغجار**".

وقال للفأر الثاني: "**أولي مكّن، أليغ معا أومودي**".

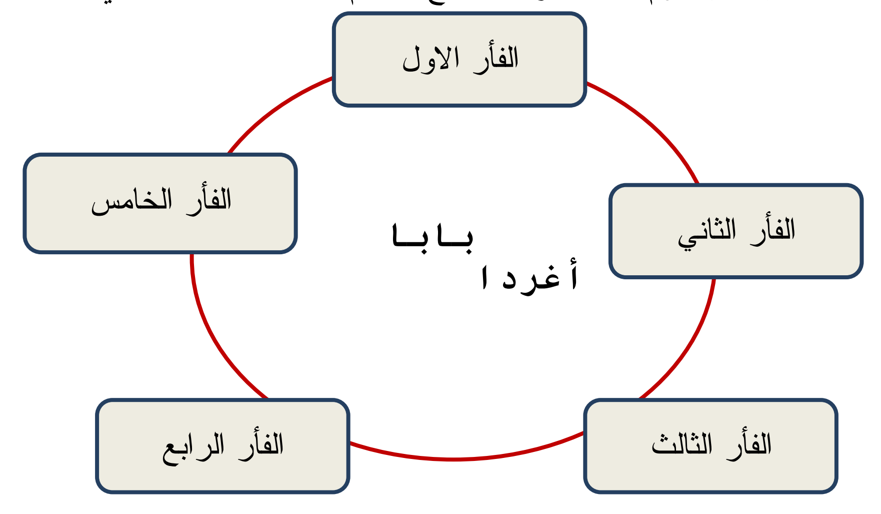
وقال للفأر الثالث: "**أليغ ألهيغ معا أو مودي**".

وقال للفأر الرابع: "**أولتنجمغ، أليغ إناين**".

وقال للفأر الخامس: "**ألتنجمغ أمودي زديغ أوليوّي**".

2. **<u>التعاضد الاجتماعي:</u>**

لقد برزت في الحكاية دعوتها إلى المساواة والتعاون؛ حيث حاول كل فأر أن يقدّم ما يستطيعه؛ فالفأر الأول عرض على بابا أغردا أن يساعده في إعداد الكسكس: "**أجيي أدسقونتغ أشو**" والفأر الثاني أحب أن يساعده في تقطيع خضروات المرق: "**أجيي أدنكضغ إغاماين**"، والثالث قال له :"**أدجييي أدصودغ إ تفاوت**، والرابع قال: "**أوشيد أدسردغ إكروتن**" والخامس لم يجد ما يعمله فاقترح عليه **بابا أغردا** أن يقوم بمهمة مراقبة نضج الطعام فقال له: "**عسّ فمودي**".



يبرز من خلال الحكاية ملامح التعاضد الاجتماعي بين الفئران؛ حيث تطوّع كلّ فرد بتقديم خدماته إلى الآخر وهذا ملمح اجتماعي ضروري يكسب الطفل أهميـــة العمل الجماعيّ في إنجاز الأعمال وإتمامها، والخطاطة التالية توضّح هذا الملمح.

3. <u>المساواة:</u>

الحكاية تكرّس مبدأ المساواة في التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وتعلن تبنّيَها للوحدة الاجتماعية؛ حيث تذوب الحواجز التي من شأنها أن تعطّل مسار التماســك الاجتماعيّ وانسجامه، وفي متن القصة إشارة إلى تلاحم الأصدقاء الفئران وذوبان فروقهم العمرية؛ حيث تشير إلى أنّ الفأر الثالث كان أصغرهم رغم ذلــك فلديــه مكانة بين أصدقائه الفئران:"**يلحقد أغردا فايد شارد دامزنسن**". وهذه دعوة للأطفال كي يتبنوا هذا المبدأ في حياتهم، ويلغوا الصراعات الطبقية من منها فيتعاملوا مــع جميع طبقات المجتمع (الخيّرة والانتهازية) بودٍّ واحترام.

4. <u>مقاومة إغراءات الحياة:</u>

من الضروري جدًّا أن يتعلّم الطفل أهمية الثبات على مبادئـــه القويمـــة دون أن تتحوّل عن مسارها مهما كانت عروض الحياة مغرية؛ فعندما حاول الفأر الرابــع إقناع **بابا أغــردا** على الخروج للعب أغراه بابتكاره لعبة جديدة حتى يثير فضـــوله ويشوّقه فيترك كل شيء لأجلها: "**أليغ أسلفيغد إقن أورار داجديد إيا أنرار**" رغـــم ذلك رفض دعوته وإغراءه: "**أو لتنجمغ إليغ إناين**" ولقد اتضح من خلال موقـــف **بابا أغردا** مع صديقه الفأر ضرورة الثبات على المبدأ وصدّ مغريات الحياة.

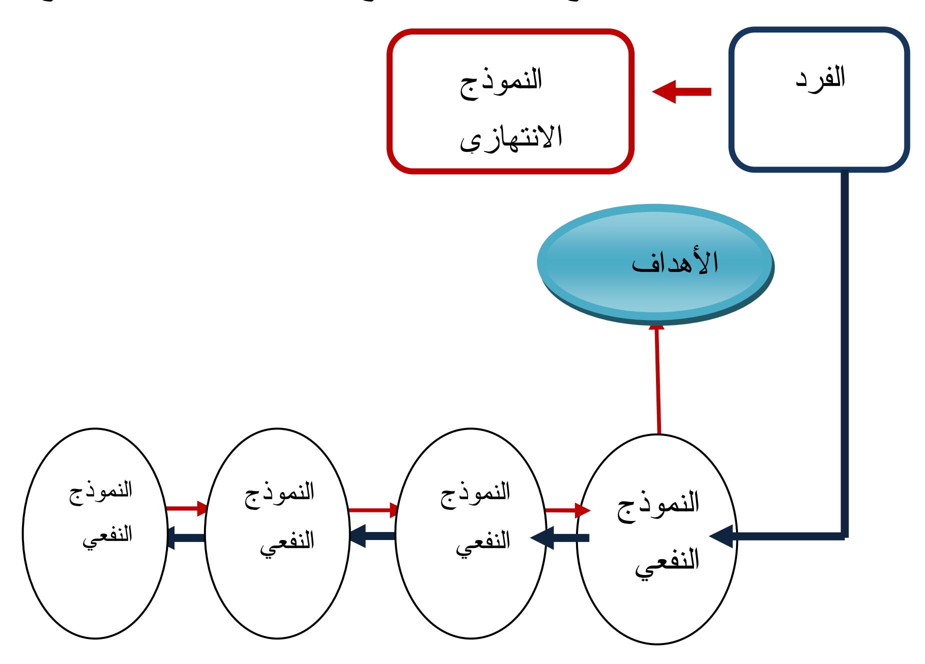
5. <u>الوسطيّة:</u>

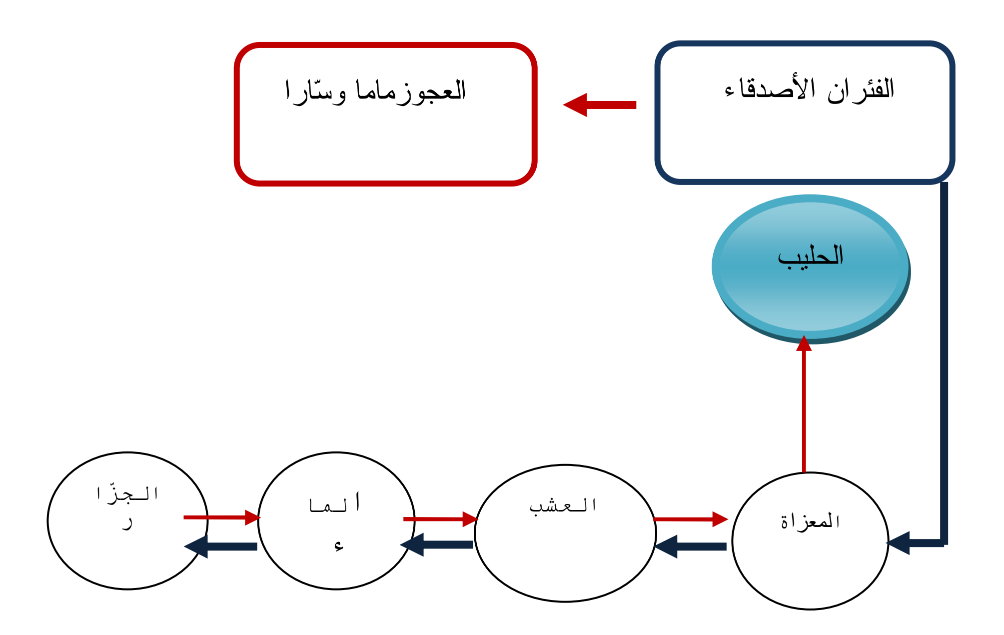
الحكاية تحاول أن تنمي في الأطفال الشعور بالمسؤولية وتحمّلها علـــى أحســـن وجه. فبالرغم من أنّ مغزى الحكاية متمثّل في إعلاء قيمة العمل إلاّ أن اللعـــب لم يقص من الحكاية ولم يقزّم حجمه، لا سيما وأنه جزء من حياة الأطفال.. ولكـــن لا ينبغي فقط أن يكون على حساب القيام بالواجبات.

6. <u>المثابرة والتحدّي:</u>

تحاول الحكاية أن تبرهن للأطفال بأن الوصول إلى الهـــدف يتطلّـــب الصـــبر والتحدّي؛ فمن خلال الحكاية سيلاحظ الطفل معاناة الفئران الأصـــدقاء والمراحـــل

التي اجتازوها لأجل إنقاذ صديقهم الفأر، وهذه النماذج سيقت في الحكاية كي يتعلّم الأطفال منها بأنّ الحياة أخذ وعطاء، وأنّ الوصول إلى الأهـداف يتطلـب جهـدا ومثابرة. والخطاطتان التاليتان تبيّنان العلاقات النفعيّـة المتبادلـة بـين الأفـراد وتبرزان تضافر حلقات المجتمع كلّه وتبادل المنافع بما يعود بالفائدة على الجميع:





خاتمة:

لقد كرّست فكرة الحكاية باعتبار إطارها الاجتماعي ربط الأطفال بواقع مجتمعهم والتأكيد على دور التعاضد الاجتماعي بين أفراد المجتمع في تماسكه وانسجامه من خلال طرحها أفكارا من صميم اهتمامات الأطفال في حياتهم اليوميّة، كما تضمّنت قيما اجتماعية إيجابية حيث تجلّى في الأخير المغزى الاجتماعيّ من الحكاية وهو العمل الجماعي وإتقانه.

لقد كانت جدّاتنا الوسيط الهامّ في نقل القيم التربويّة لأبنائنا من خلال سرودهن الحكائية التراثية، والآن قد تقلّص دوْرهن وعُدّ ثانويًا إن لم يكن منعدمًا بسبب تغيّرات الحياة وتأثير وسائل الاتصال الحديثة؛ ولذلك ينبغي التفكير سريعًا في العودة من جديدٍ إلى تراثنا وتسجيله في ذاكرة أطفالنا الوجدانيّة قبل أن يضيع فتختفي معه هويتنا وملامحنا الحضاريّة.

هوامش الدراسة:

---

[1] هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1977، ص196، 197.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح،ك،ي)، مجلد14، دار صادر، بيروت، (د،ط)، (د،س) ص191

[3] د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، (ط،1)، 2008 ص541.

[4] د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د،ط)، (د،س) ص92.

[5] هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص175.

[6] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس (د،ط)، 1986، ص142.

[7] هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، ص 194.

[8] ينظر: د. كمال الدين حسين: مقدمة في أدب الطفل، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال،2002، ص122.

[9] نعمان الهيتي ص175.

[10] د. كمال الدين حسين: مقدمة في أدب الطفل، ص118-119 .

[11] هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، ص 160.

[12] أحمد نوح مفنون: أغنجا ن مامّا وسّارا/ تر: فيرونيك دلاتور، le verger des Hespérides، ماي 2016.

[13]فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2012 ص209.

[14] أغنجا: المعرفة ، وهي أداة من أدوات المطبخ.،"ماما وسّارا": كنية لامرأة عجوز

[15] د. محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للطفل (منظور اجتماعي نفسي)، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ص90.

قراءة حضارية في رموز أمازيغ بني مزاب

أ.محفوظ حاج ابراهيم
جامعة اليرموك
hb.mahfoud@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

مقدمة:

فإن لكل مجتمع مقوماته التي تشكل بنيته وهويته، وتختلف هذه المقومات من مجتمع لآخر حسب المنظور الفكري والثقافي، ونجد أن لكل مجتمع مجموعة من الرموز تدل على تلكم المقومات، حيث تجعلها دالّة على ثقافة معينة وعلى مجتمع بمجرد النظر فيها أو السماع عنها.

وبما أن الملتقى يتمحور حول الأمازيغ في الجزائر، رأيت أن أخصص بحثي بدراسة بعض من رموز أمازيغ بني مزاب، الذين يشكلون طيفا من أطياف المجتمع الأمازيغي في الجزائر، فأردت التفصيل في بعض الأبعاد الحضارية لهذا المجتمع، الذي له من الخصائص والميزات ما لا يخفى على من تعرف إليهم وعاشرهم في مختلف مناطق الوطن.

أهمية موضوع البحث:

يندرج هذا الموضوع ضمن المواضيع الاجتماعية الحضارية ، حيث يبحث في مقومات المجتمع المزابي، الذي يعتبر أنموذجا خاصا في الجزائر في كثير من الجوانب، وتبحث هذه الدراسة في بعض من الأبعاد التي شكلت منه هذا الكيان الخاص، وعن بعض الخصائص التي جعلت من أفراده هوية خاصة بهم ميزتهم عن غيرهم.

عرض مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول ثلاث نقاط أساسية وهي:

1- التعريف ببعض الرموز المادية والمعنوية لأمازيغ بني مزاب.

2- البحث في بعض الأبعاد الحضارية لهذه الرموز.

3- سبل الحفاظ وتطوير هذه الرموز في ضوء مقاصدها وأبعادها الحضارية.

منهجية البحث:

سأعتمد في بحثي هذا على منهجين أساسيين هما:

1-المنهج الوصفي: للتعريف بالرموز وجذورها وتاريخها.

2-المنهج التحليلي: من خلال البحث في الأبعاد واستخراج الأسس والمقاصد.

3-المنهج النقدي: حيث أبحث في سبل التطوير والمحافظة على هذه الرموز.

الخطة المتبعة في البحث:

قسمت البحث إلى مبحثين أساسيين، حيث أتناول في المبحث الأول بعضا من الرموز المادية، والرموز المعنوية في المبحث الثاني، ثم خاتمة أحصر فيها بعض من التوصيات والنتائج، وفي كل مبحث من هذه المباحث سأذكر ثلاثة رموز تعريفا، ثم أعرج إلى البحث في مقاصده وأبعاده الحضارية، وصولا إلى سبل الحفاظ عليه وتطويره.

المبحث الأول: الرموز المادية ودلالاتها الحضارية:

تمهيد:

سأتناول في هذا المبحث بعضا من الرموز المادية المستعملة عند الأمازيغ المزابيين، مستخرجا منها بعض الأبعاد الحضارية التي من أجلها وضعت له تلك الرموز، وعن الدلالات العميقة لها، وكيف صارت رمزا للمجتمع المزابي، وجزءا من هويته الثقافية، ثم أعرج على كيفية الحفاظ على هذه الأبعاد الحضارية، وسبل تطوير الرموز وفق تلكم الأبعاد في عصر التجاذبات والعولمة المفروضة، وحتى نساهم قدر الإمكان في الحفاظ عليها من شبح إفراغها من مضامينها الحقيقية وأبعادها، وحتى لا تصير تقاليد ومواريث لا يعقل لها معان أو أبعاد.

❖ **المطلب1: أحولي[1]:**

تنطق بهمزة مفتوحة وحاء مضمومة ممدودة ولام مكسورة ممدودة خفيفة. وهو اللباس الرسمي لأعضاء حلقة العزابة، يرتدونه في الحلقة وخارجها، لتمثيلها في المحافل العامة، كالأعراس والمآتم والأعياد الدينية، والتجمعات الموسمية كالزيارة ويلبسه أعضاء إروان[2] في بعض قرى وادي مزاب.

وأحولي لباس أبيض اللون، قد يميل إلى الصفرة، ينسج من الصوف، ويبدو أن أصله من جبل نفوسة بليبيا، ولا تشير المصادر إلى بداية محددة لهذا العرف عند العزابة.

وقد يعوض بعباءة بيضاء وعمامة من قماش عادي رقيق، يلف على الرأس يسمى "لحفايت". ويبدو أن ذلك استحدث في البداية للحرارة الشديدة التي يسببها ارتداء "أحولي" خلال فصل الصيف.

ويضفي هذا اللباس على العزابي مسحة من الهيبة والوقار، وتطلق نفس التسمية "أحولي" في مزاب على حجاب المرأة، وهو بنفس اللون، ويتخذ من الصوف أيضا تغطي به المرأة كامل جسمها وفق أحكام الشريعة، ويختلف عن الأول أنه صفيق ساتر، بينما أحولي العزابي خفيف النسج شفاف.

بعض الأبعاد الحضارية لهذا الرمز:

1- **البياض:** ربما تساءل الكثير عن سبب ارتداء الحرائر له بهذا اللون، هل كان لسبب معيّن أم كان اتفاقا، وقد وقفت على بعض من معاني البياض والتي لأجلها كان " الأحولي" أبيضا سواء للعزابي أم للمرأة على حد سواء، وقد تبيّن لي أنه كان كذلك لمقاصد منها

أولا: مراعاة طبيعة المنطقة التي يسكنها بنو مزاب التي تمتاز بالحرارة المرتفعة، فكان اللون الأبيض اختيارا طبيعيا لكونه الأقل امتصاصا للحرارة، وبه يحفظ الجسد من الحرارة المرتفعة، كما أنه يحفظ الجسد من لسعات الشمس الحارقة والتي قد تؤدي إلى ظهور أمراض جلدية.

ثانيا: يعتبر اللون الأبيض ذو دلالة تربوية وهي اكساب المرء لياقة الحذر من الوقوع في كل ما يقدح فيه، وذلك من خلال المحاذرة من تدنيس "الأحولي" ولكونه

أبيضا كان على المرء التحرز عليه كون الأبيض أظهر للدنس من غيره من الألوان، وعليه يجعل المرء أحرص على نظافته، ليتشكل لديه حرص تلقائي وحذر ينصرف إلى سلوكياته، لأن التحرز سلوك ينمو بتدريب المرء نفسه عليه، ومنه كان حديثه صلى الله عليه وسلم:﴿ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْهَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ﴾[3] ، فصاحب الثوب الأبيض أحرص على نظافته من غيره من الألوان وعليه كان المسلم أحرص الناس على التوبة من الذنوب من غيره كونه أبيض السريرة في الأصل وكان لزاما عليه أن يدعو الله أن ينقيه من كل دنس ومن كل ذنب.

2- **الستر:** يعد هذا المقصد من أهم ما جعل له هذا الرمز، والستر بقسميه الشرعي والمادي:

فالشرعي: هو امتثال أمره تعالى للمرآة أن بالستر وعد إظهار الزينة إلّا لأفراد مخصوصين في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

أمّا الشق المادي: فهو متعلق بالحفاظ على القلوب ومراعاتها، حيث نجد الغنية من النساء والفقيرة ليس يظهر منهما إلّا البياض، وهذا من شأنه أن يزيل كل أشكال الطبقية في المجتمع والحفاظ على كرامة الفقراء، كما يربي في الأغنياء البساطة والزهد وتذكيرهم لتقلب أحوال الدنيا فهو كغيره إلّا أن الله قد أسبغ عليه نعمة المال كما أنّه قد يسلبها منه، فيجعله يحنو على الفقير ويشعر ببعض معاناته فتتحرك مهجته للوقوف مع الضعيف ومساعدته.

سبل الحفاظ على هذا الرمز:

حين ترسخ أبعاد الأشياء ومقاصدها في عقول وقلوب أصحابها فهذه أول خطوة في الحفاظ عليها، ومن أسفٍ قد وجدنا بعضا من المفرّطين والمفرّطات في هذا الرمز، بدعوة التحرر أحيانا، والموضة والعصرنة أحيانا أخرى، وللأسف جعلت بعضا من هؤلاء يتملصون من هذا الرمز ويعتبرونه تقييدا للحرية، ولا يدرون أنهم ينسلخون من هويتهم وينتحلون هوية وثقافة أناس لا يدرون عنها شيئا فهم مقلدون ومخالفون دون أصول ولا مرجعية، فلو كان هؤلاء ممّن يعتبر، لنظر لمن حوله في البلد ممّن يبكي حسرة على زوال هذا الرمز الذي كان سببا في حفظ المجتمعات، ونجد بعضها تقيم مسيرات لهذا الرمز لما له من قيمة حضارية وإنسانية في المجتمع ولم يشعروا لقيمته إلّا بعد زواله فهل من معتبر.

❖ **المطلب 2: أعساس[5]:**

بفتح الهمزة والعين والسين المشددة وسكون الآخر، وهو لفظ مذكر يعني المئذنة أو البرج عند المزابيين، وسمي كذلك لوظيفته المتمثلة في الحراسة والمراقبة إضافة إلى الآذان، استخدم "أعساس" كبرج لمراقبة الهلال، وسيلان الوديان وهجوم الأعداء، ويأخذ موقعا استراتيجيا في أعلى البلدة، ويشرف على كل المباني.

ولـ:"أعساس" شكل متميز عن باقي المآذن الإسلامية، إذ يأخذ شكل الهرم الناقص، وتميل جدرانه الأربعة نحو الداخل، في شكل انسيابي، كلما زاد في الارتفاع، وينتهي في الأعلى بأربع نتوءات.

وقد ظهر هذا النوع من المآذن في مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدونة الجندل، وفي واحة سيوة[6] بمصر، وفي جبل نفوسة في ليبيا، وفي جربة بتونس، وفي بعض مناطق بلاد السودان الغربية، إلا أن هناك اختلافات في تفاصيل البناء. وأول "أعسّاس" بوادي مزاب، شيد خلال القرن 5ه/11م بـ:"تاجنينت" (العطف).

بعض الأبعاد الحضارية لـ:"أعساس":

يعد هذا الرمز من حيث الأصل رمزا إسلاميا لا يخص مجتمعا عن غيره، لكن هناك دلالات أكسبته رمزية خاصة في المجتمع المزابي، إضافة إلى الدلالات

الدينية من إعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة، والدلالة على مكان إقامة الصلوات، ومن أهمّ هذه الدلالات الخاصة:

الموقع ودلالته: حين يتجول المرء في أنحاء البلاد الإسلامية ثم يخص وادي مزاب بالزيارة يجد لهم علامة مميّزة وهي اعتلاء المسجد قمة مدنها، ولهذا دلالته الخاصة حيث تترجم لنا واقع حال يعيشه المزابيون، حيث أن المسجد هو السلطة العليا في المدينة ولها الكلمة الفصل وترتبط بها مختلف الهيئات الأخرى، ومنه نجد الوحدة في اتخاذ القرارات المصيرية، وهذا البعد الحضاري يقي المجتمع المزابي من التشرذم والتفرق شيعا، مما يسهل اختراق قيمه وأصوله وثوابته، وبالتالي انسلاخه من هويته وتاريخه.

القلب النابض للمجتمع المزابي: تمتد البنايات في أطراف المدن المزابية لكنّنا نجد سكانها يربطهم بهذا الرمز ارتباطا روحيا، حيث يوحي للرّائي إقامة شعائر الله وتعظيمها فالفرد يبصر هذا الرمز من كل زوايا مدينته، كما أن له دلالة عقدية وهي أن كل الأوامر أدنى من أمر الله عز وجل، فليس يعلو فوق أمر الله ونهيه أمر ولا نهي، ومن معاني " أعسّاس" الحارس الذي يحرس ويقوم على حمى الله من خلال تطبيق شرع الله وإقامتها من خلال ما يمثله هذا الرمز وهو المسجد، كما أنه يحرس على سلامة السكان في الدنيا والآخرة، فحفظهم في الدنيا كونه أعلى مكان في البلدة يبصر به أي خطر يهدد السكان، وحفظهم في الآخرة بتذكيرهم بواجباتهم تجاه خالقهم من العبادة، وإقامة شرع الله وذكره في كل آن وحين.

سبل الحفاظ على هذا الرمز:

من أسوأ ما تفقد الرموز رمزيتها هو إفراغها من جوهرها، لذلك أجد من الواجب أن أبيّن بعضا من التحديات التي تهدد مقاصد الرمز لا شكله، فالرمز هو الـ"أعسّاس" والجوهر هو المسجد واقامة شرع الله، أهمّ هذه التحديات:

أولا: مقاومة المدّ الإلحادي والتفلت عن منهج الله، من خلال تفعيل دور المسجد من ترسيخ القيم والمبادئ في النائية.

ثانيا: تطوير الأساليب في ايصال دعوة الحق وفق المتغيرات الحاصلة وعـــدم البقاء حبيسي التقليد، فالتطوير الذي يحفظ المقاصد والغايات أدوم من التقليد الـــذي لا يراعي الظروف والمتغيرات.

❖ **المطلب 3: لمقاسم[7]:**

بلام مفتوحة وميم ساكنة وقاف وسين مفتوحتين، وهو البناء الذي بواسطته يـــتم تقسيم مياه الأودية بالقسط والعدل على بساتين الواحة في وادي مزاب حسب عـــدد النخيل، وذلك وفق عادات وتقاليد وأعراف محلية، وتعـــرف أيضـــا فـــي اللهجـــة المزابية (أزوني ن أوّمان) ومعناه توزيع المياه.

وينسب تقاسيم المياه في العطف إلى الشيخ بابادي، وأما تقاسيم بوشن بغردايـــة فتعود إلى سنة 1119ه/1707م، حيث جددها الشيخ حمو والحـــاج، كمـــا تنســـب المصادر بناء تقاسيم مياه وادي انتيسة ببني يزجن إلى الشيخ بلحـــاج بـــن محمـــد ق10ه/16م، ثم أضاف إليها سليمان بن سعيد أجزاء أخرى بتاريخ 3 ربيع الثاني 1162ه/21 مارس 1749م، وتسهر على متابعة هذه التقاســـيم وصـــيانتها هيئـــة عرفية تسمى بـــ"لاومنا".

بعض الأبعاد الحضارية لهذا الرمز:

النظام والتلقائية: تعد منطقة غرداية من المناطق الصـــحراوية الجافـــة، وقـــد يستغرب المرء أن يرى مسارات للمياه في منطقة قلما تهطل فيها الأمطـــار، لكـــن المتأمل يجد أنه لكون الماء عملة نادرة في المنطقة كان من الواجب تنظيمها، حتى يستفيد منها كل مستحقيه بطريقة تضمن حق كل فلاح، وجعلها بهذه التلقائية يجعل كل ذي حق مطمئنا أن حقه من الماء لن يضيع في وجود هذه المنظومة التي تحفظ حق كل ذي أرض.

الاقتصاد وترشيد المداخيل: إن من أهم ما يمكن أن يراه المتأمل في هذا الرمز هو الهداية التي وفق لها أهل المنطقة حيث ضبطوا هذه النعمـــة ضـــمن منظومـــة تنميها ليستفيد منها المجتمع أقصى استفادة عن طريق تقسيمه بطريقة تجعل كل من يصل إليه الماء حريصا على الاستفادة منه لأنه يدرك أنه إن فاتـــه نصـــيبه مـــن المقاسم، سيؤثر ذلك على محصوله، لذلك تجده رشيدا في استخدام المياه ويقتصـــد

فيه، وينصرف سلوكه هذا على كل تفاصيله حيث تجده يستخدم نعم الله عليه برشاد، دون إسراف ولا تقتير.

<u>سبل الحفاظ على هذا الرمز:</u>

رغم التطور التقني والعلمي الذي وصلت إليه الحضارة الإنسانية من حيث طرق السقي واستخراج المياه الباطنية إلاّ أن هذه المنظومة لا تزال فعالة حين تهطل الأمطار في المنطقة فإننا نجدها تجدد التربة وتخصبها، كما أنها تنعش الآبار وتملؤها، فمن الواجب على القائمين على هذه المنظومة أن يحرصوا على ترميمها حتى يستمر نفعها وتحصيل ثمارها في المستقبل، كما أنه من الحصافة أن ينبري للمناطق التي عهدها أصحابها من جديد لاستصلاحها أناس يشيّدون منظومة تحاكي هذه المنظومة بما يتوافق مع متطلبات العصر والأراضي الشاسعة حتى يحصل الاستغلال الأمثل للمياه وتوفير الكثير من الأموال التي قد تستنزف في المجهودات الخاصة حيث تكون المنظومة أكثر اقتصادا وأكثر نفعا.

المبحث الثاني: رموز معنوية ودلالاتها الحضارية:

أقصد بالرموز المعنوية هو كل ما عدا الرموز المادية، حيث سأركز في هذا المبحث على بعض الهيئات التي تشكل هوية المجتمع المزابي، من خلال التعريف بها والبحث عن أصولها وجذورها التاريخية، والوقوف على المقاصد والرؤيا الأساسية لها، والوقوف من خلالها على سبل الحفاظ وتطويرها.

<u>1-المطلب 1: لاوَمْنا[(8)]:</u>

بفتح اللام ومدها، وفتح الواو، وسكون الميم، ثم نون مفتوحة بمد، كلمة أمازيغية مزابية أصلها عربي من الأمناء، أفراد من ذوي الخبرة والحكمة يتولون مراقبة المياه والسدود ومناحي الحياة الاجتماعية والعمرانية بمزاب، يختلفون باختلاف المهام الموكلة إليهم، فهناك: أمين في عُرف البناء، وأمين السوق، وأمناء السيل، وأمين اللحوم، والكل ممن له دراية واسعة في مجال اختصاصه بحسب التفصيل الآتي:

❖ **أمينا عرف البناء:** ترفع إليه الشكايات المتعلقة بالبناء في البلدة، وعليه تقع مسؤولية مراقبة ومراعاة حرمة الحريم وحق الجار، والسترة، وحق الشارع العمومي، وقوانين البناء المعمول بها في البلدة وأعرافها.

❖ **أمين السوق:** مهمته مراقبة السوق وله وظيفة المحتسب في الحضارة الإسلامية، إليه ترفع الشكايات المتعلقة بالمعاملات الاقتصادية والمكاييل وغيرها وهو الذي يفتح بداية أعمال السوق ويغلقها، إلا أن مهامه تقلصت اليوم فلم تعد موجودة إلا في بلدة بني يزجن.

❖ **أمناء السيل:** مهمتهم مراقبة نظام تقسيم مياه السيل، والسدود ومنافذ المياه إلى البساتين كل حسب مساحة بستانه وعدد النخيل، بغرض الاستفادة العقلانية من مياه السيل.

❖ **أمين اللحوم:** يراقب المجازر وأسواق اللحم، ويحرص على الذبح الشرعي.

يتم تعيين الأمناء من قبل مجالس أعيان قرى وادي مزاب، باستشارة مجلس العزابة، وقد يتم تعيين أمين البناء من قبل مجلس باعبد الرحمن الكرتي كما ورد ذلك في اتفاق عام 1156ه/1743م، الذي هو أصلا تجديد لاتفاق سابق عنه مما يدل على أقدمية هذا النظام واستمراريته.

و"لاومنا" في مزاب دلالة على تكفل المجتمع بالرقابة الذاتية لمختلف نواحي الحياة من أجل ضمان راحة الإنسان وصحته وأمنه، ونظير لاومنا في مزاب هم وكلاء الأفلاج بعمان.

الدلالات الحضارية لهذا الرمز:

التنظيم: لو شبهنا المجتمع بجسم الإنسان لكان من الصحيح أن نمثل بالدور الذي يقوم به "لاومنا" بدور الهرمونات في الجسم، حيث أن مهمتهم الأساسية هي تنظيم النسب حتى لا يختل التوازن في الجسم، كما أن مهمة "لاومنا" الأساسية هي التنظيم بمختلف أنواع التخصصات فكل تخصص له "لامنا" خاص به يحرصون على التوازن وضبط المتغيرات حتى لا تنفلت الأمور ويؤثر ذلك سلبا على المجتمع كبنية، لأن الاختلال في أحد التخصصات قد يجر تبعات على كل

المجتمع، ومثل ذلك في جسم الانسان إذ لو اختلت نسبة أحد المكونات كالسكر مثلا لاضطرب الجسم كله ومن هنا كانت الوظيفة التي يقوم بها "لاومنا" وظيفة أساسية لا يجوز التهاون فيها.

العدل: من تعريفات العدل هو وضع الشيء في موضعه، حيث أن البعد الخفي لهيئة "لاومنا" هو وضع الأشياء في موضعها الحقيقي والطبيعي لها، من غير زيادة أو نقصان، وهذه المهمة من أعظم الغايات التي من أجلها أرسل الأنبياء والرسل ونجد هذا في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(9)، فالمقصد الأساسي من دعوة الأنبياء هو أن يضعوا كل شيء في موضعه ابتداء من إفراد العبادة لله، وانتهاء بأبسط الأمور الحياتية عند البشر، فهذا المقصد هو جوهر عمل "لاومنا".

سبل الحفاظ على هذا الرمز وتطويره:

حين يدرك المرء المقصد والغاية أمكنه ذلك من التنويع في الأساليب والتحرك ضمن المقصد والغاية التي يريدها، كالذي يقصد مدينة من المدن فمقصده هذا يجعله يسير إليها بكل الوسائل المتاحة من طرق برية أو جوية أو بحرية إن وجدت، وبه أرى أن على "لاومنا" أن يكونوا على الصورة لمهمّتهم الأساسية حتى يسهل عليهم التحرك ضمنها، وأن ينوعوا من الأساليب للوصول إلى مقصدهم ضمن الإطار المشروع والمعقول.

كما أنه من النباهة والتطوير أن يوضع في هذه الهيئة من هم أهل اختصاص في كل مجال، كرجال القانون والمحامين والاقتصاديين وغيرهم، ممّن تتوفر فيه شروط الضبط والرقابة، حتى يسهل عليهم العمل ضمن الأطر القانونية، ويطوروا الهيئة بما يتوافق مع المتغيرات ليحفظوها من الوقوع في العراقيل القانونية.

❖ **المطلب2: اروان(10):**

"إرْوَان" جمع مفرده "إيرو" وهو لفظ أمازيغي، يعني طالب العلم الذي حفظ القرآن الكريم وتفرغ للدراسة غالبا، ويتشكل من مجموع هؤلاء الطلبة هيئة إروان

وهي القوة المساندة للعزابة، لها نظم وتقاليد، وكثيرا ما يسند لهم العزابة أعمالا كما يختارون منهم الأعضاء الجدد في الحلقة.

وقد أسس هذا النظام الشيخ عمي سعيد[11] حين قدم مزاب في منتصف القــرن التاسع هجري الخامس عشر للميلاد، إحياء للعلم، و لــ إروان مقر خاص بهم فــي المسجد، فيه يجتمعون ويتداولون مهامهم ومسؤولياتهم، يسمى "تَدَّارْتْ نـــــ روان" أي "دار إروان".

الأبعاد الحضارية للرمز وسبل الحفاظ عليه:

لو تأملنا في كلمة "إيروان" لوجدناها مركبة مــن قســمين: "إينينـــي" و"روان" واختصرت في كلمة واحدة فصارت "إيروان" ومعناها "الذين ارتوَوْا" أو "المرتوين" من العلم والحكمة، فيعتبر هؤلاء أصالة من طلبة علم، فلم يكن فيها إلّا من كـــان ذا باع في العلم عموما، وفي العلم الشرعي خصوصا، لكنّ المعنى صـــار ينصـــرف حاليا إلى حفظة كتاب الله، وهذا لا يمنع من أن نبقي على الأصل لأنه في الغالـــب الأعم يكون الحافظ لكتاب الله متمكنا في علم من العلوم الدينية أو الدنيوية.

وأرى أن التضلع في العلم بشتى أنواعه من أنجع الوسائل للحفاظ علـــى هـــذا الرمز ، فمن الأسس التي تقوم عليها المجتمعات هو العلم، فلا خير في أمة الجهـــل لأنها تقبع في ظلمات حالكة لا آخر لها، كما أنّه على من يمثل هذا الرمز أن يدرك حجم التحديات التي تنتظر هذه الأمة عموما والمجتمع خصوصا، فأصـــحاب هـــذا الرمز هم المادة الرمادية للمجتمع فلا يصح منهم التقاعس في طلب شـــتى العلـــوم لأن مهمتهم الأساسية هي إمداد المجتمع بما ينفعه من خلال العلوم المختلفة.

الخاتمة:

بعد هذا التّطواف اليسير في بعض رموز أمازيغ بني مزاب يمكن استخلاص بعض النتائج والتوصيات كالتالي:

- ✓ إنّ لهذا المجتمع مقومات تجعله متميزا في الكثير من الجوانب والسر يكمن في هذه الرموز التي تشكل هويته كمجتمع وهوية أفراده.
- ✓ إنّ أهمّ وسيلة للحفاظ على هذه الرموز هو الوقوف على معانيها وأبعادها الحضارية وتعليمها للناشئة، لأن ذلك يساهم في ترسيخها لديهم.
- ✓ إنّ فهم الأبعاد الحضارية لكل رمز من هذه الرموز يجعل من تطويره أمرا ممكنا لأن الأسس واضحة المعالم، ولأن هذه الرموز إنما لها دلالات ومعان فالحفاظ عليها أولى من الحفاظ على شكلها، فما الشكل إلّا ترجمة للأبعاد والمقاصد.
- ✓ على كل من يمثل رمزا من هذه الرموز أن يحرص على تطويرها بما يتوافق مع تطورات الزمان وتقلبات الدهر، لأن التطور يضمن الاستمرارية مع الحفاظ على الثوابت والأسس.

قائمة المراجع:

1. أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، القسمة وأصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية ، بكير بن محمد الشيخ بلحاج و د.محمد صــالح ناصــر تحقيقا وتعليقا ،ط2 1418هـ_ 1997م، جمعية التراث، القرارة غرداية.

2. إماناسن محمد، تقاسيم المياه، محاضرة ألقاها في مسجد الغفران، غرداية.

3. البغطوري مقرين بن محمد النفوسي، سيرة أهل نفوسة، ابراهيم بن محمد بــن مسعود علواني، القرارة، 15 رجب 1401ه.

4. الثميني عبد العزيز بن ابراهيم، التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيــل صــححه وقدمه محمد بن صالح الثميني، مطبعة العرب، تونس 1944م.

5. حاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني مــزاب دراســة اجتماعيــة واقتصــادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية 1992م.

6. خليفات عوض محمد، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيــا فــي مرحلة الكتمان، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

7. خواجة عبد العزيز بن محمد ، الضبط الاجتماعي ومعوقاتــه فــي وادي مــزاب دراسة سوسيوأنتربولوجية لنظام العزابة من خلال مواقف الشباب، حالة قرية بني يــزقن غرداية، رسالة ماجيستير، قسم علم الاجتماع، فرع بوزريعة جامعة الجزائر، 1999م.

8. الدرجيني أحمد بن سعيد أبو العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، ت ابراهيم طلاي مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1974م.

9. صالح اسماوي بن عمر، نظام العزابة، دبلوم دراسات معمقة، جامعــة الجزائــر 1986م.

10. طلاي ابراهيم بن محمد، مزاب بلد الكفاح، دراسة تاريخية اجتماعية سلســلة من تاريخ الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970م.

11. علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط1، مكتبــة وهبــة القــاهرة مصر، 1384ه_1964م.

12. فرحات بن علي الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبيــة فــي جربــة الطبعة العصرية، تونس، 1975م.

13. مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، إشراف د.ابراهيم بن بكير بحاز، ط1، 1429هـ_ 2008م، سلطنة عمان وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ج2.

14. مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، جمعية التراث، القرارة، غرداية 1417ه_1996م.

15. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.، ت محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج5.

16. معروف بلحاج، العمارة الدينية للإباضية بمنطقة وادي مزاب، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 223م.

17. ناصر محمد بن صالح، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1419ه_1999م.

18. نوح عبد الله، النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب، رسالة ماجيستير، معهد العلوم القانونية والإدارية، جامعة الجزائر.

19. النوري حمو محمد عيسى، نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505مإلى 1965م، دار الكروان، باريس، 1984م.

20. واعلي بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع السنة والجماعة،2ج، جمعية التراث، القرارة، غرداية،1421ه_ 2001م.

21. Merghoub belhadj : Développement politique.

22. Schacht. J : sur le diffusion des formes d’architecture religieuse musulmane à travers le sahara, travaux de l’ institut de recherches sahariennes (T.I.R.S), tomc XL, 1er semester, alger, 1954

هوامش الدراسة:

[1] انظر اسماوي صالح. **نظام العزابة**،(ج1_ص77).خواجة عبد العزيز. **الضبط الاجتماعي** 180، 211، 212. نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية** (ج1_ص21).

[2] سيأتي تعريفها لاحقا.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم 476.

[4] النور 31.

[5] انظر معروف بلحاج. **العمارة الدينية الإباضية**، 219. . Merghoub belhadj **Développement politique**, 25.

Schacht. J . sur le diffusion des formes d'architecture religieuse, (article), 27 ,21 ,11. نقلا عن **معجم مصطلحات الأباضية** (ج1_ص34).

[6] تقع واحة سيوة في جمهوريّة مصر العربيّة، وتحديداً في الوسط ما بين بحر الرمال المصري الواقع في الصحراء الغربيّة، ومنخفض القطارة. وتبعد واحة سيوة عن مدينة القاهرة عاصمة مصر حوالي 560 ، يبلغ عدد سكّان واحة سيوة حوالي 23.000 نسمة وأكثر، وإنّ أغلبهم هم من أصول الأمازيغ، ولهجتهم هي سيوي، وتصنّف هذه اللغة من ضمن مجموعة اللغات المنتمية للأمازيغ.

[7]ينظر أبو عباس محمد. **القسمة وأصول الأرضين**، 143، 144، 243 (ط1).الثميني عبد العزيز. **التكميل لما أخل به كتاب النيل**، 102. طلاي ابراهيم. **ميزاب بلد كفاح**، 37 38.النوري. **نبذة من حياة الميزابيين**، (ج1_ص75). الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب** ص41.إمناسن محمد. **تقاسيم المياه**، (محاضرة)، (مقال)، ص14وص21. نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية**، (ج2_ص854).

[8] ينظرالبغطوري مقرين. **سيرة أهل نفوسة**، ص 48.الثميني عبد العزيز. **التكميل لما أخل به كتاب النيل**، 67. الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب**، 90. مزهودي. **الإباضية في المغرب الأوسط**، 271. نوح عبد الله. **النظم التقليدية**، 334، 335. إمناسن محمد. **تقاسيم المياه** (محاضرة). نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية** ، (ج2_ ص 930، 931).

[9] الحديد 25.

[10]ينظر الدرجيني. **طبقات المشايخ**، (ج1_ص140،138). معمر علي يحيى. **الإباضية في موكب التاريخ**، (ج1_109). الجعبيري. **نظام العزابة**، ص141_143. خليفات. **النظم الاجتماعية**، ص 99. ناصر محمد. **حلقة العزابة**، 11. الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب** 30. مزهودي. **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص219. واعلي بكير. الإمامة عند الإباضية

(ج2_ص509). اسماوي صالح. **نظام العزابة،** (ج1_ص464و466). نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية،** (ج1_ص58).

(11) الشيخ العلامة سعيد بن علي بن يحي الجربي، المشهور بالشيخ عمّي ســعيد – رحمــه الله- توفي 927هـ/1521م.

التمثيل والمسرح المزابي بتجنينت وتجليات المحافظة على الموروث الثقافي
- مسرح أمنير لجمعية الوفاء أنموذجا-

حاج امحمد حاج ابراهيم
المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة
hopemyfuture@yahoo.fr

مقدمة:

تعتبر الأعراس في مزاب موسم البهجة والفرجة، إذ تحضـــر فيهـــا الطبـــوع المختلفة من إِزَلْوَانْ (الأهازيج) وإِحَوِّيفَنْ (الأغاني) والتي يتميز بها المزابيون منـــذ أمد طويل، وذلك من لحظة التحضيرات إلى استقرار الأسرة الجديدة في بيتها؛ وإذ نميز من بين الأنشطة التثقيفية في الأعراس كالتمثيليـــات والعـــروض المســـرحية والروائية، التي تقدمها مجموعات هاوية تنشد منها المتعة والإفادة.

وقد كان للأعراس فيما مضى وإلى عهد قريب بمزاب تقاليد فيها من الظرافـــة وحسن التدبير والتنسيق ما ينبأ عن تناغم تام في المجتمع، يضبط إيقاعـــه الهيئـــة الدينية المعروفة بحلقة العزابة للمدينة ويتحمل عبئه العشيرة ولجنة الأعراس، فمـــا إن يقترب تاريخ التتويج وحتى تكون آخر الترتيبات، التي رافقت الفتـــاة أو الفتـــى منذ صغرهما بالتربية والتنشئة الحسنة والتجهيز بالمستلزمات من زرابـــي وأثـــاث وحلي، قد تمت فتكلف ربة الأسرة التي هي أم العريس أو جدته من التحـــول فـــي أزقة البلدة[1] قاصدة الأقارب والجيران والمعارف لتعزمهن، مثلمـــا يـــدعو ولـــي العرس الجيران والمعارف إلى الوليمة.

والزواج في مزاب فرصة لبروز مظاهر التكافل الاجتماعي وروح الإخـــاء إذ يتوسع العرس على عدة منازل من ذات الشارع، فتخصص الكبيرة لحفل التتـــويج وأخرى للنسوة وأخرى للضيافة... كما تعلن عشيرة العريس أياما قبل الحفل عـــن

جلسة تنظيمية تسمى "أَسُوفَغْ نِ امَنْدِي" يحضرها الشباب والكهول لتقسيم المهام والأعباء خلال يومي العرس، فهناك من يتكفل بالفرش وهناك من يتكفل بالإطعام وآخرون بتزيين دار الحجبة...[2] فتتجند البلدة للتظاهرة كخلية النحل كل يعرف دوره.

وإلى جانب العريس يسهر مجموعة من المرافقين[3] يختارهم ولي العريس لمرافقة ابنه[4]، والذين يقدمون له الإرشادات والنصح فيما هو قادم من أيام حياته خاصة تجربته وأيامه الأولى في الزوجية، ولذلك كان انتقاؤهم مهما وعلى عاتق الولي لما يتوسم فيهم من المثالية والقدوة لابنه، إذ لم تكن هناك وسائل تعليم وتثقيف كثيرة تشوش على الشاب الصغير، فيكتفي بما هو حاضر عنده ليؤسس عليها بداية مرحلة الرجولة ثم يصقلها بخبرته واحتكاكه في الحياة بمرور السنين، وليصبح هو أيضا من مرافقي العرسان الجدد وناقلا لنظم وأعراف المجتمع إلى الأجيال الجديدة.

اتسمت الأعراس فيما مضى بالبساطة في شكلها ومضمونها، ورغم ذلك فالعريس يستفيد ويستمتع بكل شيء خلال أيام العرس إذ يجند كل شيء لصالحه وكأنه في مملكته، وفي ذلك رمزية ومعاني عميقة، إذ هي إيذان باعتلائه مقام الرجولية، وتحفيز له على أداء دوره في المجتمع بعد ذلك على أكمل وجه، لأن المجتمع والوطن الذي يسكنه هو في النهاية مملكته إن أحسن فيها استفاد وربحوا جميعا وإن أساء أصابهم من ذلك كلهم.

تنشيط الأعراس:

ينطلق النشاط الفني في العرس المقام مباشرة بعد التتويج وتناول طعام الوليمة حيث تنصب مائدة مستطيلة أمام العريس يستدير حولها أصحاب الأصوات الشجية فيهزجون مجموعة من القصائد والمدائح والأغاني التراثية المناسبة للمقام، ويدار على ألحان المجموعة الشجية كؤوس الشاي، والعريس مزهو بالحضور وتلك المشاركة التي أبت إلا أن تكون إلى جانبه في يوم فرحته، ويكون ذلك إما في دار العريس أو بيت أحد جيرته الواسع أو في دار العشيرة[5].

وفي صبيحة اليوم الثاني يكون العريس متصدرا في دار العشيرة أو الحجبة[6] أين يستقبل الضيوف والأهل والأحباب بالتهاني والأماني بحياة ملؤها الهناء والسعادة، ويجلس الحضور في جماعات ومتحلقين في حلقات يلعبون لعبة السيق[7] أو لعبة الفنجان[8] أو يدردشون وهم يستمتعون بالشاي وهناك من يستصحب التهاني بأسطوانة غنائية لفريد الأطرش أو أم كلثوم أو فيروز[9]، وتستمر الجلسة والتهاني إلى غاية منتصف النهار؛ وقد تنظم بعض لجان الأعراس في تلك الصبيحة ندوات علمية من تنشيط طبيب مختص في موضوع معين على غرار الدكتور مرغوب أو زكري يحي أو محمد بن عمر حاج محمد يستفيد منها الحضور، كما تبرمجها في بعض الأحيان خلال الفترة المسائية.

تعد الفترة المسائية من اليوم الثاني أهم فقرة في برنامج العرس بالنسبة للجمهور بعد حفل التتويج، إذ تنشط جماعة من الهواة دار الحجبة بعرض مسرحي أو رواية ممثلة يكتنفها الفكاهة والضحك، حتى اشتهر هذا النشاط بالاسم الأخير "الرِّوَايَتْ" وأصبحت لصيقة بالأعراس، فقد شهدت تجنينت خلال فترة الستينات والسبعينات امتدادا في الأعراس على طول السنة ولم تكن مرتبطة بالعطل الموسمية كما هو الوضع في أيامنا، إذ كانت العائلات تقيم الأعراس بشكل فردي ولم تكن جماعية في أيام العطل، وكانت تشاركهم العشيرة في التنظيم والبلدة في البهجة، فكانت من ذلك دار الحجبة كل نهاية أسبوع مع موعد للتتويج والفرجة مع "الرواية" أو المسرحية، والأنشطة الفنية الموازية من مجموعة صوتية وتثقيف شعبي... وفرصة لاحياء بعض الأنشطة التراثية كالبيع بالمزاد العلني أو "دَلَّالَه".

النشاط المسرحي بتجننت بين 1970-2000:

<u>المسرح التجنيني خلال السبعينات:</u>

كان الضحك في السبعينات انعكاسا للرفاه والسكينة التي كان يحياها المجتمع الجزائري ورضا بالوضعية الراهنة، وأحيانا كان نابعا عن رغبة من الإفلات من ضغوط النمطية السياسية للأحادية وتغييب التنوع الثقافي الجزائري بمختلف ألوانه

بشكل عام، وردة متهكمة من الممارسات المختلفة غير المستطاع التعبيـــر عنهـــا فكان المسرح مهرجانا للتعبير الودي الواعي عن تلك الرهانات.

1-المسرح الفكاهي

اشتهر المسرح بتجننت في فترة السبعينات وحتى نهاية الثمانينـــات بالكوميـــديا والفكاهة، حيث كان يمثل هذا النشاط المسرحي أهـــم برنـــامج ترفيهـــي مـــرتبط بالتجمعات العامة في القصر، وقد ارتبطت ممارسته بغياب وسائل الترفيه والتثقيف الأخرى التي انتشرت فيما بعد من تلفزيون وغيرها.. فكانت التمثيليات تجمع مـــا بين الفرجة من خلال الطرفة والضحك مع الرسالة الهادفة مـــن خـــلال المقصـــد والمواضيع التي كانت تستقيها من الأمراض الاجتماعية أو الظواهر الســـلبية فـــي المجتمع، لينسج حولها الكوميديون موضوعا، وذلك في جلسة تحضـــيرية قصـــيرة تكون غالبا ما بين صلاتي المغرب والعشاء من ليلة العـــرض، وتقـــوم الكوكبـــة الممثلة بالإحاطة بجوانب الموضوع وترتيب أفكارهم وتوزيـــع الأدوار وإعطـــاء التعليمات بشكل أفقي بين الرفقة لئلا تكون هناك هفـــوات وانقطـــاع فـــي حبكـــة السيناريو إذا لم يكن مكتوبا أو مقتبسا.

فقد كانت العروض التمثيلية تعتمد بشكل كبير على الملكات والمواهـــب التـــي يتمتع بها المغامرون فوق الخشبة، إذ تعتمد الارتجال والبراعة في تـــدبير الحبكـــة وتسيير أغوار السيناريو، ومن فرط الارتجالية مع البراعة في الأداء أن الممثلـــين يصعدون على الخشبة أحيانا ولم يحددوا بعد موضوع الليلة، حتى أن المشـــهد قـــد يتحول إلى مقلب ساخر ينسج حول أحد الممثلين الذين لا يتفطنون لما يحـــاك لـــه وقد يجد أحدهم نفسه فجأة يغرد وحده خارج السرب والمجموعة تسير في موضوع آخر غير الذي اتفقوا عليه قبل الصعود إلى الخشبة.

كانت عروض هذا المسرح الفكاهي واقعية تعالج قطيعـــة الأرحـــام أو هضـــم حقوق الجيران أو المفاضلة بين الأبناء أو التدخين أو الغيبـــة والنميمـــة وغيرهـــا وتستحضر فيها شواهد واقعية من مختلف مناحي الحياة من أسرة أو عمل أو تجارة

أو اغتراب... وتبرز فيها الآثار السلبية للظواهر وتستظهر فيها الوجـوه المخفيـة والمقالب المضحكة بشكل يضفي حيوية على الركح.

فمن اعتبار المسرح مرآة المجتمع كانت الجموع تحضر وبأعداد كبيرة للفرجة ومتابعة العرض والترويح عن النفس، فيمضون أمسية من الضحك علـى لوحـات من الواقع، وهي في الواقع واقعهم، إذ يجدون أنفسهم يضحكون علـى تصـرفاتهم التي لا ينتبهون لها، ثم ينصرفون في نهاية العرض، لتبدأ مرحلة ثانية من العرض وهي رحلة الصدى، فتكون الأيام الموالية أيام حديث عن الظاهرة المعالجة وعـن الطريقة الفكاهية التي تمت بها معالجة الظاهرة، فيكون هنـاك تجـاوب إيجـابي نحوها، وأثر طيب على خلفيتها رغم البساطة في الطرح والمعالجة، إلا أن السـر يكمن في ذلك فهي تخاطب الجمهور البسيط بمستواه وبما يحيا ويفهم، مما يسـاهم في رأب الصدوع وتصافي القلوب.

وكان من مميزات هذا الفن تلك الفترة اعتماده على الكلمة وإجادة انتقائها فـي سياقها، وهو عصر كانت الغلبة فيه للسماع لعدم اشتهار وسائل الإثارة البصـرية التي أخذت تنتشر في المدن من سينما وتلفزيون.. فقد كان تركيز الكوميديين علـى الموضوع والعبارة المناسبة بشكل خلق علاقة حميميـة بـين الاحتفـال بـالعرس والمسرح[10] والحضور.

وقد امتازت هذه الروايات الفكاهية بإصابة الأهداف بالتلميح دون التصريح وقد يعتمد هذا الأسلوب خلال عرض مسرحي كامل، حتى كان من فرط استعمال لغـة الرموز وتشفير الرسائل التي توجه إلى الجمهور أن الفتية الذين يؤذن لهم أحيانـا بالحضور قد لا يفهمون من المسرحية شيئا، فيشاهدون الكبار يتفاعلون مع العرض والممثلين دونهم، فيضطرون إلى الاستنجاد بمن هو أكبر منهم أو الانسـحاب مـن القاعة؛ وقد كوّن هذا الأسلوب في الخطاب مجتمعا شغوفا بفن الرواية سريع الفهـم للتلميحات والتخاطب بالكنايات، حتى أصبحت لغة يعرف بقوتها أهل تجننت فهمـا واستعمالا[11].

لقد كان هذا الطبع المسرحي شعبيا يتجاوب معه عامة الجمهور لما فيه من الصّلات بواقعه من مواضيع ومشاعره وموروثه الثقافي من تراث وقيم، فمما ميز المسرح الفكاهي من حيث اللسان أنها كانت بالمزابية المفعمة بالأمثال والمعاني والإيحاءات البعيدة عن التكلف، بالمقارنة مع الخطب والكلمات والمحاضرات التي يقدمها المتدخلون في المناسبة العامة والأعراس والتي تكون فيها اللغة العربية متقنة لا يتجاوب مع عباراتها إلا الأساتذة والطلبة الدارسين لفنون اللغة، بينما يجد العامة ضالتهم في هذا الطبع المسرحي ووجوهه المعبرة عنه.

فقد نشط في مجال المسرح على مستوى البلدة خلال تلك الفترة مجموعة من الشباب والكهول (لْوَزْرَانْ) مرافقي العرس المهتمين بجانب التثقيف والتنشيط وإحياء ليالي الأفراح، وكان مسعود باباعمر جلمام بن عمر هو عميدهم الذي يدعمهم بالأفكار وينسج الخيوط الأولى للحبكة ويشد من عضد المجموعة ويكون هو آخر متدخل في الرواية بعد أن يقودها من وراء الكواليس بالتعليمات والتوجيهات لزملائه الممثلين على الخشبة، فيدخل هو إلى الخشبة بعد نهاية العرض ليقدم خلاصة وتوصية من الرواية الممثلة[12].

من بين العناصر التي أمتعت الجمهور كثيرا خلال تلك الفترة وحتى منتصف الثمانينات السادة : باباعمي مسعود بن عيسى وعبد العزيز ابراهيم بن داود وأخوه عمر واسماوي بكير بن باحمد بن محمد "كباني" واسماوي ابراهيم بن حمو واسماوي بكير بن ابراهيم بن محمد "حبيبه" وبهون بكير بن سليمان وعبد العزيز محمد بن بكير"بباله" وعيسى محمد بن عيسى "طباخ" وبوهايشة ابراهيم "قبابو"... وقد انتظمت هذه العناصر الهاوية بين سنتي 1974-1975 مع المجموعة الصوتية التي تنشط في الأعراس أيضا والتي كان من عناصرها المبدعين سماوي باحمد بن محمد بلبل وبن لولو عمر بن صالح وحاج اسماعيل مسعود بن بهون وطالب باحمد عمر بن محمد وزكري عبد القادر وبكلي عبد الله بن عمر وباباعمي عمر بن مسعود وحمو علي داود بن ابراهيم وبكلي مصطفى بن محمد وحاج سعيد ابراهيم بن باحمد وباباعمي محفوظ بن عيسى وخير الناس ابراهيم بن سليمان

وبكلي بابه محمد بن ابراهيم.. تحت مظلة واحـــدة هـــي مجموعـــة الفـــن والأدب الإسلامي، في محاولة لتنظيم نشاط الفنانين الهواة وهيكلته حتى يستمر وينمـــو ولا يتضاءل ويتأثر بانهماكهم في يومياتهم ومشـــاغلهم الخاصـــة[13]؛ كمـــا تـــدعمت مجموعة المسرح في منتصف السبعينات بعناصر جديدة ومنهم أعبود صـــالح بـــن عمر وعيسى صالح بن ابراهيم وعبد العزيز حمو بن داود وحاج محمد محمد بـــن اسماعيل وحاج ابراهيم عبد الرحمن بن عمر... [14]

2-المسرح الطفولي:

كانت للطفولة نصيبها في مجال التمثيل والمسرح خلال فتـــرة الســـبعينات، إذ كانت بعض الممرات والأحياء داخل البلدة كنهج باب العسة أو باب لَالَّه وَسَـــارَه أو تَزَارِين[15]، مجالا للإبداع العفوي، أين تخصص بعض الدروب ككواليس لتحضير المواضيع والإكسسوار واللباس، إذ يكون فيها حتى الجوانب الإيحائية والجمالية من رسم للحية برماد الفلين وتفننا في انتقاء اللبـــاس..، وتكـــون الروايـــة خياليـــة أو مستوحاة مما يلتقطه بعض الفتيان الذين يحضرون الرواية بالحجبة، بينمـــا تقـــوم مجموعة أخرى بدعوة المتفرجين والمتتبعين وجمعهم من فتيـــان وصـــبية الحـــي والأحياء المجاورة الذين هم ما دون سن البلوغ.

وبالموازاة هناك من الفتيان من يحفظ القصـــص الأســـطورية والواقعيـــة ذات المغزى والمعنى عن والدته وجدته، فيجتمع حوله الأطفال ليعيد قصها عليهم مع ما يضيفه من تعليقات وحركات تشد انتباه أقرانه إليـــه وكأنـــه حكـــواتي صـــغير أو مسرحي حلقة طفولي، فيروي من القصص الأسطورية التي تكرر في ذلك الوقـــت كشخصية آت عاصم وبوقايلة... [16]

كانت المواضيع التي ينسج حولها الأطفال رواياتهم وتمثيلياتهم محلية في الغالب تعالج يوميات البادية البسيطة من أمور البلـــدة أو بســـاتين النخيـــل أو الحوانيـــت الصغيرة المحيطة بالسوق القديمة، ولم يكن هناك كبير تأثر بالأمور الخارجيـــة، إذ لم يكن هناك حتى منتصف السبعينات أجهزة تلفاز كثيرة بتجنينت إذ كان دخولهـــا

تقريبا بين سنتي 1971-1973 وربما لم تتجـاوز عشـرة أجهـزة حتـى سـنة 1976[17].

كانت هذه الأنشطة التي تقوم بها طفولة البلدة هي مطلق مساحة الترويح واللهو حتى ذلك الوقت، خاصة في أوقات الراحة والعطل، وخصوصـا بـين المغـرب والعشاء، ولكن انتشار التلفاز بعد ذلك أخذ يضر بهذه الأجواء البريئـة والجميلـة ويحد منها لصالح السلطة الجديدة "التلفاز"، والتي زودت الطفولة بقيم وأفكار غيـر التي ألفها وقرأ عنها في القصص والروايات الشفوية أو الكتيبات المطبوعة القليلـة التداول كقصص مقيدش، ولم يكن من المؤثرات الخارجيـة إلا صـوت الإذاعـة الوطنية أو الدولية التي كان الاستماع إليها ثقافة واسعة الانتشار آنذاك لدى الكبـار خاصة بث هيئة الإذاعة البريطانية وهي فرصة يسترق فيها الفتيان السمع لما يكون الوالد منغمسا في متابعة برامجها الإخبارية والثقافية، ومنها قد يحيكون ويحـاكون ما يتخيلونه عن الرجل الأمريكي الغربي ورعاة البقر وحرب النجوم في تمثيلياتهم.

فقد تميزت تلك الفترة على الصعيد المحلي أو العالمي بقوة الابداع الفني وذلـك عائد إلى قوة التخيل التي تأثرت بالاستماع وقلة وسائل المشاهدة، إذ يتـرك ذلـك للسامع فرصة التخيل والاستمرار في رسم الصورة وفق خياله، أما فـي المرحلـة اللاحقة فقد تقوت المشاهدة وكثرت وسائله حتى أثرت وألغت مساحة كبيـرة مـن فرصة التخيل الابداعي لصالح الآلة.

4-الإذاعة الفنية:

من بين الأنشطة التي كانت ترافق المجموعة الصوتية خلال الليلة الأولى مـن العرس فقرة الإذاعة الفنية، والتي كان ينشطها مجموعة من الطلبة والأساتذة، حيث يقدمون فيها فقرات متنوعة مصحوبة بوصلات موسيقية علـى منوالـه القنـوات الإذاعية تماما، وهو محاكاة للوسيلة الأكثر متابعة وتوفرا آنـذاك أي المـذياع، إلا أنها تهتم بالمحليات من مستجدات وأخبار ثقافية واجتماعيـة وترصـد الظـواهر السلبية وتصطاد هفوات الرفاق العاملين في المجال الاجتماعي والفنـي أو الإدارة

المحلية وتقدمها بشكل فكاهي، كما تتخللها النكت والطرف والحكم، فكانت أحيانا مسرحا مسموعا دون الحركة والخشبة[18].

من الفقرات التي كان ينتظرها الحضور في الإذاعة الفنية فقرة "حول العرس" التي تجمع بعضا من المواقف الغريبة والمضحكة التي وقع فيها العرس المتوجين في صباهم ومراهقتهم أو في عملهم اليومي، حتى أن العريس يحتار أحيانا من مقالب قد نسيها أو ظن أن لا أحد سيكتشفها كيف تم بثها في تلك الفقرة؛ وكان من المبدعين المنشطين لهذه الحصة من الإذاعة حاج أيوب عبد الله بن ابراهيم والذي يعد من أعمدة الإذاعة الفنية وواضعي أسسها وقواعدها[19].

من بين العناصر الشبانية التي اشتهرت في مجال التنشيط الإذاعي آنذاك الأساتذة سعيد ابراهيم بن امحمد وحاج أيوب عبد الله بن ابراهيم وسماوي عبد الله بن حمو وبكلي مصطفى بن محمد... وقد استمر الفريق الإذاعي في تنشيط هذه الفقرة كفريق شبه مستقل يبدع في تخصصه داخل مجموعة الفن والأدب الإسلامي ويساهم في المجموعة الصوتية أيضا، كما تدعم بعناصر ناشطة أمثال الأستاذ بن عيسى عبد الله بن حمو وخير الناس نور الدين بن أحمد وبن يوسف نور الدين بن داود وبوبكر صالح بن سليمان الذي أطرها في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات خصوصا بعد انشغال القدماء في مسؤولياتهم، وجددها بكوكبة تعد الجيل الثالث للإذاعة، ومنهم خير الناس عبد الوهاب بن أيوب وهيبة نورالدين بن أحمد وبن عيسى الأمين بن حمو وزرقون عبد الكريم بن أحمد ودادي حمو عمر بن يحي...

5-المسرح التاريخي:

كان هذا النوع من المسرح من تنظيم وتمثيل طلبة تجنينت في معهد الحياة بالقرارة، إذ يقومون بانتقاء النصوص المسرحية التاريخية كعدل عمر وغيرها والتدرب عليها في داخلية الحياة، ولما يأتي أوان العطلة يعودون إلى بلدتهم للراحة من الدراسة وللنشاط الثقافي في الحفلات بما يحملون من حقائب تثقيفية وتنشيطية وتكون عروضهم في ساحة مدرسة النهضة أو ناديها[20]، أين تقام بعض التظاهرات الوطنية أو حفلات الأعراس.

نصوص هذه المسرحيات في الغالب كانت مقتبسة مـن كتـب الأدب لتوفيـق الحكيم وغيره أو من اجتهاد الطلبة وتصحيح أسـاتذتهم، وكانـت لغتهـا العربيـة الفصحى ولم تكن تحمل من الإيحاءات المحلية إلا مـا تعبـر بـه عـن طبيعـة موضوعها الذي هو بالأساس عرض مرحلة أو شخصية أو واقعـة تاريخيـة[21] وكانت هذه الأنشطة تضفي على الجو الثقافي بتجننت عموما نوعـا مـن التنـوع والتجديد، خاصة وأن بعض الطلبة يميلون إلى العمل الاجتمـاعي بعـد زواجهـم فيقدمون للمجموعة الفنية والصوتية المنشطة لحفـلات البلـدة الإضـافة الطيبـة خصوصا بعد هيكلتها في مجموعة الفن والأدب الإسلامي[22].

المسرح بتجننت خلال الثمانينات:

6-المسرح الكشفي:

انطبعت فترة الثمانينات بوجود ثلة من الشباب المتخرجين من معاهد التكـوين والجامعات والمتطلعين على تجارب من مختلف جهات الوطن، كما شـهد عـودة النشاط الكشفي إلى الواجهة من خلال فوجي الشهيد الطالب باحمد يحـي والشـهيد حاج عيسى ابراهيم المنضويين تحت مظلة الاتحاد الـوطني للشـبيبة الجزائريـة وهما فوجان كشفيان تأسسا في نهاية السبعينات بالعطف عقب الفوج الأول المسمى فوج الجبل[23] الذي تأسس في بداية نفس العشرية، بعد تعطل نشاط كشـافة فـوج النهضة المؤسس في الأربعينات خلال فترة السـتينات مثلمـا تعطلـت الكشـافة الإسلامية الجزائرية بعمومها خلال نفس الفترة، والذي لم يبعث من جديد إلا مـع الانفتاح والتعددية في سنة 1989.

فقد كانت المخيمات والأنشطة الداخلية للفـوجين فرصـة للاحتكـاك وإبـراز المواهب الواعدة في مجال المسرح، وفي الحصـول علـى مزيـد مـن الفنيـات والمهارات في مجال الفن الرابع، حتى قد امتلكت الفرقة الكشفية صفة الهواة فـي الخرجات الصيفية[24] بالتل، خاصة بوسفر 1986 وبجاية، ولكن أكبـر احتكـاك للمسرح بتجننت كان في البلدة مع جمعية مسرح الموجة لمدينة مستغانم[25]، والتي زارت غرداية في تلك الفترة في إطار التبادل الشباني للاتحـاد الـوطني للشـبيبة

الجزائرية مع فوجي الشهيدين حاج عيسى والطالب باحمد[26]، وقـدمت عروضـا وإيضاحات فيما يتعلق بالتمثيل والمسرح لهواة المسرح بالقصر.

كما كان أيضا من عناصر تجويد الأداء اللقاءات المتكررة مـع الأسـتاذ عبـد الكريم جدري[27] الذي كان إطارا في مديرية الشبيبة والرياضة بغرداية، والـذي أفاد كثيرا الحركة المسرحية في الولاية عموما وفي تجنينت بالتبع، إذ كان يسـاهم في تنوير المولعين بالمسرح بالتقنيات والأفكار كما كان يساهم فـي عـدة أنشـطة ثقافية أخرى فكان لحضوره أثرا واضحا في ترتيب السيناريو وتحضيره.

كان من بين الفنيات التي أحدثتها هذه التكوينات الوقوف على بعض المـؤثرات كاستعمال مساحة الخشبة والوقوف على خصائص كـل ركـن وأهميـة الإنـارة والإضاءة والصوت والموسيقى في اضفاء مزيد من التأثير على الخشبة والتمثيليـة وقد ظهر تأثر المؤطرين بالتكوينات حتى في التقمص بمحاكات المكونين واستعمال اللهجات المختلفة، إذ أن المسرح الكشفي أصبح يبدع مقاطع فنية بالدارجة، حتـى يمتع المؤطرين أو زوارهم في المخيمات الكشفية بالتل، وقـد اسـتعمل الشـباب الكشفي الدارجة حتى لما عادوا إلى مزاب وأحيوا بعض الحفلات البلدية والمحليـة بها.

فقد كانت تلك التكوينات الشبانية والكشفية مهمة وأساسية للمرحلة اللاحقة إذ أن معظم العناصر الفاعلة في التسعينات وبعدها، هي خريجة تلك الحركـة الكشـفية إضافة إلى خريجي خلية الطلبة الثانويين والجامعين التابعين لاتحاد الشبيبة إضـافة إلى خريجي معهدي الحياة وعمي سعيد.

المسرح في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات:

كان الوسط الشباني حتى ذلك الوقت تقريبا وسطا موحدا يمثله مجموعـة الفـن والأدب الإسلامي، حتى أن النشاط الكشفي كانت تقوم عليه كفاءات هي عضوة في مجموعة الفن والأدب الإسلامي، إما في المجموعة الصوتية أو المسـرح، فكانـت الجهود كلها بتأطير موحد وتصب في مسعى واحد وهو تنشـيط السـاحة الفنيـة بالمدينة.

ومع نهاية الثمانينات وانبعاث الكشافة الإسلامية الجزائرية وفوج النهضة ضمنه انتقلت الأفواج الكشفية التي كانت مع الشبيبة بانسيابية نحو الفوج المنبعث واتحد القادة الكشفيين مع مسيري مجموعة الفن ضمن جمعية النهضة ومدرستها، وفي هذا الإطار كون بعض القادة فرقة مسرحية كشفية نشط ضمنها جمع من الهواة الصغار، وكان أهم مؤطر لهم آنذاك القائد أعبود صالح الذي كان في نفس الوقت ناشطا مسرحيا هاويا في مجموعة الفن، والتي لم تتوقف عن النشاط وإحياء الحفلات فنيا ومسرحيا حتى ذلك الوقت، إذ كان حلقة الوصل بين جيل السبعينات وجيل التسعينات، واعتبر منذ ذلك الوقت مسؤولا عن نشاط المسرح داخل مجموعة الفن مثلما اعتبر الأستاذ بوبكر صالح مسؤولا عن النشاط الإذاعي بها وحظي الفتيان بذلك بتأطير متنوع من جل الكفاءات التي كانت في هذه المدرسة[28].

فكانت المجموعة الفتية الصغيرة التابعة لكشافة النهضة ومجموعة الفن وتحت تأطير أعبود صالح رديفا لقدماء المجموعة، عندما يعتذر هؤلاء عن إحياء حفلة لسبب من الأسباب، وكانت تلك البداية الأولى لمجموعة من الأصاغر على خشبة قاعة حفلات الأعراس، وكان الفرق بين هذه المجموعة الفتية وأكابر الفن أن الأخيرة تعمل بشكل جماعي على توليف الفكرة مع الارتجالية في العرض، بينما أصبح النص مع المجموعة الفتية محضرا ومكتوبا من طرف المدرب، وهو الذي يتابع الإخراج والتحضير والتدريبات، ثم التوجيه والمعاضدة أثناء العرض.

<u>7-من الأويرات إلى تجربة المونولوغ:</u>

في الوقت الذي استمر فيه مسرح الفكاهة والحلقة كان نوع جديد من المسرح يشق طريقه على خشبة دار الجماعة وحفلات تجنينت ضمن المسرح الكشفي، إذ وظف أعبود صالح التجارب السابقة والاحتكاك بالفرق الخارجية في رفع أداء مجموعة الشباب الكشفي الذين يؤطرهم، فأدخل التقنيات التي تعلمها من مؤثرات وغيره، كما واصل في الاعتناء بالنص واطالة الحوار وانتقاء الكلمات الذي كانت ميزة المسرح الفكاهي، ثم أصبغ عليها بصمته الخاصة مركزا على التعبير

المسجوع باللســـان المزابـــي أو بالدارجـــة ومستصـــحبا الـــدف فـــي الأهـــازيج المحلية[29]،فيضفي الحوية على العرض ويعطي الطبع التراثي للركح، فتحول بذلك من النوع الفكاهي إلى الاحتفالي[30].

كانت فترة الانفتاح في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات فرصة لنقلـــة جديـــدة على المستوى المحلي، حتى على مستوى التعبير المسرحي في شكله ومضمونه، إذ ظهرت تمثيليات تميل إلى الجرأة واظهار الواقع بتناقضـــاته، فـــي ظـــل الأزمـــة الاقتصادية التي أفرزها فشل التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وبقية الدول التابعة للمعسكر الشرقي، وانعكاس ذلك على الحراك الاجتماعي، وقد كـــان ذلـــك نتيجة للتأثر بملامح التغير الداخلية والخارجية حتى على الصعيد الفني، فمن بـــين المسرحيات التي أثرت على المسار الفني بشكل مباشر كما كان الحال مع زيـــارة جمعية الموجة هو عرض مسرحية "تِشْبَرْتْ نْ اللَّشْ" في نهاية تلك العشرية، وهي مسرحية جادة ذات معان ومغزى عميق، تعبر بشكل رئيسي عن الوضـــع الـــذي يحياه المجتمع الصغير في ظل المتغيرات الجديدة والغموض الذي يشوب المستقبل والاتجاه الذي ستنحاه الجزائر، وما سينجر عن ذلك سياسيا واجتماعيا.. وهي تشبه إلى حد بعيد المسرحية الأسطورية للفنان سليمان بن عيسى "بَابُورْ غْرَقْ"[31]، وقد كان فيها التلميح والوضوح في التعبير عن الأزمة بشكل غير مسبوق.

لقي هذا الطرح المسرحي الجديد رواجا وإقبالا من الجمهور إذ كـــان تعبيـــرا واضحا على توجساتهم، كما تأثرت به كوكبة المؤطرين الذين كانوا إلـــى جانـــب القائد أعبود صالح كالأساتذة: حاج سعيد مصطفى وسعيد عمر بن أحمد وبن عافو عبد القادر... وغيرهم ممن كانوا يشكلون فريقا واحدا يؤطر فـــي فـــوج النهضـــة خلال الفترة الأولى من عشرية التسعينات، وقد ظهر تأثرهم بتلك الطروحات فـــي أشبالهم وفي دفع المشهد الفني والرقي به.

كما كرس للمرأة الاهتمام وجسدت على الخشبة وتقمص شخصـــيتها الممثلـــون وعبروا عن واقعها وآمالها[32]، مثلما تم إعانتها على إنشاء مسرح أنثوي خـــاص بها، لما طالبات الطالبات بمدرسة النهضة مرافقة من الأستاذ عبـــده عبـــد القـــادر

لتجسيد أول مسرحية لهن في حفل آخر السنة، وكانت الفرصة الوحيدة لمثل هذا النشاط لغياب التأطير والفضاء المناسب لذلك، وكانت السنوات الموالية على نفس المنوال قبل أن يفتر النشاط بعد ذلك لتخصص الحفل في الكلمات وتوزيع الجوائز[33].

استأنست المجموعة الكشفية لبعث الروح في نصوصها بجيل أول واعد، ومنهم بكلي عبد الرحمن بن صالح وحاج ابراهيم عبد الرحمن بن حمو وحاج أيوب بلحاج هذا الأخير الذي أدى عروضا متميزة مع فريق الممثلين، قبل أن يبادر إلى تجربة جديدة مبدعة وهي أداءه الفردي لعدد من المسرحيات، فكانت أولى عروض المونولوج بتجنينت –ولم تتكرر بعد – جمعت بين جدة الأداء وأصالة الطرح، إذ كان بعضها عبارة عن قصائد شعرية تراثية ممثلة، أبدى فيها موهبة واعدة وطاقة متميزة ورغبة جامحة تركته يستعد لإطلاق عمل شخصي جديد حاول أن يخرج فيه طاقته الإبداعية، فكان عصاميا وربما كان متأثرا بالتطور الحاصل في تلك الفترة المهمة من تاريخ المسرح الجزائري وتطوره في التعبير والأداء بوجود كوكبة من الممثلين على غرار سليمان بن عيسى وعبد القادر علولة وإطلاقهم لأعمال أصيلة تجمع بين التجديد العالمي والتراث المحلي، ولكن العرض لم يكتب له أن يرى النور لظروف وهو ما جعله يصرف طاقته وإبداعه إلى أنشطة أخرى، ولم يكتب لهذا النوع أن يترعرع ويكبر بتجننت[34].

وبانتصاف العشرية الأخيرة من القرن الماضي اختفى المسرح الفكاهي للكبار مع صعوبة الظروف وانهماك الكثير في يومياتهم، تاركين الشباب والأصاغر يحاولون سد الفراغ والإبداع حسب قدراتهم واحتكاكهم، وانحصرت الارتجالية في العناصر المتمكنة والمتدربة على ذلك وفي أقواس مسرحية صغيرة، عندما لا يكون هنالك وقت فائض للتأليف والتحضير[35]، وفي وقت تحررت الطاقات والإبداعات المختلفة وتنوعت روافد ومرافئ التأطير الشباني، إذ فتحت العشائر لجانها الثقافية للمساهمة بأنشطة فنية تحيي بها حفلات أعراسها، وانشأت جمعيات

ثقافية تتصدى للحفلات المختلفة وتمثل مزاب في المحافل الرسمية المحلية والوطنية.

مسيرة جمعية الوفاء للفن والثقافة مع المسرح:

من بين الجمعيات الطموحة إلى نشر الثقافة والتعريف بالتراث المزابي على الصعيدين الوطني والإنساني جمعية الوفاء للفن والثقافة، والتي حاولت منذ تأسيسها[36] أن يكون الشق الأكبر من عملها إحياء التراث وحفظه، فخصصت لذلك مجموعة صوتية تعتني بالأهازيج المزابية، كما أعدت كوكبة من النشطاء لإقامة الندوات والأيام التحسيسية والتثقيفية في مختلف المواضيع على غرار النخلة والزربية والطب الشعبي واللباس، وقد أصبحت المعارض والأيام الثقافية من بين أنشطتها السنوية القارة وفقراتها الثابتة، خصوصا في شهر التراث، الذي يصادف شهر أفريل من كل سنة[37].

أولت الجمعية للمسرح أهمية كبيرة منذ بداياتها، خاصة وأن منهم قدماء من مجموعة الفن والأدب لتسجل معهم أولى المشاركات في المواعيد المحلية من أعراس وحفلات، لكن الوتيرة كانت بطيئة لارتباط الأعضاء بمجموعات أخرى على غرار الأستاذ بن عافو عبد القادر الذي كان في نفس الوقت قائدا في فوج النهضة، ولكن في سنة 1997 شهد فرع المسرح نقلة جديدة باستقرار عضوين بارزين في فوج الكشافة للنهضة نهائيا في جمعية الوفاء، ويتعلق الأمر بالأستاذ حاج سعيد مصطفى الذي أصبح رئيسا للجمعية ومدربا لفرع المسرح بها وعودة الأستاذ بن عافو عبد القادر ككاتب سيناريو ومخرج بعد مدة قصيرة.



كانت تلك الإضافة فرصة للأستاذ عيسى صالح لإطلاق مبادرة مع هواة من قصور مزاب تتمثل في مشروع مشترك تحت اسم المسرح الرستمي، إذ كان من بين المخططين للفكرة مع ميموني الغرداوي وحاج يحي المليكي ومعهم العضوين الجديدين بالجمعية حاج سعيد مصطفى وبن عافو عبد القادر، على أن تكون الانطلاقة من مقر جمعية البلابل الرستمية التي تضم كوكبة من فناني ومنشدي وادي مزاب، فيكون المسرح الرستمي فرعا من البلابل، واقترحت أول فكرة لسيناريو مشترك، ولكن العمل لم ير النور لتوالي الأحداث الداخلية والخارجية[38].

8-المسرح الدرامي:

تميز مسرح الوفاء منذ انطلاقته بنقلة جديدة طبعها تأثره بالمرحلة التاريخية، إذ كان التعبير انعكاسا لمرحلة كان المجتمع الجزائري في تنوعه يعيش الأزمة على مختلف الأصعدة، فأضحى يجسد الواقع بآلامه وأماله ويصف المشاهد بشكل

درامي، مثلما كان اعتماد الفريق مباشرة على التجربة التي اكتسبها مـن رصـيد مؤطريه ومعتمدا على طلبة المتوسط والثانوي في التمثيل، وعلـى الـنص الجـاد والدرامي في الطرح؛ وقد جعل الالتزام بالنص مـع جديتـه ودراميتـه وصـغر الممثلين وقلة امكانيتهم الإبداعية في التمثيل الفكاهة وروح الدعابـة نـادرة فـوق الخشبة لصالح عمق المعاني وقوة الطرح في الأفكار، ومع ذلك فقد بقي الجمهـور وفيا للمسرح وظل يتابع باهتمام الجديد واللوحات الفنية، خاصة مـع تقـدم الأداء العام باكتساب الممثلين للتجربة بمرور الوقت[39].

ظل كاتبا النصوص ومخرجا العروض الأستاذان عبـده ومصـطفى يعتنيـان بالأسلوب المتوارث في الصياغة الحوارية والسرد الكلامي، ولكنهما أصبغاه بطابع المعاناة التي كانا يعيشانها كمثقفين يريان الواقع الظواهر والآفات الاجتماعية مـن منظور الكوارث التي تنذر بانفلات يجر تحولات كبرى تضر المجتمع المزابي في الصميم وتحيله إلى الذوبان، ولا يريان الواقع من زاوية الانزلاق وعـدم الاتـزان وضرورة المرافقة من أجل الخروج من العثرة نحو غد أفضل[40]؛ وبين هذا وذاك تظهر الرؤى المختلفة في التعاطي مع المواضيع الاجتماعيـة مـا بـين التهويـل والتهوين ما بين الثوابت والمتغيرات، حتى أن بعض النقـاد قـد لاحظـوا علـى النصوص الممثلة أن أغلبها انتهت أو غلب عليها البعد التشاؤمي من المستقبل وأن أمارات القلق كانت بادية على صاحب النص فأفرغها فوق الخشبة.

استمرت هذه الفكرة على امتداد ثلاث عشرة سنة متتالية تقريبا، قبل أن تظهـر عليها بوادر الانعتاق من الدرامية الحادة والميل إلى التحرر في الفكرة والمزاوجـة بين عدة أفكار ورؤى في النص الواحد، خصوصا مع التجـارب الجديـدة التـي خاضتها فرقة أمنير على بعض المسارح الجهوية والوطنية، فبعد سـنوات طويلـة من العروض المحلية على مستوى الولاية من إحياء للتظاهرات والحفلات وعلـى خشبات لا تتجاوز مساحتها في أحسن الأحوال اثنتي عشر مترا مربعـا، شـهدت الفرقة دفعة جديدة في سنة 2014 بمشاركتها الأولى على ركح فسـيح بمقاييسـه المعروفة، بمشاركتها في المهرجان الثقافي الوطني للمسرح الأمـازيغي[41]، أيـن

احتكت بالفرق والمسارح الجهوية بشكل أكسب الفرقة خبرة في مجال استعمال المؤثرات والتقنيات، لتضيف إلى قوة الكلمة والأداء الذي اكتسبته بطول السنين جمالية واحترافية باستعمال وسائل المسارح المتخصصة، وقد شاركت في الطبعة الموالية لنفس المهرجان، كما دعيت في نفس السنة للمشاركة في الأيام الوطنية لمسرح الجنوب[42].

أمنير والموروث الثقافي المزابي

لما كان المسرح مرآة المجتمع وانعكاسا للواقع فقد كانت الخشبة معرضا استغلته الجمعية التي كان من اهتماماتها الأساسية إحياء التراث والمحافظة عليه وقد تظافرت جهود الجميع من أجل ذلك ابتداء بالنص فالإخراج إلى الديكور، إذ استطاعت من خلال استحضار التراث أن تزيد فرقة أمنير من قيمة العروض وجماليتها، مع القدر الذي خدمت به رسالة التراث والمحافظة على الهوية المزابية ضمن تنوعها الوطني.

وقد اختارت المجموعة لنفسها اسما يعبر بحق عن المغزى الذي من أجله وجدت الجمعية واستحدثت الكوكبة المسرحية التابعة لها، فاسم "أمنير"[43] الذي تعني حامل المصباح لها في هذا السياق دلالتين:

- الاقتداء بالرسول سيدنا صلى الله عليه وسلم وهو حامل نور وهداية الإسلام للبشرية، وبه نقتدي ونهتدي، وفي الخيال الاجتماعي يمثل المصباح الزيتي قديما تلك الصورة التجسيدية للانتقال من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام (الآية)، فكانت أوقاف أنوار المسجد من زيت توقد بها تؤدى في المولد النبوي الشريف من كل سنة.

- المسرح من منظور الجمعية وفلسفتها[44] هي رسالة ومنبر إرشاد وتوعية للمجتمع بطريقة ابداعية يستلهم منها قيمه ومبادئه ويراجع منها سلوكه ومعاملاته فهي تنير على المجتمع من خلال التوعية فالجهل ظلام والعلم (المعرفة) نور كما في الحكمة، والممثل بهذا المنعى حامل اشعاع ورسالة، وجب عليه الالتزام بالفعل قبل القول.

تجليات التراث في النص:

أدت فرقة أمنير خلال مسارها الحافل – ولا يزال – مجموعة معتبرة من العروض المسرحية تتجاوز العشرين عرضا، وكان جلها باللسان المزابي، بالنظر إلى الجمهور المحلي(45)، ولكن أهم ما في النصوص والسيناريوهات الممثلة هي اعتناء الأستاذين عبده عبد القادر ومصطفى حاج سعيد بالتدقيق اللغوي واستعمال لغة رصينة فيها كلمات قد تكون نادرة الاستعمال أو لم تعد مستعملة أصلا طاغية المفردات عليها ككلمة (تْغُوفِّي بدل الهم) (تَشْرَّافْتْ – السحاب) (إِتْرَانْ – النجوم) (أَمْدْيَازْ–شاعر) (أَزَمْنِي – حكيم)... وغير ذلك من المفردات المزابية التي أخذت تختفي تاركة المكان للفرنسية والعربية.

فقد أدت هذه المسرحيات في كثير من المناسبات دور المصحح غير المقصود



للألفاظ والتعابير، مما جعل الكثير يستحسن الفكرة ويشعر بضرورة مراجعة النصوص وتقديم المحاضرات في التجمعات بلسان مزابي سليم حتى يحافظ على ما تبقى منها، مع تكرار العبارة باستعمال المفرد الموجود ثم العبارة بالمفرد الأصيل هكذا لتتفطن الأجيال الجديدة إلى مكمن الخطأ ويستدرك الكبار الهفوات.

إضافة إلى ذلك فقد جعلت ثقافة التلميح باختصار العبارات والإشارة بالمعـــاني التي تعودها الجمهور التجنيني منذ السبعينات الكاتب ينساق مع ما ألفه جمهوره في تلك الخاصية فكانت معظم سيناريوهات فرقة "أمنير" كذلك، ولعـــل أكمـــل تلمـــيح وكناية هي في الأمثال والحكم، ولذلك كانت العنـــاوين أول المعنيـــين بالاختصـــار وإصابة المعنى.

في القائمة التي أمامنا مجموعة من عناوين المسرحيات يمكن أن نلاحظ اعتماد الكاتب على المثل (إنزان) ابتداء بالعنوان لما للمثل من ميزات في تلخيص المعنى وقوة في الدلالة على مراد القول من جهة أخرى.

1-تَكْبُوشْتْ نْ لَعْيَالْ. (كناية) كما يقع الغليان في القدر والتداخل بين المكونـــات يحصل عدم الانسجام والوفاق في الدار الكبيرة أو بين الشركاء.

2-وِبِّينْ مِمِّيسْ يَجَّدْ يَلِّيسْ (مثل) في وقت الشدة يفكر الإنسان في الولد الـــذكر قبل الأنثى، لأن الابن الذكر يمثل الاستمرار والخلود لوجوده من خلال عقبه الذين يحملون اسمه.

3-إِمَطَّاوَنْ نْ اِجَلْوَانْ. (كناية) على حزن أكبر ودموع أكثر مما يفـــيض مـــن العين.

4-جَارْ إِفَاسَّنْ نْ وَاضُو. (مثل) يشير إلى التضييع وأن الأمر في مهب الريح.

5-أَمَطَّاوْ جَارْ تْلَقِّي دُوبْغَاغَا. (كناية) الضعيف بين الاستعطاف والاستكبار.

6-تَالْوِيتْ أُولْ نْ تْجَلَّتْ (مثل) يشير على أن في قلب الشدة يوجد الفرج، وفـــي مرارة الدواء يكمن الشفاء.

7-زُورَنَّغْ زُورْ نْ تَرْدَايْتْ. (مثل) عراقة الأصل بعمق جدور النخلة.

8-تِيسِيتْ نْ احَفَّافْ. (كناية) تدل على ملتقى أخبار وأسرار المجتمع.

9-تَكَرْوَايْتْ نْ تَجَلَّتْ (كناية) على تحول الود والحب إلى حنظل.



إلى جانب الألفاظ والتعابير، فقد جاءت الحوارات بين الممثلين مشبعة بالأمثال والحكم المزابية مما يحفظه الجميع أو مما أصبح نادر الورود، إذ كان المثل الوارد في بعض المشاهد هو الخلاصة أو لب الكلام، ويكون إيراد المثل توضيحا للمقال وخدمة لفكرة محددة بشكل يظهر أن المثل قد أقحم قسرا خصوصا في بعض المشاهد التي يطول فيها الحديث ليكون بذلك بمثابة الفاصلة وتلخيصا للكلام الطويل وغير المجدي، حتى أن الممثلين في بعض الأحيان يبدعون في توظيف الأمثال خدمة لمقتضى الحال دون التقيد بالنص.

من بين الأمثال التي وردت في بعض المسرحيات والتي تمت معاينتها[46]:

–وِيُوفِينْ أُولِيطِّفْ أَدِيكَلَّبْ أُولِتِّيفْ – من وجد ولم يلتقط سيبحث ولن يجد على وزن من ضيع الفرص تجرع الغصص.

–يَقِّيمَدْ جَارْ أُومَنْدِيلْ دْ تْزِيوَا – ضاع بين مفرش المائدة والصحن دلالة على الضياع إذ لا مكان يقع بين هذين فوق المائدة، إما في الصحن وإما في المفرش.

–وِيَخْسَنْ سُوفْ أَسِيجُوجَدْ دْ لْقَايْلَتْ تْزَغَّلْ – من أراد ماء الغدير فليحضر له في حر الصيف، ففي الصيف تصلح السواقي وتصفى وترمم –تحضيرا لموسم المطر وهو مثل يضرب لمن يغفل عن شغل في أوانه أو يريد النتيجة من دون جهد كقصة النملة والصرصور.

-اتْمُورْغِي تْبَدِّا سْتَفْرِيتْ – الجراد ينطلق من ورقة واحدة مثل يضرب فيمن لم يتدارك أمرا قبل فوات الأوان وتراخى وتهاون عن اتخاذ السبب.

-وِي أَّوفِينْ تَاسِيرْتْ أَضِيزْدْ يُوغَجَّارَسْ دُ أُومَنْسِيسْ – من استعار آلة الرحى فليقضي حاجته للموسم ويراد به أيضا استغلال الفرص، فقد تجد الوقت أو من يعينك ثم لا تجد ذلك بعد تلك اللحظة مباشرة وأنت محتاج.

-لَخَيْرَتْ أُولَا دِ تَرْزِي نُو ضَارْ – الخير حتى مع كسر الساق- يشبه مثل رب ضارة نافعة وهو مثل يعبر عن الرضا بمشيئة الله تعالى وإحسان الظن فقد يكون وراء العطب في الآلة تأخيرا عن مكروه غير مقدر لك أو تعويضا بنفع أكبر.

-اسْمَانِي تْنَكَّزْ تْغَاطْ تْنَكَّزْ تِيغِضَتْ – الجدي ابن المعزاة ويقال تعبيرا عن المثل من شابه أباه فما ظلم.

-استَدَّارْتْ غَالْتَدَّارْتْ اَنْتْغَاغَطْ نْتِسِيرَى – من منزل إلى آخر كحجر الرحى وللمثل وجهان: تعبير عن شخص متسكع يقضي وقته في الحديث والسمر بين المجموعات وهو تعبير أيضا عن التنقل من مكان إلى آخر خدمة للخلق.

-بَحَّ يَرْنَا بَسَ – مثل من لغة التعبير الصبياني (غلب الفم اليد) ومثل يضرب فيمن يتكلم ولا يعمل. وللصبيان فيما مضى في مزاب لغة كاملة يعبرون بها فيما بينهم وبين الكبار.

-إِيفُولُّوسَنْ تْنَاقَّانْ إِوْزَانْ – كناية عن استطاعة في فهم فحوى الكلام المقيل وهو يقال فيمن يتلفظ بما ليس في محله؛ وكان يستعمل في الخصوص أثناء الحديث بين الزوجين لا ينبغي أن يدركه الأولاد كالشنآن بينمها..

-زَافْ نْوِيوَالْ اِتَّارَّاتْ أَنُومَوَالْ – مثل يقال في من يهول الكلام ويضخم من المضمون لحد المبالغة، إذ لا يعقل للشعرة مهما خشنت وكبرت أن تصل إلى حجم القصب وهو بكلامه يستطيع أن يصور لك ذلك.

-اَنُومُوشْ اِضَّلَّا تِيسِيتْ – كالقط الذي يقف أمام المرآة؛ وهو تعبير عن عدم فهم المعني لفحوى الكلام، وهو يحاول أن يعي دون جدوى.

-وَالقَّارْ آلَمْ آمَلَّالْ قَاعْ تَادُونْتْ – مثل تعجّب واستنكار فالجمل إذا كــان أبــيض الجلد فهو لا يعني أنه كله شحم، وهذا لنفي شيء ظاهره لا ينبأ عمــا فــي باطنــه وهو في معناه أقرب إلى مدلول الآية "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف".

-إِتْكَلَّبْ فِيْجْدِي نُوجِيجْ – يبحث عن الغبار العالق في حفرتي حوامــل المنســج وهو يقال لمن يتصيد النقائص والأخطاء لغيره، وهو تعبير بليــغ إذ إن الحفــرتين موجودتان في الأرض ووظيفتهما تحتم احتوائهما على التــراب فكيــف بالغبــار المطلوب من المرأة تنظيفه في البيت ورفعه.

-يُوضَادْ سَانَّجْ إِيَدْ بَدَّنَّجْ – يقال في الخفة والسرعة في القرار وفي اتخاذه.

-وَارْ تْغُوفَّي يَجُّو تْيَازِيتْ – مثل يعبر عن القلق والهم على أمــور بســيطة لا تستحق كل ذلك، وهي تقال فيمن لا يتحمل الضغوط ثم يقع في وضع مثل ذلك.

-رُوحْ بَابَا رُوحْ مَامَّا أَنُوشُورْ جَارْ اِجَاجَّنْ – مثل يضرب على ابن المطلقــين الضائع بين والديه المتنصلين من حمايته وكفالته، فهو تارة عند الأم وتــارة عنــد الأب في حركة ككرة المنسج.

-يُوجَلْ تَاشِيبُوتَّسْ مْعَ إِجَدِّيدَينْ – مثل فيمن يضع نفسه في مقام هو ليس أهلا له ويريد أن يظهر كذلك.

-آرْ لْبَالَتْشْ فُبُوضْ نُوشُورْ – مثل للتنبيه عن عــدم تضــييع أصــول الأمــور وحفظها كما يحفظ الإنسان نقطة الانطلاق فإذا ضاع عاد إليها.

-يَرْقَبْ لَمْزَنْ إِجَلْوَانْ يَفْلَى إِجَدِّيدْنَسْ – يضرب المثل في المستعجل بالشيء قبل أوانه، فقد رأى سحبا في زمن الجفاف فترك قرب الماء التي أخــذها مــن البئــر ليحصل على ماء المطر ولما ينزل المطر بعد حتى يسيل في المصب أو الميزاب.

لم يتوقف إبداع عبده عبد القادر وحاج سعيد مصطفى عنــد هــذا الحــد فــي المحافظة على الموروث اللساني المزابي باستحضار الأمثال والتعــابير المزابيــة البليغة بل تجاوزه إلى التأليف الخاص شعرا وتعبيرا مسجوعا، يســتأنس بــه فــي المواقف أو لحظات فيض المشاعر وتأزمها في العرض أو في إنهــاء المســرحية ليضيف إلى جمال الكلمة قوة في المعنى وصدى عميقا في النفس.

من بين المقاطع الواردة في لحظة تأثر وسط عرض مســـرحية "تَكَرْوَايْـــتْ نْ تَجَلَّتْ"(47):

نَشِّينْ إِيصَارِي اَنْ تِيغِيوْتْ إِ يُّوضَانْ اقْبَلْ الصِّيفْ سُوزِيوَى
أَنَّغْ اُوجَارْ نْ تِيفْرَيْتْ تَادَالِيتْ سَالسَّجْرَتْ تْوَاغصَبْ تَهْوَى
إِزَّبْلَحْتْ ازْمَانْ يَخْدَعْتْ يَغْصَبْتْ يَبْلَاتْ آسْوَاضُو يَقْوَى
إِضَارَنْ تُوحَلْ أَلْتُّوعَافْ التَّاهْ تَجْمَضْ وَالْتَسِّينْ الْمَانِي اَتَّزْوَى
اتْشَابْ، تُوسَرْ اقْبَلْ الوَقْتْ أَسْلَهْمُومْ نَزْمَانْ تَجِّيوَنْ تَرْوَى
يَتْوَانْهَبْ أُولِيكْ ،أَتُوعَافَغْ،أَتْوَاتِّيغْ أَقُّورَغْ الحَجْرَتْ آنُوكَرْوَى
دَنَّجْ اُنِيلْ آنْشَانِيكْ تُوسَرْسَغْ إِوَضُو تَتْفُويْتْ دْوَمَّاسِيكْ يَخْوَى
جَارْ بَابَا دْمَامَّا آضُو يَتْرَارْ الشِّيطَانْ يُوفُو إِيمَانْسْ أَنْشَانَسْ يَحْوَى
دُولِيكْ يَعْيَى سْوَضْرَانْ دُوصَدْرَنْ اَنْ وَرْضُونْ دَنَّجْ اُفَى يَتَّوَّى
لاَكِيغْ اُسِيغْدْ أَيْتَسْبَدَّمْ فِيدَارْنِكْ اَيْتسْشْنَمْ آبْرِيدْ غَادِيجُورَغْ سْوَاسْوَى

وهذا مثلا ألفه عبده لينهي به مسرحية "أَهْرُورَدْ نْ وَامُّودْ"(48):

بَعْدْ إِيتْوِيَتْمَغْ جَمْضَغْ جَارْ إِيضَارَّنْ سَايْتَرِّيمْ أَنْ اُشُورْ إِيضَاعَنْ جَارْ إِيجَاجَّنْ
أُوسَّانِيكْ تَادَّارْتْ دْوَلَّنْدْ دِيمْسُولَّاسَنْ أَزَطىَّ إِجَاحْ اسْلَرْضَي اتْوَاشَّنْ إِفَجَّاجَنْ
تَلْهِدْ أَيَابَا المجتمع سْلَغْنَادْ دُوشَاحَنْ سَالْقِيلْ دَالْقَالْ دَالبَـــــاطَلْ اُولَاوَنْ فَرْغَنْ
دَفَّرْ البَرْقْ آيَـــامَّا إِيزُورَانَمْ افُّودَنْ اَجْرَاوْ نْ رْيَالْ إِيدْمَارَنَّمْ سْ وَعْيَى لَهْتَنْ
اَيْرِيضَنْ أَنْ لَحْيَا اَغْلَادْ دْيغْزَرْ جَمْضَنْ سِّيرَاتْ دَ لْـــجُورَاتْ سْ وَاضُو تْوَانْهَبَنْ
آيْنِي أُوَنْوَاصِّيغْ آمِيدَّنْ سَبْقَتْ لَعْقَلْ فُوَخْسَى نْ وُلَاوَنْ
دُّونِّيتْ تِوِيدْ أَيْدِيسْ تَسَّمْسَدْ غَفْنَغْ تِيغْمَاسْ نْ وُشَّانَنْ
انَّشْنِينْ نَعْمَى نَغْفَلْ إِيمَاوْنَنَّغْ تَامِّرْجَسْتْ اتْمَضْكَـــنْ
فَاقَتْ آمِيدَّنْ تَرَّمْ لْبَالْنُوَمْ سْ تَخَّامْتْ نِ اشُورَايْـــــنْ
قْبَلْ مَا أَوْنْضَبَّعْ تِمْسِي اتْزَرْوَطَّاوْمْ سِيفَاسَّنْ دِضَارَّنْ

تجليات التراث في اللباس:

يقوم الزي بتعريف الجمهور بالدور الذي يؤديه الممثل من خلال الــزي الــذي يرتديه، حيث يعمل على إعطاء صورة وهمية عن العمر والمهنة والجنس رجــلا كان أو امرأة، وزي الممثل يساهم في إعطاء مغزى للمسرحية إذ تتضح به الفروق الشخصية وطبقاتها الاجتماعية... كما أنه يعرف بالبيئة التــي تنتمــي إليــه تلــك الشخصيات والوسط الذي تجري فيه ظروف الموضوع، فهو يساهم مــع الــديكور والإكسسوار على تكامل الصورة أمام المشاهد.

وقد بقيت جمعية الوفاء وفية وحريصة على ديمومة اللباس التقليــدي وتثمينــه وترقيته بتشجيع الاستثمار فيه، وقد نظمت لذلك عدة أيام ضــمن الأيــام الوطنيــة للباس التقليدي، ونظمت مسابقات وشجعت الناشئة على لباسه، وأعطت الأفضــلية والأولوية في الحفلات والمناسبات المختلفة للأطفــال الــذين يتزينــون باللبــاس التقليدي(49).



كان اهتمام المخرج باللباس واضحا من خلال العــروض المقدمــة، إذ عكــس الكثير منها الطابع المحلي المتناغم مع طبيعة الجمهور والموضوع الموجه له، ولما كان العنصر الرجالي والمواضيع التي تمسهم هما الأكثر حضورا فــإن الاعتنــاء

الأساسي كان بلباسهم، والذي لم يكن في كل الأحوال مصمما للعرض، وإنما كـان الممثل مطالبا بأن يحصل على ما يريده ويصفه المخرج من أي مصدر يراه وافيا.

يعتبر لباس الراوي أهم مظهر في ألبسة الممثلين، فقد كان في لباسه حضـورا تراثيا مهما تجسد ذلك في عدة مسرحيات، إذ كان فيه لهذا الحضور بعـدين بعـد يعبر عن حكمة الأوائل واستنباط الحكمة والعبرة بالعودة إلى التجارب التاريخيـة الرائدة، كما يعتبر جزءا من ديكور الخشبة إذ أنه في الغالب يبقى الراوي في ركن الخشبة ولا يتحرك منها إلا عندما يتدخل بين المشاهد، وخلاف ذلـك فهـو يمثـل قطعة من الديكور يجب الاعتناء بها على قدر الاهتمام بالمنظر المتكامل[50].



وفي مسرحة كمسرحية "زُورَنَّغْ دْزُورْ نْ تَزْدَايْتْ" كان الاعتناء باللباس مميـزا خصوصا وأن الأوبريت كانت تراثية إذ روعي فيها الجوانب الجمالية والتاريخيـة خاصة فيما يتعلق بالشخصيات الرئيسية في المشاهد إضافة إلى المجموعة الصوتية التي رافقت العرض؛ أما في مسرحية "تَكَرْوَايْتْ نْ تَجَلَّتْ" فقد كان الحرص علـى لباس الحكيم الذي بدا بزي تقليدي وفي موقف يبرز ضرورة العودة إلـى التـراث والثوابت والقيم والمبادئ التي تحفظ المجتمع وتضبط تناغمه، وعلى العكـس مـن ذلك فقد كانت بعض العروض خالية من هذه المشاهد التراثية نظرا لإرادة المخرج ابراز الواقعية في العرض، فركز في اللباس على اليـومي ممـا يلـبس خـارج المناسبات والتظاهرات.

تجليات التراث في الديكور

يعتبر الديكور المسرحي عاملا أساسيا ومهما جداً في العرض المسرحي إذ إنه يضع الخلفية العامة للمسرحية وما يدور فيها من أحداث وحقائق ومفاهيم وأخلاقيات وأحاسيس وهو الذي يعطي الانطباع الأولي للجمهور عن كل ما يراد توصيله من مفاهيم وأحاسيس إليه، ويضبط معها مكان وزمان الحدث والذي كان في الغالب هو الواقع المحلي وقضايا المجتمع المزابي.

ولما كان المجتمع في تجننت ومزاب عموما قد مسته مظاهر العصرنة المادية في جزء كبير من يومياته، ابتداء من العمران الذي تشوه كثيرا وخرج عن خصوصياته وأبعاده الروحية والاجتماعية إذ إن العمران هو انعكاس لتجاوب الإنسان مع المحيط انطلاقا من قيمه، من عدالة وتكافل واحترام.. [51]، مثلما أصبح الحال مع الوسائل والأدوات المنزلية ذات الاستعمال اليومي أو الظرفي، وقد اختفت العديد من الصور والأدوات بشكل جعل الأجيال الجديدة تجهلها تماما، وقد تنبه المخرج مع فريق الديكور إلى ضرورة خلق الوسط الحقيقي الذي عرف به الوسط المزابي أثناء العروض المسرحية التي تعالج قضاياه، إذ إن استحضار الموروث الثقافي في سينوغرافيا المكان، هي فرصة تجعل الكبير يعيش الذكريات وتعرف الصغير بمعالمه وامتداد جذوره، كما أنه يعالج الخلل الحاصل بوضع المشاهد أمام هويته الحقيقية فيحاول أن يصفى الصورة المشوهة من السلوكيات كما ينقي صورة التراث من شوائب العصرنة العالقة به.





فقد يتجاوز الديكور حدود المجال الواقعي بالصورة التراثية ليتمثل تقنية الديكور بعناصر جمالية من عبق وعمق التراث، بما يعطي للعرض لوحة فنية أقل ما يمكن عنها أنها احتفالية واستعراضا وسط احتفالية العرس، إذ لا بـد أن نستحضـر أن العدد الأكبر من التمثيليات كانت مناسبة الأعراس مهرجانا لها، فقد تضاف بعـض القطع التراثية والأواني والإكسسوار فوق الخشبة دون أن يكون لها أدنى فعالية في العرض بقدر ما يراد به جانب الموروث الثقافي، وقد أصبحت ذات أثر طيب مـع العرض كأن تستغل الزرابي والأفرشة التراثيـة لتغطيـة الـديكور والإكسسـوار الخاصة بالمشاهد التالية أو المشاهد السابقة، ليوحي للمشاهد بالمكان المقصود فـي المشهد كالانتقال من المطبخ إلى قاعة الضيوف أو المكتب أو التحول إلى الشارع..

كانت مسرحية "زُورَنَّغْ دْ زُورْ نْ تَزْدَايْتْ" تراثية بامتياز، اتحد فيها المقام مـع المقال، وبشكل طبعها بالطابع الاحتفالي، وقد أديت على شكل أوبريت كان الحاضر الأكبر فيها نخلة كبيرة وسط الخشبة، وحولها دار الحوار الذي أصـل لموضـوع النخلة وعلاقته بالأجداد، والأمثال التي قيلت حولها والأهازيج التي غنى المزابيون عنها، ومنها ربط أصالة وعراقة المزابيين وارتباطهم بأرضهم بعمق جذور النخلة في الأرض، كما رتب فيها ديكور ولباس ليتناغما معها زمانا ومكانا وبشكل سـمح بأخذ صورة تحفظ للأجيال معاني التراث وصلتها بهوية الإنسان.

خلاصة:

يعتبر الموروث الثقافي عنصرا مهما وأساسيا في صناعة الهوية وإقامة اللحمة الوطنية ضمن تنوعها الثقافي والجغرافي، وكثيرا ما ارتبط هذا الموضوع بمرحلة متميزة من عمر الإنسان وهي المراهقة، فالفرد في هذه المرحلة العمرية يبحث عن أجوبة لثلاثة أسئلة رئيسية ومنها إلى أين أنتمي، وبالتالي فالصورة المشوهة التي تنطبع في ذهنه تعطي للمراهق المجال واسعا للدخول في جو من المتناقضات وبالتالي عدم الاتزان في هويته واضطراب في شخصيته، وهو ما يظهر جليا على مستوى البلدان النامية التي عاشت ردحا من الزمن تحت نير الاستعمار الذي عمل التشويه وتذويب العناصر الهامة من الهوية الشخصية لصناعة إنسان جديد ذي هوية تميل إليه وتشعر به وتخدم مصالحه.

وقد حاول المسرح في تجننت من خلال فرقة أمنير لجمعية الوفاء أن يسد هذه الثغرة، التي خلفها الاستعمار ووسعتها التحولات السريعة في ظل النظام الدولي الجديد الذي يدفع إلى العولمة وتنميط المجتمعات التي تتوفر فيها القابلية للاستغلال والهشاشة في الثوابت وذلك خدمة لأغراضها وهو ما يعبر عنه بالاستلاب الحضاري والاغتراب الفكري، وذلك من خلال العمل على تقويم دعائم الثوابت الوطنية من خلال تعريف الأجيال بالتراث والموروث الثقافي النابع من عمق الحضارة المحلية.

وقد قطعت أمنير في ذلك أشواطا كبيرة من خلال اللوحات المسرحية العديدة التي أدتها، موظفة الموروث الثقافي المحلي كأداة تعالج به الظواهر والآفات التي يعود أساسها إلى ضبابية الصورة الذاتية لدى الأجيال، ولكن تلك الجهود الفردية تبقى قليلة أمام الطوفان الجارف للعصرنة، إن لم تثمن تلك الجهود بمزيد الاهتمام إذ أن المسرح من الأنشطة الفنية التي تساعد الفتيان في امتلاك الملكات المختلفة ورغم ذلك فهو نشاط يعاني في تجننت عموما من نقص في التكوين وغياب في وسائل العرض من إنارة متخصصة وغيره..

بالرغم من أن اللباس التقليدي بمزاب لا يزال يحافظ على وجوده واستمراره إلا أنه يعاني أمام عوادي الزمن وما يتهدده من بدائل قد لا ترقى إلى مستواه ولا تعبر عن قيم أو أعراف المجتمع، لكن الاستهلاك وضبابية الصورة جعلت اللباس التقليدي يتراخى أمامه، وهو ما يبين ضرورة الاهتمام والتعريف به في العروض المسرحية حتى ولو كان الظهور به في بعض المشاهد قد يكون استعراضيا أكثر منه واقعيا.

والحال نفسه مع اللغة أو اللسان الذي يعتبر الوعاء الحامل والحافظ للحضارة فقد تأثرت كثيرا بالظروف الخارجية وتنازلت عن كثير من كنوزها لصالح البدائل التي لم تعد تعبر بالشكل الممتاز عن الموروث الحضاري وعن القيم التي تخلق بها عشرات الأجيال وحل محلها انفلات وانغماس في التأثر مظهرا وسلوكا، وهو وضع غير صحي وجب تصحيحه من خلال التثقيف والوعي وإعطاء القيم والتراث المحلي الإنساني بعدها الحقيقي لبناء هوية وطنية متكاملة في إطار تنوعها وثرائها، وكما في المثل التنوع دليل الثراء.

هوامش الدراسة:

[1] – كان يقوم في الماضي بهذه الخدمة الإماء.

[2] – مما يروي لي الوالد الكريم ذلك التضامن حتى في جمع الوسائل اللازمة لما لـم تكـن دار الحجبة تملك العدد اللازم من صحون وأطباق وأفرشة وموائد وملاعق للوليمـة العامـة ثـم إعادتها إلى أصحابها...

[3] – يعرف مرافقو العريس بـ "لْوَزْرَانْ" وهي من العربية الوزراء أو حجاب الملك، إذ يعتبـر العريس في تلك الأيام ملكا متوجا، يحيط به مجموعة من المستشارين والوزراء.

[4] – هذا التقليد لم يعد ساريا في أيامنا، فالعريس هو الذي يختار المرافقين من أصحابه.

[5] – كان من بين البارزين في تنشيط هذه الموائد الفنية خلال الستينات الشيخ محمد سعيد كعباش والأستاذ بلحاج بن عدون حاج امحمد والأستاذ حاج قاسم بن اسماعيل اسماوي، وطالب باحمد صالح بن يحي وحاج ابراهيم ابراهيم بن حاج احمد وحاج محمد عمر بن محمد بـن بهـون وحاج أيوب ابراهيم القرادي وبكلي بابه طالب بلال وسماوي باحمد باحمد بن محمد واسماوي ابراهيم بن حمو حاج امحمد باحمد بن محمد خير الناس عيسى بن الطالب ابـراهيم وبكلـي باحمد بن يحي وبكلي بن عبد الرحمن وبن لولو عمر بن صالح بن لولو صـالح بـن بهـون وحمودين ابراهيم بن محمد وعبد العزيز عمر بن محمد.

[6]– تسمى كذلك لأن العريس يحتجب فيها ليزوره الأهل والرفاق لتهنئته والدعاء له بالسعادة.

[7] – السيق: عبارة لعبة تكون بقطع من عصي سعف النخيل.

[8] – لعبة الفنجان: يجمع عدد من الفناجين المقلوبة فيوضع تحت أحدها شـيء ويطلـب ممـن أغمض عينيه أن يجد مكانها، بالانتباه إلى أدنى تغيير حدث في مكان أحد الفناجين.

[9] – هذه المظاهر من أغاني شرقية أو ألعاب والتي كانت من صيحات ذلك الوقت لم تعد تقليـدا متبعا، وقد أبدلت في حال خلت الفترة الصباحية مـن أي نشـاط – نـدوة فـي التربيـة أو الصحة..– بأغاني من عبق التراث بالمزابية.

[10] – لم يكن المسرح مسرحا بالمعنى الأرسطي وإنما هو مسرح باعتبار توفر بعض عناصـره الزمان أو المكان أو الحدث، وبوجود الأداء والتمثيل، وهو يشاطر الطريقة مع الحلقـة فـي الموروث الشعبي إلا أن الغائب في هذا الطرح المحلي هو الأسطورة والشعر والخيال وإنمـا كان واقعيا.

[11] – لقاء مع الأستاذ حاج سعيد مصطفى بتاريخ 30 مارس 2018.

[12] – كانت هذه الطريقة في العرض أيضا تميل بهذا النوع من المسرح إلى الطبع السردي، فهو يزاوج ما بين الكوميديا والحلقة والسرد، إلا أن هذا الطابع الأخير لم يكن يرق للجمهور، فقد كان وجود السيد باباعمر على الخشبة هو إيذان بانتهاء الحفلة فيسـارع الكثيـر مـنهم إلـى الخروج دون انتظار خاتمة كلامه.

[13] – وكان وراء هذه المبادرة حاج اسماعيل مسعود بن بهون، وكانت اجتماعاتهم ومقر تدريبهم الأول بدار عشيرة آت الخلفي، وقد أدخلت المجموعة تحسينات في أدائها وطريقتها، ومنهـا أنها أصبحت تقدم الأناشيد والوصلات الفنية في الحفلات العامة بدار الحجبة وغيرها وقوفـا قبالة الجمهور بعد كانوا يستديرون جلوسا على مائدة مستطيلة طويلة "الطَّابْلَه نْ لَبْيَاتْ"، لتبقى هذه الأخيرة خاصة بالحفلات العائلية الصغيرة.

[14] – الأستاذ عيسى صالح، لقاء يوم 26 مارس 2018.

[15] – كان كل حي في القصر أو في الضواحي يشتهر بنشاط معين كالكرة... وبـبعض الفتيـان المتزعمين لأقرانهم.

[16] – الأستاذ حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018

[17] – نظرا لعددهم القليل فقد كان الفتيان الذين هم الآن في سن الخمسـين والسـتين يتـذكرون أصحابها، إذ كانوا يقصدون أقرانهم ممن ملك ذووهم التلفاز ليشاهدوا معهم تلـك السـاعة أو الساعتين من عمر البث اليومي الذي يصل المنطقة آنذاك.

[18] – الأستاذ حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018.

[19] – الأستاذ بن عيسى عبد الله بن حاج حمو، لقاء 19 أفريل 2018.

[20] – عرف هذا المكان في فترة الثورة التحريرية بنشاطه الثوري الكبير كنقطة لقاء بين المسبلين داخل القصر والمجاهدين، إذ يتم على هامش التجمعات العادية لئلا يلفـت الأنظـار. انظـر مقالتي: النشاط الثوري في قصر العطف من خلال كتابات المجاهد محمد سعيد كعباش.

[21] – لهذا النشاط بعد تاريخي يعود إلى عهد البعثات البيوضية إلى تونس وإلى الأربعينات وكان من بين المسرحيات المشهورة آنذاك "بلال بن رباح" والتي مثل شخصيته المجاهد بكلي بابـه أحمد واشتهر من حينها بالطالب بلال. وهذه الفترة أقدم من الفترة موضوع المقـال ولـذلك ذكرناه إشارة.

[22] – كان الأستاذ عبد العزيز بكير من بين الأساتذة المتفردين الـذين كـانوا يحـاولون كتابـة نصوص مسرحية موجهة للاخراج والتمثيل، وقد استعانت به هواة المسرح بتجنينـت كثيـرا ولسنوات عديدة.

[23] – يعد عيسى صالح بمثابة المؤسس، وممن تعهد فيه بالتأطير الأساتذة حاج امحمد بالحاج بن عدون وبكلي بكير بن عبد الرحمن، وكان الفوج يسير بتوجيهات حاج أيوب ابراهيم القـرادي ويساعدهم بخبرتهم في التأطير الثقافي كل من دادي حمو بكير بن سـليمان وحـاج محمـد ابراهيم بن عيسى لما كانوا طلبة في الأغواط.

[24] – كان للمرحوم حاج امحمد باسعيد بن عمر دور كبير في تشجيع هذه الكوكبة الشبانية بصفته مناضلا في مقاطعة الحراش، وكان يزودهم بالعتاد والاتصالات بمراكز التنشـيط والشـبيبة بالتل.

[25] – من الوجوه المعروفة في هذه الجمعية والتي زارت المنطقة مؤسسها جيلالي بوجمعة.

[26] – الأستاذ حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018.

[27] – نظرا للعلاقة الحميمية التي كانت تجمعه بالمؤطرين فقد كانوا يسمونه "دَادِّي جدري" تقديرا له ولجهوده.

[28] – حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018.

[29] – اشتهر الأستاذ أعبود باستعمال الدف بشكل يوحي أنك أمام مسرح القوال أو الحلقة، ولكن الاختلاف أن المواضيع ليست تراثية وإنما مستلهمة من الواقع وهي نفس التجربة التي تربى عليها في المسرح الفكاهي.

[30] – رغم اعتناء المدرب بإقحام المؤثرات إلا أن هذا الطابع الاحتفالي بقي نشاطا غير بعيد عن المسرح المدرسي والكشفي كثيرا، إذ كان في طور النمو والنضج من حيث الفكرة والنص والممثلين.

[31] – مسرحية جادة تعبر عن أفكار الممثل القدير سليمان التي تدعو إلى التفكير بعمق للخروج من الأزمة قبل احتقانها، وهو ما حدث فعلا في أكتوبر 1988 ثم أزمة التسعينات، وقد كتبها وجسدها أول مرة سنة 1983 وطورها على مراحل، وأرفقها بأعمال فريدة على غرار "راك خويا وأنا شكون" "وَلْمَوْجَة وَلَّاتْ"...

[32] – هذه الرؤية الإسلامية الرشيدة التي تمنع الاختلاط إذا لم يكن لذلك داع موجودة أيضا في المسرح الياباني المعبر عنه بـ"النّو" إذ لا ترتقي فيه المرأة على الخشبة .

[33] – بن عافو عبد القادر، لقاء 03 أفريل 2018.

[34] – بن عافو عبد القادر، نفس اللقاء.

[35] – لا تزال بعض فرق الهواة بمزاب تعتمد هذا الأسلوب –الفكاهي الارتجالي– في معالجة المواضيع وتقديم العروض، وترى في ذلك أحسن وسيلة لإقامة علاقة مع الجمهور والمتتبعين وشد انتباههم ومن تم إقناعهم بالفكرة المطروحة؛ على غرار نادي نجوم التمثيل مزاب بغرداية وجمعية التثقيف الشعبي لبني يزقن وعمر باجو القرارة...

[36] – تأسست الجمعية رسميا في أفريل 1991 وكان المؤسسون لها: حاج سعيد ابراهيم بن باحمد وحاج ابراهيم سعيد بن محمد وعيسى صالح بن ابراهيم وبن عافو نور الدين بن عبد القادر وحاج عيسى بن بكير بن عمر.

[37] – من العناصر الفاعلة والمميزة الأستاذ عيسى صالح الذي تخصص في الصناعات التقليدية وهو مكون ورئيس لجنة التأهيل وعضو في غرفة الصناعات التقليدية بولاية غرداية ومشارك فاعل في المعارض التراثية الوطنية وعن التمثيل الدولي الذي تكلف بها الوزارة

الوصية مصالحها في والولاية. وعضو اللجنة الدولية للمحلفين الأفريقية في النسيج الفني والأعمال التقليدية.

(38) – الأستاذ عيسى صالح، لقاء 26 مارس 2018؛ الأستاذ حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018.

(39) – بن عافو عبد القادر، لقاء 03 أفريل 2018

(40) – الأستاذ حاج سعيد مصطفى، لقاء 30 مارس 2018؛ بن عافو عبد القادر، لقاء 03 أفريل 2018.

(41) – الطبعة السادسة، 13–20 ديسمبر 2014. المسرح الجهوي بباتنة.

(42) – الطبعة السابعة، 13–20 نوفمبر 2015. بالمسرح الوطني الجزائري محي الدين بشطرزي.

(43) – تم هذا الاتفاق على هذه التسمية بعد العودة من الطبعة السابعة للمهرجان الثقافي الوطني للمسرح الأمازيغي، بباتنة ديسمبر 2016، وهو يوافق ذكرى المولد النبوي الشريف، ربيع الأول 1438؛ ونفس الاسم تحمله جمعية أمنير لترقية وحماية التراث بتجننت ورئيسها الدكتور يحي بن بهون حاج امحمد وهو من البارزين في هذا المجال، وصاحب مبادرة بعث تظاهرة "إِنَارَنْ" للمولد النبوي الشريف رفقة المرحوم حاج محمد محمد بن باسعيد.

(44) – لهذا الغرض تنظم الجمعية مسابقة في شهر التراث، موضوعها الأساسي اللسان المزابي وتعنونها "أبراس جار إدوران"، وكنت واضع أسئلتها في الطبعات الأخيرة، ومنها الملصقتين المرفقتين في هذا المقال.

(45) – هناك مسرحيات أديت بالعربية الدارجة، وهي موجهة للعروض الخارجية أو سياقها تتطلب منا ذلك، على غرار: عرجون فوق الميت، وكوبرا في دشرة، والعهد المقدس، ...

(46) – جمعها الأستاذ عبده في لقاء 03 أفريل 2018، وقمت بشرحها أثناء صياغة المقال.

(47) – انتاج موسم 2017.

(48) – ألفت وأديت بمناسبة ملتقى الدعاة بمركب القطب اطفيش –العالية–الجزائر، والذي تنظمه مؤسسة الاستقامة، الطبعة الرابعة، نوفمبر 2017.

(49) – مما تقوم به الجمعية تنظيم أيام حول اللباس التقليدي ومعارض في المدارس.

(50) – من الأمثلة التي ظهر فيها الراوي كسارد للأحداث بلباس تقليدي أصيل (تِشْبَرْتْ نَ لَّتْشْ–أَكَرمُونْ) مسرحيتا "مَامَّة حَنَّه نِيوَضْ يَا زَدِّيغْ أُومَا زَدِّيغْ" و"أَهْرُورَدْ نْ وَامُّودْ".

(51) – انظر مقالنا: "العمران في مزاب وفن تهيئة المجال الحيوي، الأعراف الاجتماعية والانعكاسات العمرانية، مجلة جامعة ورقلة، مارس 2014.

البعد البلاغي للغة الأمازيغية
الحكم والأمثال في اللغة المزابية أنموذجا

أ. كروم ح أحمد
أستاذ الشريعة بمعهد عمي سعيد
غرداية – الجزائر
hajahmeedkerrooum@gmail.com

1- مقدمة :

يقول الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[سورة الروم:22]

ويقول نبيئنا محمد صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما" [أبو داود]

جعل الله تعالى من آيات قدرته ووجوده ووحدانيته وعظمته اختلاف اللغات واللهجات بين عباده العقلاء من البشر في جميع مناطق الدنيا حتى سواها الله تعالى بخلق السماوات والأرض في القوة والوجود.

وهذه اللغات واللهجات جميعا رغم اختلافها فإن الله تعالى يفهمها، والله تعالى هو الذي يطورها قوة وضعفا حسب قوة أهلها وضعفهم في الفكر والاقتصاد والاجتماع والدين والعلم .وقد أكرم الله تعالى اللغة العربية عن سائر اللغات السامية فأنزل بها كتابه العزيز آخر الرسالات السماوية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولم يمنع واحدا من الأعاجم الداخلين في دين الله أفواجا أن يحتفظ بلغته القومية إلى جانب تعلم اللغة العربية من الدين الجديد الذي أصبح فيه عضوا متميزا مثل غيره من عرب الجزيرة العربية له ما لهم من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات والالتزامات .

وهذا صهيب بن سنان الرومي لم تنقص من قدره روميته، وهذا بلال بن رباح الحبشي لم تنقص من قدره لهجته الحبشية التي يوقظ بها الناس إلى الصلاة خمس مرات في اليوم .

وهذا سلمان الفارسي لم تقدح في قدره أن يكون من آل البيت رغم أنه عجمي من إيران بل رفع ذلك من قدرهم فأصبحوا من السابقين في الجنة يوم القيامة قال رسول الله (ص):" أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش" [الحاكم عن أنس]

وأعظم من ذلك كله هو إذن الرسول محمد (ص) أن نتعلم اللغات مهما كان مقامها بقوله (ص): "أطلبوا العلم ولو بالصين" [الربيع] فلا يمكن أن نفهم ثقافة الصينيين إلا بتعلم لغتهم ولهجاتهم، كما أننا نجد ممن طبق هذا الفكر العالمي في عهد الرسول (ص) فأذن له أن يتعلم اللغة العبرية لغة بني إسرائيل من يهود المدينة وهو سيدنا زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

وإننا اليوم إذ نحتفل باللغة الأمازيغية لا نقدح في اللغة العربية ولا نبغي بها بديلا، فمثلها كمثل التخصصات التي تعينها الجامعة ليتفرغ لها أبناؤنا مثل الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي أو الأدب الياباني .

فأهلا وسهلا بالرشد في تعلم اللغة العربية، وأهلا وسهلا بالوسطية في تعليم اللغة الأمازيغية، وأهلا وسهلا بالاعتدال في تدريس اللغة الإنجليزية .

ولما سمعت بهذا الملتقى الوطني الذي تنظمه جامعة غرداية استبشرت خيرا وقلت: "إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم " [الأنفال: 70]

ورغبت في المشاركة معكم لعل الله يجعلني ممن أسهم في الخير والصلاح مع هذه الكوكبة الرشيدة من جامعتنا الفتية، واخترت موضوع:

2- "البعد البلاغي للغة الأمازيغية اللغة المزابية أنموذجا "

وهو مما يندرج ضمن المحور السادس من محاور الملتقى: أشكال التعبير الأمازيغي الشفوي والكتابي.

وقد قسمت المداخلة إلى ثلاثة مباحث هي :

أنني عرفت في المبحث الأول بأهمية دراسة البلاغة في اللغات عامة .

وفي المبحث الثاني عرفت بأهمية دراسة البلاغة في اللغة الأمازيغية المزابية

وفي المبحث الثالث شرحت فيه نماذج من الأمثال في اللغة المزابية مع ذكر مضربها وموردها، وختمته بذكر مجموعة من الحكم البليغة التي يحسن لأجيالنا أن تستفيد منها كإرث حضاري من تجارب الأقدمين .

وعندما بحثت عن المراجع التي سبقتني في الموضوع وجدت :

1-ابراهيم عبد السلام و أخيه بكير قد وضعا مجموعة من الأمثال والحكم في كتاب "الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الأمازيغية المزابية " بالحرف اللاتيني.

2-الأستاذ حمودة حمودة وضع أيضا مجموعة من هذه الحكم والأمثال في كتابه "القرارة جوهرة الصحراء" بالحرف العربي وبين معناها باللغة العربية .

3-وقبلهم وجدت الشيخ محمد علي دبوز في تاريخ المغرب الكبير يكتب عن اللغة الأمازيغية في لهجتها المزابية ويعتبرها لغة البربر وينسبها إلى اللغة الحامية التي وجدت لها بقايا في بلاد النوبة بجنوب مصر، ويبين بعضا من ألفاظها وأشعارها وأمثالها وخصائصها التي تتميز بها عن غيرها .

4-وبعدها وجدت الأستاذ يوسف بن بكير حاج سعيد يلخص ما كتبه المصدر السابق ويعتبر اللهجة المزابية من أصل زناتي لأنها قريبة من القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية في الجزائر والمغرب وليبيا .

5-وأما الشيخ سليمان بن سعيد بكاي مع المهندس الزراعي عيسى بن محمد ترشين فقد نسقا بحثا مفيدا عن " ألفاظ النخلة بالعربية والمزابية " و شرحا فيه واحدا وعشرين مثلا ميزابيا باللغة العربية والحرف العربي .

6-ووجدت الأستاذ عثمان سعدي في كتابيه :

" عروبة الجزائر عبر التاريخ " وصنوه " الأمازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ " يرجع اللغة الأمازيغية إلى أصول عربية ويشرح الكلمات الأمازيغية في مختلف مجالات الحياة باللغة العربية ولكنه لم يتعرض للأمثال المزابية .

7-وفي أشغال الملتقى الدولي الخامس حول الصحابي الفاتح عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه المنعقد أيام 03 إلى 05 ماي 2016م بمدينة سيدي عقبة تحت عنوان: "المعرفة والمرجعية الدينية في بلدان المغرب وإفريقيا " وجدت محاضرة للأستاذ معمر شعشوع من جامعة المدية بعنوان: " تلاقح الثقافة الأمازيغية المزابية بالثقافة العربية الإسلامية وإسهامات العلماء المزابيين حديثا أنموذجا " وشرح فيها نشاط النخبة المزابية في الدفاع عن المقومات الوطنية ومقاومة المشروع الثقافي والتنصيري الفرنسي ولم يتعرض فيه للأمثال ولا للألفاظ

واخترت لهذه المداخلة المنهج الوصفي التحليلي حتى أتمكن من استيعاب معظم عناصر الموضوع فما كان في البحث من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ فمن قصوري في هذا الميدان، ومن الله أستمد العون والتوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل .

3- المبحث الأول : أهمية دراسة البلاغة في اللغات :

المطلب 1: تعريف علم البلاغة

البلاغة هي تأدية المعنى الجليل باللفظ القليل الواضح الفصيح، مع ما يتركه اللفظ من أثر عميق في نفوس المخاطبين، ولذلك قيل البلاغة هي الإيجاز والإعجاز .

وبهذا التعريف تتألف البلاغة من لفظ فصيح ومعنى عميق وذوق رفيع في الجمع بينهما مع مراعاة الزمان والمكان .

4- يقول علي الجارم:

" فعناصر البلاغة إذاً لفظ معنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم فرب كلمة حسنت في موطن ثم كانت نابية مستكرهة في غيره[1]"

وهناك تلازم بين الفصاحة والبلاغة، يقول القطب اطفيش: "والبليغ هو ما طابق مقتضى الحال من الفصيح، فإذا كان الكلام فصيحا بليغا فالمتكلم فصيح بليغ "

ثم يقول: "ولا يقدر على تأليف كلام بليغ من لا يقدر على تأليف كلام فصيح ولا يقدر على تأليف كلام فصيح من لا يقدر على تأليف كلام صحيح[2] "

وقد روي عن ابن المقفع أنه سئل عن البلاغة فأجاب: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع وما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة[3]" .

وتظهر أهمية دراسة البلاغة في أي لغة من اللغات في أنها تقوم اللسان وربما تطفىء ثورة أو تقيم فتنة لا قدر الله .

فالواجب على الخطيب والشاعر أن يكون بليغا حتى لا يمل من كلامه المستمعون ولا يرفضه الحاضرون .

فكلما كان الكلام بليغا كان مقبولا ومستساغا، وربما كلمة "الحكمة" هي أحسن عبارة لتقريب المعنى إلى السامعين في ألفاظ البلاغة .

ونجد العبارة الموجزة التي يقدمها الواعظ والخاطب والشاعر لتقوية كلامه وتدعيم بيانه هو "المثل" و "الحكمة" .

والمثل هو عبارة عن حكمة قيلت بعد واقعة أو قصة فتصبح جميع الصور المشابهة لها تكون مثالا يشبه بها .وأما الحكمة فهي عبارة كلمة بليغة تعبّر عن تجربة قام بها الحكيم أو خبرها في الحياة فأصبحت تردد كنصيحة لجميع من يعتبر بها من المستنصحين في الفعل أو الترك .

5- المبحث الثاني: أهمية دراسة البلاغة في اللغة الأمازيغية المزابية

ومن أجل الوقوف على أهمية دراسة البلاغة في اللغة المزابية فالواجب علينا الابتداء بتعريف اللغة المزابية.

المطلب 1: تعريف اللغة المزابية

اللغة الأمازيغية هي اللسان الذي ينطق به سكان شمال إفريقيا من البربر الأصليين في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا وجنوب مصر، والأمازيغية نسبة إلى " مازيغ " .

يقول محمد علي دبوز: "إن البربر الذين سموا أنفسهم أمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ، قد سموا أيضا أنفسهم "بربرا" نسبة إلى جدهم بربر بن تملا بن مازيغ، فهم الذين تسموا بهذا الاسم اعتدادا بجدهم وفخرا بهذا الأصل الشريف من أصولهم(4) "

وقد سمي "الأمازيغ" بربرا من جهة أخرى لأن لغتهم غير مفهومة، وكان العرب تسمي كل صوت غير مفهوم "بربرة" فيقولون: بربر الأسد إذا زمجر بأصواته(5) .

واللغة المزابية هي لهجة زناتة متأثرة بلهجة لواتة وهوارة التي انتقلت من جبال أوراس فحلت بوادي مزاب واستقرت فيه وامتزجت بأهله(6) .

وقد كتبت بالحرف التيفيناغي قبل الفتح الإسلامي، وبعده بادر الأمازيغ آنذاك إلى كتابتها بالحرف العربي تيمنا باللغة العربية لغة القرآن الكريم والدين الجديد فكتبوا بها شعرا ونثرا، وخطبوا بها في الحرب والسلم، وفسروا بها القرآن الكريم والسنة النبوية لجميع الأجيال المتعاقبة في جميع الدول والقرى والقصور والمدن .

وبفضل الهجرات التي قام بها البربر إلى وادي مزاب في فترات مختلفة من التاريخ توسعت اللغة المزابية وتأثرت باللهجات الأخرى فاقتبست كلمات من العربية واللهجات الأمازيغية الأخرى مثل النفوسية بليبيا والشاوية بجبل أوراس بالجزائر والشلحية من بلاد الريف بالمغرب الأقصى، بل إنها تأقلمت مع الظروف المحيطة من الاستدمار الفرنسي الطويل فأخذت منها كلمات فبربرتها مثل:

" الْكَرْيُونْ " لقلم الرصاص الذي هو بالفرنسية "le crayon "، أو "تَدَّارْتْ" وهي الدار مقتبسة من اللغة العربية وكذلك من اللغة التركية أخذت اللهجة المزابية كثيرا من الكلمات المتداولة.

<u>المطلب 2: البلاغة في اللغة المزابية</u>

لا شك أن اللغة المزابية مثل جميع لغات العالم تمتاز بالفصاحة والمجاز والبديع والبيان عند أهلها لأنها تمثل حضارتهم ومستواهم من الوعي والحكمة في تبليغ الكلام وتبسيطه، وتعبر عن ذوقهم الرفيع في اختيار الكلمة المعبرة والحكمة البليغة وأمثلة ذلك كثيرة :

أ- علم البيان:

1- التشبيه :

قول القائل: "إِسْكَرَّاميتْ أَنْ تِيشْبَرْتْ نَتْزَالِّيطْ "

ترجمته بالعربية: "يخفيه مثل لباس الصلاة "

هذا الكلام يقال لمن يعتني بشيء عزيز عليه فيضن به ويخفيه مثل لباس الصلاة لأن لباس الصلاة هو أعز ما يملك المسلم في مزاب وهذا تشبيه مرسل لأن أداة التشبيه " آنْ " أي " مثل " قد ذكرت في العبارة .

2- الكناية:

قول القائل: "حَدَّنِّي إِحَفَّرْ أَنِيلَسْ سِيفَاسْنَسْ "

ترجمته: " هذا الشخص يحفر قبره بيده "

هذه العبارة كناية على التهور ونقص الحكمة في التصرفات التي يقوم بها ذلك الإنسان .

ب- علم المعاني:

ففي موضوع " **الإنشاء** " نجد الأمر ومنها قول القائل:

" أَبِّي تَجَلْضِيمْتْ قَدَّنْ نِيمِتْشْ"

ترجمته: "خذ اللقمة قدر فمك"

وهذه عبارة تتضمن أمراً يفيد الإرشاد لأنها تنصح الإنسان أن يعمل عملا يستطيعه أو لا يحمّل نفسه أكثر مما تطيق .

3- الخبر:

قول القائل: " سَنْ إِغُويَالْ وَلاَ تَدْرَا "

ترجمته: "حماران خير من استعمال سربة"

فهذا إخبار عن تجربة تقع في حياة الناس وهو استعمال أسلوب التنافس خير من أسلوب الترهيب والقوة .

ت- علم البديع:

ففي المحسنات البديعية نجد

6- "السجع"

مثل قول القائل: "وِيُوفِينْ أُولِيطِّيفْ أَدِكَلَّبْ أُولِيتِّيفْ "

ترجمته: "من وجد فرصة ولم يغتنمها بحث عنها ولم يجدها "

فنجد طرفي الجملة قد انتهيا معا بحرف "الفاء" .

7- الجناس:

وهو أن يكون طرفا الكلام متّفقين لفظا مختلفين معنى مثل قول القائل:

"وِيُوفِينْ أُولِيطِّيفْ أَدِكَلَّبْ أُولِيتِّيفْ"

فكلتا الكلمتين " أُولِيطِّيفْ " و" أُولِيتِّيفْ " مختلفتان معنى رغم أنهما متفقتان لفظا.

8- <u>المبحث الثالث:</u> شرح أمثال وحكم بليغة في اللغة المزابية

لقد تراكمت في اللغة المزابية أمثال قيمة وحكم بليغة عبر القرون تنم عن حضارة راقية ووعي عميق لدى أصحابها، يقول الشيخ محمد علي دبوز: " وفي اللغة البربرية أمثلة حكيمة يتمثلون بها في المقامات، وهي كقواعد في الأخلاق ومواعظ للناس، يغني المثل الواحد عن الكلام الطويل(7) "

ثم يصف الرجل البربري بالحكمة والدهاء والوقار قائلا: " إن البربر دهاة حكماء " ثم يضيف قائلا: "إذا تكلم أحدهم في المجلس يتكلم في وقار وعمق وفي إيجاز بليغ لذلك كثرت الأمثلة في لغتهم(8) ".

وتخليدا لهذا التراث اللغوي الأصيل رأيت من الأفضل شرح مجموعة من هذه الحكم البليغة والأمثال الشعبية لتستفيد منها الأجيال ويثروا بها أحاديثهم في المجالس والمنابر والمعاملات اليومية لعلّي أساهم معهم في الحفاظ على هذه الحضارة الإنسانية الجزائرية المجيدة .

<u>المطلب الأول: الحكم البليغة</u>

أشرح هنا بعضا من الحكم البليغة لتستفيد منها الأجيال الصاعدة

1) وِيخْسَنْ سُوفْ أَسْيَخْدَمْ الْقَايْلَتْ تَحْمَى

ترجمة هذه الحكمة: من أراد أن يستفيد من ماء السيل بسلام فعليه أن يعمل له في قيلولة حارة

تقال هذه الحكمة: لمن أراد أن يستفيد مثل الآخرين فعليه أن لا يضيع الفرص

2) أَيْتَغْلِيدْ أَلْجَنَّتْ أَلْعَافِيَتْ تَغْلاَ أُوجَارَنَّمْ

ترجمة هذه الحكمة: كم أنت غالية أيتها الجنة ولكن العافية أغلى منك

وهذا صحيح لأن الجنة إذا لم تكن فيها العافية والطمأنينة فإنها لا تسمى جنة

3) تَوَشِّيتْ أَنْ لِيحْسَانْ دَاتْفَاوْتْ نَدُّنِّيتْ

ترجمة هذه الحكمة: عدم الاعتراف بفضل المحسن إليك يعتبر نار الدنيا

تقال هذه الحكمة لمن أنكر فضل المحسنين إليه حتى يكف عن ظلمه.

4) وَتَسْوَاقْسَنْ تَلَفْسَا أَدِيقُّودْ يُوزَلُّومْ

ترجمة هذه الحكمة: من أضرته أفعى فإنه يصبح يخاف من الحبل

تقال هذه الحكمة لمن يحرص على أموره ولا يثق في الآخرين.

5) أَلَمْ أَمَلاَّلْ أُوجِي قَاعْ تَدُونْتْ

ترجمته إلى العربية: الجمل الأبيض ليس كله شحم.

تقال هذه الحكمة لمن أخطأ الصواب بسبب نقص تعمقه في الأمور وعدم تبصيره بها.

6) أُولِتْغِيضِي دَاسَنَّانْ نَتْزِيوَا ولَكنْ أَدِيغَاضْ دَاسَنَّانْ نَتَبْصِي

ترجمة هذه الحكمة إلى العربية: لا يحزننا لسع أعواد القصعة لأنها مصنوعة منه وإنما يحيرنا لسع أعواد الصحن الذي هو غريب عنه.

تقال هذه الحكمة لمن يشذ عن جماعته من دون أن يتوقع منه ذلك .

7) تِيرْسَالْ نُوغَرْمْ عَاوْنَنْتْ تِيرْسَالْ نَلْغَابَتْ

ترجمة الحكمة: أعمدة المنسج الذي تسيره المرأة في المنزل قوت أعمدة البئر الذي يسقي به الرجل بستانه

تقال هذه الحكمة لمن وجد له سندا قويا في نشاطه الخيري أو الكسبي

8) عَمْرِي أَغَرْمْ أُولَدْيُولِي دِيوَاسْ

ترجمة هذه الحكمة: لم تُرفع أبدا قرية في يوم واحد.

تقال هذه الحكمة لمن يستعجل الأمور ولا يتأنى فيها.

المطلب الثاني: أمثال مفيدة

9) حَدَّنِّي إِسْشُورَا فْتَرْغَتْ

ترجمة هذا المثل: فلان يجمع خيوطه على جمرة

يقال هذا المثل لمن لم تظهر نتيجة عمله رغم كثرتها

10) حَدَّنِّي تُفَّاسْ تّشَّاتْ غَلَبْعِيدْ

ترجمة هذا المثل: هذا الشخص جريد نخله يضرب بعيدا

يقال هذا المثل لمن يستفيد من نشاطه الأباعد دون الأقارب

11) حَدَّنِّي إِيدْجُو تْيَازِيطْ أُولْمَانْ

ترجمة هذا المثل: هذا الشخص فعل مثل الدجاجة في الخيوط

يقال هذا المثل لمن اختلط عليه الأمر فلم يستطع حله

12) أَجْرُونْ أَنْ إِيخْسَانْ نَتْبَجْنَا

ترجمة هذا المثل: هؤلاء اجتمعوا مثل عظام الجمجمة

يقال هذا المثل لجماعة اتحدوا في أمورهم وتعاونوا فيها.

13) حَدَّنِّي دَزِّيتْ دَنَّاجْ وَامَانْ

ترجمة هذا المثل: هذا الشخص يشبه الزيت فوق الماء

يقال هذا المثل لمدح شخص محمود السلوك والأخلاق.

14) أَوَنْ مِيدَّنْ أُولْتْوَاجْرُونْ أَ نُومَنْدِيلْ نَتْسَقْسِينْ

ترجمة هذا المثل: هؤلاء الناس مختلفون ولا يجمعون مثل عراجين الخوان

يقال هذا المثل لمن ظهر منه الإصرار على الخلاف وعدم احترام الرأي الآخر ورفض الاتحاد.

15) حَدَّنِّي أُولِيتْجِيوِينْ أَنْتِيمْ تِيرَسْتْ تَدَرْغَالْتْ

ترجمة هذا المثل: هذا الشخص لا يشبع يشبه البئر الذي لا قعر له

يقال هذا المثل لمن لا يقنع بالقليل من المال أو الخير بل هو دائما يطلب المزيد.

16) حَدَّنِّي إِيدْجُو تْغَاطْ أَنْتْسِيرَا

ترجمة هذا المثل: هذا الشخص يفعل مثل معزة المطاحن

يقال هذا المثل لمن لا يذهب مباشرة إلى المكان الذي يقصده بل يتوقـف فـي طريقه في عدة أماكن مثل المعزة التي ترجع من المرعى ولا تذهب إلـى منزلهـا مباشرة بل تدخل في غرفة الرحى لبعض المنازل لتأكل بقايا الطحين.

9- خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في حكمة اللغة المزابية وأمثالهـا وإبـراز الجانـب البلاغي منها أوصي بما يلي:

1- وجوب الاهتمام باللغة الأمازيغية المزابية لأنها لغة حضارتنا عريقة.

2- إذا أردنا أن نحافظ على شرف اللغة المزابية يجب أن نكتبهـا بـالحرف العربي حتى لا تكون غريبة عن العربية.

3- تكثيف اللقاءات وتنظيم الورشات والندوات من أجل البحث عن أسرار هذه اللغة الإنسانية.

4- التحفيز والتكريم على التأليف باللغة الأمازيغية المزابية حتى نسترجع لها هيبتها وفعاليتها في المجتمع الجزائري.

5- الحذر من مغبّة استغلال هذه اللهجات الوطنية استغلالا سياسـيا للتفـرق والاختلاف.

إلى هنا يتوقف قلمي عن الكلام المباح وأرجو أن أكون موفقـا فـي الطـرح والعرض كما وفقتم في التنظيم المحكم لهذه التظاهرة الأدبية المجيدة.

أشكر لكم كرم الإصغاء والمتابعة والله الموفق للصواب والسلام عليكم ورحمـة الله.

10- المراجع والمصادر:

6- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ط11، دار المعــارف، مصــر 1953/1372

7- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ط1، مصطفى عيسى البــابي الحلبــي مصر، 1964/1384

8- إبراهيم عبد السلام وبكير عبد السلام: الوجيز في قواعد الكتابة والنحــو للغــة الأمازيغية "المزابية"، ط1، المطبعة العربية غرداية، 1996/1417

9- حاج سعيد يوسف: تــاريخ بنــي مــزاب، ط4، المطبعــة العربيــة، غردايــة 2017/1438

10- عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التــاريخ، ط1، الشــركة الوطنيــة للنشــر والتوزيع، الجزائر، 1982

11- عثمان سعدي: الأمازيغ البربر عرب عاربة، ط1، بلا مطبعة، الجزائر، 1996

12- حمودة حمودة: القرارة جوهرة الصحراء، ط1، بلا مطبعة، 2018/1439

13- سليمان بن سعيد بكاي: ألفاظ النخلة بالعربية والمزابية، ط1، بلا مطبعة، 2006

14- الشيخ محمد بن يوسف اطفيش: تخليص العاني من ربقة جهل المعاني، تحقيــق الدكتور محمد رمزي، ط1، وزارة التراث، سلطنة عمان، 2009/1430

15- الدكتور شوقي ضيف: البلاغة تطور وتــاريخ، ط1، دار المعــارف، القــاهرة 1965.

11- هوامش الدراسة:

---

(1) - علي الجارم: البلاغة الواضحة ص9

(2) - القطب اطفيش: تخليص العاني من ربقة جهل المعاني ص1

(3) - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص20

(4) - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج1 ص26

(5) - المرجع السابق نفسه ص26

(6) - المرجع السابق ص50

(7) - دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج1 ص51

(8) - المرجع نفسه

أعلام الشعر الأمازيغي والفرق الفنية
وأهميتهما في بنية المجتمع الأمازيغي بمدينة تاجنينت

أ: الحسين عمر حاج عيسى
جامعة الأردن
norislam1900@gmail.com

المقدمة

يعتبر الفن أكبر مظهر للجمال يعبر به الانسان عن فرحه وسعادته بالعالم وفي العالم، ولقد كان الفن دائما وسيلة قوية يعبر بها الانسان عما يختلج في صدره من مشاعر وأفكار ورسائل يعبر بها عن نفسه ولغيره.

حينما يلقي المتأمل نظرات في الانسان وفي تاريخه الماضي والحاضر، فإنه سيلحظ أن فطرة الانسان مناسبة تماما مع فطرة الكون ولا عجب، كما يلاحظ أن العالم بما فيه يظهر نفسه لِعُمَّاره بجماله الخلاب، وفنِّه الأخَّاذ للألباب، حتى انعكس ذلك الفن والجمال على الانسان ليكون صفة لسمعه وبصره وتفكيره وحركته وروحه التي يصنع بها الحضارة المنشودة، وبها يرد الظلم، وينشر العدل والاستقامة والنظام في العالم ليحافظ على رونقه وأمنه. ، ولقد نقل لنا أبو حامد الغزالي عن أحدهم كلاما بليغا بديعا في هذا المعنى فقال: "من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج ليس له علاج"(1).

ومن أشكال الفن المنتشر في المجتمعات والتي كان لها الأثر العميق في نفوس روادها، الشعر والغناء، فهاذان الفنانان حينما يجتمعان معا فإنهما يصنعان سنفونية عالمية باهرة ترقق القلوب، وتدخل السعادة في الأرواح، والعقلانية في الأفكار والنظام في السلوك، والجمال في البلدان.

انطلاقا من هذه المقدمة نطرح الإشكالية التالية: من هم أعلام الشعر والغناء الأمازيغي في منطقة <تاجنينت> بولاية غرداية، وكيف أثَّر هذان الفَّنانان تأثيرا إيجابيا في المنطقة كنموذج مصغر للمجتمع الأمازيغي بالجزائر؟.

المبحث الأول: أعلام الشعر الأمازيغي في بلدة "تاجنينت" وأشعارهم وأهم المعاني المستنبطة منها.

تزخر مدينة الألف عام "تاجنينت" بمجموعة من الشُّعراء المهتمِّين بالشِّعر الأمازيغي كتراث نفيس من عمق المنطقة، به يعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم وهمومهم ورسائلهم لسكان المنطقة، ويشاركونهم فرحهم وسعادتهم في مختلف المناسبات الدينية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

وفي جلسة علمية ودية[2] جمعتني مع ثلة من الأساتذة الشعراء[3] المهتمِّين بكتابة الشعر المزابي الأمازيغي، أفادوني بأنَّ أهل البلدة "تاجنينت" قبل 20 عاما فقط اهتموا بكتابة الشعر الأمازيغي، أما قبل ذلك أي بعد الثورة التحريرية المباركة فكان الاهتمام الكلي باللغة العربية، ذلك أنه كان هدف الحركة الاصلاحية في الوطن بعد الثورة التحريرية هو ترسيخ وتثبيت اللغة العربية والهوية الوطنية في نفوس المواطنين، باعتبار اللغة العربية لغة الدين الاسلامي، وباعتبارها جزءا من الهوية الوطنية، وفي هذا المبحث سنتعرف على هؤلاء الشعراء وأشعارهم وما تحويها من معاني ومشاعر.

المطلب الأول: الشاعر الأستاذ عبد العزيز حاج عمر بن محمد

الفرع الأول: تعريف الأستاذ الشاعر عبد العزيز حاج عمر بن محمد

ولد الأستاذ في مدينة العطف، بولاية غرداية يوم: 25 جوان 1949م، وبدأ التعليم بعد تخرجه مباشرة من شهادة الباكالوريا في الجزائر، ثم انتقل إلى البلدة ليزاول التعليم في مدرسة النهضة العريقة صباح مساء بدعوة من فضيلة الشيخ ابراهيم القرادي لمدة 45 عاما انتقل فيها بين التعليم والادارة والصيانة، وهو خطيب جمعة وعضو حلقة العزابة، ورئيس عشيرة آل حريز، وهو من مؤسسي فرقة فنية عريقة في البلدة إلى يومنا هذا تسمى: "مجموعة الفن والأدب الاسلامي" رفقة المرحوم الحاج اسماعيل مسعود بن بهون، أحد رجالات هذه البلدة وغيرهم ولا يزال إلى يومنا هذا نشيطا في مختلف المناسبات الاجتماعية والعلمية والدينية بما ينتجه من أشعار بلغة المنطقة، وما حباه الله من موهبة في الصوت والتلحين

كذلك، فكان ولا يزال بحق مفخرة ومكسب عظيم لأهل البلـدة يـرددون قصـائده الخالدة في جل المناسبات ويستلهمون منها بديع المعاني والعبر.

الفرع الثاني: القصائد الأمازيغية للأستاذ

اهتم الشاعر كثيرا في قصائده بالجانب الديني والاجتماعي، فكانـت مواضـيع قصائده تتمحور حول هذين الجانبين المهمين في مجتمعه، ومـن خـلال عنـاوين القصائد نرى ذلك جليا فيها وفي سطورها كذلك، وهي:

- الوالدين، وباللغة المزابية الأمازيغية (إمريون)، ألفها الشـاعر عـام 1985 وهي من أشهر قصائده التي ألفها ولحنها وأداها بصوته الرخيم، وهي تؤدى تقريبا في كل المناسبات الاجتماعية والدينية في مختلف قـرى وادي ميـزاب، لجمالهـا وكلماتها المعبرة والمؤثرة في نفوس مسـتمعيها، تـدعو إلـى احتـرام الوالـدين وطاعتهما والاحسان إليهما دائما قبل أن يرجعا إلى البارئ تعالى.
- أتوات سلت غيري، وتعني باللغة العربية: (يا قومي استمعوا إلـي)، كتبهـا الشاعر يوم 16 فيفري 1977، يحكي معاناة أم مع أولادها العصاة الذين هجروها وانشغلوا بجمع المال الحرام والفرقة والغيبة والنميمة فيما بينهم، وأوصـتهم أمهـم بتقوى الله ورعاية اليتيم والتربية الصالحة للأبناء، إن أرادوا طريق الجنة فهذه هي بعض معالمها.
- أيوّ أسُّو تليد داجليد، وتعني باللغة العربية: (يا أخي أنت اليوم ملك)، قصيدة حول تهنئة العريس بزواجه الميمون، وفيها ذكر بعض مراسم العرس مع الأهـل والخلان ومنظمي العرس، ودعوات لله تعالى بمباركة العريسين والتوفيق لمن لـم يتزوج بعد.
- دوسان أزوان دييضان، وتعني باللغة العربية: (أيام ذهبت وليـالي)، هـذه القصيدة ألفها ولحّنها الشاعر عام 2011، يتحدث فيها عن رفع مقام الناس بيـنهم بين الحق والباطل، فأوصى الناس بأن يكون معيار التفاضل بينهم هو الحق وحـده وليس شيئا غيره، وبالتالي يجب أن نضع لكل مقام صاحبه الذي يليق بـه، وخـتم القصيدة بدعاء لله أن يهدينا الصراط المستقيم، والقلب السليم ببركاته جل وعلا.

- أويساواضن سيوض، ومعناها باللغة العربية: (يا من توفق وفــق)، كتبهــا ولحنها الشاعر يوم 30 أفريل 1978، وهي قصيدة في تهنئة العريس والدعاء له بالخير والبركات.

- أتازيري، ترجمتها باللغة العربية: (يا قمر)، كتبها الشاعر يوم 30 ديســمبر 1978، ولحنها المعروف بها هذه القصيدة في المجتمع مقتبس، وبالنســبة لقصــة كتابة هذه القصيدة فيصرح الشاعر في جلسة حوارية معه في بيته مشكورا أنه كان في الغربة بعيدا عن الأهل والخلان من أجل العمل، وفي ذات ليلة مقمــرة تأمــل القمر ليلة البدر وتذكر أهله وأولاده وأصدقاءه وتحركت مواجيد الشوق فــي قلبــه فكانت هذه القصيدة بكلماتها وأبياتها وبحرها وقافيتها بلســما شــافيا لآلام الفــراق والشوق للأحباب، ففي القصيدة يسائل القمر وهو العالي فوق جميع الخلائق كأنــه يبصرهم جميعا بعلوه وضيائه، يسائله عن حال الأهل والأحباب، ويريد أن يطمئن على حالتهم، كما يطلب منه أن يبلغ لهم سلامه ويطمئنهم عن حالته في الغربة بين الألم والأمل الذي يتنفسه في كل لحظة!، ثم يوصي أهله بالاهتمام بــالعلم وطاعــة الأم.

- آميدن إينيت امعايا مبروك، ومعناها باللغة العربية: (أيها الناس قولوا معــي "مبروك")، كتبها الشاعر ولحنها يوم 1978م، وهي من أغانيــه المعروفــة فــي مناسبات الأعراس، وفيها تهاني للعرسان ووصايا نفيسة لهم، منهــا أن العــريس أصبح رجلا بزواجه وتحمل المسؤولية، والجميع قد التف حوله يســانده ويحملــه المسؤولية كذلك، ويوصيه بطاعة الوالدين، ويختمها بحسن الدعاء للعريس وكل من وقف وساعد وكان سببا في نجاح العرس.

- لحيا يزوا أمدن، معناها باللغة العربية: (الحياء ذهب أيهــا النــاس)، كتبهــا الشاعر في شهر فيفري 1979 وهي من تلحينه كذلك، وتعتبر هذه القصــيدة مــن أشهر ما كتب الأستاذ وما أداه غناء في المناســبات كــذلك، ولا يــزال الشــباب والفنانون يغنونها إلى يومنا هذا، يستنكر فيهــا الغيــاب الشــديد لشــعيرة الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بجمع المال، كما أحصى مجموعــة مــن

المنكرات التي تحدث في الشارع مما يندى لها الجبين، ويستحيي الباحث حتى من اعادة الاشارة اليها مرة أخرى.

- آيات إيعوبان، تعني باللغة العربية: (أيها الشباب)، ألفها الشاعر شهر جانفي 1977م، يستقبح فيها على المدخنين من قبح منظرهم ورائحتهم الكريهة التي تصدر منهم، وكيف أن الناس يجتنبون مخالطتهم، ثم يشير إلى أن الصحة نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، والدخان نقمة، فليختر الانسان بينهما.

هذه هي القصائد البديعة التي أكرمنا بها الأستاذ الكريم والشاعر الحكيم عبد العزيز حاج عمر، والتي انبثقت من الهم الكامن في قلبه لمجتمعه وأمته المحمدية الخالدة إن شاء الله، فحاول بما حباه الله من مواهب عديدة أن يساهم في تمكين مجتمعه، والملاحظ الدقيق لمعاني كل هذه القصائد تأثيرها العميق في النفوس وواقعِيَّتها وجمالها كذلك مما جعلها مصدر الهام الكثيرين إلى يوم الناس هذا ومصدر فرحهم في مختلف حفلاتهم، وهذا فخر وشرف كبير أن يقوم المجتمع بالاحتفال بما يرضي الله تبارك وتعالى، كما أنه مظهر جلي للحضارة التي يتمتع بها القوم، فلم يزل الشعر والغناء منابر للصدح بالحق والتعبير بالسعادة والأمل والنجاح، ومدخلا مهما وقيما من مداخل الحضارة المنشودة.

المطلب الثاني: قصائد الشاعر سعيد ابراهيم

الفرع الأول: تعريف الأستاذ الشاعر سعيد ابراهيم

ولد الشاعر بمدينة العطف، ولاية غرداية، في 2 أكتوبر 1955م، قضى جل حياته في التعليم أستاذا للغة العربية بمتوسطة الشيخ ابراهيم القرادي بالبلدة، ثم أصبح مديرا لمتوسطة الشيخ سليمان بن يوسف الكائنة في البلدة كذلك. ويعتبر الأستاذ من مؤسسي مجموعة الفن والأدب الاسلامي ومن أبرز الفاعلين فيها رزقه الله موهبة الشعر فأتحفنا بمجموعة من القصائد القيمة من تلحين الأستاذ زكري عبد القادر والتي كان لها ولا تزال صدى معتبر في الوسط الثقافي والاجتماعي، وهو حاليا متقاعد يمارس شؤونه الاجتماعية والشخصية نشطا كالعادة.

الفرع الثاني: القصائد الأمازيغية للشاعر

من خلال التأمل في قصائد الأستاذ نلاحظ اهتمامه الجلي بالطبيعة وجمالها كمظهر بديع يدعو للتأمل لمعرفة العظمة الالهية جل وعلا، كما أنه اهتم بالمنطقة كتراث قومي بأن أفرد لها قصيدة خاصة لها، وللأستاذ اهتمام بالوالدين كغيره من الشعراء فأفرد لهم قصيدة معبرة. كما يتبين لنا من خلال هذه القصائد التي أكرمنا بها وهي:

-إذن أتازيري، ومعناها باللغة العربية: (يا قمر)، وهي حوار مع القمر كآية من آيات الله الجليلة والجميلة، يستمتع الانسان بالنظر إليها وينتفع بخدماتها.

-أتماي، وهي (منطقة غابية في تاجنينت)، وهي تحكي لحظات ممتعة جمعت بين مجموعة من الأصحاب بين الطبيعة الخلابة بمناظرها الأخاذة، فيدعو الشاعر الجميع للاستمتاع بالحياة من خلال التأمل والفرجة باستمرار في الطبيعة الالهية التي خلقها الله لنا، فاليوم حينما ينتهي لا يعود، وعمر الانسان دائما في نقصان مما يستدعي استغلاله فيما ينفع ويسعد.

-أيوا أمميس نتمورت، ومعناها باللغة العربية: (أخي يا مخلوقا من الأرض) وهذه أيضا من أشهر قصائده التي يؤديها الشباب والفنانون في المناسبات، وفي لقاء جمعني بالشاعر أخبرني بأنه كتب هذه القصيدة وهو في رحلة من مدينة الأغواط إلى الجزائر، حيث تعبر أحداث القصيدة عن المشاهد الوجدانية التي تجتاح المسافر مع أهله وخلانه حين عودته من ديار الغربة بعد غياب طويل كما تدعو المغتربين إلى العودة إلى البلدة أحيانا للاطمئنان على الوالدين والأهل جميعا وعدم البقاء كثيرا في الغربة فهذا مما يضر بالأهل إذا لم يكن له راع يحرص عليهم في مختلف نواحي حياتهم.

-أيوا أوتما، وبالعربية معناها: (يا أخي ويا أختي)، من أشهر قصائده، وهي قصيدة يتذكر فيها الشاعر أيام الصبا الجميلة وتلك البراءة في اللعب والجري في الطرقات والاستمتاع بالجمال أينما كان خاصة في الطبيعة وما فيها من خرير المياه وزقزقة العصافير، والهواء العليل، ويدعو بين سطورها أصحابه إلى اللعب والاستمتاع مثله كذلك حينما كان في ذلك العمر.

- تاجنينت أماما القصور، ومعناها باللغة العربية: (تاجنينت يا أم القرى)، هذه القصيدة من أشهر القصائد التي تؤدى بين الفنانين والفرق الفنية في البلدة، يرافقنا الشاعر في أبيات قصيدته بين أزقة تاجنينت وشوارعها ومناطقها المعروفة ويذكرها باسمها، ويعبر لها بمحبته الشديدة لها واستحالة نسيانه لها كذلك، كما عبر عن استعداده الكامل لخدمتها بكل ما عنده من قوة، فكانت هذه القصيدة دعوة لكل المستمعين والقارئين للقصيدة بالاهتمام بالبلدة وخدمتها على الدوام.

- تزدايت نغزر، وتعني باللغة العربية: (نخلة البرية)، جرت أحداث هذه القصيدة في منطقة الحمرايات بتاجنينت (الحمرايات باللغة الأمازيغية: تيزوقاغين) حين ذهب الشاعر رفقة أصدقائه إلى هذه المنطقة الموجودة في منطقة نائية فوق الجبال أين توجد فيه نخلة باسقة وحيدة دون سقي ولا رعاية والذي يميزها أنها بقت حية نضرة طرية على الدوام، ما جعل الشاعر يتساءل متعجبا عن سرها! هل زرعت صغيرة فكبرت أم من وجدت ابتداء من نواة؟!، ثم يذكر الله ويسبحه على هذه الأعجوبة التي رغم أن الانسان لم يرعها إلا أنها قابلته بالإحسان دائما، فهي في خدمة الجائع والمستظل وغيرهم.

- الوالدين، (وباللغة الأمازيغية إمريون): وفي هذه القصيدة يتحدث حول قيمة وقدر الوالدين عند الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، ويدعو من خلال أبياته إلى البر بالوالدين والحرص على الاحسان إليهما لكل من أراد الخير والبركة والتوفيق لنفسه في حياته ونيل رضوان الله تعالى، ويذكر الناس بتضحيات الوالدين طيلة حياتهم من أجل أبنائهم، والآن صار دور الأبناء لرد الجميل أضعافا مضاعفة.

- يور نلفرحنغ، وتعني باللغة العربية: (شهر فرحتنا)، ويقصد به شهر الأفراح والمسرات الخاصة بالأعراس، والتي تقام عادة عبر 3 أشهر في العام، فيصف الشاعر في قصيدته مدى سعادة أهل البلدة بقدوم الأهل والأحباب من الغربة من أجل مشاركة أهاليهم وأحبابهم فرحة العرس، فكل من يبصر القادمين الوافدين من مختلف جهات الوطن وخارجه في كل مناسبة عرس وكل من يسمع زغاريد النِّساء تعلو في كل مكان في البلدة لَيلمس أجواء العيد حقيقة، ويشم عبيره في كل مكان.

فالملاحظ في شخصية الشاعر اهتمامه الكبير بالطبيعة وأفراح البلدة بالأكثر فكان ممن ينشر الأمل وخلق العمل بما وهبه الله من مواهب عديدة كالشعر وتنشيط الأعراس واضفاء جو الفكاهة بين المحتفلين.

المطلب الثالث: الشاعر الأستاذ بن عافو عبد القادر، (المعروف بعبدو).

الفرع الأول: تعريف الأستاذ بن عافو عبد القادر

ولد الشاعر عبد القادر يوم 25 جوان 1961م بمدينة تاجنينت، وهو متزوج وله أبناء، وهو ممرض حاصل على شهادة دولة في علم الأوبئة والطب الوقائي يشتغل ممرضا رئيسيا بمصلحة الوقاية للمؤسسة العمومية للصحة الجوارية بمدينة تاجنينت، ولاية غرداية.

الأستاذ حباه الله عدة مواهب يتمتع بها ويمتع أمته في البلدة وخارجها على المستوى الوطني، له عدة أنشطة اجتماعية منها ترأسه لفرع المسرح لجمعية الوفاء للفن والثقافة، واشرافه على عدة فرق مسرحية في البلدة، كما أنه عميد في المنظمة الكشفية، فوج النهضة للكشافة الاسلامية، ومدرب رياضي، وعضو في بلدية تاجنينت، يترأس فيها لجنة الرياضة.

من انجازاته في التأليف والاخراج المسرحي حوالي 30 مسرحية، نشّط بها الساحة الثقافية في البلدة وخارجها في مختلف المناسبات باللغة الأمازيغية، ويتميز الأستاذ بتأليف الشعر الأمازيغي في مسرحياته كمقاطع شعرية في كثير من المسرحيات التي ألفها.

الفرع الثاني: الرصيد الشعري الأمازيغي للشاعر

ألف الأستاذ عدة مقاطع شعرية حسب مواضيع مختلفة تناولها في مسرحياته الكثيرة التي أثرى بها العقل الجمعي والفردي في البلدة بالقضايا الراهنة التي كانت محل اهتمام المجتمع بمختلف شرائحه، منها دينية وأخرى اجتماعية وتربوية وسياسية. وسيجد القارئ المقاطع الشعرية باللغة الأمازيغية في آخر البحث.

المطلب الرابع: الشاعر باباعدون بكير بن محمد

قام الشاعر بكير باباعدون بتأليف قصيدة أمازيغية واحدة بعنوان: (أطامورت ندزاير)، وتعني باللغة العربية (يا أرض الجزائر)، وهي قصيدة تستذكر أمجاد البلد

العزيز الجزائر في الثورة المباركة، وتذكر ما فيه من خيرات، وتوصي بالمحافظة الشديدة عليه، فهي دَيْن على رقبة كل واحد منا.

المطلب الخامس: الشاعر حاج اسماعيل محمد بن مسعود بن بهون

يعتبر الشاعر محمد من أبرز الفنانين الناشطين على مستوى البلـــدة والجزائـــر حيث كان عمدة في النشاط الفني والاصلاحي بين الشباب، وهـــو المـــدير الفنـــي لأعوام في فرقة الفردوس الفنية في البلدة "تاجنينت"، وينشط كذلك حاليا مديرا فنيا لجمعية الرسالة للثقافة والشباب بالجزائر.

قام الشاعر محمد بتأليف قصيدة أمازيغية واحدة كسابقه الشاعر بكير باباعـــدون سماها: الغربة! وهي تتحدث عن الظروف الصعبة لأهل البلدة المغتربين للعمل أو الدراسة، ويعبر الشاعر عن مدى سعادتهم حين رجوعهم إلى البلدة سالمين غانمين فرحين بلقاء أحبابهم، ثم يصول ويجول بنا بين مختلف الأنشطة الاجتماعية مشيرا إلى الوحدة والتآلف الذي يربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، ويشير كـــذلك إلـــى تأثير القرآن والرجال في صلابة المجتمع وتماسكه، ثم يوصي أخيرا ويؤكد للوحدة والتمسك بالقرآن الكريم كدستور للمسلمين ووسيلة عظمى لنجاحهم وسعادتهم.

المبحث الثاني: رواد الغناء الأمازيغي في بلدة تاجنينت.

من الذين اهتموا بفن الغناء الأمازيغي في منطقة تاجنينت بعد الاستقلال، الفرق الفنية التي كانت ولا تزال تحيي مختلف المناسبات والحفلات الدينية والاجتماعيـــة والعلمية والسياسية، وأول هذه الفرق الفنية نشوءا هـــي مجموعـــة الفـــن والأدب الاسلامي عام 1975م، وتليها جمعية الوفاء للفن والثقافة التي انبثقت من مجموعة الفن للأدب الاسلامي، وتليها فرقة الفردوس الفنية التابعة لعشيرة آل الحجاج وكلها ناشطات في البلدة إلى يومنا هذا، دون أن ننسى الفـــرق الفنيـــة التابعـــة للعشـــائر الأخرى مع تسجيل انقطاعات في نشاطاتها.

المطلب الأول: مجموعة الفن والأدب الاسلامي

أنشئت مجموعة الفن والأدب والاسلامي من طرف مجموعـــة مـــن الأســـاتذة الأفاضل عام 1975م، رفقة المرحوم حاج اسماعيل مسعود بن بهون، وانضم إليها 70 عضوا، وكانت الفرقة الوحيدة التي تنشط في البلدة فـــي بـــداياتها، ولا تـــزال

نشطة مع الفرق الفنية الأخرى، شاركت الفرقة في عدة مسابقات وطنيـــة وفـــازت بالرتبة الأولى منها المسابقة الوطنية للأنشودة، وكذا في المسابقة الوطنيـــة للمـــديح الديني، ونالت في كليهما الرتبة الأولى.

اهتمت مجموعة الفن بالغناء باللغة الأمازيغية بالإضـــافة إلـــى الغنـــاء باللغـــة العربية، وأسعدت المستمعين المحتفلين في مختلف المناسبات بمجموعة من القصائد خاصة الأمازيغية بداية من القصائد التي ألفها الأستاذ عبد العزيـــز حـــاج عمـــر والأستاذ سعيد ابراهيم وأخرى من التراث.

<u>المطلب الثاني: جمعية الوفاء للفن والثقافة</u>

تعتبر جمعية الوفاء للفن والثقافة من أبرز الجمعيات النشيطة فـــي البلـــدة منـــذ تأسيسها إلى يومنا هذا من طرف مجموعة من الفنانين الذين كانوا أعضاء فـــاعلين في مجموعة الفن والأدب الاسلامي، وتضم عدة فروع من غناء ومسرح وتنشـــيط ورحلات، ولقد اهتمت هي الأخرى بالغناء الأمازيغي بالإضافة إلى الغناء باللغـــة العربية، وللجمعية نشاط فني حافل في البلدة وبين ربوع الوطن، كما لها مشاركات في مسابقات ولائية وجهوية ووطنية واستدعيت كضيف شرف فـــي العديـــد مـــن المهرجانات الوطنية والجهوية والولائية كذلك.

<u>المطلب الثالث: فرقة الفردوس الفنية</u>

أسِّست فرقة الفردوس الفنية عام 2001م تحت إشراف الأستاذين: حاج محمـــد نور الدين، وحاج عيسى ابراهيم بن محمد، حيث ضمَّت تسعة أعضـــاء مؤسســـين وكلهم طلبة آنذاك، وهي فرقة تابعة لعشيرة آل الحجاج، تهـــتم بالدرجـــة الأولـــى بإحياء مناسبات العشيرة، وبالدرجة الثانية بعض المناسبات المختلفة في البلدة، ولقد شاركت الفرقة في مسابقة وطنية ونظمت مسابقة ولائية في الانشاد، وكانت ضيف شرف كذلك في العديد من المناطق في الوطن.

وللفرقة عدة فروع تنشط فيها كالغناء والمسرح والتنشيط والـــرحلات والـــدعم المدرسي، ولقد اهتمت بالغناء الأمازيغي كما اهتمت بالغناء العربـــي، ولا تـــزال تنشط إلى يومنا هذا.

كل هذه الفرق الفنية المذكورة تداولت مجموعة من الأغاني الأمازيغية من مثل: وصلاة على النبي، أنسل سالفرح نلا نوسد (سمعنا بالفرحة فأتينا)، تسلت تلا توسد (العروسة مقبلة)، أسو يلاد العيد (اليوم يوم عيد)، أغنت أربي (اغنها يـا ربـي) توطاد القافلة (نزلت القافلة)، أبهان أبهان أوسان انلمان (كم هي جميلة جـدا أيـام الأمن)، أتزيري نيور أتفاوت انييضان (يا قمر يا منير الليـالي)، س جـار ولاون (سمر عائلي في ميزاب[4])، أكرض أمزور (الختان)، أيانوجي (الضـيف)، سـدر أولاولنغ (أحيي قلوبنا). و كذا الأغاني التي ألفها الأستاذين عبد العزيز حاج عمـر وسعيد ابراهيم وغيرها من الأغاني التراثية كثير.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى هذه النتائج:

- تزخر بلدة تاجنينت بمجموعة من الشعراء باللغة الأمازيغية على قلتهم، كما تزخر بمجموعة من الفرق الفنية المهتمة بالغناء الأمازيغي على قلتهم كذلك.
- ملاحظة التأثير البليغ المبارك للشعراء والفرق الفنية على قلتهم في المجتمع الأمازيغي بمختلف شرائحه منذ الانطلاقة إلى اليوم.
- اهتم أمازيغ المنطقة تاجنينت كنموذج مصغر للمجتمع الأمازيغي بعد الثورة التحريرية باللغة العربية ابتداء من أجل الوحدة الوطنية ومن أجل الحفاظ على لغـة القرآن من الاندثار بسبب مخلفات الاستعمار، خوفا من ضياع دينهم ومستقبلهم.
- يعتبر الشعر والغناء وسيلتان تراثيتان من عمق المنطقة حاضرتين بقوة فـي المجتمع الأمازيغي في مختلف المناسبات في البلدة وخارجها، اصـطبغتا بالطـابع الديني والعلمي والتربوي والاجتماعي والطبيعي والسياسي كذلك.
- الحضارة صرح كامل يشيد معالمها الرجال من مختلف الجوانب الحضارية ويعد الشعر والغناء أحد أهم مظاهر الجمال والرقي الذي يهيئ الأفـراد لصـناعة الحضارة المنشودة، ولقد نجح المجتمع بمدينة تاجنينت في بناء هذه اللبنة كما يجتهد دئما في بناء اللبنات الأخرى، ولا يزال على العهد حتى يكتمل ويتحقـق الشـهود الحضاري.

المراجع:

1. أبو حامد الغزالي (505ه)، إحياء علوم الدين، المجلـد الأول، ط3، 2007م دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر

2. عمر ن سليمان بوسعدة، أحوف ن وغلان، المطبعـة الجابريـة، المنطقـة الصناعية، بنورة، غرداية، الجزائر

3. وثائق مقرونة لقصائد بعض الشعراء من عندهم.

ملحقات البحث (نماذج لقصائد الشعراء باللغة الأمازيغية ببلدة تاجنينت، ولاية غرداية).

نموذج من قصائد الشاعر عبد العزيز حاج عمر بن محمد

الوالدين (كتب الشاعر هذه القصيدة عام 1985م)

الوالدين أيوا اعزيزن	**تدارت تيفاو تبها اسيسن**
أنميزض أجرو ورازن	**دتنميرين ديطاعتنسن**
أوليتبيين أنشاننسن	**غير ميتغاب غفنغ تيطنسن**
مادام أيوا توفيتن	**راضاتن تطهليد ديسن**
كل اغبشا صبح غفسن	**أزواش غلييضص ماساتن**
أس سي وسان سبسي نشرا	**جار إفاسنسن سفرحتن**
الوالدين ياك أنومزان	**فسع الحال ايتغاضاتن**
أربو انويوال اسفراحين	**أمغ أودون اتغيرتن**
اسم ماما دبابا يوضا	**اسم أجديد ديوسارن**
القيمتنسن أسو تقضا	**لان توسبان توانهارن**
أسن أولاتدجيد أرجاز	**طارواش دويتليش دوعزامش**
غرسن ديما تليد دارنسن	**والحمق والدسر غفسن**
أيوا تواترا نلوالدين	**تلا مقبولة ألوني اعلان**
توشتيمت أنغ أتاوحديت	**أيني أسنتوش أتازنن**
أوني واصان فلوالدين	**طاروانسن سلحسان غرسن**
ارحم ويموتن اسيس	**تحفضانغ وي اديقيمن**

<u>من قصائد الشاعر سعيد ابراهيم</u>

أتازيري

أتازيري، ربي إضاوايام أتازيري، ربي إعلايام
سواماس نجنوان تسسنيد إيضان

* * *

غفم مدن تزلونن تسولس انييضان اسجم أدجورن
غفم مدن تزلونن تسولس انييضان اسجم أدجورن
غفم مدن تزلونن الله الله تسولس انييضان اسجم أدجورن
أتازيري ربي إضاوايام أتازيري ربي إعلايام
أتازيري أتازيري – أتازيري

* * *

أتازيري، ربي إضاوايام أتازيري، ربي إعلايام
سواماس نجنوان تسسنيد إيضان

* * *

(طلعة) ددم إتران أوحيد اتوانسم – ددم إتران أول تسفرحم
ددم إترااااان أوحيييييد اتوانسم – ددم إترااااان أووووول تسفرحم
أتازيري ربي إضاوايام أتازيري ربي إعلايام
أتازيري أتازيري – أتازيري

* * *

أتازيري، ربي إضاوايام أتازيري، ربي إعلايام
سواماس نجنوان تسسنيد إيضان

* * *

سبحان وني امعلان سبحان وني امضوان
سبحانك ياعظيم الشان سبحانك ياعظيم الشان
أتازيري أتازيري – أتازيري
أتازيري، ربي إضاوايام أتازيري، ربي إعلايام

سواماس نجنوان تسسنيد إيضان

* * *

بورخس مامرقبن رقبن أقارن

بورخس مامرقبن رقبن أقارن

أتازيري ويور عيضاس إبابانغ أنش أمنسينغ، أننو كاكونغ

<u>من قصائد الشاعر بن عافو عبد القادر (عبدو) من مختلف مسرحياته.</u>

تاولعيت تشحن تنو تابجناس اتخير آعزام فوقيمي امع ورجازس

اسوعزام ادولاي، إتونور العقلس سالنور انوعزام التونورن أولون

ميديوليد النور إيتوازعاك سولس اجدو نالخير تدحيت سوضارس

باتا تسودجومم اسجي آميدن سيدندول داللعبت جار تيغماس نوشانن الدونيت

دازمان فلجالنغ أمنغن نتبع أولاون انتاه نجمض جاراسن

الدونيتنغ اتوابنى فشحان دوشاحن ميدن ديس أفلحوالنسن حارن

ووني يكسب ميدن ديس بارن فالرزقس حسبن سشبر اتكيلن

آلديتوامنع سالخير باش ادهانتن توني تدهانت مانش مانش أطلقن ستولعيت

أغلتهدجالت لخلوقنسن همدن غصبنت سوزيوا انتيغيوت ديني ادهانتن لماصى

نزمان اسويوال غفس اسمسادن

إيمارو ادسرسغ جار إيفاسنوم أتركبم اتعاشم استيطاويننوم

تانفوست انحفصة يليتوم دالويل دالجاحيم إيتواظلم

يلا مانايو آديامن يبهت السجوم يلا مانايو إيتويل إعاش ألوم

إيورزام نتويرا ابلا ماغا اديخمم آوال يليس نسيمة إيتطط تيرغين

تسوو تروى الهم سيدمارن تزعلك إيخسانس اتغضغضن

فيرا نالثأر أفويظلمن

هوامش الدراسة:

---

[1] أبو حامد الغزالي (505ه)، إحياء علـــوم الـــدين، المجلـــد الأول، ط3، 2007م، دار الســـلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص723.

[2] الجلسة أقيمت بدار الأستاذ عبد العزيز حاج عمر بن محمد عصر الاربعاء 7 مـــارس 2018 مشكورا مأجورا.

[3] الأساتذة هم: عبد العزيز حاج عمر بن محمد، وسعيد ابراهيم، وعبد العزيز حمـــو بـــن داود. وكلهم من مؤسسي مجموعة الفن والأدب الاسلامي بمدينة تاجنينت.

[4] عمر ن سليمان بوسعدة، أحوف ن وغلان، المطبعة الجابرية، المنطقـــة الصـــناعية، بنـــورة غرداية، الجزائر.، ص31.

مقارنة بين ألسن الشمال والجنوب ودور الإذاعة
في اكتشاف متغيرات الأمازيغية

أ. نجية بوريج
صحفية في التلفزيون الجزائري
leveilley66@gmail.com

الفهرس

مقدمة

الأدب الشعبي مرآة لجميع الشعوب، فهو لغات وتعابير تختلف من أمة إلى أخرى، حسب الموقع الجغرافي للمنطقة وتاريخها، وتعتبر الجزائر من بين شعوب العالم الغنية والمتنوعة بألسنها اللغوية وعاداتها وتقاليدها.

يظهر هذا التمييز في فنونها الأدبية، التي تكون الهوية والانتماءات المشتركة ما بين أبناء الجزائر. فللأدب الجزائري أهمية كبيرة في حياة أبنائها، فمنهم من يعتبره رمزا للهوية، ومنهم من يعتبره وسيلة للتعبير عن تاريخه وبطولة أجداده.

للأدب أنواع منه الأدب الشعري والأدب النثري، كما يوجد أيضا أمثال وحكم وقصص وأساطير، فلكل أدب حقبة تاريخية معينة ومحددة، ويعبر عن أصول ثابتة.

الأدب الجزائري يبقى يتذبذب بين أدب مدون وأدب غير مدون، وهذا الأخيــر يندرج فيه الأدب الأمازيغي في جل المناطق، ويبقى متداولا على ألسن الكبار فقط وتوجد مخطوطات في صحراء الجزائر كاد الدهر ينال منها.

تعريف منطقة الظهرة:

الظهرة هي سلسة جبلية تنتمي إلى الاطلس التلى وتمتد من شرق المغرب إلــى ضواحي العاصمة، الاطلس البليدي، وتتمثل في الولايات التالية " تيبازة، الشــلف، عين الدفلى، تيسمسيلت، غليزان، معسكر" إلى غاية تلمسان...

الظهرة مهد لحضارات راقية، في عهد الدولــة الموحديــة والزيانيــة، حيــث ازدهرت في شتى المجالات، حيث كانت تستغل ثرواتها الغابية لبناء أساطيل لتلــك الدول العظيمة.

سكان المنطقة أمازيغ ينحدرون من دولة زناتة العظيمة.

بحكم الانتماء لقبيلة زناتة فإن منطقة الظهرة والونشــريس بولاياتهــا (تيبــازة الشلف عين الدفلى تيسمسيلت)، إضافة على الاطلس البليدي (البليدة والمدية)، فــإن المتغيرة اللسانية الموجودة بالمنطقة تتشابه إلى حد كبيــر مــع بعــض متغيــرات الجنوب (غرداية البيض أدرار)، ومن خلال ربورتاجات إعلامية إذاعية للأكثر من 28 سنة إلى غاية اليوم كحصة " العش نتسكورت " التــي تــذاع بالقنــاة الثانيــة أسبوعيا، اتضح لنا التشابه الكبير بين المتغيرات لغة وأدبا.

دور الإذاعة في ترقية الأمازيغية:

دور الإذاعة في اكتشاف الموروث الثري لمناطق كثيرة ولمتغيرات امازيغيــة قريبة، فيما بينها خاصة تلك المناطق التي ستكون محور المداخلة (الظهرة البــيض غرداية)

القناة الثانية منذ إدراج المتغيرات الأمازيغية (جويلية 1990) تم التعرف علــى 5 متغيرات، فهي وسيلة هامة في مرافقة الجــامعيين والبــاحثين فــي مــذكراتهم وبحوثهم العلمية، كما ان مجال القناة الثانية يتسع لكل فئات المجتمع عكس الجامعة التي تخص فئة معينة من الطلبة بأساليب دقيقة وعلمية، أما القناة بأساليب متواضعة لكنها مجدية ومفيدة وبدون تنقل او عناء.

حصة " العش نتسكورت " من الحصص التي تمكنت من الوصول إلى كثير من المناطق لأول مرة، لأن القناة الثانية قبل 1990كانت قبائلية قبل أن تصير أمازيغية ب 5 متغيرات وتمكنت الحصة من اكتشاف متغيرات جديـدة ورجليـة (ورقلـة) تشلحيت (بوصمغون البيض)، وفي السنوات الأخيرة تصلحيت (البليدة) وتسـحليت (خراطة) وجنات (تيسمسيلت)، فاطلعت على آدابها شـعرا وغنـاء ولغـة، هـذه المتغيرات لا تختلف في مضمونها بل تختلف في لفظها أحيانا، فمنها ما تختلف في نطقها حسب البيئة والمنطقة، حيث تنتسب إلى لغة واحدة هي الامازيغية.

المتغيرات الأمازيغية تختلف تسمياتها من منطقة إلى أخرى، فبمنطقة الظهـرة من جبال الونشريس إلى جبال الاطلس البليدي، تتغير من القبائلية وليس الشـنوية (تيبازة والشلف وعين الدفلى) إلى جنات بالعربية زنات بثنية الحـد بـرج الأميـر (تيسمسيلت) إلى تصلحيت (البليدة). فمتغيرات الظهرة قريبة من المزابيـة ومـن تشلحيت (البيض) وتزناتيت (أدرار) والتشابه يكمن في النطق واللفظ فـي أغلـب الأحيان، وآداب هذه المناطق حتما متشابهة.

النماذج المختارة للمقارنة بين المتغيرات:

1-القصة:

تعتبر القصة فنا من فنون الأدب وهي قديمة جدا، أول رواية أمازيغية "الحمـار الذهبي لوكيوس أبو اليوس" من قرية مادور أو مداوروش (سـوق اهـراس) 125 ميلاد.

تعرف بأسماء مختلفة عند الأمـازيغ حجيـت (تيبـازة) تنفوسـت (غردايـة) تمشهوت (قبائل)، تنقيست أو تنفوست (الهقار)، وهي أنواع قصيرة وطويلة، ونوع ثالث حجيت أوفكي (الألغاز) والمعروفة بتيبازة أو تيمسعراق بالقبائل

للقصة مقدمة، جاجيت كوم، نتش تحاجيت سق إخفيو ار إضـرنيو ... وتلـي العقدة ثم الحل في النهاية، وتختم بحكمة أو مثل شعبي وتكون القصة علـى لسـان إنسان أو حيوانات أو حشرات. وهناك عدة قصص في منطقـة الظهـرة: أعقـون إقعبان هاوورث –أراشت 7 وتماس – أرياز إقروحن ألحج أذ 7 يسيس – عيشـا مييغضن – همزة أذ بقديش ...

القصة الشعبية رغم اختلافها من منطقة إلى أخرى تتفـق علـى الشخصـيات الرئيسية، كهمزاأو الغولة وهي رمز للشر، وشخصية بيقديش أو مقيدش الذي يرمز إلى الخير، من خلال قصص جميلة وشيقة ومميزة خلال السـهرات تحكـى مـن طرف الجدة، وتمنع نهارا لاعتقادات شعبية بأن احفادهم سيولدون صـلع، بحيـث تتفق عليها جل المناطق.

القصة منذ الأزل مدرسة يستعين بها الأولياء لتربية أبنائهم وتـوجيههم للحيـاة فهي تحمل رسائل وعبرا وتنبه للحذر من الغرباء، كما هو الحال للغولة أو همـزا وتحث على عدم فتح الباب للغرباء مثل قصة الأب الذي ذهب إلى الحـج وتـرك بناته الـ 7 في البيت لكن احداهن تخلت عن الوصية وفتحت الباب للغولة فكانـت الفاجعة، وايضا الحذر من صاحب العيون الزرقاء والخضراء فهو الشخص الـذي لا يؤتمن وقد يدل على المستعمر او العدو عند الامازيغ، وتبقى رسائل القصـص رموز للشر وللخير وتعلمهم الذكاء والحكمة. والقصة التي اخترناها: همزاوبقديش بو لهموم.

القصة جميلة جدا من التراث تدور أحداثها بين الغولة "همزا" والبطـل بقـديش ذاك الشاب الجميل الذكي.

هذه القصة توجد عند كثير من المتغيرات ولا تختلف عنها، وحتـى القصـص الأخرى تتشابه فيما بينها، قصص مليئة بالخيـال والخرافـات والإبـداع أحيانـا والغولة تعرف في كل المناطق حتى يقال ان ذلك المكان مسـكنها، أو فـي هـذا المكان تظهر فجأة فيخاف الناس المرور حتى من ذلك المكان، وفي الظهرة توجـد الغولة وتسمى الهمزا أو التريو، ويوجد زوجها أمز وابنتها لونجـة التـي تتميـز بجمال خارق، وفي بعض الأساطير يقال أن لونجة إبنة السلطان وإبنة الغولة فـي نفس الوقت .

وقد اخترنا لكم هذه القصة:

حاجيت كوم ...حاجيت كوم ... روح، توغ يـج امزيـان مقـرن بقـذيش ذ ميغيس، يج واس يزواع ارناناس هسغاس يج اوعموش يتشيت يقيم اوقرنـونيس،

يزوث يناس حق لعهذ افلعهذ لكان اتغميذش اش قضعغ. رويتشا يغميد يناس حق لعهذ افلعهذ لوكان اقرذش احبوثين اش قسغ هراع ايحبوثين.

يولي بقديش بقار ايوي احبوثين بلا لوقث، هسلاس همزا هناس نـــتش، نـــثش اممي سيغاي سوفوسيك هطفيث ههبعيث ذهشكرث، هوض اريغزر يناس اه انـــاه اتود صلائتم هناس اه اممي اوني اشيوفان غير اوسمكثى هسرسيث يرول هـــروح بقذيش يشكور هسكرث سوقي هولاد هوفا بقذيش يرول. اوفاث فنقلت ايوه احبوثين هناس نتش اممي نتش يناس اخ انان هناس الاغ اممي ســيغاي سفوســني يقنـــان الحنى، يسغس هطفيث، هبعيث ذهشكرث، هويث هقغ اريغز يناس انـــان هتـــوض صلاتيم هناس ازلغ فلجتثيك، هويث اروخام هناس ابقضـــيتش اشـــبعغ ذخبيـــث نزبيب نغ نلوز نغ اعموش يناس إراي ذخبيث مقلغ كلش، ازورغ اتشـــض اذتشـــذ اكسوميو هيريث ذي خبيث امضن وسان هزوا همزة اهعرض يســماس، خـــاطر بقديش يزور هناس يليس لونجة، أزض إرذن، سنين امنسي سو اكســـوم نبقـــذيش ادعرضغ خوالتيم.

بقديش يناس ا لونجة: اشم معاونغ، هناس : لالا، يناس : صح صـــح ا لـــونج هناس: ايه صوفغهيذ أغرصاص يسنينيت، اهولد همزة هوفاغ بقذيش يولي فنقلـــت يناس: ارقى همسي ادمدرغ إخفيو يناس: اعق اتشيذ يليم أتشـــد أولـــيم بـــذانت ترانت ترانت يناسنت ايمير ادمدرغ إيخفيو إيمدرد أروضيص ذي مسي حســـبنت بقذيش امدرد إخفيس مدرنتيد إخفون انسنت أهتشنت همسي، يـــروح بقـــذيش دي لامان

ذات يوم ذهب بقديش إلى جدته وأعطته حبة تين فأكلها ولم يبق منها إلاّ الجزء الأعلى، فغرسه، فقال له: "أريدك أن تنمو بسرعة وإلا اقتلعتـــك مـــن الجـــذور" ويسقيه يوميا حتى كبرت الشجرة، وأصبحت عملاقة ومثمـــرة خـــارج موســـمها فتسلق إلى القمة وبدأ ببيع ثمار شجرته المباركة، ويقول"من يريد ان يشتري التـــين في غير موسمه "فسمعته الغولة فاقتربت منه ليس للشراء بل لخطفه، فحقا خطفتـــه ووضعته داخل كيس واتجهت إلى الواد، فقال لها بقديش: " جدتي جدتي لقد نســـيت الصلاة "، فردت قائلة: "أشكرك يا بني"، فتركت الكيس في الأرض وفتح بقـــديش

الكيس وهرب منه، بعد أن ملأ الكيس بالحجارة والضفادع، فعندما عـادت للبيـت تفاجأت بفرار بقديش من قبضتها، فذهبت إلى بلدة بقـديش فوجدتـه يبيـع التـين صائحا : "من يريد ان يشتري التين في غير موسمه"، فقالت له :"انا يـا ولـدي " فقذف لها حبة فرفضتها وطلبت منه أن يسلمها لها بيديه شخصيا فخدع للمرة الثانية وخطفته واتجهت به صوب الواد، وفي الطريق قال لها: "جدتي جدتي لقـد نسـيتِ الصلاة"، فردت عليه: "سأصلي على جثتك"، ولما وصلا إلى البيت، خيرته فـي أي مطمورة تضعه الزبيب أو اللوز أو التين الجاف، فقال لها: "في المطمـورة التـي يوجد فيها كل شيء"، وذات يوم ذهبت لدعوة أخواتها لحضور وليمة أكل بقـديش "وطلبت من لونجة تحضير الطعام، فطلب بقديش من لونجة مساعدتها في تحضير الطعام لربح الوقت، رفضت في الأول ثُم بعدها قبلت، وخرج وذبحها وجهز كـل شيء وأقيمت الوليمة، ثم بعدها صعد بقديش إلى قمة الشجرة واعترف بالجريمـة وطلب منهن إشعال النار لكي يلقي بنفسه فرمى بلباسه وضننت الغولة وأخواتها أنه هو بنفسه، فألقين أنفسهن في النار فماتت، وعاد بقديش سالما إلى منزله

وبقديش ولونجة تسمى بأسماء أخرى مثلا بوصمغون، أوعميس ولانجـة ففـي القصة الشعبية المحلية يوجد جرس يخبر امز أكر أكر أكر يـأمز لأنجـة يوبـت أوعميس، فلانجة تلك الشابة الجميلة وليست بإبنة همزا اوعميس ذلك الشاب الذي تغلب على الشر.

والحكمة من القصة هي التفكير واستخدام العقل للنجاة من الأشرار.

2-الأمثال الشعبية

يفخر الامازيغ بأمثال كثيرة فتعكس لنا مواقف اجدادنا وتلخص تجاربهم اليومية وتصف لنا حياتهم وتدون حلولا لمشاكلهم، فالأمثال الشعبية صالحة لكـل زمـان ومكان.

المثل الشعبي عبرة لمن عاصره ودرس لمن يعقبه، والمثل الشـعبي كالقصـة يسرد على لسان إنسان أو حيوانات أليفة (الكلب، الدجاجة، البقرة) فالدجاجة تقول: "فسا وليغ اتضسا"، إذ تتحمل أخطاء أبنائها، كما يمكـن أن تسـرد علـى ألسـن

الحيوانات المتوحشة (الذئب، الأسد)، فيقول الأسد: "قنفان إشـــقيفن أور تقنفـــان إي زوارن"، بمعنى تشفى الجروح وتبقى الكلمات الجارحة.

لقد اخترنا بعض الأمثال من تيبازة وغرداية، المضمون واحد لكـــن الألفـــاظ تختلف باختلاف جغرافية كل منطقة، فوجود كلمة الجمل في أمثال غردايـــة امـــا تيبازة نجد كلمة بحر.

أمثلة:

مثل 1

- تيبازة: "ماشي موشاث لبحر ألك تيعلاش "
- غرداية: " ألم أملال وجي قاع تذونت "

الحكمة: الطمع سلوك غير حسن والقناعة غائبة

مثل 2

- تيبازة: "ماشي الك وني يرضن شاشيت ذريز"
- غرداية: "وجي قاع وني إكردن أبرنوس درجاز "

وقد نجد تعبيرا اخر (سروال في مكان الشاشية او البرنوس)

الحكمة: الرجولة كنز وأخلاق ومبادئ

مثل 3

- تيبازة: "وني يقارن ولاش أهيتش ربي ذو ولاش "
- غرداية: " وي قارن بسي أهيتش ربي أذبسي "

الحكمة: الطمع الشديد والجشع

مثل 4

- تيبازة: " ماني يلا أوزاريو أيووض أو ضاريو "
- غرداية: " ماني يلان اولون أضوضن إيذرن"

الحكمة: صلة الرحم واجبة

مثل 5

- تيبازة: "صوردي املال إيواس أبركان"
- غرداية: " سوجم إلاز ذفاذ"

الحكمة: الإحتياط والحيطة واجبة

مثل 6

- تيبازة: "رنين هيمقيث إلبحر "
- غرداية: " وسي غرس إرذن أستورذل أرن "

الحكمة: التعامل بالمفارقة

من خلال هذه الأمثال وأردنا ان تكون متشابهة جدا فيما بينها، فيتضح تقارب بين المتغيرات وهذه عينة صغيرة من الأمثال الشعبية التي مضمونها واحد وتقريبا شكلها واحد، بالإضافة إلى خصوصية كل منطقة قد نجد في الالغاز الميزابية حول النخلة حول القصور حيوانات صحراوية، أما في الظهرة نجد الفاظا بحرية

وللأمثال أيضا رسائل ودروس على لسان الحيوانات وهي رسائل تحذيرية وتوجيهية تركها الأجداد للأجيال القادمة.

3-الشعر الثوري:

نترك القصة والأساطير والامثال لننتقل إلى نوع أخر من الأدب، وهو الشعر ونختار منه الشعر الثوري الذي اقترن بالتاريخ الثري للجزائر، تاريخ عريق منذ القدم إلى غاية التاريخ الحديث، الذي جعل من الجزائر عبرة للشعوب والأمم، من عظمة ثورة نوفمبر بل أيضا من المقاومات الشعبية، منذ أن وطئت أقدام الاستعمار في 1830.

لهذا اخترت التطرق إلى التاريخ الثوري أثناء المقاومة أو الثورة التحريرية والنموذج يكون من جبال الظهرة وأدرار وغرداية.

السؤال الذي نطرحه: هل الثورة هي التي أثرت على الشعراء فكتبوا وأبدعوا عنها؟، ام الشعراء هم الذين تأثروا بالمقاومة وبالثورة التي يرددها العالم؟

نتذكر منهم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، ونحن بين أحضان موطنه الأصلي غرداية ونسترسل معكم عن أجمل ما قاله عن الجزائر:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات

يا بسمة الرب في أرضه ويا وجهه الضاحك البسمات

يا لوحة في سجل الخلود تموج بها القمم الشامخات

يا قصة بث فيها الوجود	**معاني السمو بروع الحياة**
ويا صفحة خط فيها البقا	**بنار ونور جهاد الأباه**
يا للبطولات تغزوا الدنى	**وتلهمها القيم الخالدات**

فالرصاص نطق في كل مكان وعبر عن قوة الثورة وعظمتها، فشهدت عليها الأشعار، ففي منطقة الظهرة " مناصر" يقول الشاعر مناعي عن البطل مالك البركاني 1871:

ثورث هاث مناصر اقومن

زيس مالك مميس اوبركان

اقنغين ارومين اقنسين ار يثران

اوعلا هويث يما س ار وخام

اسسو لحرير استرني لكتان

اهبد لا لا عيش ذ زويث

هسروبا دونيث

هذه القصيدة تتحدث عن بطل المنطقة واستشهاده، فكانت لعائلته البراكنة علاقات جيدة مع الأمير عبد القادر، فقد قاوم المستعمر ما بين فترة 14 جويلية إلى 21 أوت 1871، رغم قصر مدة مقاومته إلى أنه أثار الرعب في قلب المستعمر بهجومه على منطقة نوفي "سيدي غيلاس " فعمدت فرنسا إلى مصادرة كل املاك وأراضي زاوية البراكنة.

استشهد في أوت 1871 في اشتباكات عنيفة في تيضاف بشرشال.

وبعد انتهاء المقاومة، كانت الثورة بعدما سئم سكان المنطقة من ظلم فرنسا للأهالي، فتحث القصيدة على الالتحاق بصفوف الثورة:

اوسن مقملايمن اومثن سومقران ذو مزيان

هقيم همغارت جرسن

اولاش هسليث ينطق ومغاريناسن

همورث فلانغ هتلاغغ

نتشننين نقيم نترجاغ

لعذو ذينغ يتقاغ

يوي همورث نغ يرني يستخدم ذينغ

يسواغ هذي نغ

اكثت ذورار اييثماغ

شاركت جميع القبائل في حرب ضروس مع العدو في مناصر الشرقية والغربية ومن شنوة إلى زتيمة وبني حوا، في اصطدامات عنيفة سجلتها الولاية الرابعة، من اهمها معارك بوحرب بوسمام تملول لا لا عودة.

يرحم الشهداء جين صبيان

يرحم الشهداء اقشين اوشنن

يرحم الشهداء اقروحن ذ لمان

يرحم الشهداء موثن ذ لمان

يرحم الشهداء موثن ذ غزران

يرحم الشهداء اقنغين لعديا

كلمات معبرة عن قسوة المعارك التي دارت بين الثوار والعدو، وسط الجبال البعيدة، ومع نهاية المعارك وسقوط الشهداء وخلال الليالي الحالكة، يتجه السكان لأخذ ذويهم فيجدون الشهداء جثثا متناثرة بعض أعضائها ناقصة، اكلها الذئاب او جرفتها الوديان.

عبر الكثير من أبناء المنطقة عن ثورة الجزائر والبعض منهم بعد الاستقلال واصفا اللحظات الحاسمة.

يقول الشاعر احمد عمور "شنوة":

اريزن ذ لحباس

شرى قبلن فرنسا سرصاص

وسغلضن كلخنس

يتكد اخام اخام حال بوعذس

ويقول أيضا:

اموح اموح اك ابريذ اوصون

لوضي وينت اعذون

عبا لمكحلت نك

حوس فرفقث نك

اضسا نك قلوا

ناس ايماك اهصبرر اوهتروا

شيخ ذ لقايد متفقن

فلباطل اهخذمن

امزذاغ نتمورث سوضنتن

لحكم فلباطل سغرمنتن

سياسة الإغراء واختيار بعض الأشخاص باسم القايد وتطبيق سياسة القهر ومصادرة الأراضي وجمع الضرائب 1858 حول المنتوج وحسب المنطقة " زيتون ' سمك، قمح ..." لم تحد من عزيمة الثوار بل زاد ايمانهم وعظمت مجازر فرنسا كمجزرة تمزقيدة ببني ميلك "الداموس".

يقول الشاعر محفوظ "بني حوا":

احكاد ايذرار نغ

ايدا ورعاذ ذاو اودسيلن

احكاد فلجذوذ نغ

همسلت ستو عشرين

يموثن ذ شوهدا

احكاد فلاسن ايحنين

اين يضران ذهمزقيدة

نونت اكيض لاثنين

زرين لاعرا

زرين شر تلزيث

لحيف صباح همديث

سحرقن هسرفث ذ ويديذ

غير هرزقث

اولاش هزيت

اسيدي عبد الجبار املينغ فعيطاي

احكسن فهمسلت نتسضنان

دلملود منك يحياد

نغنتن يعذون سرصاص

دم انسن يجهر هريا

ترون فلاس اذورار ترون الك لولي

ادتروغ سال اشزرغ تروذ

ايذرار تمزقيدة

تروغ سال اشمزرغ

تروذ اهمورث نشهدا

المجزرة تمزقيدة حدثت في 57 بأعالي الداموس حيث قتلت فرنسا جل النساء وأطفال المنطقة، ماعدا طفليين. واحد كان تحت جثة امه الهامدة والأخر كان غائبا عن القرية، واحرق العدو الأشجار والمواشي والقرى بأكملها انتقاما من الثوار.

هذه الأشعار جزء من الأشعار التي ما زالت تتردد على السن سكان الظهرة الذين أعطوا مثالا في البطولات إبان المقاومة والثورة.

أما الثورة في الصحراء فالاستعمار لم يتغلغل إلاّ في أواخر القرن 19، فكانت مقاومات كثيرة تصد العدو من بينها مقاومة بو عمامة، ومقاومة أمود وكانت أطول مقاومة، مقاومة بوشوشة من الأغواط إلى أدرار، ثورات الزعاطشة ببسكرة ثورات واد ريغ بالمزاب، حتى للزوايا دور في تدريس سكان المنطقة وقاومت أيضا الاستعمار كطريقة التيجانية والسنوسية، ونظرا لأهمية الصحراء بنت فرنسا سجونا في ريقان "أدرار" والاغواط، للجزائريين ولأبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقيا بعثت مجموعات من ابنائها للبحث عن الخيرات، فاكتشفت البترول 1956

بالإضافة إلى اكتشاف مسالك لربط الجزائر بمستعمرات فرنسية، وفي 1960 قامت بتجارب نووية بريقان، حقائق ذكرها الشعر والنثر كما تطرق الشعر إلى أبطال الجزائر.

يذكرهم شاعر من ادرار في قصيدته القيمة:

اتزاير تهجل تيزڤات اف تيروت

اتظون اف غلّن ن الدوهقانيين

نتنين أي يسنن التدبير اڤ لامان

بن بولعيد مصطفى لايضمن لوراس

شيحاني بشير دا غيل اسدفّانس

قسنطينة تازات اڤ غيل ان ديدوش

يوسف زيغود داغيل اسدفانس

كريم بلقاسم يوسّو سي إيمازيغن

نتنين دا القوّت فالجرف ان لبحر

اياك رابح بيطاط اوشناس تاملغيغت

بوجمعة سويداني داغيل اسدفّانس

العربي بن مهيدي يطّف تاغربيت

لا يوصل تاموحت تيميمون انّغ

الحواس اعميروش اهداناس الجرف

اناناس كولها أيديوش الكنتري

اتحدت الجزائر طولا وعرضا وقسمت على يد الرجال الابطال الاشاوس وهم الذين خططوا للثورة، بن بولعيد قايد لوراس، شيحاني بشير نائبه، شمال قسنطينة تحت قيادة ديدوش وزيغود نائبه، كريم بلقاسم قايد لقبائل وهم قوة على طرف البحر، رابح بيطاط قائد العاصمة بوجمهة سوداني نائبه، العربي بن مهيدي قائد الغرب الجزائري الى غاية تيميمون، الحواس وعميروش قياد الجنوب اتفقوا جميعا على إطلاق النار ضد المستعمر.

وأشعار منطقة الظهرة كانت جلها عن ثورات المنطقة، لأنها تنتمي للولايـــة 4 وكان الحصار شديدا عليها وقليلا ما تعرف عن الثورات الأخرى .

خاتمة:

وعليه فان الأدب الأمازيغي هو أدب يحتاج إلى باحثين ومنظرين للاهتمام بـــه وإعطائه أهمية في كل المناطق على سواء، كما يحتاج أيضا إلى وسائل وإمكانيات من أجل إنقاذه من الزوال، والتعريف به للأجيال الحالية والصاعدة، برحيل السلف تزول موروثاته الأدبية، وبالتالي فـــإن الادب الجزائـــري بصـــفة عامـــة والأدب الأمازيغي بصفة خاصة، ثروة ومصدر للبحوث العلمية القادمة، وتثبيت لشخصـــية الفرد في ظل الغزو الثقافي الغربي.

الأمثال الميزابية أصولها الشرعية وأبعادها الحضارية

أ. حاج إسماعيل بن لولو
جامعة غرداية
hadjsmail2010@gmail.com

الملخص:

كانت إشكالية هذه الدراسة، كالآتي: ما مدى وجاهة الأمثال الميزابية المتداولة بين أفراد المجتمع في ميزان الشرع؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس، ما يأتي: ما المقصود بالأمثال، وما أهميتها في الواقع؟ وهل الأمثال الميزابية المتداولة لها أصل في شرعنا الإسلامي الحنيف؟ مما يجعلها من منابع الحكمة التي قال الله تعالى عنها:(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (البقرة:269)، ثم ما أبعادها الحضارية ؟

وقد سلك الباحث للإجابة على هذه الإشكالية الخطة الآتية: مبحث أولٌ للتعريف بالمثل وأهميته. ومبحث ثان، خصصه لعرض بعض الأمثلة الميزابية وبيانها وذكر أصولها في الشرع الحنيف. ومبحث ثالث، تحدث فيه عن الأبعاد الحضارية للأمثال الميزابية ثم ملحق خاص بالأمثال الميزابية التي لم تُدرس(للإثراء)، كما أنه تم الاعتماد في شرح معظم الأمثال من القرص المضغوط، المتمثل في حصص إذاعية كان يبثها الأستاذ عبد الرحمن حواش (رحمه الله)، فقمت بتحريرها كتابة.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على بعض الأمثال الميزابية، وتأصيلها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، من أجل إعطائها قيمة أكبر، وبيان أنها لم تصدر من فراغ أو هوى بل سبقتها تجارب واعتبار من خضمّ الحياة وتقلباتها فسُكبت هذه التجارب على شكل عبارات وجيزة مختصرة تسمى بالمثل، يغنَم منها كل من وعاها وعمل بها في حاضره مستقبله.

ولإنجازها وفق ما سُطّر لها من أهداف، تمّ اعتماد المناهج الآتية: المنهج الاستقرائي من خلال جمع بعض الأمثال الميزابية؛ والمنهج الوصفي من خلال

شرحها وبيان ألفاظها ومضرب المثل إن عُرف؛ ثم المنهج التحليلي من خلال ربط هذه الأمثال بالأصول الشرعية قرآن وسـنة، وتحليلهـا للوصـول إلـى الأبعـاد الحضارية لها.

توصّل الباحث في الأخير إلى نتائج عدة، ومنها: أغلب الأمثال المزابية تحمـل حكمة ومغزى في الحياة، يقرها الشرع الحنيف، إذ لها أصل في القـرآن والسـنة وليست مجرد كلام فارغ انتهت مع من قضى نحبه، ولو لم يعرف مضربها. كمـا أن لها أبعاد حضارية ومقاصد سامية يستفيد منها كل من رغب فيها، وهذا منطقي لأن الناس لا تردد من بعضها ولا تعمل إلا ما يرتضيه العقل السليم.

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على بعض الأمثال الميزابية[1]، وتأصيلها مـن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، من أجل إعطائها قيمة أكبر، وبيـان أنهـا لـم تصدر من فراغ أو هوى بل سبقتها تجارب واعتبار من خضـمّ الحيـاة وتقلباتهـا فسُكبت هذه التجارب على شكل عبارات وجيزة مختصرة تسمى بالمثل، يغنَم منهـا كل من وعاها وعمل بها في حاضره ومستقبله.

لذا، كانت إشكالية الدراسة، كالآتي: ما مدى وجاهة الأمثال الميزابية المتداولـة بين أفراد المجتمع في ميزان الشرع؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس، ما يأتي: ما المقصود بالأمثال، وما أهميتها في الواقع؟ وهل الأمثال الميزابيـة المتداولـة لهـا أصل في شرعنا الإسلامي الحنيف؟ يجعلها من منابع الحكمة التي قال الله تعـالى عنهـا:(يؤتي الحكمـة مـن يشـاء ومـن يـؤت الحكمـة فقـد أوتـي خيـرا كثيرا)(البقرة:269)، ثم ما أبعادها الحضارية؟

وقد سلك الباحث للإجابة على هذه الإشكالية الخطة الآتية: مبحث أولٌ للتعريف بالمثل وأهميته. ومبحث ثان، خصصه لعرض بعض الأمثلة الميزابية وبيانها وذكر أصولها في الشرع الحنيف. ومبحث ثالث، تحدث فيـه عـن الأبعـاد الحضـارية للأمثال الميزابية ثم ملحق خاص بالأمثال الميزابية التي لم تُدرس(للإثراء)، كما أنه تم الاعتماد في شرح معظم الأمثال من القرص المضغوط، المتمثل فـي حصـص إذاعية كان يبثها الأستاذ عبد الرحمن حواش (رحمه الله)، فقمت بتحريرها كتابة.

لإنجاز هذه الدراسة وفق ما سُطّر لها من أهداف، تم اعتماد المنـاهج الآتيـة: المنهج الاستقرائي من خلال جمع بعض الأمثال الميزابية؛ والمنهج الوصفي مـن خلال شرحها وبيان ألفاظها ومضرب المثل إن عُرف؛ ثم المـنهج التحليلـي مـن خلال ربط هذه الأمثال بالأصول الشرعية قرآن وسنة، وتحليلهـا للوصـول إلـى الأبعاد الحضارية لها.

1/ مفهوم المثل وأهميته:

1- المثل في اللغة:

تحمل لفظة المثل عدة معان منها: الشبه والنظر، الصفة والحجة، العبرة والقول السائر بين الناس[2]. وقد جاء في كتاب العين: "الـمَثل: الشيء يضـرب للشـيء فيُجْعَل مِثْلَه والـمَثَل: الحديث نفسه وأكثر ما جاء في القـرآن نحـو قولـه جـل وعز:(مثل الجنة التي وُعِد المتقونَ) فيها أنها فمَثلها هو الخَبَر عنها وكـذلك قولـه تعالى:(ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له) ثم أخبَر: أنَّ الذين تدعونَ مـن دونِ اللهِ فصـار خبره عن ذلك مثلاً ولم تكن هذه الكلماتُ ونحوها مَثلاً ضُربَ لشيءٍ آخـر كقولـه تعالى:(كَمَثلِ الحمارِ يحملُ) و(كَمثل الكلبِ)، والمِثلُ: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوِه حتى في المعنى ويقال: ما لهذا مثيلٌ، والمثالُ: ما جُعِلَ مقداراً لغيره وجمعه مُثلُ وثلاثة أمثلةٍ"[3].

2- المثل اصطلاحا:

تعددت تعريفات العلماء للمثل؛ فهناك من عرفه باعتبار تركيبه طولا وقصـرا وهناك من عرفه باعتبار خاصية الشبه، ومنهم من عرفه باعتبار الخاصية الجمالية التي يتميز بها المثل، ومنهم من ركز على أنه جنس أدبي قائم بذاتـه كالأجنـاس الأدبية الأخرى[4]. ولن نخوض في كل تلك التعاريف، بل سنقتصر علـى واحـد منها(الجانب البلاغي باعتبار أن الغرض منه تأدية معنى معين بليغ).

فالمثل هو "اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مـا بين مضربه ومورده، مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي)[5].

3- أهمية الأمثال:

تعتبر الأمثال "وسيلة تعليمية تُنقل بواسطتها الخبرات والتجارب المعرفية المكتسبة للأجيال الشابة، وغرس القيم والمثل والأخلاق الفاضلة في نفوسهم وتربيتهم وتوجيه سلوكهم ربطهم بماضيهم وماضي أجدادهم، كما تفيد في التوجيه والنصح والإرشاد والنقد والتخدير وضبط السلوك الاجتماعي، ودعم كيان المجتمع وتقوية روابطه الأسرية...كما تُتّخذ مصدرا للتشريع والتقاضي وحسم النزاعات بين الأطراف المتصارعة...وقد لجأت كثير من المجتمعات إلى المثل الشعبي واهتدت به في المحاكم وإصدار الأحكام المناسبة في القضايا، مثال ذلك مجتمع الإنكا في جنوب إفريقيا والذي يعتمد على المثل الشعبي في المرافعة والاتهام وفي اتخاذ القرار بشأن القضايا المعروضة، كما يعدّ خير وسيلة تربوية لدى مجتمع الأنانق في غرب إفريقيا"(6).

2/ الأمثال الميزابية وشواهدُها في الشّرع:

آتيغَرْسَان(7).

آتيغرسان ليس من "إغَرْسَان نُوزَطًّا"(خيوط النسيج المتبقي)، لأن في النسيج يوجد به "أُستو"(الخيوط الكثيرة) و"إغَرْسَانْ" وهو المتبقي من "أستو"(جَالُوزْ أي البقايا). وكل واحد منا يريد أن يكون هو الأصل وليس ما تبقى من الشيء. فيقال: "حدي يني أُولِيدْجِي لا أُستُو لا إغرْسان"(8).

وإذا تأملنا في لهجة الأمازيغ من غير الميزابيين، نجد أنهم يذكرون البئر التي في الصحراء ذات العمق الكبير: "إغيرس" بالمفرد، وبالجمع "إغِيرسان"؛ كما يلاحظ أن الميزابيين من الذين اشتهروا بحفر الآبار في عهدهم حيث بلغ عددها ثلاثة آلاف بئر، ولذلك يطلق عليهم إِغِيرسَانْ(آتِغِيرسَانْ) بالجمع أي: حافر البئر."دُكِيغِرْسْ، أُوكِيغِرْسَانْ، مفرد"(9). فالميزابيون يصفون الناس باعتبار احترافهم في العمل أو في صنعة ما، ولا يلقبون الناس باعتبار عيوبهم لأن هذا ليس من أخلاق المسلم.

فإذا تأملنا في القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى يمدح عبـــاده المـــؤمنين المكثرين من الأعمال الحسنة والتي تفيد الناس بأنهم صـــالحون.(ولقد كتبنـــا فـــي الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)(الأنبياء:105). ووصف أصحاب القلوب النظيفة من الشرك المائلة قلوبهم إلى الخير بطبعهم بـــالطيبين[10] فقال:(والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)(النور:26). ووصف المكثـــرين مـــن التوبة والعبادة والحمد وغير ذلك من المبـــرات باعتبـــار فعلهـــم، فقال:(التـــائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بـــالمعروف والنـــاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)(التوبة:112).

آت برقان[11].

"بَرْقَنْ" أو إِيبَرْقَنْ" بالمفرد هي الخيمة التـــي لا يخترقهـــا الماء(تســـمى أَفْلِـــيجْ بالميزابية)، وبالجمع "إيبرقان". و"آت برقان" هم سكان مدينة بريان. وسموا بـــذلك لأنهم اشتهروا في عهد من العهود بصناعة الخيمة؛ فتغير الاســـم وأصـــبح ريـــان بريان، بئر ريان..إلخ. ونفس ما قيل في المثل الفائت "آتغرسان" في الاستشهاد عنه من القرآن أو السنة، يقال هنا كذلك.

آت عُوبَانْ[12].

من آعبان، وهي لفظة يطلقها الأمازيغيون على الميزابيين لأنهم اشتهروا بحرفة النسيج. و"أعبان" نوع من الثياب ينسج عند الميزابيين فقط وهـــو لحـــاف(أَحُولِي) يشبه البرنوص، يلبسه الرجال. ومنه نوع من الغطاء(أَدّانْ) ثقيل على اللحاف الذي تلبسه المرأة في الشارع يطرز في جوانبه بِـــــ "تَسْفِيفْتْ" خضراء، وبقي هذا النوع "أعبان" في ليبيا وبعض مدنها وجربة. تقول المرأة لزميلتها مـــاذا يفعـــل زوجـــك فتحيب: يَلاَّ يفَّالْ أَعْبَانْ" أي إنه يكيل الشارع، وهذا كناية أنـــه لا يعمـــل. وأعبـــان يكون طويل جدا كالملحفة التي تلبسه المرأة. ونفس ما قيـــل فـــي المثـــل الفائـــت "آتغرسان" في الاستشهاد عنه من القرآن أو السنة، يقال هنا كذلك.

ربِّ أَدنْكَضْ إِغَرسْ إِسْخْكّاضَنْ[13].

"إِغَرْسْ" مفرد الأسدية؛ فعندما تختلط لا يمكن النسج[14]. وعندما يـــربط خـــيط النسيج المقطوع مع خيط آخر مقطوع ليس منه، فإنه يحدث خللا عند النّســـج[15].

مثل الشخص الذي يزرع الفتن والفوضى وعدم الاستقرار بين الناس فينال من هذه الدعوة السيّئة[16]. ومعنى" إِسْخُكّاضَنْ" الهماز المشّاء بنميم أو الذي يحــدث الخلــل بين الأشياء.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى معرضا عن الذين يريدون نشر الفتنة بــين الناس وتركهم حائرين، وذلك بالتفريق بين الله ورسله:(إن الــذين يكفــرون بـــالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفــر بـــبعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)(النساء:150-151)، حيث رتب عليهم اللعنة بسبب فعلهم.

أتـــمَالَفتْ أقرّب[17].

أي: وضع الحاجز حتى لا يتعدّاه أحد. فحينما يكون الثوب طـــاهرا، أو حينمـــا يكون البلل "أبْزَاجْ" في أقرّب توضع "أَتْمَالَفْتْ"، فيضاف أداة مـــن أدوات "تُوجْبَـــد" حتى لا يدوس الحمار ولا صاحبُه على "أُبْزَاج"، أو توضع في مدخل شارع يسمى "أغلاد نولم" في بدايته من جهة البئر، فيوضع فيه "أَتْمالفت" حتى لا يخرج الحمـــار من ميزاب عندما يدور[18].

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله صلى الله عليه وسلم:(ألا وإن لكل ملك حمـــى، ألا وإن حمى الله محارمه)[19]. فبين أن لكل شيء حدّ، على المرء أن لا يتعداه؛ فكذلك شرع الله له حدود، وعلى المسلم أن لا يتجاوزها ولا يخرقها حتى لا يـــؤدي ذلـــك إلى الفساد وإحقاق سخطه سبحانه وتعالى.

وُلتحرّش توفَ غِ مي يَلاَّ واضُو[20].

أي: لا يتحرك جريد النخل إلا بوجود الرياح؛ فلكل سبب مسبِّب، ولكل شـــيء أمارة. وعلامة هبوب الرياح تحرك الجريد "توفا". يقال هذا المثل لمـــن يـــدعي أن شيئا ما حدث دون سبب، كأن يضرب المعلم التلميذ ثم يأتي الابـــن لأبيـــه باكيـــا مشتكيا، فيقول له الأب(إذا كان مربيا فعلا) هذا المثل.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى:(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فـــي أمهـــا رســـولا يتلـــو علـــيهم آياتنـــا ومـــا كنـــا مهلكـــي القـــرى إلا وأهلهـــا

ظالمون)(القصص:59)، (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها|(أكثرنا فسَّـاقَها)| ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)(الإسراء:16).

أُولِيكْ تاسيسَفْتْ[21].

"تَاسِيسَفْتْ"(نوع من الصابون) لا تلتصق فيها الأوساخ أبدا سواء أكان صوفا أو غيره. يقال هذا المثل للشخص الذي لا يحمل حقدا على أحد؛ فقلبه دوما أبـيض خال من جميع الأدرَان.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى واصفا أصحاب الجنـة:(ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين)(الحجر:47). كما أن من شروط النجاة يوم القيامة سلامة القلب من كل الأمراض كالشرك والحسد والكبر وغيرها فقال:(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)(الشعراء:89).

كما أن النبيء صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بينما هم مجتمعون أنه سيدخل عليهم رجل من أهل الجنة إلا لأنه ينام في كل ليلة وليس في قلبه على أحد كره أو حقد، بل أكثر من ذلك يبادر إلى العفو عمن ظلمه[22]. فقال لأصحابه: (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة...الحديث)[23].

حد ينّي إتـمْصّا إِغْسَانْ[24].

"إغسَانْ" مفرده "إيغَسْ" نواة التمر، فذلك شخص يمص النواة. أي لا يترك فيه شيئا لغيره، حتى النمل لا تجد ما تأخذ منه. يقال هذا المثل للبخيل الذي لا يثر على نفسه شيئا أو ربما للذي يتقن عمله فيؤديه على أحسن وجه كالذي يأكل التمر ويمص حتى نواته من دون أن يبقي منه طعما، والظاهر الأول.

وقد عبر الله عن معنى هذا المثل بتعبير أعمق وأبلغ فقال:(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)(النساء:37)، فلم يكتفوا بالبخل بل أمروا الناس به، وهذه أشد وقاحة-منهم- من الذي يستهلك الشيء كله بمفرده دون أن يشرك فيه أحدا.

أَتْشينَا تَارُو ديمَا غيرْ أَتْشينَا، تَاجَلاَّتْ أُوتِّيرُو أَدَّلاَّعْ[25].

فالعرق الحلو لا ينتج إلا عرقا حلوا، والأمر نفسه في العــرق المــرّ، فشــجرة البرتقال لا تنتج إلا البرتقال، كذلك البطيخ الأخضر لا ينتج "تَاجَلاَّت"(ثمرة صغيرة تشبه البطيخ الأخضر، ومذاقها مرّ جدا، تنبت في الصحراء).

ويشهد لهذا المثل قوله تعالى:(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبــث لا يخـــرج إلا نكـــدا)(الأعراف:58)، فالبلـــد هـــي "الأرض ذات التربـــة الخصبة...والأرض الخبيثة أو البلد الخبيث ما تكون تربته غير منبتة كالحجارة أو ما يشبهها، وكالأرض التي تكون قريبة من المالح، فيكون ملحها مفســدا لطينتهــا وخصبها، وخبيثها حجارتها وسبخها، وكل ما لا ينبت...فالبلد الطيب يخرج نباتــه طيبا غزيرا كثيرا يشبع، ويرضي الزارع بإذن الله، والذي خبث لا يخرج إلا نكــدا أي القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فالنكد هو القليل، هو يصيب الــزارع بنكد وغم وحزن، وكأنه ينبت ذلك النكد الذي لا طيب فيه ولا نفع منه"[26].

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم:(وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العــرق دساس)[27]، فإذا اختار الرجل امرأة ذات عرق هزيل فســيكون أبنــاؤه كــذلك إذ للوراثة أثرها[28]، والعكس صحيح.

حَدْ يَنِّي إتَّفَ إيزُورَانْ[29].

يقال للشخص الذي يثبت على أمر أو في مكان واحد ولا أحد يزعزعــه مــن مكانه أو عن فكرته وثوابته. ويشهد لهذا المثل قوله صلى الله عليــه وســلم:(مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فــإذا اعتــدلت تكفَّــأ بالبلاء، والفاجر كالأَرْزَةِ صمَّاءَ معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء)[30]،"صور النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في صورة الخامة من الزرع، أي الطريُّ اللينُ الــذي لا يتقصف، بل تستجيب للريح وتتمائل معه ذهابًا وإيابًا، فإذا اشتدت عليها كَفَأَتهــا حتى تمر العاصفة، ثم تعود إلى ما كانت عليها من الاعتدال"[31]، فلا يسخط بقضاء الله إذا أصابته مصيبة ويبقى ثابتا على عقيدته، وعكسه المنافق.

وِخْسَنْ تَغْدَا يَسرَمْتْ دَادَالي[32].

"تَغْدَا" هو الشيء الذي يكون مستويا غير معوج. فإذا أردت أن يكون العود الذي تصرمه مستويا غير معوجّ فاصرمه عندما يكون أخضرا لأنه لا يزال ليّنا تتحكم فيه. يقال هذا المثل في تربية الأطفال.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله صلى الله عليه وسلم:(علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشرٍ)[33]. ينبهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى تدريب الأبناء على الصلاة ما داموا صغارا وتعويدِهم عليها ثم ضربهم عليها ضربا غير مبرح إذا كان الولد ابن عشر سنين. أي قبل أن يشتدّ عوده فالمربي(الأب) لا تزال له السلطة على الابن، وبإمكانه أن يوجهه كيفما شاء. لكن بعد تلك المرحلة يعسر ضربه أو توجيهه لأنه لم ينشأ منذ نعومة أظفاره عليها ولم يتعود.

أَحَكِّي نَتْفَتْفَتْ[34].

يقال هذا المثل للذي يشيع الفتنة والبغضاء بين الأفراد والجماعات. عكس هذا المثل: "أحكّي نَتْنِيفَسْتْ"، وهي الجزء الذي يكون أعلى عود الكبريت، فيحكها حتى تنطفأ بعد قضاء مأربه كإبقاء النار للإضاءة أو الطبخ.

ويشهد لهذا المثل قوله تعالى عندما وصف حال اليهود الذين يوقدون النار بين الناس:(كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)(المائدة:64). فالتعبير مجازيّ "إذ عبر عن إثارة الحروب لإيقاد نارها باعتبار أن الحروب في ذاتها وبما تشتمل عليه من مذابح بشرية تشبه النار المستعرة، فكلما أيقظ اليهود الأحقاد وأثاروا الفتن لإيقاد نار الحرب للإفساد في الأرض أطفأها الله"[35].

أرقَبْ غْ لُولاوَن تَدْجَّدْ إيجَلاّوَنْ[36].

قلب النخلة يكون في وسطها بين الجريد(أَمّاسْ أَنْتُوفّاوِينْ). أي: انظر إلى نوع النخل هل تنتج غلة كبيرة أم لا ؟ وهل تدخّر أم لا؟ فبقدر كل ذلك يوضع لها الحوض(بقدر ما تستحق).

لم أجد في القرآن أو السنة ما يعضد معنى هذا المثل، ويبدو أنه قاصر على المجال الاقتصادي –في ظاهره–إذ على الانسان اقتصاد الجهد والسعة، والبذل بحسب الثمرة والنتيجة المرجوة، وهذا خاصة عند بداية المشروع.

لكن في المجال العسكري(مواجهة العدو) أو عند الإقدام على شيء مجهول عواقبه أو عند التقرب إلى الله تعالى بالطاعات، يجب على الإنسان أن يبذل أقصى طاقته وكامل وسعه لقوله تعالى(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)(البقرة:286) وقوله(فاتقوا الله ما استطعتم)(التغابن:16)، وقوله تعالى(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(الأنفال:60).

غَرنَغْ آزيوَا نَتْمَجِّيدَا[37].

"آزِيوا" هو العرجون الذي يملك كل الناس فيه حقا. ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى:(وأن المساجد لله)(الجن:18)، وقوله:(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)(البقرة:114). فكل ما هو لله سبحانه وتعالى وما وضع للمصلحة العامة، فمن حق جميع الناس أن يستفيدوا منه(في حدود الشرع)كالعبادة في المسجد، والصدقات التي توقف في سبيل الله، والحدود بأنواعها كالقصاص وحدّ الزنى والسرقة.

حد ينّي إيتَبِّدْ سبُوض نُو بَاجُو[38].

"بُوضْ" هو الأسفل، أي فلان يأخذ التمر من أسفل الإناء، لأنها في العادة تكون جيدة حلوة كالعسل لأنها لم تتعرض للهواء. يقال هذا المثل على الذي يحرص على انتقاء ما هو أكثر جودة ونفعا عند الناس.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى:(فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)(الرعد:17). في هذه الآية "يضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالحق والباطل؛ فالحق هو الأمر الثابت الذي لا يزول وينفعُ الناس[39]، والباطل هو الزبد الذي يعلو السيل أو الباقي مما يذاب من النحاس والذهب والفضة فلا ينتفع به ويذهب ضائعا، ويتفرق[40]. لذا على الانسان أن يحرص على الاستمساك بما ينفع الناس ولا يغتر بما هو براق أو ظاهر من خارجٍ.

ووجه المشابهة بين معنى هذه الآية والمثل الذي ذكرناه هو أن ما كان أكثر نفعا يبقى في الأسفل خالصا وغنيا ولا يتلف أبدا كالتمر والجواهر، وأما ما كـــان أقـــل قيمة أو غير نافع-أصـــلا- فإنـــه فيـــزول بســـرعة(كالباطل) وأكثـــر عرضـــة للضياع(كالتمر الذي يكون في الأعلى بسبب الهواء).

ربّي أوليجي باجو إيَردَنْ إقَّن بَرْكْ[41].

أي: الحمد لله الذي لم يجعل "باجو" (الإناء الذي يدخر فيه القوت) لشخص واحد فقط يدخر فيه القمح. يقال هذا المثل للشخص البخيل لأنه إذا كان هو الوحيد الـــذي يملك "باجو" فإنه سيترك الناس جوعى، يعطي لمن يريد ويحرم من يشاء، يبيع لمن يشاء ويحتكر عمن يشاء، فالحمد لله أن رزق العباد بيده سبحانه وتعالى.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى مبينا طبائع الإنسان:(قل لو أنـــتم تملكـــون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا)(الإسراء:100). أي لو كانت مفاتيح الرزق بيدك أيها الإنسان لامتنعت من الانفـــاق خشـــية الفقـــر وكان الانسان أكثر بخلا[42].

واجَدْجِين إيدَارَن آيَنِيوْ نُودْزَكَّاغْتْ ؟[43]

يحكى أن فتاةً كانت جائعة جدا، وفجاة رأت خنفساء(تَـــجْلِيزْتْ) حمراء بجانـــب الجدار، فاعتقدت أنها تمرة من التمور، أرادت الفتاة أن تأخـــذها لتأكلهـــا فهربـــت الخنفساء، فقالت لها الفتاة مستغربة: "واجَدْجِين إيدَارَن آيَنِيوْ نُودْزَكَّاغْتْ ؟"، أي من جعل لك رجلين تمشين بهما أيتها التمرة الحمراء التي أشتهيها ؟ فمثلها كمثل الـــذي يكون شديد العطش فيرى من بعيد لمعان الأرض فيظنه ماء، فإذا وصل عنده وجده سرابا.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى عن الذين كفروا فيما قدموا من الصـــالحات في الدنيا:(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)(النور:39)، فيصور لنا الله تعالى أعمال الكفار من المبرات بالســـراب في قاعٍ، يحسبه الظمآن ماء فسير إليه ويجهد نفسه في ذلك حتى إذا وصـــل إلـــى الذي يعتقده كذلك لم يجده شيئا[44]، "والسراب هو ما يرى في اشتداد الحر كالمـــاء

ويسرب ويجري كالماء، وهو لا حقيقة له في ذاته، ولكنه الظمأ يصوره للظمآن كأنه ماء"[45].

غَارْ آبُوهَتُّونْ[46].

"بوهتّون"(سِيسِي يُوقَنْ) نوع من المفروشات يكون طويلا مقارنة بالفراش المسمى "سَاشُو"(إِحَنْبَلْ)، ونسجه لا يكون محكما ولا متماسكا جدا(أُوهُو يَدِّي يُوغْلَبْ). ولهذا يقال للذي يكون خاملا وفاشلا ومتمائلا في سيره أو وقوفه(يَلَّكْ) "غَارْ آبُوهَتُّونْ"، لأن "بُوهتُّونْ" لا يكون محكما ولا متماسكا نسجُه. فهو –دائما– مرميّ عَرْمَة في زاوية من زوايا البيت ولا يطوى. وقيل لامرأة من وارجلان لم تنسجين فراش "بوهتّون"، فلو نسجت "ساشو" فتبيعنه بثمن وفير، فأجابت سمعنا الناس ينسجون "بوهتّون" فنسجناه نحن كذلك، وليس لها ما تفعل به إلا تقليدا للآخرين. فاستحِقَّ أن يقال لها: " غَارْ آبُوهَتُّونْ"، لأن تفكيرها خامل وكسول لا يفكر كالجسد الخامل الكسول الذي لا يشتغل أيضا.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى في الذين كفروا المقلدين لآبائهم الرافضين للحق بلا برهان:(بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)(الزخرف:22-23). فقد عطلوا عقولهم بترك النظر في حجة الرسل وبالرّضوخ لما اعتادوا عليه، فوصفهم الله تعالى في آية أخرى بأنهم شرّ الدواب فقال:(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)(الأنفال:22)، فصحّ فيهم المثل الميزابي" دِيدْ بُوهَتُّونْ" أو "غَارْ آبُوهَتُّونْ".

حد يني أَكْلِيَسْ إِيغَسْ أَدلهى دْيس[47].

يُقال هذا المثل عندما يريد الشخص أن يربح وقتا ولا يضيعه مع عدوّه أو مشاكسه؛ وليعط له ما يشتغل به ويتلهى فيه، كالكلب الخطير إذا أردت تتجنب أذاه فارم له عظماً يتلهى فيه فترتاح.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى في القاسية قلوبهم، الذين لم ينتفعوا بالزّجر ولا بالابتلاء بالضرّ، فابتلاهم الله بالنعم وفتَح عليهم من خزائنه حتى إذا اغترّوا بتلك النعم وألهتهم عن ذكر الله وشكرِه[48]، أخذهم بغتة:(فلما نسوا ما ذُكّروا به

فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخـذناهم بغتـة فـإذا هـم مبلسون)(الأنعام:44). ففي هذه الآية أعطاهم الله النعم ليتلهوا بها ثم يأخذهم بغتـة وأما في المثل الميزابي الذي ذكرناه، فالشخص يعطي للكلب عظما حتى يتلهى بـه وينجو هو بنفسه. فالوسيلة واحدة والمقصد مختلف، ولله المثل الأعلى.

وَالَشَّاتْ آيْدِي آلاَ تَسْنَدْ بَابْسَسْ[49].

لأن كل كلب وله صاحبه، فإذا ضربته بلا معرفة صاحبه أوقعت نفسـك فـي مأزق. ولذلك اذهب مباشرة إلى صاحبه واطلب منه أن يقيّده ويكفّ عنك أذاه. ولم أجد لهذا المثل ما يمكن الاستشهاد لمعناه من القرآن أو السنة.

حد يني دَابَرْهُوجْ[50].

"آبَرْهُوجْ" اسم من أسماء الكلب. يقال للشخص الذي لا يتعاشر مع الناس أو أذاه أكثر من إحسانه، فهو كالكلب الذي يعيش خارجا، يكون في العادة شديد الخطـورة من الكلب الذي يعيش مع الإنسان.

ويشبه معنى هذا المثل قوله تعالى:(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام)(البقرة:204). أي شديد الخصومة[51] وقوله صلى الله عليه وسلم:(إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامـة مـن تركـه الناس اتقاء شره)[52].

وِتَّرْوَنْ إيفَرَّضْ إيغَدْ إوُّو دَايَنْ[53].

حينما تتزوج البنت والأم حالها الاقتصادي ضعيف، فإنها تذهب(الأم) رغم أنفها إلى بيت اليهودية التي يعمل زوجها في صياغة الذهب حتى تستعير منهـا بعـض المجهرات الفضية(أَبْزِينْ مثلا) التي تسعمل في في تزيين العروس. ومـن عـادة اليهود أن طبخ الطعام بالحطب يكون في وسط الدار حتى الدجاجات تتجـول فـي وسطه. وبالتالي لما تذهب الميزابية إلى بيت هذه اليهودية لتستعير تلك المجوهرات الفضية، تقوم هي بتنظيف بقايا الحطب التي في وسط الدار(من شدّة حيائها) ريثمـا تحضرها اليهودية لها، وأحيانا تضطرّ إلى نقل تلك الأوساخ حتى خارج البيت، كل هذا لأجل أن ترضى عنها اليهودية وتعير لها المجوهرات الفضية. وأحيانا تحـرج

اليهودية الميزابية فتطلب منها القيام ببعض الأعمال المتعلقة بالنسيج(أَفْلاَ). ولهــذا كله يقال: "وِتَّرْوَنْ إيفرَّضْ إيغَدْ إِوُّو دَايَنْ".

يفيد ظاهر هذا المثل–في نظري– أن الانسان قد يكون تابعا لغيره ومحتاجا إليه في بعض الأحيان. وبالتالي، عليه التنازل ببعض أشيائه النفيسة لأجل تحقيق أهدافه كما في هذا المثل: خدمة اليهودية والقيام ببعض واجباتها التي من المفروض هــي

مطأطئوا رؤوسهم حياء من الله للذي سلف من ذنوبهم(الكشف والبيان عن تفسير القرآن 329/7.)،كالحمار الذي يحمل الجريد (أَوَّغْيُولْ نَتْعَدَّافِينْ).

وَارْ شْغَلْ إِيتَقَّدْ إِيغُويَالْ، إِيفَالْ إِيجَدِّيدَنْ(56).

يقال هذا المثل لمن ليس له ما يفعله. ويحكى أن طفلا رأى أمه "أتّقَّدْ"(وضع عود رقيق وساخن على ظفر من أصيب بالهَلَعِ والفزعِ) أخاه كي تزيل عنه الفزع الذي أصيب به. فإذا بالطفل يقلد أمه ويفعل ما فعلته للحمار المسكين الهادئ. ويشبه هذا المثل القول:" وَارْ شْغَلْ إيفال إِيجدِّيدَنْ" فالأولاد إذا تركهم آباؤهم على انفراد، فإنهم يلجؤون إلى تخريب الإناء "أَجَدِّيدْ" الذي يعلق وسط الدار باللعب فيه حتى ينقطع الحبل فيتلفَ الماء الذي فيه.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى معرضا عن الذين كفروا بسبب اتخاذهم الحياة الدنيا لعبا ولهوا، فضيعوا دينهم وخسروا أنفسهم:(وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا)(الأنعام:70). فهؤلاء الكفار اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذلك بالسخرية ممن اتبعه، والتهكم عليهم، وبالخوض فيه لعبا في مجالسهم ولهوا عن الحق لأنهم اغتروا بالحياة الدنيا، فتركهم الله على تلك الحالة حتى باغتهم الموت فكانوا من الخاسرين(57)، لأن لا همّ لهم ولا شغل يشغلهم؛ ولذلك قال الله تعالى في آية أخرى(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)(المؤمنون:115).

أغْيُولْ إِيوَغْيُولْ إِيفْ تَدْرَا(58).

في القديم، حينما كان الرجل ينتقل من المدينة إلى الأجنة على حمار واحد يكون الحمار نعسانا وسط الطريق هو وصاحبه ولو وخزه بالشوكة. لكن لما يكون معه حمار آخر فإنهما يتنافسان ويسرعان في الطريق بلا وخز ولا ضرب. وكذلك الأمر حينما تطلب الأم من ابنها الصغير أن يقوم بعمل فإنه يتكاسل ويشتغل ببطء بخلاف ما لو كان مع أخيه الآخر، فإنهما يتنافسان ويحاول أحدهما إنهاء العمل قبل الآخر.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى:(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)(يوسف:108). في هذه الآية(أنا ومن اتبعني) إشارة إلى وجوب

لزوم الجماعة عند الدعوة إلى الله تعالى، فالمؤمن ضعيف بنفسه قوي بإخوانه. والصحبة تساعد الفرد على تجاوز العقبات التي تواجهه في دعوته وتعينه على التحمس إليها.

وِيــخَلْضَنْ إِيــمَانَسْ مْعَوْ لُومْ تَتَّنْتْ إِيغُويَالْ[59].

"لُوم" غذاء مفيد للحمار وليس له أي فائدة للإنسان، أما "إِرْدَنْ" فهو غذاء مفيد ولا يعطى للحمير. فأنت أيضا أيها الإنسان يجب عليك أن لا تجلس ولا تصاحب من ليس مِثلا لك فتكون كغذاء الحمير "لُوم"، ليس له أي فائدة عند الناس، وبالتالي تكون لقمة لمن هو دونك فيأكلك. فلا تنزل من منزلتك إلى من هو دونك فلا يعرف قيمتك فيساويك بأمثاله ويقدح فيك.

هذا المثل قاصر ولا يشهد له نص من القرآن أو السنة؛ لأن السيرة النبوية تفيدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس مع الفقير والغني، العالم والجاهل رغم مكانته التي حظي بها عند الله وبين قومه، لكن كان ينزل كل واحد منهم منزلته.

حدْ يَنِّي دَاغْيُولْ نُوكُّودْ أُولَــمْ[60].

يقال هذا المثل استهزاء لمن يصاحب من هو أكثر منه مستوى في العلم أو المال أو المكانة الاجتماعية ويريد أن يساويَ نفسه به. فهو كالحمار مع الجمل إذ الحمار قصير جدا والجمل أكثر منه طولا، فلا يتناسبان ولا يصح المقارنة بينهما. فالجمل يخرج الماء من البئر أكثر بكثير مما يخرجه الحمار، وأيضا الجمل دائما يقدم في القوافل بينما الحمار يتبع فقط.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)(الإسراء:95). كانت هذه الآية ردّا على سؤال الكفار النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم من السماء ملائكة فأجابهم إن أنتم إلا بشر. فلو كنتم ملائكة أيها الكفار المستهزؤون لنزّلنا عليكم ملائكة من جنسكم؛ فلم تطلبون ما ليس من قبيلكم في الوقت الذي يكون فيه انتفاع الجنس من الجنس أكثر[61].

حد ينّي أَيْسُومَسْ أُوَغْيُولْ[62].

فإذا ضربته أو قرصته لم يحسّ، فلحمه غير طريّ كأنه لحم الحمار، كما أن الحمار كلما وخزته بالإبرة(تَادْرَا) لا يتألم بها، والحقيقة هو أنه اعتاد عليها فأوخزه أو كما شئت أو اتركه فلن يغير سلوكه لأنه اعتاد على ذلك.

ويشبه معنى هذا المثل قوله تعالى في الذين لا تجدي فيهم الآيات والنذر:(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)(البقرة:06). لأن قلوبهم ميتة فختم الله عليها وعلى سمعهم وأبصارهم[63].

آنْ إِيغْوِيَالْ نُوجَّنْ بيضْ[64].

يقال هذا المثل حينما ينهق الحمير فيما بينهم حتى يُكرهوا أصحابهم، لم يكف نهيقهم في الصباح فضلا عن الليل. فيقال:"إِغْوِيَال أَتَّفَنْ"(مِي أَنْضَفَرَنْ أرْغَى)، أي عندما يتواصلون في النهيق، فلا يسكت الأول حتى يبدأ الثاني بالنهيق، وهذا خاصة في فصل الصيف أين يسكن الناس في الأجنة، وحيث الليالي القصار.

وهذا المثل خاص بالحمير المجتمعة لا بالحمار الواحد لأن الحمار الواحد إذا نهق ولو يردّ عليه الآخر سكت في حينه ولم يعد الكرّة. ولذا قال الله تعالى:(إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)(لقمان:19) بالجمع.

وِمَّتْرَنْ يَافْ أَنَتَّ أُوَّغْيُول، وِمَّتْرَنْ وَلْيُوف أَغْيُولْ إِيفِيتْ[65].

أي: الذي يسأل الناس ويجد فهو الحمار سواء، والذي يسأل ولا يجد فالحمار أفضل منه. يقال هذا المثل لأن الذي تسأله إذا كان قاسي القلب، فإنه يرفض طلبك رغم أنه يملك عما تسأل عنه أو أنه يعطي ولكن يمنّ عليك، أو يطلب منفعة في يوم آخر مقابل ما أسدى لك من خير، وبالتالي يجب أن لا يحط الإنسان من نفسه لمن كان شحيحا فيمنعه إذا سأله أو يعطيه ويمنّ عليه. أما إذا سأل ولم يجد فالحمار أفضل منه لأنه يأكل كلّ ما أعطى الناس له لكن لا يسأل الصدقة من أحد. لكن ليس كل الناس كذلك، فمن الناس من يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة. فلا يصلح هذا المثل في كل الأحوال.

ويقرب من معنى هذا المثل قوله تعالى عن الذين يغارون على كرامتهم ولا يسألون الناس أبدا مهما كانت حالتهم الاقتصادية؛ فأشار إليهم الله سبحانه وتعالى

حتى لا يغفل الناس عنهم ويبادرون إلى مساعدتهم:(الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم)(البقرة:273). والإلحاف الإلحاح في المسئلة...والمعنى أنهم لا يسألونهم البتة لا سؤال إلحاح ولا سؤال غير إلحاح"[66].

<u>رَبّ وَغَنّيحَوِّجْ لَتْوِيرَا ولاَ غَلَتْمِيرَا[67].</u>

أي: نسأل الله أن لا يجعلنا بحاجة للأبواب ولا إلى اللحاء[68]. فالأصل في الإنسان أن لا يردّ أحدا سأله، فإن لم يستطع فلا ينهره(وأما السائل فلا تنهر)(الضحى:10)، ووصف في المقابل عباده الناجين من النار(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)(الإنسان:8-9)، فيقال هذا المثل للذين يعزون أنفسهم ويتعفّفون عن ذلّ سؤال الناس مهما بلغوا من الفقر، وهو ما عبر عنه بالأبواب، لأن السائل يطرق الأبواب، ولا عن هيمنة الرجال(فاللحية رمز الرجل قديما)[69]، لذلك يسألون الله أن لا يجعلهم عالة على الآخرين. والمغزى منه هو حث البنت والمرأة على العمل والاكتفاء الذاتي والاتكال على النفس[70]. ويقرب من معنى هذا المثل قوله تعالى في الآية السابقة:(لا يسألون الناس إلحافا)(البقرة:273).

<u>أَمِي أُوهُو غِيرَمْ تَحَدْبُونْتْ أَمَاوِيغْ أَلْ بَتِّيمْ أَمْتَرْقَبْ[71].</u>

أي: ودِدت لو أخذتك إلى عمتك يا ابنتي لتراك. الناقة خجلت بسبب تحدب ظهر ابنتها، فاستحيت أن تأخذها إلى عمتها لتزورها لكن نسيت الأم أنها هي كذلك. فكأنها نسيت أن لها هي أيضا نفس الوصف(تحدب الظهر). يقال هذا المثل لمن ينظر إلى عيوب الآخرين ولا ينظر إلى عيوبه.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته)[72]. فعلى المرء أن يشتغل بعيوبه بدلا من عيوب غيره، حتى لا يكون مثل تلك الناقة التي خجلت من تحدّب ظهر ابنتها ونسيت أن تخجل من نفسها أولا.

دَاجَيْمي دَاسْتَفْتَفْ نَدَّرْوَتْ[73].

من عادة الناس أنهم يحبون أن تُقضى مصالحهم ومآربهم في نفس اللحظة ودون تأجيل. فلا يزالون "تصُّودَفْ" يفتشون-مثلا- هل للجمل ذروة، وفي نفس الوقت يبحثون هل زاد مقداره أم لا !

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى:(وكان الإنسان عجولا)(الإسراء:11). أي مطبوعا على المسارعة إلى كل ما يخطر بباله بلا تمهل[74].

ألــَمْ آمَلاّل أُوهُو قاَعْ تَادُونْتْ[75].

ولأن الناس تحب كثيرا الحيوان ذات اللحم الوفير والسمين فلربما يكون بياض وبره دليل على وفرة شحمه ولحمه، فبياض الجمل ليس بالضرورة دليلا على وجود اللحم الوفير أو الشحم. يقال هذا المثل لمن يعتقد أن الناس بالضرورة ظواهرهم كبواطنهم.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله صلى الله عليه وسلم:(رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)[76]، فالناس حكموا عليه من خلال ظاهره فاحتقروه وهو عند الله من أفضل الخلق. والعكس صحيح فمن الناس من له مال وجاه في الدينا فيمجده الناس، وهو-في الحقيقة- عند الله من أحقر وأبغض الخلق.

زَجْرَتْ آشْرُومَشْ تَرَّدْ إيفَزْ آنُولَــمْ[77].

"زَجْرَتْ آشْرُومَشْ" كناية الإنصات لما يقال"، كما قال تعالى:(فاستمعوا له وأنصتوا)(الأعراف:204). فإذا أطلت عنقك لا تتسرع لإعادة ما يقال إلا إذا " تَرِّيدْ إيفَزْ" جيدا. أي: إلا إذا أرجعت الطعام إلى الفم ثم أعدت هضمه ثانية بالأسنان وهو معنى الاجترار.

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا إياه:(لا تحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)(القيامة:16-19). فقد "كان النبي صلى الله عليه وسلم يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً منه على ما ينزل عليه منه، فنهاه الله عن ذلك"[78].

1. **رِبّ وَغَنْدْجِي دِفَّرْ وَمَانْ أَنَّغْ دِفَّرْجَازَنْ(إِنَعْزَامَانْ)**[79].

أي: "نسأل الله أن لا يتركنا بعد الماء أو بعد الرجال(العلماء). فالماء له دور أساسي في الحياة، بالماء يحي الله الأرض بعد موتها، عرف الأسلاف قيمتها في القديم فحافظوا عليها وحفروا الآبار وأقاموا السدود ووزعوا المياه بالعدل. فللرجل الصالح والعالم الورع، نفس الدور في إحياء النفوس وإخراجها من الظلمات إلى النور؛ غيابهما يؤدي حتما إلى انهيار المجتمع وانحطاطه، وضياعه في متاهات الجهل والانحراف"[80].

ويشهد لمعنى هذا المثل قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا أصحابه أنهم سيكونون من الذين يتبعون سبيل غيرهم من الكفار في كل نفيس وحقير، صغير وكبير انبهارا بحضارتهم:(لتتبعن سنن من قبلكم باعا فباعا، وذراعا فذراعا، وشبرا فشبرا، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن إذا؟)[81]. ففي هذا الحديث إشارة -أيضا- إلى الحذر أن نكون في مؤخرة القوم ومن الذين يقلدون غيرهم في كل شيء، حتى لو دخلوا حجر ضبّ لدخلناه(مبالغة في الاتباع)[82].

3/ البعد الحضاري للأمثال الميزابية:

يقصد بالأبعاد الحضارية الآثار الأخلاقية التي تتركها الأمثال الميزابية في الفرد الميزابي فيستفيد منها في حاضره وتجعل منه فردا يساير عصره ويتفاعل معه سواء في المجال الديني أم الاقتصادي أم الاجتماعي أم الفكري. ومن بين هذه الأبعاد ما يأتي:

1- تكوين فرد عمّال يعتزّ بالنشاط الاقتصادي الذي يمارسه مهما كان نوعه سواء كان بسيطا في نظر الناس كتنظيف الشوارع العامة وتنقية المهملات(وهو نظر خاطئ)، أم مرموقا كمزاولة مهنة الطب ونحوها. وقديما قيل: سيّد القوم خادمهم.

وفي هذا العصر، نجد كثيرا من الشباب يعزفون عن العمل ويميلون إلى الحرف البسيطة أو يشتكون من البطالة ليس لانعدام مناصب الشغل بل بسبب تخليهم عن مثل هذه الأفكار وهو أن العمل عزّة وراحة له في نفس الوقت، وأن

حقوق العامل لا تُنال بالبكاء والبقاء مكتوف اليد بل بمضـــاعفة الجهــد ومحاولـــة البحث عن خيارات أخرى لأجل الرفع من دخله الشهري مثلا، فـــالفرد الميزابـــي قديما وحديثا نجده طالب علم وفي نفس الوقت يتقن حرفة أو يشـــتغل تـــاجرا فـــي فترات العطل والفراغ)، وهذا جعل بشكل غير مباشر تنعدم كثيـــر مـــن الآفـــات الاجتماعية كالتسوّل والانحراف وغيرهما لأن وقته لا يسمح بذلك ولا حتى مبـــدأه الدينيّ يجيزه.

2- تعويد الفرد على مناداة الناس بأفضل الألقاب لديهم من خلال النظـــر فيمـــا يحترفه ويتميز فيه، خاصة في المجال الاقتصاديّ، وقد مرّ معنا المثل: "آتِغِيرْسَان" "آتِيعُوبَان"، "بَرْقَان"، فكلها أسماء لحرف اشتهر بها الميزابيون.

وفي هذا أيضا تنمية للذات، ورفع من شأن الفـــرد ومكانتـــه، وتـــرك النـــاس يتنافسون بينهم في الصالحات وبما ينفع الأمم ويصنع الحضارة، لا على المنـــابزة بالألقاب واحتقار الغير أو حسدهم.

3- المحافظة على لُحمة الجماعة وجعلها كنسيج واحــد متناســق، لا تفرقـــه العواصف ولا تهزّه مهما اختلفت الأزمان، ويظهر هذا من خـــلال المثـــل الـــذي ضربته لنا المرأة الميزابية حفظها الله حينما قالت: "رَبِّ أَدِنْكَضْ إِغَرسْ إِسْخُكّاضَنْ "، ففي الأخذ بهذا المعنى زيادة في قوّة المجتمع مهما قلّ عدده، وإبقاؤه صامدا أما الأعداء الذين يكيدون بالمجتمعات الإسلامية -بالخصوص في زمننا هذا- ويريدون تركها في ذيل الحضارات.

وفي الاستمساك بهذا المعنى، يبقى المجتمع دوما مجتمعا على كلمة واحدة-مهما تعقدت المشكلات وتعدّدت الرؤى. ولقد شهد وسجّل كثير من الغربيين وغيرهم هذا لدى المجتمع الميزابي نسأل الله تعالى أن يثبته على ذلك، وأن يكون هذا الخلق بين جميع المسلمين لأن هذا في حقيقة الأمر من ركائز ديننا.

4- مراعاة الحدود واحترام حقوق الغير، وهي قيمة أخلاقية حضارية فيهـــا خير كثير. فعندما أنشأ الغرب منظمة سموها حقوق الإنسان، كان الفكر الميزابـــي قد أشار إلى هذا من قبلُ، احترام الحقوق عامة إنسانا أو حيوانا فضربوا لنـــا هـــذا المثل:"أتـــمَالَفتْ أقرِّب"، وقبله ديننا الحنيف لما قال الله تعالى:(تلك حدود الله فـــلا

تعتدوها)(البقرة:229)(ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتــدين)(البقرة:190). وفــي هذا المبدأ ضمان لاستمرار الحضارات وتعايشها مهما تعددت أصولها وتوجهاتها.

5- الثبات على المبادئ والتركيز على القيام وفعل ما هو طيب حتــى يشــهد الناس بذلك والتاريخ أمام الله، فعبروا عنه بهذا المثل: "حَدْ يَنِّي إِتَّــفَ إِيــزُورَانْ" " أَتْشِينَا تَارُو دِيمَا غِيرْ أَتْشِينَا، تَاجَلاَّتْ أُوتِّيرُو أَدَّلاَّغْ". ويشهد لهذا المبدأ التضحيات التي قام بها الميزابيون تجاه وطنهم وحرصهم الدائم على تقديم الصالح العام ومــا فيه الخير، فالطينة الصالحة لا تنتج إلا جنسها كما يقال. وما أحوجنا اليوم إلى هذا في وقت طغت فيه المصلحة الخاصة والخيانة ولو على حساب الثوابت والدين.

6- الانطلاق نحو الريادة والتميز ورفض البقاء عالة على الغير أو في أســفل ســـافلين. فكـــان المثـــل القائـــل: "رَبِّ وَغَنِّـــدْجِي دَفَّـــرْ وَمَـــانْ أَنَّـــغْ دَفَّرْجَازَنْ(إِنَغْزَامَانْ)"(نسأل الله أن لا يجعلنا آخر من يصل إلى الماء ولا متــأخرين عن الرجال العاملين والعلماء) خير تعبير على ذلك. وما بقاء المجتمعات العربيــة في الحضيض إلا لرضاها الجلوس مكتوفة الأيدي تنتظر من ينظِّر أو ينتج لها.

وهذا المبدأ قد لمسه كثير من الناس لــدى المجتمــع الميزابــي؛ فقــد حــاول الميزابيون أن يُوجِدوا حلولا لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية عونا لــولي الأمــر على تسيير البلاد في أفضل ما يُرام.

إذن، هذه بعض من الأبعاد الحضارية للأمثال الميزابية استنبطها الباحــث مــن بعض الأمثال التي عرضها للدراسة ولم يتطرق إليها كلها، لأن مقــالا واحــدا لا يسعها، إذ يمكن استنباط عدة أبعاد من كل مثل.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة العلمية، تم التوصّل إلى عدة نتائج. ومنها:

- تعدّ اللغة الميزابية مصدرا ثريا بالأمثال؛ ففي إحدى الحصص الإذاعية ذكر الأستاذ حواش عبد الرحمن(رحمه الله) أنه جمع حوالي ألفين وخمس مائة(2500) مثلا ميزابيا[83].

- أغلب الأمثال الميزابية لها معنى وهي ذات بعد حضاري.

- أغلب الأمثال الميزابية لها ما يشهد لمعانيها من القرآن الكريم أو السنة النبوية. وفي بعضها ما لا يشهد لها أو لا يصلح للعمل به في سائر الأزمان(كالأمثال التي تعرّضت لنقدها).

- الأمثال الميزابية تعكس الرصيد الحضاري الذي يتمتع به المجتمع الميزابي فوجب اكتشافه والمحافظة عليه.

- مصادر الأمثال الميزابية متنوعة، منها ما هو مستوحى من الحيوان، ومنها ما هو مأخوذ من النخلة، ومنها ما من حرفة النسيج.

- أغلب الأمثال الميزابية تحمل دلالات بليغة ترقى إلى درجة الحكمة؛ وتغني عن كثير من المواعظ وجلسات التوجيه. فعلى الشباب حفظها والعمل بها.

التوصيات:

- على أبناء المجتمع الميزابي القيام بدراسات أكثر حول الأمثال الميزابية واستنباط أبعادها الحضارية لتستفيد منها البشرية؛ وكذا تأصيلها بإبراز شواهد لها من الدين الحنيف حتى تكون لها قيمة أكبر.

- إجراء دراسات مقارنة بين الأمثال الميزابية والأمثال العربية والفرنسية وغيرها من اللغات، لمعرفة مدى التشابه والتقارب ووجوه التأثير والتأثّر بينها.

ملحق لأمثال ميزابية لم تتناولها الدراسة:

"أَجرُون آنْ نِيخسان نَتْبَجْنَا- ديما يتعاود أُولِيكُوِي- حد يني إيحفر أنيلس سيفاسنس- حد يني دْوَرْوارا- حد يني دْوَار- حد يني إتواقّد أن تيازيط- حد يني يحيا ديس تسرط- حد يني أولِيدْجِيوِينْ أَنتِمْ تِيرَسْتْ تَدَرْغَالْت- حد يني دزيت دناج وامان- أدزيت- أَتِيمَشَّان- إيتَّالي أنْ نَلغُبَّار- حد يني إخزر تيرجا- حد يني

إسّني أن تسلت- حد يني إصودا إيتفاوت- حد يني تيسنت أن كـذا- حـد يني يَلسَسْ تاجَلَّتْ- حد يني تملاَّس تفسَا- حد يني أوليتزعليك حد تسّاتس- سن إيغويال ولا تدرا- موش أعبون- ويبِّين يلِّيسْ يجد مـمّيس- يجو تيازيط أولمان- إيمسـح ديس ألموسي- إيتدْجَا أضغا ترجا- ويسكرَّامَن يتَّـاف- أولـس إيقَّـن- تُوشـيت أنْلِيحسان تيفاوت ندّونيت- يرقب سوف يفسا أجدِّيدَسْ- يودا فودمـاس- أتزَّعْلكّـدْ أتَدّيدْ- أتزَّعْلكّدْ أتَّفهَمَّدْ"[84].

"ألم آملال أوجي كَاع أتَّارُونت- وجّي كاع ويرضن أبرنوس درجـاز- ويـزْ دسَّارن آتراخلت أتَركَلَنْ- ويدهكلن إيطاود- ويتسُّوقسَن تالفسا إيتّكْدَاس يُوزلّـوم- أبّي تاجَلضِيمْت قدّنْ نِيميتْش- إيخزر تيسرافت إيفسا إيجديدنس- أغـرم أُولِيتِلِّـي دوَاس- أولتغيضي داسنان نَتْزِيوَا، أديغاض داسنَّن نَتَّبسِـي- مَـايْنِي إلاّنْ أُولاَوَنْ أَضوَّضَان إيضَارَّن- ويوفِينْ تَسِيرْت أضِيزَدْ أُوغَجَّار دومنسـي- فـلان إسـتُورَا فْتَرغَت- تِيرسال نوغرم عَاونَنْـت تِيرسَـال نَلغَابَـت- تَاسِـيرْت تْـزَاضْ بـلا إيـمَندِي"[85].

"أرّازَنْ دِمِرْجَزَانْ- حَدَّني يَتَّطتَّفْ تاوَرْييتْ- أَنضَلْ إمانَتْش ما دام تَمورتْ تَـلاَّ ترْحَسْ- مي يوُسَس يَرزَم- واسي أُولِدْجِي تَنَصريفْت اتَّغيُولْت أُلزَط أزطّاس أنّـغ أُوليلَمّدْ- مِي تَدْجيدْ تَسَكْمَتْ إطِيزِوْتْ أَجَّـدْ أسّـيسْ تَاشُـورْتْ إتْجَرْبِيـتْ- ورْوَن تَايْزُوتْ يَارُو أَمَنَّاس"[86].

"يَجُّ أينِوْ قْبَلْ أَجَرِدُومْ- أَعيارسْ يشُّورْ- يَلاَّ يَوَّت إزورانْ أَنتَزدَايْـتْ- يَجُّـور أنُكَرشُوشْ- يـحرَّكَ تِخْشَبْتَسْ- إلْسَسْ أَنتَدْرَا، إطَبّزْ أَنتَدْرا- تُفاس تشَّاتْ لبعِيـدْ- تْـموتِيتْ مِ تْبَدَّلْ أنشَانْ تمْتّاتْ- إرضَّع الجيران أَنْتَزْدَايْتْ- يَتِيزَضْ أسدَفَّرْ وَعْيَارْ- يقُّورْ أَنُلَبُّوزْ- أَدْرَنْ أَمَانْ تَورْغتْ(صنف تورَغْتْ)- قاعْ وشِينْ تِينـي أكَرشُـوشْ أنْبَابَسْ- حدَّني يَتْشَدْ- حدَّني تزدايتَسْ تَـمَسْلُولَفْتْ- أَتـمُوتِيتْ نودَرْ نُسَفِّي- أَنْكَـلْ أدّالَتْ أتَشّدْ يَشْ أولَـمَّشْ تَشَّارَدْ تِيطْ نِنّايَنْ- أَنْكَـلْ تَـمَزْوَرْتْ نَـتْلاتْ أتَشّـارَدْ بَاجُو"[87].

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. ألفاظ النخلة بالعربية والميزابية، سليمان بن سعيد بكاي، تنسيق: عيسى بن محمد ترشين، الجزائر، 2006م.
2. أمثال ميزابية(مرقون)، جمع: حاج أحمد كروم، مكتبة دار إروان، العطف غرداية، 2018م.
3. الأمثال والمثل والتمثيل والمماثلات في القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين ط/2، مجمع البيان الحديث، بيروت، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، 2000م.
4. الأنامل الذهبية، صالح بن الحاج عمر ترشين، مطبعة آفاق، غرداية، دت.
5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ط/1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418 هـ.
6. التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، ط/1، المكتبة الأزهرية للتراث، 1423 هـ- 2002م.
7. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دط، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383 هـ.
8. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، ط/10، دار الجيل الجديد – بيروت، 1433ه.
9. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ (ت: 905هـ)، ط/1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1424 هـ - 2004م.
10. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دط، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دت.

11. الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/1، دار طوق النجاة 1422هـ.

12. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دط، دار الفكر العربي، لبنان- بيروت، دت.

13. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، ط/2، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، 1403هـ - 1983م

14. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، دط، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ.

15. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريّة، دط، صَيدَا - بَيروت، 1412 هـ - 1992م.

16. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، ط/1، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1356ه.

17. قلب ذهبي، صالح بن الحاج عمر ترشين، مطبعة آفاق، غرداية، دت.

18. كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، دار ومكتبة الهلال، دت.

19. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط/1، بيروت - لبنان 1422، هـ - 2002م.

20. مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط/1، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، 1416هـ.

21. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري(ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411ه – 1990م.

22. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، ط/1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001م.

23. مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت: 454هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/2 مؤسسة الرسالة – بيروت، 1407 ه– 1986م.

24. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دت.

25. معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية، كمال خلايلي، ط/1 مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1997م.

26. معجم مصطلحات الإباضية، محمد موسى باباعمي وآخرون، ط/1، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م.

27. الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الأمازيغية "المزابية"، إبراهيم عبد السلام وبكير عبد السلام، ط/1، المطبعة العربية، غرداية– الجزائر، 1996م.

المصادر السمعية:

28. إِلْسَنَّغْ(مجموعة حصص في إذاعة غرداية بالجزائر) مع دليل للقرص عبد الرحمن بن عيسى حواش، إعداد الدليل: يوسف بن يحي الواهج، غرداية 2010م.

المجلات:

29. توظيف المثل الشعبي في خدمة المرأة الريفية بدارفور، سليمان يحي محمد، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد24، رمضان 1421ه.

الرسائل العلمية:

30. الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية، منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا(رسالة ماجستير)، غنية عابي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة-الجزائر،2016/02/09م.

هوامش الدراسة:

----

[1] – ميزاب أو "مِزَابْ أو نْزَابْ، نسبة لبني مُصَابْ من بني وَاسِينْ؛ وهم الذين سكنوا المنطقة بعد أن اختَطُّوهَا، وأصلهم من قبائل زناتة البربرية، كانوا على المذهب المعتزلي ثم اعتنقوا المذهب الإباضي في القرن5هـ/11م، لغتهم الميزابية قريبة من اللغة الشاوية، القورارية، الشلحية والنفوسية، وقد أقام الميزابيون نظما اجتماعية واقتصادية وعمرانية وقضائية وأمنية ببلاد الشبكة(مزاب) لا تزال إلى اليوم"(معجم مصطلحات الإباضية. 2/951–952، بتصرف).

[2] – معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية، ص: 09.

[3] – كتاب العين.228/8.

[4] – الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية، منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا، ص:08–09.

[5] – الأمثال والمثل والتمثيل والمماثلات في القرآن الكريم، ص:17.

[6] – توظيف المثل الشعبي في خدمة المرأة الريفية بدارفور، ص:05، بتصرف.

[7]– القرص الثاني، الفصل الرابع، الحصة الثانية، الدقيقة: 13.

[8] – المصدر نفسه.

[9] – المصدر نفسه.

[10] – التفسير الواضح.761/3.

[11] – القرص الثاني، الفصل الرابع، الحلقة الأولى، الدقيقة: 21.

[12] – المصدر نفسه، الدقيقة: 03. والحلقة الثانية، الدقيقة: 11.

[13] – القرص الثاني، الفصل الرابع، الحصة الثانية، الدقيقة: 15.

[14] – الأنامل الذهبية، ص:72.

[15] – القرص الثاني، الفصل الرابع، الحصة الثانية، الدقيقة: 15.

[16] – الأنامل الذهبية، ص:72.

[17] – القرص الثاني، الفصل الثاني، الحلقة الرابعة، الدقيقة:03.

[18] – المصدر نفسه.

[19] – صحيح مسلم. 1219/3.

[20] – القرص الثاني، الفصل الثاني، الحلقة الرابعة، الدقيقة:07.

[21] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة الخامسة، الدقيقة: 04.

[22] – شرح السنة.112/13.

[23] – مسند أحمد. 124/20.

[24] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة السادسة، الدقيقة: 01.

[25] – القرص الثاني، الفصل الثاني، الحلقة السابعة، الثانية:45.

[26] – زهرة التفاسير.2874/6.

[27] – مسند الشهاب.370/1.

[28] – فيض القدير شرح الجامع الصغير.241/3.

[29] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة السابعة، الدقيقة: 01.

[30] – مسند أحمد. 48/25.

[31] – التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف.26/1-28.

[32] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة السابعة، الدقيقة: 02.

[33] – سنن الترمذي. 259/2.

[34] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة السابعة، الدقيقة: 04.

[35] – زهرة التفاسير.2282/5، بتصرف.

[36] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة السابعة، الدقيقة: 04.

[37] – المصدر نفسه، الدقيقة: 09.

[38] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة الثامنة، الدقيقة: 07.

[39] – زهرة التفاسير.3923/8.

[40] – مختصر تفسير البغوي.473/4.

[41] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة الثامنة، الدقيقة: 08.

[42] – زهرة التفاسير.4467/8.

[43] – القرص الثاني، الفصل الخامس، الحلقة التاسعة، الدقيقة: 07.

[44] – زهرة التفاسير.5200/10.

[45] – المصدر نفسه.

[46] – القرص الثاني، الفصل الرابع، الحلقة الثانية، الدقيقة: 10.

[47] – القرص الثاني، الفصل العاشر، الحلقة الثانية، الدقيقة: 01.

[48] – زهرة التفاسير.2500/5.

[49] – القرص الثاني، الفصل العاشر، الحلقة الثانية، الدقيقة: 02.

[50] – المصدر نفسه، الدقيقة: 05.

[51] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل.133/1.

[52] – صحيح البخاري. 13/8.

[53] – القرص الثاني، الفصل العاشر، الحلقة الثانية، الدقيقة: 08.

[54] – فتحُ البيان في مقاصد القرآن.350/12.

[55] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الأولى، الدقيقة: 02.

[56] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثانية، الثانية: 29.

[57] – زهرة التفاسير.2550/5.

[58] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثانية، الدقيقة: 05.

[59] – المصدر نفسه، الدقيقة: 06.

[60] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثانية، الدقيقة: 08.

[61] – جامع البيان في تفسير القرآن".415/2.

[62] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثالثة، الدقيقة: 01.

[63] – التفسير الحديث.131/6.

[64] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثالثة، الدقيقة: 05.

[65] – المصدر نفسه، الدقيقة: 06.

[66] – فتحُ البيان في مقاصد القرآن.136/2.

[67] – القرص الثاني، الفصل الثاني عشرة، الحلقة الثالثة، الدقيقة: 08.

[68] – الأنامل الذهبية، ص:70.

[69] – قلب ذهبي، ص:80.

[70] – الأنامل الذهبية، ص:70.

[71] – القرص الثاني، الفصل الحادي عشرة، الحلقة الأولى، الدقيقة: 11.

[72] – مسند أحمد. 20/33.

[73] – القرص الثاني، الفصل الحادي عشرة، الحلقة الأولى، الدقيقة: 01.

[74] – فتح البيان في مقاصد القرآن.361/7.

[75] – القرص الثاني، الفصل الحادي عشرة، الحلقة الأولى، الدقيقة: 01.

[76] – المستدرك على الصحيحين. 364/4.

[77] – المصدر نفسه، الدقيقة: 04.

[78] – فتحُ البيان في مقاصد القرآن.282/8.

[79] – قلب ذهبي، ص:74.

[80] – المصدر نفسه، بتصرف.

[81] – المستدرك على الصحيحين. 93/1.

[82] – شرح رياض الصالحين.495/3.

[83] – ألف الأستاذ عبد الرحمن حواش(رحمه الله) قاموسا ميزابيا في 500 صفحة، مع الأستاذ عبد السلام إبراهيم ونوح مفلون أحمد، به حوالي 2500مثل، 100مثل عن النسيج. انظر: القرص الثاني، الفصل الرابع، الحلقة الأولى، الثانية: 45.

[84] – جمعتها من عند الأستاذ حاج أحمد كروم، مكتبة دار إروان، العطــف غردايــة، 2018م. وبعض منها مما حفظته.

[85] – الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الأمازيغية، ص:50. كتاب القرارة، ص:56.

[86] – الأنامل الذهبية، ص:70–72.

[87] – ألفاظ النخلة بالعربية والميزابية، ص:25.

تثمين التراث اللامادي لمدينة القرارة

أ.: الحاج موسى خبزي
غرداية
hmkhobzi@gmail.com

المقدمة:

بفضل تكنولوجيات الاعلام والاتصال اصبح العالم اليوم قرية واحدة ، فالكل ينشر ثقافته عبر الفضاء الازرق على سبيل المثال والكل يتطلع الى اكتشاف مقومات هوية الاخر، فأضحى من الضروري الاهتمام بعنصر من عناصر ثقافات الشعوب الا وهو التراث وخاصة ما يعرف بالتراث الثقافي ،و قد يتعرض هذا الموروث الى ضياع لأسباب عدة، فورقتنا هذه سنحاول ان نستعرض فيها انموذجا متمثلا في تثمين عادات وحرف والعاب تقليدية لمدينة القرارة ولكن قبل ذلك يجدر بنا ان نقدم بعض المفاهيم المتعلقة بالتراث ومواضيعه واهميته وكيفيات الحفاظ عليه

الفصل الاول – بعض التعريفات:

ـ **الموروث او الميراث او الارث :** هو كل ما تركه انسان او مجموعة بعد رحيلهم الى مجموعة اخرى مما كسبته او صنعته او الفته او شيدته من عقار ومال وثقافة (او ما يعبر عنه بالتراث الثقافي)

فالتراث الثقافي صنفان: مادي ولامادي (او غير مادي)

ـ **التراث الثقافي المادي** فيه المنقول وغير المنقول.

ـ **فالمنقول هو** كل ما يمكن تحويله او نقله من مكان الى آخر مثل: التحف والاواني القديمة المعروضة في المتاحف المعالم والاثار

ـ و**غير المنقول** هو كل ما لا يمكن نقله مثل: المعالم والآثار القديمة المعبرة عن حضارات سادت ثم بادت فهي كلها تعبر عن هوية شعب التراث الثقافي هو ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمعا لديه

موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال المقبلة.

التراث المادي يشمل المباني والأماكن التاريخية والآثار والتحف وغيرها، التي تعتبر جديرة بحمايتها والحفاظ عليها بشكل أمثل لأجيال المستقبل. وتشمل هذه لقى متميزة بالنسبة لمعايير علم الآثار والهندسة المعمارية والعلوم أو التكنولوجيا فيما يخص ثقافة بعينها. وتصبح تلك اللقى والمواد من الأهمية لدراسة تاريخ البشرية لأنها تمثل الركيزة الأساسية لأفكار ويمكن التحقق من صحتها. ويدل الحفاظ عليها على اعتراف ضمني بأهمية الماضي، والدلالات التي تسرد قصتها (مكتب اليونسكو بالقاهرة).

<u>تعريف اليونسكو من نص اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي (المادة 2):</u>

يقصد بعبارة "التراث الثقافي غير المادي" الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات – وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية – التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة.

المادة 2 من نص اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي_الموقع الرسمي لمنظمة اليونسكو نسخة محفوظة 29 أكتوبر 2015 على موقع واي باك مشين.

أقر المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابع عشرة بباريس في ال 16 من نوفمبر 1972 الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي. تسعى

هذه الاتفاقية على المحافظة للإنسانية وللأجيال القادمة على الشهادات الطبيعية والثقافية التي لها قيمة عالمية واستثنائية.

وقد صادقت الجزائر على هذه الاتفاقية وانتخبت عضوا في لجنة التراث العالمي في السابع من نوفمبر سنة 2011.

سجّلت الجزائر إلى حدود معطيات أكتوبر سنة 2015 لمنظمة اليونسكو خمس نقاط ثقافية لامادية ضمن لائحة اليونسكو للتراث العالمي الثقافي غير المادي، وهي أهليل قورارة التقليدي والعادات المرتبطة به والزاوية الشيخية والمراسيم المتعلقة بها وبلدية الأبيض سيدي الشيخ والممارسات والمهارات والمعرفة المرتبطة بمجموعات إمزاد عند الطوارق وعادات وطقوس(ويكيبيديا).

ولعل في إدخال التراث اللامادي في المناهج التربوية المدرسية والجامعية، ممّا يساهم لامحالة في حفظ التراث من الضياع والاندثار فقط، وكذلك في تحديثه وعصرنته وفق منهج علمي وبحث معمّق ورؤية إبداعية خلاّقة تنتقل بالتراث من الذاكرة المستهلكة إلى المستقبل المنتج.ا (لحسن امقران التراث المادي واللامادي والواحات)

ومراسم السبيبة في واحة جانت بالجزائر والعادات والمهارات الحرفية المرتبطة بزي الزفاف التلمساني.

وعلى ضوء التعريف الوارد في الفقرة أعلاه يتجلى "التراث الثقافي غير المادي" بصفة خاصة في المجالات التالية:

-(أ) التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.

-(ب) فنون وتقاليد أداء العروض.

-(ج) الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

-(د) المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.

-(ه) المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

تعريف العادات (habitudes, coutumes , us) والتقاليد(traditions)

يقال أن أي شيء تفعله أكثر من ثلاث مرات يصبح عادة، والعادة هـــي الشـــيء المألوف الذي يفعله الإنسان بدون تفكير ولا يشعر بضيق أو تعب. التراث اللامادي

الامثلة للعادات الفردية: الزيارة اليومية (7) للوالدة.

- زيارة الوالدة قبل السفر
- شراء رغيف زائد يوميا للتصدق به صباحا
- اول ما يقوم به احدهم عند الاستيقاظ صباحا الاستغفار والشهد
- اول ما يقوم به احدهم عند قدومه من السفر هو تنظيف الشارع امام
- منزله وكذا يوم الجمعة.

مثال: اغلب ما تقام الولائم في الجزائر بالكسكسي فهـــي عـــادة ولكـــن كيفيـــة تحضيره ونوعيته ووقت تناوله يختلف باختلاف المناسبات والجهات وهذه تقاليد

المفهوم 1

تقاليد جمع تقليد وهو مصطلح يعني الموروث الذي يورث عن الآبـــاء والأجـــداد أي تقليد الأجيال في هذا أو ذاك المجتمع لمن سبقهم من الأجيال في العقائد والسّـــلوك والمظاهر.

إنّ مفهوم مُصطلحَي العادات والتّقاليد يُعدّ من المفاهيم المُعقّـــدة التـــي يصـــعب تحديدها بشكلٍ عامّ؛ بسبب اتّصالها بمفهوم أكثر شمولاً وهو الثقافة؛ إذ تمثّل العـــادات والتّقاليد جزءاً من الثقافة المجتمعيّة، وترتبط غالباً مع حالة زمنيّة قديمة وخارجة عن مجال التدوين المكتوب؛ حتّى تصير جُزءاً من تشكيل مادي يؤدي إلى ظهور إشكاليّة عدم الوصول إلى مفهوم واحد للعادات والتّقاليد.

تُعدّ العادات والتّقاليد جزءاً مهمّاً في مجتمع كلّ دولة في أنحـــاء العـــالم، ومـــع اختلاف الجنسيّات، والاهتمامات، والأديان بين البشر، إلّا أنّه توجد عـــاداتٌ وتقاليـــدٌ خاصّة بكلّ عائلة، وقبيلة، ودولة، وثقافة، وعصر؛ فجميع الأفراد داخل مجتمعٍ معيّن يلتزمون بعاداته وتّقاليده ولا يفرّطون فيها، ويعتبرونها قـــوانين لا يمكـــن تجاوزهـــا وفي بعض الأحيان قد يُعاقَب الفرد إذا تجاوز العادات والتّقاليـــد والأعـــراف للبيئـــة

المحيطة به؛ بسبب ارتباطها بالمعتقدات، والتّربية، والسلوكيّات عند الأفـــراد بشـــكلٍ عام، وربّما ترتبط بشكلٍ مباشر مع الدين، فتشمل العادات والتّقاليد أحياناً العديد مـــن الأمور الدينية كطقوس العبادة، كما تتضمن العادات والتّقاليـــد آليـــة التّعامـــل فـــي المناسبات العامة، وطبيعة التّواصل والتّعامل بين الرّجال والنســـاء، والكثيـــر مـــن الأمور الأُخرى.

يوجد فرق بين لفظي 'العادات' و'التّقاليد' رغم ارتباطهما ببعضـــيهما فالعـــادة أو العادات هي الأمور المألوفة والتي اعتاد الفرد على القيام بها دون جهد ولفترة زمنيّة معيّنة أمّا التّقليد أو التّقاليد فيمثل الموروث الثّقافي لفرد أو قبيلة أو مجتمع عن آبائـــه وأجداده.

مثال للعادات :تتمسك الغالبية من المجتمعات ويندرج تحت مصـــطلح "العـــادات" افعال – وملبس – وكيفية تعامل، فمثلاً هناك مجتمعات تهتم بل وتبالغ فـــي اكـــرام الضيف والاعتناء به، واخرى حين تفعل فيكفي الاحتفاء بالضيف وترى بأنـــه لـــيس ضروريا مثلاً اقامة الولائم ومن هذا القبيل، ولاتواجه اي انتقاد من محيطها، ويعـــود هذا لأنه اصبح عادة، على عكس المجتمع الذي يهمه اكرام الضيف، فمن لـــم يفعـــل يواجه نقدا أحياناً يصل إلى التجريح، للشخص الذي لم يقـــم بـــاكرام ضـــيفه، وفـــي الحالتين يعود الأمر لما اعتاد على فعله هذا أو ذاك المجتمع. ومـــن العـــادات نجـــد اللباس وكيفية اللبس، فالمجتمع نفسه، حتّى وان كان يتشابه أفراده باللباس بشكل عام الاّ أنّهُ تبقى هناك فوارق تدلّ على "جهة أو بلد" هذا الشـــخص.(غطاء الـــراس مـــن شاش وقبعة وطاقية) ولكل مجتمع أو تجمع أو مجموعة انسانية، عادات تتكون مـــع مرور الأيام وتتطور ويتم المحافظة عليها من خلال التكرارالذي يفـــرض ان تكـــون عادة، وعموماً تختلف المجتمعات الشرقية عن الغربية اختلافاً كبيرا، وفـــي جوانـــب كثيرة من الأفعال والملابس ونحوهما، فقد يكون هناك تشابه فيما بينهما فـــي مـــثلاً الجوانب الانسانية، وهي تقريباً ليست عادات بالمعنى الحقيقي، ولكنه امـــراً معتـــادا عليه، وهي مثل انقاذ شخص محتجز أو وقع عليه حادث، فطبيعة الإنسان انه يميـــل للمساعدة خاصة في الجانب الإنساني، فمثلاً شخص يُجيد السباحة لا يقبل ان يتـــرك

إنسانا يغرق "ان كان يستطيع" كما انهُ يُنتقد من قبل الآخرين من لـــم يقـــم بالانقـــاذ وربما هناك بعض من الدول، تعاقب من يستطيع "مد يد العون" في المسائل الإنسانية ولم يفعل. ففي المجتمع الغربي تختلف مسألة وكيفية التعامل مع الضـــيف، إذ تلعـــب المصلحة الشخصية دوراً بالغ الأهمية، فمتى كانت هناك "مصلحة"كان هناك تعامـــل مختلف عن شخص ليس وراءه مصلحة، ويرتبط التعامل في برتكـــول معـــين وذي تقنين متعارف عليه، مثل اين يقيم الضيف وكم عدد الايـــام التـــي يتحمـــل تكلفتهـــا المضيف، على العكس من المجتمعات العربية والتي يقيم الضيف لدى المضيف فـــي منزله، بل ويستضيفه ويقدم له الطعام طيلة اقامته وعادة الاقامة لدى المضيف بدأت بالاندثار تقريباً في أكثر المجتمعات العربية، الا انه فـــي أكثـــر الاحـــوال، يتحمـــل المضيف اقامة ضيفه في الفندق، ويفعل هذا من باب الاكرام والاعتنـــاء بالضـــيف، ومع التطور والتقدم الحاصل من حيث انفتاح العالم على بعضه الـــبعض، اصـــبحت المجتمعات تأخذ من بعضها البعض شيئاً مما يروق لها، وهناك عادات تُنتقد في بادئ الأمر بل وترفض من قبل المتمسكين بالعادات وتقاليدهم، الا انها مع مـــرور الأيـــام تصبح امراً عاديّا، ويأتي القبول من حيث ان هذا او ذاك الفعل الذي من قبل لم يجـــد القبول، اصبح "مُعتادا" وأضحى مع مرور الأيام لعادة أو ان يحل هذا الفعـــل بمكـــان عادة أو امراً "مُعتادا" عليه من قبل، فمثلاً اللباس "الافرنجي"وبجميـــع اشـــكاله كـــان ترفضه اغلب المجتمعات العربية، وهاهم الكثير من المجتمعات العربية اصبح لـــديهم لباس البذله جزءا من واقعهم، ولدرجة ان الكثير من فئة الشـــباب وصـــغار الســـن يظنون بأنه لباسهم المتوارث، وهناك من يتقبل لباسا محدد مثل المسمى "بالترنق" ولا يجد لباس السروال والقميص قبولا وينتقد من يفعل ذالك حتـــى ولـــو مـــن خـــلال النظرات، ويبقى انه لكل مجتمع عادات وتقاليد خاصه بهم ودون غيرهم .

العادات والتقاليد تحدد هوية المجتمع، وتعطيه تلك الصبغة الخاصة التي يصـــطبغ بها، إذ لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال تجاوز أو تجاهل وجود هذه الأمور التـــي تسيّر النّاس في الكثير من الأحيان من خلال أنماط معينة لا يحيدون عنها.

مفهوم 2

العادات والتقاليد مُصطلحان نسمع بهما في حياتنا اليوميّة بشكلٍ مُستمر، فكُـل أمر نقوم بهِ في المُجتمع مُرتبطٌ بهما، وكُلّما قامَ الشخص بأمر خارج عن نطاقهمـا يلومهُ الآخرون بحُجة أنّهُ خرجَ عن ما هوَ مُتعارف عليه، إنّ العادات والتقاليد هيَ أشبه بالقواعد الراسخة والمُحدّدة في كُل بلد من بُلدان العالم، فهُنالِكَ علـى سـبيل المثال عادات الزواج وتقاليد الطعام وغيرها الكثير، وعلى كُل شـخص التعـرُف عليها حتّى يكونَ مُلِمّاً بها ولا يبتعد عنها بقدر الإمكان، ومع أنّ العادات والتقاليـد يأتيان مع بعضهما البعض إلّا أنّ بينهما العديد من الفروقات والاختلافـات، وفيمـا يلي سنتعرف على أهمها.

انّ العادات هيَ الأمور التّي اعتادَ النّاس على القيام بها في المُجتمع، أو ضـمن عائلات ومجموعات مُحدّدة، فهيَ كالقواعد التّي تمّ نصها وكتابتها من قبل أشخاص مُعينين حتّى يقوم الآخرون بتطبيقها والالتزام بها، وغالباً ما يُطلق على الأمر الذّي يقوم به العديد من النّاس بالعادات، وتشمل العادات أي أفعال ترتبط بالحياة اليوميّـة لمُجتمعٍ مُعيّن، كعادات احترام الكبار في السن في المُجتمعات العربيّة، أو عادة خلع الحذاء أثناء دخول المنزل لدى الأتراك، وغيرها الكثير من الأمثلة، وهذهِ الأمـور لا تُعتبرُ راسخةً أو مُلزم بها في المُجتمع، ولكنّها مُتعارفٌ عليها ويُفضّلُ الالتـزام بها بقدر الإمكان. ومن بعض الأمثلة على العادات: الانحناء لكبـار السـن، ففـي بعض الدول يُعتبر هذا السلوك من الأمور التّي تدُل على الاحترام واللباقة. التجشؤ أثناء تناول الطعام، ففي بعض الدول يُعتبرُ هذا الأمر طبيعيّاً ولا يستلزم الاعتـذار أو الإحراج. الجلوس على الأرض أثناء تناول الطعام، فبعض المُجتمعات تُفضّـل القيام بذلِك؛ لأنّهُ من العادات الصحيّة للجسد، بالإضافة إلـى أنّـهُ يـوفّر الراحـة الإضافيّة للشخص.

التقاليد هيَ اعتقاداتٌ وسلوكيّاتٌ متوارثة من جيلٍ إلى آخر في المُجتمـع مُنـذُ فترة طويلة من الزمن، ويتبع النّاس هذهِ التقاليد بشكلٍ فطري وطبيعيّ في نشـأتهم فكُل عائلة تعلّم أبناءها تقاليد المُجتمع الذي تعيشُ فيه مُنذُ الصغر، كتقليـد طريقـة

تناول الطعام، ففي اليابان مثلاً يتناولونَ الطعام باستخدام العيدان الخشبيّة، أمّا في الدول الأجنبيّة يتم تناوله باستخدام الشوكة والسكينة، كذلِكَ الأمر بالنسبة لتقاليد الزواج والمُناسبات الاجتماعيّة المُختلفة، فكُل دولة أو مُجتمع معروفٌ بأمورٍ تخصّهُ عن الآخرين. ومن بعض الأمثلة على التقاليد: ضرب العريس في يوم زفافه، ففي بعض الدول يضرب أهل العروس العريس قبلَ إتمام مراسم الزفاف حتّى يتأكدوا من صبره وفيما إذا كانَ كفؤاً للزواج بابنتهم. تكريم الضيف بشكلٍ كبير، فبعض الدول تهتم بالضيف وتُقدّم لهُ سُبل الراحة المُختلفة. تناول الطعام باليدين، فبعض المُجتمعات تتناول الطعام بيديها كجُزءٍ من تقاليدها.مقدمة في حياتنا الكثير من الأمور التي اعتدنا على وجودها بشكلٍ أو بآخر، رغم أنّ هذا الوجود كان غير مبرر في كثير من الأحوال، ولو نظرنا حولنا جيداً، لنظرنا إلى بعض الأمور التي لا يمكن أن نتخلى عنها، على الرغم من أنها أصبحت من القدم، وما عاد لها أي جذر في حياتنا اليومية على وجه الخصوص، وهذه الأمور على الرغم من قدمها، وغرابتها في أكثر الأحيان إلّا أنّنا اعتدناها، حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا على الإطلاق، والناظر في التاريخ يجد أن الحديث عن هذه الأمور دون غيرها قد جعلها محور اهتمام بشكلٍ أو بآخر، ولو رأيت أحد المغتربين لوجدت أنه من أكثر الأمور التي يحب أن يلتزم بها هي تلك الأمور التي أحبها في صباه، وكانت في حياته منهاجاً، وروحاً وقلباً على الدوام.

والحديث اليوم لا يقتصر على مجموعة من الأمور التي ما زلنا نتعامل معها أو نستذكرها، ولكننا سنتحدث عن تاريخ عريق لوطن بأكمله، ففي كل منطقة تتجلى لك بعض الأمور التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، أو يحيد عن دربها، وأي تغيير يحدث فيها قد يعرض صاحبها للاستهزاء، وربما أكثر للحديث الجانبي المزعج، الذي قد يطيح بسمعتك أو بشرفك أو ما إلى ذلك. العادات والتقاليد موضوعنا سيدور حول أكثر الأشياء التي تتصدر حياتنا، ويتم الحكم علينا من خلالها، فلو أراد شخص ما أن يحيد عنها، فلا مجال لأن يتقبل أي شخص هذه الفكرة، ويصبح كأنه أبدى سوء نيةٍ أو قام بفعلٍ شنيع،

فالعادات والتقاليد من مستهل الأمور التي نشأنا وترعرعنا عليها، وكانت الأصل والأساس في التكوين العقلي والنفسي لنا في هذه المجتمعات المنغلقة، التي حكمتها هذه الظواهر من فترة لأخرى، ولعلك لاحظت عزيزي القارئ أن أكثر فئة متمسكة بالعادات والتقاليد، هي الفئة التي باتت اليوم على حواف القبور، أي الكبار في السن، ومع أنهم على بينة من أن هذا هو الأساس السليم للتربية الحديثة، إلّا أنّ الأمور لا يمكن أن تجري من منطلق التقيد وخلافها، خاصة في ظل الانفتاح العصري والتكنولوجي، وتطور وسائل المواصلات والاتصالات وغيرها، وبات العالم قرية صغيرة، حتى وجدنا الانفتاح داخلاً في مجالات حياتنا كلها، ومن أهمها التبرج، والتقليد الأعمى للغرب الذي اعتدنا أن نراه، خاصة بين فئة الشباب الذين تراودهم فكرة أن الموضة لا تسير إلّا وفق تقليد الغرب، والتعامل مع كل الأمور التي يستحدثونها، وإن نظرت إلى المجتمعات الغربية أصلاً، لوجدت أن الشباب فيها غالبيتهم لا يتبعون الموضة التي تظهر من وقت لآخر، ولكن الهوس التكنولوجي، والنظر المتخلف للتلفاز والإنترنت جعل الأمر يصعب على أولياء الأمور، وجعل الأمور تخرج على السيطرة في كثير من الأوقات. أهمية العادات والتقاليد وللعادات والتقاليد أهمية عظيمة في حياتنا، قد لا نشعر بها، خاصة أنّنا لا نهتم بكوننا نحمل هوية محددة، ولكن عندما ننظر إلى الواقع الملموس من حولنا نجد أن كل الشعوب التي تحيط بنا تحاول قدر المستطاع التمسك بالمعتقدات والتقاليد التي تربت عليها، وهذا ليس لشيء إلّا لأهميتها العظيمة، فلو نظرت إلى المجتمعات التي تخلو من أي التزامات وما شابه، لعرفت أنه من المهم التمسك بمثل هذه الأشياء، وعدم الاستغناء عنها مهما كلّف الأمر،

ومن أبرز النقاط التي توضح أهمية العادات والتقاليد ما يلي: ترسم العادات والتقاليد شخصية الفرد، وتجعلنا نفرق بين الأشخاص حسب الانتماء أو المكان الذي أتوا منه. تجعلك تستشعر أهمية أن يكون لك وطناً خاصاً بك، فهذا بحد ذاته أمرٌ يجب عدم الاستهانة به. الاستعانة بتاريخك وتقاليدك وعاداتك تجعلك أفضل الأشخاص وأكثرهم حظاً لأن لديك ما تحدّث به أبناءك عند الكبر.

الفرق بين لفظ العادات ولفظ التقاليد في الحديث عن العادات والتقاليد، فإنّنا نجد أن غالبية الأفراد يميلون إلى اعتبار اللفظين مشتركين لمعنى واحد وهو الأمر القديم، الذي لا حداثة فيه، وهذا سبب وجيه، وراجع إلى ارتباطهما الوثيق دوماً وفي كل مجالات الحياة، فلا نكاد نذكر اللفظ الأول حتى نتبعه باللفظ الآخر.

مفهوم 3

إن كانت العادات هي مجموعة من الأمور التي اعتدنا على القيام بها منذ الصغر، وهي راجعة إلى ما قام به الآباء والأجداد على امتداد حياتهم بشكلٍ كبير فالتقاليد، هو الموروث الثقافي الذي ورثناه عن الآباء القدامى، وأصبح بالنسبة إلينا كالكتب القديمة أو المراجع، نعود إليها عند الحاجة، ومن أهم الأمور التي عانينا منها في الآونة الأخيرة إلى الاضطرار إلى تبرير كافة التصرفات التي تصدر منا للأبناء تحت مسمى العادات والتقاليد، وإن كنّا نتبعها بدون وعي، ونحن حتى لا نعلم أصلها، وفصلها، فوجدنا بعض الأبناء الذين يتكبرون على هذه المعاني السامية بحجة الانفتاح التكنولوجي والتواصل مع الآخرين، وهذا الأمر لا يمكن أن يخالف العادات والتقاليد في شيء، فالأهم من كل ذلك أن تكون قادراً على التواصل مع الحداثة والقدم بدون أن تضر نفسك، أو تقلل من شأنك، أو يصدر عنك أي فعل يسيء لمعتقداتك وتفكيرك، ويجعلك تنحرف عن مسارك الذي يفترض أن تسير عليه طوال حياتك. إنّ من أهم العادات في حياتنا اليومية، هي التعامل بود في الصباح الباكر، تناول وجبات الفطور مع العائلة، الاستلقاء لسماع أغاني فيروز على سبيل المثال، الجلوس مع الرفقاء والأحبة في باحات البيوت، وشرب الشاي على النار في ليالي الشتاء الباردة، بالإضافة إلى الجلوس على عتبات الباب والحديث مع الجارات والاستمتاع بالهواء الطلق بدون أي تدخلات حديثة.

يقال أن أي شيء تفعله أكثر من ثلاث مرات يصبح عادة، والعادة هي الشيء المألوف الذي يفعله الإنسان بدون تفكير ولا يشعر بضيق أو تعب.

مفهوم 4

العادة تكونت من أفعال مستمرة لشي ما أو حدث ما، ويزخر مجتمعنا العربي بكامل أقطاره بالعديد من العادات والتقاليد منها ما هو غريب، ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو منافٍ للدين، ومشكلتنا في المجتمع العربي يقدسون العادات والتقاليد.

مفهوم 5

العادات: هي موروث ثقافي اجتماعي يحاول المجتمع المحافظة عليها وعدم المساس بها. وهناك فرق جوهري بين العادة والفطرة؛ فالعادة هي شيء مكتسب نتيجة استمرارية ممارسة الأفعال نفسها حتى أصبحت عفوية ولا إرادية، وهناك دافع يدفعنا لممارستها. أما الفطرة هي شيء خارج عن إرادتنا شيء جُبلنا عليه مثل الغريزة الجنسية عند البشر، وغريزة ميلنا للجنس الآخر، وغريزة الأكل والشرب.

مفهوم 6

العادات هي نتائج أفعال متكررة حتى تصبح شيئًا من كيان الشخصية، ويجد بعضنا صعوبة في ترك بعض العادات وبعض العادات عادات مجتمعية تربينا عليها وتستمد قوتها من خوف المجتمع كله من التغيير، وينظرون لأي شخص يرفض بعض عادات المجتمع أنه غريب وغير طبيعي.

التراث اللامادي :ثلاثة اصناف

1 . **الموروث الفكري:** كل ماهو انتاج فكري مدون: الرسائل، البحث، الكتب.

2. **الموروث الاجتماعي :** هو كل ما يتعلق بالسلوكيات مثل: المعتقدات العادات والتقاليد وهي تتعلق بدورها ب:

ــ دورة الحياة (الميلاد الختان الزواج الوفاة...)

ــ دورة العام (الاعياد المناسبات الدينية)

ــ المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة (الاستقبال، الوداع، الضيافة،...)

فهو المهدد بالضياع إن لم يحفظه جيل عن جيل

و يعبر بالرقص والغناء والالات الموسيقية وتعليم الحرف

3. **الموروث الشفوي:** فهو تعبير عن الهموم والالام:

ــ القصص، الحكايات ،الاحاجي، (مخزون ثقافي)

ــ الاساطير

ــ الاغاني بأنواعها

ــ الاغاني الشعبية

ــ الامثال والحكم والاقوال السائدة والنوادر والالغازو النداءات (دفتر النـــداءات مرآة عصره) واللهجات التي تعتبر وعاء لنقل هذا الموروث.

العادة تكونت من أفعال مستمرة لشي ما أو حدث ما، ويزخر مجتمعنا العربـــي بكامل أقطاره بالعديد من العادات والتقاليد منها ما هو غريب، ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو منافٍ للدين، ومشكلتنا في المجتمع العربي يقدسون العادات والتقاليد.

العادات الفردية

العادات الجماعية

التمسك الشديد بالعادة (الحنين الى الماضي) تقديس الاجداد كأنهم معصـــومون من الخطاء لا يجرؤ الإنسان على تغيير شيء من عادات مجتمعة، بل إن الـــبعض يوصلها لدرجة التقديس، وبعض العادات قد تكون عائقا أمام التفكير والطموح.

"**أم آتيناهم بكتاب من قبله فهم يه مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية مـــن نـــذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثـــارهم مقتـــدون**".(الزحـــرف الأيات 22،، 23 24.)

"**ولقد اتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذقال لأبيه وقومه ما هـــذه التماثيل التي انتم لها عاكفون، قالوا وجدنا أباءنا لهـــا عابـــدين**" (الانبيـــاء:51 52،53)

أهم التقاليد في حياتنا اليومية تتلخص في قدرتنا علـــى مجـــاراة القـــدماء فـــي المناسبات الاجتماعية، والزيارات العائلية، وفي مناسبات الطهور والأعراس والحنـــة وغيرها، فحتى ما عاد بالإمكان النظر إلى ما كنا نراه سابقاً، فحديث الجد عن أهـــم

الأشياء التي كانوا يتمسكون بها، ونحن تركناها بكل سهولة يجعلك تندم أشد الندم أنك لم تعش معهم تلك اللحظات الجميلة التي تركت أجمل الكلمات للحديث عنها، وعن جمالها ومدى روعتها، وإن كنت تعتقد أنه من الممكن أن يندثر تاريخ أمة بأكملها لأن أفرادها لم يعتنوا بها، فاعتقادك في محله، لأن هناك الكثير من العادات والتقاليد التي أصبحت من الماضي، وضاعت كما ضاعت منا ذكريات وعقود من التوارث الأخلاقي والاجتماعي وغيرها. إنّ اهتمامك بمثل هذه الأمور هو تماماً كاهتمامك بالميراث الذي تتوارثه عن أهلك، وإن كانت العادات والتقاليد أكثر قيمة .

اقسام العادات والتقاليد

تقسم العادات والتقاليد عادة إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول يتضمن العادات والتقاليد الحميدة الّتي تساعد على توطيد أواصر الترابط، والتلاحم، والتراحم بين الناس في المجتمع الواحد، بحيث يكون المجتمع قادراً على أن يرمم نفسه بنفسه دون الحاجة إلى أدوات خارجية. أما القسم الثاني فيتضمن العادات والتقاليد السلبية الّتي قد تلحق الضرر بفئات عريضة من المجتمع بسبب هضمها لحقوق هذه الفئات، وتكثر مثل هذه العادات عادة في المجتمعات المتخلفة، فهذه المجتمعات تكون حريصة جداً على التمسك بهذا الجهل، فهي تعتبر هذه العادات طوق نجاتها مع أنها في حقيقة الأمر طوق خسرانها وهلاكها. لهذا فإن الدعوة للحفاظ على العادات لا تتضمن القسم الثاني، فالقسم الثاني من العادات يجب أن يحارَب بشتى الوسائل الممكنة، بل تتضمن فقط القسم الأول، وفيما يلي بعض أبرز الطرق الّتي يمكن من خلالها المحافظة على العادات والتقاليد الحميدة والإيجابية. فالعادات الحسنة اذا اظيفت لها النية الحسنة فستكون له حسنات مع رجاء القبول .اما العادات السيئة منها كالادمان على الخبائث ومنها الإفطار بالسجارة في رمضان مثلا

الشعائر مع اختلاف عناصر الثقافة الشعبية.

الشعائر والطقوس: rithuels

الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة التي يتميز بها الشيء عن غيره، ويقصد بالشعائر والطقوس الدينية، مجموعة الأفعال المرعية والممارسات التي تنتظمها

قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ملزمة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة، والشعائر ليست إلا طقوسا اجتماعية.

الفولكلور:

ظهر هذا المصطلح عام 1840في اللغة الإنجليزية باستخدامه من قبل العلامة W.J. Thomas ويتألف من قطعتين حكمة Lore بمعنى الناس وبمعنى Folk المعرفة أو عليه Folklore فمعنى كلمة حرفيا هو الشعب معارف الناس أو حكمة وهو استخدم ليدل على العادات والمعتقدات والآثار الشعبية القديمة المأثورة.

وقد اختلفت مدارس الفلكلور حول تحديد موضوعه، فمنها من قصره على الأدب الشعبي، وبعضها حدده في الحكايات الخرافية والأساطير، وبعضها الآخر يضم إليه طرائق الحياة الشعبية ووجوه نشاط الناس الثقافية والحضارية

ويظهر الفلكلور في احتفاليات (cérémonie) تقام في مناسبات دينية او وطنية لاهداف متنوعة منها خاصة الاقتصادية بجلب السياح للمنطقة ومنها الترفيهية لعامة الحضور وذلك بمشاهدتهم لأنواع الحركات والرقصات وعروض سباق الخيل والمهاري وغيرها وأصناف الأزياء والأوان واستماعهم للأهازيج المختلفة وربما لاستنشاقهم لرائحة البارود ....

العرف (droit coutumier) فيه معنى الازامية

العرف هو" ما درج الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها." وما زال للعرف أهمية كبيرة في مجتمعات كثيرة التشريع "لقوانينها مصدراً . فلا زال للعرف في بريطانيا مثلا أهمية كبيرة وتعرف التقاليد وفق هذا التوصيف السوسيولوجي، بأنها عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ عن الرضا والإتفاق الجمعي – على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه، لذلك فهي تستمد قوتها شأنها توافقت – في ذلك شأن العادات والعرف من قوة المجتمع أو الطبقة أو البيئة التي عليها، وتفرض سلطتها بالتالي على الإفراد بإسمها .

العادة والتقاليد تتكون من عدة طقوس العنصـــر التراثـــي اللامـــادي: الاهـــازيج الابتهالات الحكم والامثال الاحاجي والقصص الاطعمة الالعاب التعـــابير الجســـدية (الرقص)

كل عرف عادة وليس كل عادة عرفا

وكل تقليد عادة وليس كل عادة تقليد

خصائص الثقافة "الشعبية"

- الإلزام
- التلقائية
- غير مدونة
- الجاذبية
- الاستمرار والثبات

طرق الحفاظ على العادات والتقاليد الإيجابية :

ـــ الأسرة

هي المعلم الأول والأقدر على الحفاظ على منظومة العادات والتقاليد الإيجابية في المجتمع، وذلك من خلال نقل هذه العادات من جيل الآباء إلى جيل الأبناء ومن هنـــا فإنّ ذلك سيعمل حتماً على انتشار هذه العادات وعدم اندثارها، كما يجب أن يتم الحد من خلال الأسرة من التأثيرات الضارة للعولمة، ومن هنا فإنّ مهمة الآباء في هـــذه الأيام أعظم وأخطر من مهمة الآباء في أيّ وقت مضى، فهم مضطرون إلى الجمـــع بين فوائد التقنيات والوسائل الحديثة في الاتصال، وبين الحفاظ على العادات والتقاليد الحميدة الموروثة.

ـــ المدرسة

يمكن من خلالها أيضاً الحفاظ على القيم، وذلك عن طريق غرسها في الطلبة منذ الصغر، وتعليمهم الثقافة الأم، قبل تعليم الطلبة الثقافات الأخـــرى، لهـــذا فإنـــه مـــن الإجرام –على سبيل المثال– أن يتم تعليم صغار الطلبة في المدارس العربية اللغـــات الأجنبية قبل اللغة العربية الأم.

ـ الاهتمام بالإعلام،

فالأفلام والرسوم المتحركة المستوردة التي تُبث على أنّها من ضمن البرامج المخصصة للأطفال ولكنها قد تحتوي على ما يناقض عادات المجتمع وتقاليده، لهذا فإنه ينبغي الاهتمام والتركيز على تقديم برامج، وأفلام، ومسلسلات رسوم متحركة محليّة تبث القيم الحميدة، وبنفس جودة الأجنبية، ويجب أن يكون ذلك من أولى الأولويات من أجل الحفاظ على الجيل الناشئ، والعادات، والتقاليد المجتمعية.

الفصل الثاني –عرض دليل الموسوم " تثمين التراث اللامادي لمدينة القرارة

بمبادرة من جمعية إحياء التراث وحماية الآثار بالقراة قام أعضاؤها بعملية جرد أولي لعادات وتقاليد وحرف مع العاب تقليدية وذلك بالاستماع الى حاملي التراث من المسنين والمسنات بمساعدة الاتحاد الاوروبي عن طريق وزارة الثقافة والمجلس الولائي

اسباب إختيار الموضوع

ـ الرحيل المستمر لحاملي التراث (مثال وفاة بابه ن حموده)

ـ تفشي ظاهرة فقدان الذاكرة عند حاملي التراث

ـ خلو المكتبات من الوثائق المتخصصة في التراث اللامادي

ـ عدم الاهتمام بتوثيقه بل الاكتفاء بنقله شفويا وهي سمة سكان البلاد الحارة.

ـ أغلبية ما وجد من وثائق ترجع الى الحقبة الاستعمارية (الهدف، درجة النزاهة، مصداقية الترجمة الحرفية...)

ـ عدم وجود فرص التواصل بين الاجيال (جلسة واحدة وافكار متشردة، كل منهم متعلق بنقاله. "**الم تر انهم في كل واد يهيمون** "

ـ تقلص حجم الاسرة (السكن الفردي، ابتعاد الاسرة عن الاسرة الام خاصة في الاسفار)

مميزات العادات المحلية

ـ ارتباطها بالشرع (عاداتنا سنن لا تقاليد) للشيخ بالحاج قشار / ج احمد كروم.

ـ بساطتها.

ـ تأثّرها بالبيئة (الصحراوية الفلاحية)

الاهداف

ـــ انقاذ ما تبقى من التراث الثقافي اللامادي

ـــ خلق فرص التواصل مع حاملي التراث

ـــ ربط الاجيال بجذورها الثقافية وانتمائها الحضاري

ـــ إعادة الاعتبار لحاملي التراث (المسنين) بالترفيه عنهم والتخفيف من حملهم للتراث

ـــ تقديم مادة أولية للباحثين المختصين (علم الاجتماع، علم الانتربولوجيا التاريخ....)

ـــ المساهمة في اثراء الساحة الثقافية

ـــ تشجيع الانتاج الفكري والادبي والفني

ـــ المساهمة في التنمية المستدامة للولاية (السياحة الثقافية، السياحة الدينية إلى جانب السياحة الحموية والخدماتية)

ـــ إثراء المخزون الثقافي للجزائر

ـــ تمتين اللحمة الوطنية بإبراز المكونات المشتركة للهوية الوطنية

ـــ دعم قيم التعارف والاعتراف والتسامح

مراحل الانجاز

بعد الموافقة من الجهات الممولة (المجلس الولائي والاتحاد الاوربي عن طريق وزارة الثقافة) تم ما يلي :

ـــ تحضير استمارة الاسئلة (حوالي 70) شملت دورة الحياة للمواطن القروي ودورة العام (المناسبات)

ـــ اقتراح قائمة للمسننين والمسنات من حاملي التراث(مفتوحة)

ـــ اقتناء الوسائل التقنية

ـــ تنظيم دورة تكوينية حول جرد التراث الثقافي اللامادي من تنشيط خبير من المركز الوطني للابحاث حول ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ بمشاركة اعضاء من الجمعيات المهتمة بالتراث وكذا ديوان حماية وترقية سهل واد مزاب

ـ تعيين شاب وشابة للقيام بعمليات التسجيل والمقابلات مع حاملي التراث

- الشروع في التسجيلات لمدة 5 أشهر مع 40 من حاملي التــراث (رجــال 25 ونساء 15)

ـ تنظيم يوم دراسي حول كيفية استغلال التسجيلات وضبط محتوى البطاقات

ـ جمع بعض اشرطة من التسجيلات القديمة

ـ استغلال التسجيلات وتحرير البطاقات

ـ تنظيم جلسات لتبسيط وتوحيد اسلوب البطاقات

ـ اختيار سيناريو لانتاج فلم يضم 6 عناصر من التراث

ـ متابعة مراحل ترجمة البطاقات الى الفرنسية

ـ متابعة اخراج الفلم ونشر الدليل

ملاحظة كان انطلاق المشروع واعلان ختامه في اجتماعين عموميين

نماذج من البطاقات.

اهم المميزات:

- البساطة التاقلم الفرق بين العادة والتقاليد
- الحرف التقليدية
- مظاهر التعبير: الشفوي الجسماني الحركي المظهر اللباس

الجدول يضم بعض الامثلة من العناصر الثقافية:

العنصر الثقافي	التعبير	الاكلة	المناسبة	الوسائل
تطبطابين	ايقاعات	لاشئ	ايقاظ المصلين	صفيح وعصا
الاون	ادعية	شاي ومكسرات	فرح عائلي	مكسرات
الاي أعساس	دعاء	لاشئ	عيد الفطر	لاشئ
الفازعا	رقص واهازيج	لاشئ	الرجوع من حملة جمع الحطب للمسجد	القرابيلا

تيشلاتين	لاشئ	لاشئ	صنع قوالب من الطين للاستبراء	الطين والماء
استقبال الحجيج	دعاء	تيومزين	عودة وفد الرحمان	رايتانكبيرتان
بسي دود	اهازيج	طعام	انتهاء فترة التكوين للبنات	لاشئ
تاحجورت	حركات رياضية	لاشئ	تسلية	الكرناف(اصل الجريد)

محتوى الدليل

العادات الدينية والوقفية (23) منها: تيطبطابين، آرجال، .....

العادات العامة (17) منها: الفازعا، باباحاجو.....

العادات العائلية (26) منها: آدربم، بسي دود أتحيزا.....

الحرف التقليدية (28) منها: صناعة القرب وتيبطانين، آدجال، تحويل الفضة.

الالعاب التقليدية (03) منها تيشعبين.

<u>محتوى البطاقة:</u>

اطبال ن رمضان (مثلا)

المناسبة او الهدف

اصله

الوسائل المادية المستعملة

الوصف

القائمون به

نوع المأكولات

الاقوال

اللباس

الصورة

محتوى الفلم :

الحرف 3

العادات 2

الالعاب 1

اسم العنصر	آطبال ن رمضان
المناسبة أو الهدف	لإيقاظ الناس للتسحرو ذلك قبل وصول الكهرباء وتعميم وسائل الاتصال
أصلها	عرفي
الوسائل المادية المستعملة	طبل بجلد ماعز من صنع محلي
وصفها	يقوم شخص بجولة في السحر عبر شوارع البلدة (ماعدا شارع الشيخ بالحاج باعتبار انه يؤدي الى المسجد ولوجود دور للتعليم فيه "تيدار ن وعزام" نات الشيخ بالحاج والشيخ بيوض) هو يقرع طبله بنقرات منتظمة معلومة وذلك طيلة ليالي رمضان من كل سنة حتى اذا اتت ليلة العيد وقف في مفترق الطرق مناديا باعلى صوته : "وي ربحن يربح وي خسرن يخسر آشا دالعيد" وقد بطلت مع بداية الستينيات عند ما اضيئت الشوارع بالكهرباء وجهزت المئذنة بمكبرات الصوت حيث اصبحت التسابيح التي يكررها المؤذن (7 ثم 5 ثم 3 ثم 1) لمدة تقارب الساعة والنصف قبل آذان الفجر مسموعة لدى الجميع
القائمون بها	رجال وكان آخرهم سليمان الخرفي
نوعية المأكولات المرتبطة بها	هناك من يتصدق على "الطبال" بخبزة (كسرة) ليتسحر بها عند مروره أمام منزله

اسم العنصر	بابا حادجو
المناسبة أو الهدف	في حفلات الاعراس الترفيه عن النفس وطرد العين
الأصل	عرفي
وصفها	مظلة ولعباءة سوداء مع عصى وسلاسل حديدة في اليوم المحدد يختار رجل من طائفة معينة (عامة من آل رمضاني) يؤتدي الزي المذكور اعلاه في منزله بنهج البلات ثم يخرج وحوله الصبيان فيسلك النهج المذكور الى ساحة السوق العلوي ثم السفلي ثم يتجه غربا نحو ساحة اينورار اين يقع الحفل الكبير بحضور العرس والجمهور .

اسم العنصر	آدريم
المناسبة أو الهدف	ميلاد الذكر الاول.
أصلها	شرعي / عرفي
الوسائل المادية	لاشئ

المستعملة	
وصفها	بعد اشعار الفقيه وهو معلم المحضرة بالحدث يبرمج وفي اليوم المحدد تقوم مجموعة من الصبيان من المحاضر بزيارة المولود الجديد في بيته بحضور امه وجمع من النسوة فيتقدم اثنان من الحاضرين نحو المولود في سريره او حجر امه فيؤذن الاول في الاذن اليمنى بينما يقوم الاخر بسرد الفاظ الاقامة في الاذن اليسرى ثم ينشد احدهم القصيدة المعروفة ويردد معه الجميع وهي ادعية صالحة بالمناسبة وفي الاخير يوزع عليهم "المعروف" ثم ينصرفون .
القائمون بها	طلبة المحاضر الذين هم دون سن البلوغ
نوعية المأكولات المرتبطة بها	طعام للمدعوين وبيض وفول وتازميت وهي خليط مكون من سميد محمص مع سمن وسكر (للطلبة)
الصورة	

نص القصيدة التي يرددها التلاميذ عند آدريم	بسم الله الرحمن الرحيم آدريم نيمصردان داني — أسلهنا د العز إولن داني الحمد لله الواحد الوحداني — المبلغ عبده كل الاماني هذا الصبي في مهده — صبوا القرءان في قلبه اللهم اصلح له والديه — وقو الرزق على يديه اوله الصبي الصبيان — حازم في حفظ القرءان يرتل البقرة وآل عمران — يفسر قول الرسول والقرءان يتوزج فتاة على قده — صالحة صغيرة على سنه تغرس الفضائل في نسله — وتحيا رحمة طول عمره كبرنا على طاعتك يارؤوف — وانصر الحق على يدينا في الصفوف نبارز بالاقلام والسيوف — بالفصاحة والشجاعة بالالوف بالسعادة احينا اجمعين — بالهناء مع كل المسلمين و استر عيوبنا في كل حين — آمين يا رب العالمين
	قطع أخشاب النخيل "أخدام ن تمولاف" تحضير أخشاب لتسقيف المساكن متوارثة، إلا أن الأخشاب أصبحت تستعمل في الديكور فقط أو بعض "الزرايب" التقليدية جذع النخيل ("تافزوين" أحسن الأنواع) "كادوم"، "إميدي"، "تزنزرين"، "تفلاقيت"، تكادومت بعد تحديد النخيل الطويل المراد قطعه أو الآيل للسقوط وبعد زرع فسائل لتعويضها، يقوم الحرفي المكلف بقطع النخيل باستخدام معول "كادوم" حيث يربط أعلى الجذع بحبل حتى يتسنى له جذب النخلة والتحكم في وجهة سقوطها تفاديا لأي أضرار.

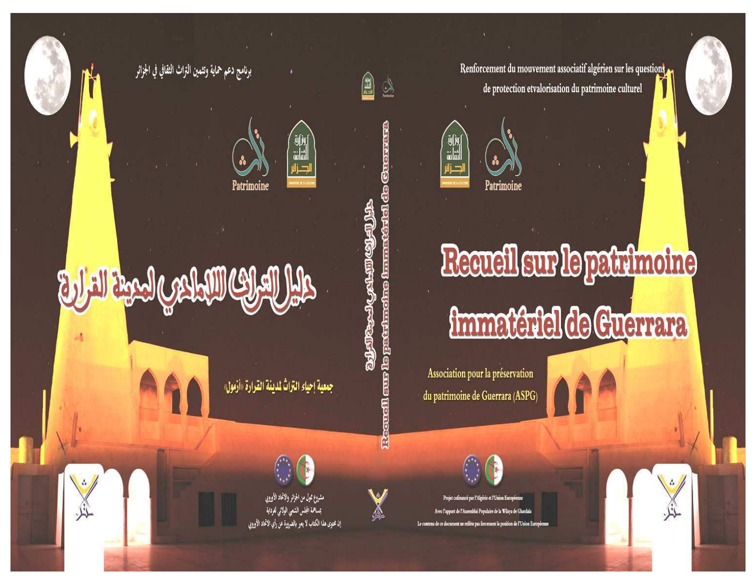
يقطع الجدع عرضيا إلى قطع حسب الطول المـراد الحصـول عليه عادة ما لا يتجاوز 03 أمتار. ثم تقطع كل قطعة طوليا إلى 04 أقسام متساوية باستعمال عمود خشـبي خشـن "تفلاقيـت"، يضرب بقضيب حديدي خشن "إميدي" وحاد من أحـد أطـراف الجذع وقاطع "تزنزرت ن وزّال" حديدية من الطـرف الآخـر، تدخل قطعة خشبية حادة "تزنزرت ن اسغار" في التشقق المحدث ليتسنى نزع "إميدي" و"تزنزرت ن وزّال" وتحريكه على طـول التشقق لتوسيعه، وهكذا حتى ينفصل الشقان عن بعضهما، وتعاد نفس العملية إلى غاية الحصول على 04 أجزاء متساوية. 	

الخلاصة

لقد حاولت الجمعية بعملها هذا انقاذ ما تبقى من التراث الثقافي اللامادي لمدينة القرارة وما اعضاء الجمعية من مختصين في التاريخ ولا علـم الاجتمـاع ، و لا نفسانيون بل منهم تقنيون في البناء والهندسة والكهرباء ،و ما هذا العمل الا البداية نظرا لثراء المنطقة كغيرها من مناطق الجزائر بكنوز ثمينة ،إن هـي الا نمـاذج نظرا للوقت والميزانية المحددة وانشغالات الاعضاء المتعلقـة بحيـاتهم المهنيـة والاسرية، فهناك تفاصيل لم تذكر ولم يتعرض لها خاصة في الجانب النسوي فهن ــ و**الحق يقال** ــ كن لنا مصدرا غزيرا لا يستهان به فقد صادفنا عبر تسـجيلاتنا معهن المتخصصات في النسيج وعاداته، والغراسة واشغالها، والافراح والاتـراح ومراسيمها والمناسبات الدينية وطقوسها، والعلاج الطبيعـي واعشـابه والالعـاب والاهازيج والاحاجي الخ .

فالجلوس الى حاملي التراث يتطلب نوعا من اللباقة وحسن الاصغاء وكثيرا من التحمل والصبر، فهو فن وتقنيات، كانت الجلسات معهم ممتعة ولكـن المرحلـة الحساسة والتي طلبت منا التركيز للتدقيق والمقاربـة هـي مرحلـة اسـتغلال التسجيلات لتحضير البطاقات

في الاخير نتمنى ان تكون مساهمتنا قد فتحت الشـهية امـام طلبـة العلـوم الانسانية للبحث في التراث الثقافي الغير المادي منه ليكتشفوا عناصـر هـويتهم ليتعارفوا اكثر فيما بينهم ويزدادوا تلاحما، وارتباطا بعضهم بعضا، وكذا الجمعيات الفاعلة في الولاية للمساهمة في إنشاء بنك للتراث الثقافي المحلي، كما نتمنى مـن هذه المبادرة المشكورة عليها جامعة غرداية فرصة لفتح ابوابها امـام الجمعيـات الناشطة في الميدان لعقد اتفاقيات في البحث والتاطير .



المصادر والمراجع

(1)د.عبد الغني عماد العادات والاعراف والتقاليد والتراث الشعبي في العلوم الاجتماعية

(2)ــ سنا قحايريه ونوال مناصره التراث الثقافي للجزائر من خلال المجلة الافريقية (1876 ــ 1954).

Références

31vie féminine au m'zab A.M.Goinchon 19–

–Le tissage de la laine ghardaia recueilli par M.Alain et traduit par J. Delheure 1947–

Sociologie et Histoire des Algériens Ibadites A.Dadiadoun 1977–

Femmes mozabites et habitat à Guerrara S.BENAISSA 2008–

–légendes du M'zab 1919 (auteur inconnu)

ثمة التوقف عند بعض قصائده وكتاباته الأمازيغية وحتى بالعربية لاستنباط معانيها وإدراك مغازيها.

كما سأتناول أعماله المختلفة في صالح القضية واللغة الأمازيغية تحديدا، ومنها ذكر كتابه الهام حول قواعد اللغة المزابية، وسأبرز تكوينه الأكاديمي عموما وتكوينه في هذا المضمار، والأعمال الأكاديمية والمنهجية التربوية التي قام بها سواء مع وزارة التربية الوطنية، أم المحافظة السامية للغة الأمازيغية.

والشهادات التي تحصل عليها خاصة في ما يخص تعليم الأمازيغية وذكر المراكز التي ارتادها وترك فيها بصماته الفكرية الأدبية المتنوعة.

أيضا سأروي عن مشاركاته الميدانية سواء في داخل الوطن أم خارجه، وسأبز دوره الفعال في التعريف باللغة والثقافة الأمازيغية في المؤتمرات الدولية التي شارك بها باسم دولة الجزائر .

ومن ثمة سأتناول الدراسات التي كتبت عنه والمواقع التي تحدثت عنه سواء المكتوبة أم الإلكترونية، من محلات أو صفحات ويب أو مواقع يوتيوب، كونها مصادر قيمة ومتوفرة للباحثين في هذا الموضوع الهام.

ليس الأستاذ الوحيد في هذا المضمار إلا أنه يبقى متميزا وفاعلا لقضيته وهو إلى ذلك أستاذي ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع الشيق والهام، للتعريف وللقدوة للشباب.

قبلها كان من الإطارات، الوطنية التي تدربت بمركب الحديد والصلب بعنابة لمدة سنة كاملة ليتوجه بعدها إلى مسقط رأسه غرداية ويسهم في إرساء قواعد أول شركة حكومية ضخمة للحديد والصلب فيها، حيث عين مسؤولا على مخبر مراقبة نوعية الإنتاج.

في سنة 1986 تفرغ للتعليم بمدارس الاصلاح بل أنه صار أول من يعلم الأمازيغية كمادة رسمية بوادي مزاب حيث كان يدرسها للفتيات في متوسطة البنات بالمعهد خلال ثلاث ساعات أسبوعيا، وكان الاقبال كبيرا بل توج بإصدار مجلة حائطية دورية بالأمازيغية[3]، وكل ذلك قبل تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية سنة: 1995م، وهي التي ناضلت ونادت لإدراجها على المستوى الوطني، وعندما احتاجت المدرسة الوطنية إلى أساتذة أكفاء لتدريس الأمازيغية، كان حظها موفقا بوجود شاعر وكاتب مثل عبد الوهاب حمو فخار، مثقف، مزدوج اللغة العربية والفرنسية، إضافة الى لغته الامازيغية المزابية[4].

سار الشاعر والأستاذ فخار عبد الوهاب على خطى والده الراحل العلامة الكبير الشيخ حمو فخار مكرسا جهده العلمي والفكري والإبداعي للمبادئ التي تربى وتعلم عليها في مدرسة الإصلاح العتيدة، جامعا بين تراث المنطقة الحضاري وانتمائها الثقافي العربي الاسلامي، ومدركا للاختيار الدقيق لمتطلبات التحديث المطلوب في مناطق ومدارس وادي مزاب؛ فكان ان أنشأ في أحضان ورعاية معهد الإصلاح بعد تأسيسه سنة 1979 جمعية "أمطون نالفرح" لخدمة الأدب المزابي، اهتمت الجمعية بالمسرح الغنائي كهدف للتثقيف الشعبي، وقد كان عبد الوهاب فخار مؤلفها وملحنها البارع، كما أسهم في قيادة أفواج الإصلاح للكشافة الإسلامية الجزائرية، ومعها أنشأ أول فرقة تنشد ديوانه الشهير: ب: إمطاون ن لفرح، مع فرقة الجوالة ثم دعمها لاحقا بثلة من طلبة معهد الاصلاح، وكل ذلك قبل أن يشرع في تدريس اللغة الأمازيغية وآدابها في المعهد.

وقد بذل الحزب الحاكم آن ذاك محاولات في تحطيم مشروعه خاصة لما ناضل لقيامه انطلاقا من سنة 1986م، وكل ذلك قبل الاعتراف الرسمي بها كمادة رسمية[5].

بدا تعليم اللغة الأمازيغية بتشجيع من والده الذي حذره من مغبة التطرف والعصبية، وأوصاه بالحفاظ على اللغة العربية والأمازيغية وأنهما مهمتين لبناء الشخصية المزابية والمواطن الصالح[6].

–في 2004 عين عضواً في اللجنة الوطنية للمناهج من طرف وزارة التربية الوطنية.

ـ شارك في عدة ملتقيات وطنية ودولية:

–عنده شهادة أستاذ معتمد في اللغة الأمازيغية من طرف المحافظة السامية للغة الأمازيغية بعد الملتقى التكويني بابن عكنون بالعاصمة سنة 1995، بتاريخ 31أوت 1995

–شارك في مهرجان المربد18 بالعراق 2012م وقت الحصار ومثل الجزائر وسجل للتاريخ أنه أول من نطق بالأمازيغية خلال ذلك المؤتمر الهام(7)، وكان رفقة الشاعر خرازي مسعود صاحب ديوان "متى الصبح يا وطني" وذلك قبل الغزو الأمريكي للعراق في 2002م[8].

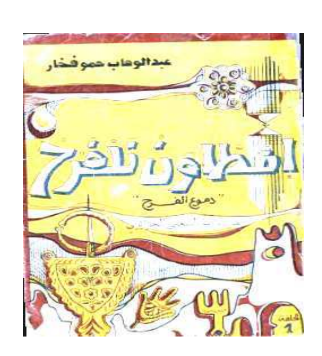
لا يمكن إيفاء عبد الوهاب فخار حقه من التعريف بكل كتاباته وإصداراته ومخطوطاته ونشاطه العلمي والثقافي والتربوي والاجتماعي وتعداد مشاركاته في الملتقيات المحلية والوطنية والدولية.

وقال عنه الشاعر الاعلامي لعساكر يوسف: "يتميز شعره بقوة المعنى وجزالة اللفظ وسلاسة التعبير والقدرة البارعة على توظيف التراث المحلي، في معالجة الواقع المزري وإبراز مكامن الداء من أجل حشد الهمم واستنهاضها في زمن أذهلها الصمت وأودى بها الإحباط"[9].

يعتقد الشاعر فخار بأن اهمال تراث الأجداد هو سير نحو الضياع والمجهول[10]، والى التيه ويهدف بكل ذلك إلى:

- الحرص على تبليغ الأمانة للأجيال الصاعدة للتعرف على لغاتها وآدابها وأعرافها من باب الآية الكريمة: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ....".
- نشر العلم الذي ينتفع به في الحياة الدنيا وأجر الآخرة.

- دراسة تراث الأمة وأدبها المختلف الذي يشمل دراسة الصناعات المختلفة والزراعة، والحصاد، ورحلة الصيف نحو الغابة، والاحتفال بيناير، ودراسة الأقوال المأثورة.



عبد الوهاب حمو فخار
امطاون نلفرح
"دموع الفرح"

وقد برزت القصائد التي تدعو للإصلاح بوضوح كأكبر نسبة مما يظهر حبا في مجتمعه وسعيا للنّجاح، فيما احتل الجانب السياسي 10 %، والوعظ والتـــاريخ قـــد شغل نسبة 10%.



yiles n Tmazigt d tsekla-s

وكان أهداه هاته المرة لأبيه المرحوم: الشيخ حمو فخار في الـذكرى العاشـرة لوفاته. وقد صدر الكتاب سنة 2015، في خمسة محاور أساسية:

- المحور الأول: فصل قاعدي لتوضيح القواعد الأساسية لضبط كيفية توظيف الحرف العربي في كتابة الآمازيغية عموما والمزابية خصوصا
- المحور الثاني: الاهتمام باللغة من أسماء ومفردات منها أسماء الأشهر والأعداد
- المحور الثالث: دراسة إعداد الصوف حيث أنها تحتفظ بكم ضخم من المصطلحات الأمازيغية القديمة.
- المحور الرابع: دراسة وتحليل نصوص أدبية طويلة خاصة التي تمس الأصول.
- المحور الخامس: نصوص من تأليف الكتّاب العاملين الجادين في الميدان الذين لهم مؤلفات في الميدان[17].

منذ تأسيسها عام 2001، وهاتان الحصتان هما:

1-إدوران ن وسان: أو سطور الأيام، وذلك للثقافة المحلية،

2- تاضف ن وول: أو لب الكلام.

وله الكثير من الأعمال المخطوطة في انتظار الطبـــع لتـــرى النـــور لإثـــراء المكتبات الوطنية والعالمية.

فيها الباحثين والجامعيين إلى الاهتمام بأعماله وهو ما أحاول رفقة ثلة من المهتمّين فعله حقا[22].

وفي كتابه الأخير لقواعد اللغة الأمازيغيــة: تسيلســلت ن وورغ، فقــد قــرر استعمال تجربته الخاصة باستعمال الحرف العربي دون اهمال الحرف اللاتيني في كتابة الأمازيغية لصالح الطلبة وحفاظا على المنظومـــة التربويـــة، وجمـــع بـــين الطريقتين في الصورة والمنهج وقواعد الرسم[23]، وذلك بناء على المعايير المتفــق عليها في 31 أوت سنة 1994 في عز سنوات الجمــر والنـــار بثانويـــة عمـــارة رشيد[24].

الحاكم، ومن بعض المتحمسين للغة العربية وحتى من بني جلدته، ولكـــن زالـــت الآن الحواجز وصارت رسمية أكاديمية، وهي ثمرة يانعة قطفها الشاعر في حياتـــه بالعمـــل والنضال المخلص الفعال.

-الاستاذ بعد أن كان يدرس العلوم الطبيعية واللغة الفرنسية هو متفـــرغ الآن إلـــى دراسة اللغة الأمازيغية عموما والمزابية على الخصوص، ونسأل الله تعالى أن يمد فـــي أنفاسه ويزيدنا من علمه ليدون التراث الكثير في مختلـــف مناحيـــه وأشـــكاله العلميـــة والأدبية.

هوامش الدراسة:

---

[1] يحي بن بهون حاج امحمد،

(15) عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون إزوغاغن، ص:7.
والآية من سورة : هود 88.

(16) عبد الوهاب حمو فخار،

بيبليوغرافيا حول الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري
(منطقة وادي مزاب أنموذجا)

أ. محمد بوسعدة
جامعة حمة لخضر / الوادي
boussadamohammed@univeloued.dz

مقدمة:

تعتبر الجزائر من البلدان التي تزخر بتراث ثقافي ولغوي متنوع، حيث تملك الازدواجية في اللغة، العربية والأمازيغية، وتنقسم هذه الأخيرة إلى عدة لهجات مختلفة، ومن هذه اللهجات التي تسود في منطقة وادي مزاب جنوب الجزائر، اللهجة المزابية، أو اللسان المزابي، التي يتكلم بها المزابيون، الذين يعتبرون عنصرا أساسيا من المجموعة الأمازيغية في الجزائر، فهم يملكون تراثا ثقافيا عريقا حول تاريخهم ولغتهم ونظمهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وانطلاقا من هذا التنوع والثراء، تنافس الباحثون والكتاب، على التأليف حول منطقة وادي مزاب سعيا منهم إلى التعريف بها وتسليط الضوء في مكامن المجهول فيها.

فما هي الكتابات والدراسات التي أنتجت حول منطقة وادي مزاب؟

الكتابات الفرنسية عن منطقة وادي مزاب:

من بين الكتابات التي اهتمت بمنطقة وادي مزاب والمزابيين الكتابات الفرنسية التي كانت أغلبها قد برز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد جاء هذا الاهتمام في سبيل محاولة البحث عن أصول هذه الشريحة الجزائرية ونظمها ومدى تقدمها العلمي والفكري، لتسخير كل هذه المعلومات للقادة العسكريين والسياسيين الفرنسيين.

وقد تنوعت هذه الكتابات فاهتم بعضها بالمجال الديني، وبعضها بالمجال الجغرافي والتاريخي، وبعضها بالمجال السياسي (القانوني)، وبعضها بالمجال

الأدبي، وما إلى ذلك من المجالات.

كتابات الفرنسيين في المجال الديني:

من الكتابات التي برزت في هذا المجال أذكر من بينها على سبيل المثال كتاب Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie[1] (المرابط والخوان: دراسة عن الإسلام في الجزائر) لمؤلفه لويس رين (Louis RINN) حيث عاد المؤلف في كتابه إلى البدايات الأولى لظهور فرقة الإباضية وهي التي ينتمي إليها المزابيون[2]، وعن الصراع على السلطة الذي ظهر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وبعد سرد طويل تطرق المؤلف إلى الحديث عن إمامة الإباضية وقيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، وظهور نظام حلقة العزابة، وما يشتمل عليه هذا النظام من تشكيلات، وعن تطبيق هذا النظام وأهميته في الوسط الاجتماعي المزابي[3].

من الكتابات التي برزت في هذا المجال كتاب L'Islam algérien en l'an 1900[4] لمؤلفه إيدمون دوتي (Edmond Doutté) حيث تطرق هو الآخر إلى الحديث عن نظام العزابة من حيث أصل التسمية، ودور هذا النظام في المجتمع المزابي، ومن هم المسيّرون لهذا النظام، ومظاهر عمل هذا النظام في الجانب الاجتماعي[5].

من الكتابات التي تطرقت إلى الجانب الديني أذكر دراسة: Coup d'œil sur l'état politique du M'zab en l'an 1300 de l'Hégire ou 1882 de notre ère[6] لمؤلفها تستيفين (TESTEVIN) فتطرق إلى وصف بلاد مزاب[7] ثم تطرق إلى تاريخ المزابيين ودخول المذهب الإباضي إلى منطقة وادي ميزاب[8] ثم استطرد في وصفه عن المزابيين، ثم ليتطرق إلى التعريف بحلقة العزابة وهو جوهر الموضوع الذي بنى عليه بحثه، حيث ذكر الشروط التي تتوفر في الشخص لينضم إلى حلقة العزابة كالورع والتقوى، ومراقبة هذا الشخص لمدة عام على حسب ما كتبه المؤلف عن المستشرق موتنلسكي الذي نقل هذه الشروط عن الشيخ أبو القاسم بن يحيى المزابي، وكما كتب أيضا عن عدد أعضاء الحلقة، والوظائف الدينية

والاجتماعية التي يتولاها العزابة[9].

كتابات الفرنسيين في المجال التاريخي والجغرافي:

في هذا المجال نجد الفرنسيين كذلك قد ألفوا الكثير ومن بين هذه الدراسات أذكر: كتـــاب روبـــان (Robin)، بعنـــوان: Le Mzab et Son Annexion a La France[10] حيث تطرق إلى دراسة منطقة وادي ميزاب جغرافيا، فدرس الموقـــع والتربة والموارد المائية [11]والنشاط الزراعي[12]، كما اهتم بالسكان، وذكر مهنـــة الرجل ومهنة المرأة[13]. ثم تطرق إلى النشاط التجاري لبني مزاب في ذلك العهـــد أي الثمانينات من القرن التاسع عشر[14].

كما تطرق المؤلف إلى تاريخ مزاب في الفترة الوسيطة، فتطـــرق إلـــى بـــدايات ظهور المذهب الإباضي ومن هي الشخصيات التي بـــرزت فـــي بـــدايات ظهـــور المذهب، لينتقل إلى الحديث عن الدولة الرستمية في المغرب الأوسط ومؤسسها عبـــد الرحمن بن رستم[15]. ثم ليتطرق إلـــى حلقـــة العزابـــة وذكـــر بعـــض أســـماء المشايخ[16].

كما تطرق المؤلف أيضا إلى وضعية مزاب تجاه الاحتلال الفرنســـي للجزائـــر، وعقد معاهدة الحماية سنة 1853م والأحداث التي شهدتها منطقة وادي ميزاب بـــين تاريخ عقد معاهدة الحماية والاحتلال النهائي للمنطقة سنة 1882[17]، وتعـــد هـــذه النقطة الجوهر الذي بنى عليه المؤلف روبان كتابه.

ومن الكتابات الفرنسية التي ظهرت في هذا المجال تأليف الفرنسي أندري كـــواين (A. Coyne) بعنوان: Le Mzab[18]، حيث تطرق في هذا الكتـــاب إلـــى تقـــديم معلومات عن جغرافية وادي مزاب، وموقع قصور وادي مزاب[19]، كمـــا تطـــرق إلى تاريخ المزابيين الديني بداية من العصور الإسلامية الأولى من موقعـــة صـــفين مروا بعهد الدولة الرستمية، وصولا إلى تاريخ نشأة قصور وادي مزاب[20].

كما تطرق إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية في وادي مزاب، فكتب عن النشاط الزراعي والتجاري، وعن التركيبة السكانية في وادي مزاب[21].

يعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية التي تؤرخ لمـزاب فـي فتـرة الحمايـة والاحتلال المباشر لوادي مزاب.

ومن الكتابات الفرنسية في هذا المجال أذكـر أيضـا تـأليف الفرنسـي ليوتنـو دارماكنـاك (Lieutenant D'ARMAGNAC) بعنـوان LE MZAB ET LES PAYS CHAAMBA (SAHARA)[22]

حيث تطرق هو الآخر إلى جغرافية وتاريخ وادي مزاب[23]، كما تطـرق إلـى جغرافية وتاريخ بلاد الشعانبة متليلي والمنيعة[24].

من الكتابات الفرنسية التي يمكن أن ندرجها فـي هـذا المجـال أيضـا تـأليف الجزائري بليدي إبراهيم بـن أيـوب (Blidi Brahim Ben Youb) بعنـوان De l'Indigénat son application aux Mozabites[25] (تطبيق قـانون الأهـالي على مزاب)

إذ تكلم المؤلف فيه حول وضعية الأهالي المزابيين تجاه الوجـود الفرنسـي فـي الجزائر، وقدّم فيه معلومات حول موقف بعض الأعيان المـزابيين مـن الاحـتلال الفرنسي[26]، وموقف بعض المقاومات تجاه المزابيين كمقاومة بوشوشة[27]. يعـد هذا الكتاب من المصادر التاريخية عن مزاب في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر.

الرحلات الفرنسية نحو وادي مزاب

من الكتابات التي يمكن أن ندرج في هذا المجال الرحلات الفرنسية إلـى منطقـة وادي مزاب، حيث دون الرحالة الفرنسيون ما شهدوه في منطقة وادي مـزاب فـي مؤلفاتهم، ومن بين هذه الـرحلات أذكـر رحلـة الفرنسـي زي (Zeys) بعنـوان Voyage d'Alger au M'Zab 1887، حيث دون في كتابه معلومات عن جغرافية الجزائر ووادي مزاب على الخصوص، كما قدم معلومات تاريخية عن المزابيين في تلك الفترة[28].

كما يذكر أن ندرجه في مجـال الـرحلات تـأليف بـوول سوليسـت (PAUL SOLEILLET)، بعنـوان: L'AFRIQUE OCCIDENTALE ALGÉRIE, MZAB,

TILDIKELT حيث يقدم هذا الرحالة معلومات عن مدن شمال إفريقيا زارهـا وهـي الجزائر، مزاب، تيديكلت، فيذكر أنه بقي أكبر مدة شهر مارس سـنة 1850م، فـي وادي ميزاب، وقد قدم معلومات عن جغرافية وادي ميزاب وموقع قصر كـل مـن قصوره[29]، وغير ذلك من المعلومات التاريخية والجغرافية.

كتابات الفرنسيين في المجال السياسي (القانوني):

من بين المجالات التي دون الفرنسيون بأقلامهم فيها المجال السياسي والقـانوني عن المزابيين، ومن بين الذين برزوا في هذا المجال أذكـر كتـاب زي (E.ZEYS) بعنـوان: LÉGISLATION MOZABITE SON ORIGINE, SES SOURCES SON PRESENT, SON AVENIR. (التشريع MOZABITE أصله ، ومن مصادره الحاضر ومستقبله)

فحاول البحث في التشريعات الإسلامية منـذ بدايـة المجتمـع الإسـلامي الأول وتطرق بالمقارنة إلى الإباضية، كما تطرق إلى المؤلفات الإباضية التي تخـدم هـذا المجال، فهي تحوي قوانين يطبقها الإباضية ومن بينهم المزابيون في حياتهم الدينيـة، وذكر من بين هذه المؤلفات: الورد البسام في رياض الأحكام، كتاب الأحكام، كتـاب أبي مسألة، مختصر في الأزواج، عقد الجواهر المأخوذة من بحر القناطر[30]. كمـا ذكر مسألة الولاية والبراءة في المجتمع المزابي[31].

من بين الكتابات الفرنسية التي ظهرت أيضا في هـذا المجـال أذكـر دراسـة المستشرق الفرنسي إيمايل ماسكراي (emile masqueray)، بعنوان les kanoun des Beni-Mzab فتطرق هو الآخر لدراسة قوانين المجتمع المزابي بالعودة إلـى فترة التاريخ الوسيط في عهد أئمة الدولة الرستمية كالإمـام عبـد الوهـاب وأفلـح ويوسف ويعقوب، ثم إلى المشايخ الإباضية الذين ظهروا بعد ذلك كأبي عمـار عبـد الكافي[32]، ثم تطرق إلى حلقة العزابة ودورها في تشريع القـوانين وتنفيـذها[33] وقد أوضح إيمايل ماسكراي قوانين المجتمع المزابي مقارنة بغيره.

من المؤلفين الذين برزوا أيضا في هـذا المجـال مارسـل مورانـد marcel (morand) في دراسة بعنوان les kanouns du mzab، فـدرس هـو الآخـر

القوانين والتشريعات السائدة في المجتمع المزابي، حيث تطرق إلى نظام حلقة العزابة والهيئات التي تتفرع منه كهيئة العوام وهيئة المكاريس، ودور هذه الهيئات في تطبيق النظم والقوانين في أوساط المجتمع[34]، كما تطرق هو الآخر إلى مسألة الولاية والبراءة في المجتمع المزابي، وقد رجع في دراسته إلى كتابات المستشرق موتنلسكي[35].

إن ماتميز به هذا المؤلف عن غيره في مجال الكتابات السياسية (القانونية عن المجتمع المزابي) هو تفصيله لقوانين كل قصر من قصور وادي مزاب، فنجد أنه قد درس قوانين كل قصر على حدة[36].

كتابات الفرنسيين في المجال الأدبي (اللغوي):

من بين الكتابات التي برزت في هذا المجال وبوضوح دراسة روني باست (René BASSET) بعنون: TUDE SUR LA ZENATIA DU MZAB, DE 'OUARGLA ET DE L'OUED-RIR، حيث درس عن اللهجات الأمازيغية في الجنوب الجزائري المزابية والوارقلية والريغية، وأورد معجما لمصطلحات أمازيغية بالفرنسية، أو العكس لهذه اللغات[37]، كما تطرق إلى المفردات المزابية في مذكرة القنصل الأمريكي في الجزائر وليام شالر[38]، الذي تحدث عن المزابيين في مدينة الجزائر في السنوات الأخيرة للوجود العثماني في الجزائر، كما أورد المؤلف إنجاز سومدا (Samuda) المتمثل في تطبيقاته على ثلاث لغات ومن بينها المزابية[39] كما أورد المؤلف أيضا المفردات المزابية عند أودجيسون (UODGSON)، وعند دوفيري (Duveyrier)[40].

من الكتابات في هذا المجال أيضا، أذكر دراسة المستشرق ماسكراي (M. em. Masqueray) بعنوان: Comparaison d'un Vocabulaire du Dialecte des Zenaga Avec Les Vocabulaires Correspondants Des Dialectes Des chawia et Des Beni Mzab[41] (مقارنة مفردات لهجة Zenaga مع المفردات المقابلة للهجات Chawia).

فقد تحدث فيه المؤلف عن مفردات اللهجة الأمازيغية الشاوية والمزابية أنموذجا ويتضح أنه عبارة عن مراسلة بين ماسكراي والوزير الفرنسي المكلف بالشؤون الاجتماعية والثقافية، حسب ما جاء في بداية هذه الدراسة بقوله سيدي الوزير. وقد جاءت هذه الدراسة ضمن مجلة فرنسية، ولكني لم أعثر على بيانات المجلة، في حين توفر لدي مقال ذاته.

كتابات الفرنسيين في المجال الاجتماعي:

من المجالات التي برزت فيها الكتابات الفرنسية حول مزاب، في المجال الاجتماعي، تأليف المستشرق موتنليسكي (Motylinski) بعنوان: (42) NOTES HISTORIQUES SUR LE MZAB Guerara Depuis sa Fondation (ملاحظات تاريخية على MZAB Guerara منذ تأسيسها)

تحدث فيه عن الحياة الاجتماعية بوادي مزاب، وقدم فيه تفاصيل دقيقة حول عشائر وسكان وادي مزاب، وعن حركة السكان من قصر إلى آخر، وما يحوي كل قصر من عشائر(43). وقد جاء تركيزه على قصر القرارة بالخصوص وهو جوهر موضوع تأليفه، حيث جاء العنوان عن القرارة منذ تأسيسها، فكتب عن مؤسسها والعشائر التي عمرتها والقصور التي أنشئت حول القرارة(44).

يعد هذا التأليف من الكتابات التي قدمت تفاصيل دقيقة عن عشائر وسكان وادي مزاب، وذلك لكون المؤلف قد عايش بقرب منطقة وادي مزاب، فكان مترجما عسكريا للجيش الفرنسي بها، وباحثا اهتم بتاريخ وتراث المنطقة.

ومن الكتابات الفرنسية التي ظهرت في هذا المجال تأليف الفرنسي كواشون (A.-M. GOICHON) بعنوان LA VIE FMININE AU MZAB(45) فجاء موضوع المؤلف حول حياة المرأة المزابية، فدرس عنها واستحضر كل الأبعاد التاريخية والاجتماعية والدينية والعرفية التي تحيط بها، وبيّن مدى فعالية المرأة ودورها الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع المزابي، كما بيّن معاملة المجتمع المزابي للمرأة، ومدى موقعيتها فيه. وقد دون المؤلف معلوماته عن المرأة المزابية عن قرب، حيث زار منطقة وادي مزاب، وأخذ معلوماته وملاحظته مما حصل عليها.

يعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية الفرنسية حول المرأة المزابية التي قــدمت تفاصيل كثيرة عنها.

الكتابات العربية عن منطقة وادي مزاب والمزابيين:

لقد اهتمت الكتابات العربية بمنطقة وادي مزاب، فتناولت هي الأخــرى جوانــب مختلفة من الحياة الاجتماعية والدينية والتاريخيــة والسياســية والاقتصــادية، وقــد استفادت من الكتابات الفرنسية لتكّمل المجهول الي لم يتطرق إليه الفرنسيون.

الكتابات العربية في المجال التاريخي:

من الكتابات التاريخية العربية البارزة في هذا المجال أذكر كتاب المؤلف حمو بن محمد عيسى النوري، بعنوان: دور الميزابيين في تاريخ الجزائــر قــديما وحــديثا والذي جاء في أربعة مجلدات، تناول فيه المؤلف تاريخ ميزاب من القديم إلى العهــد الحديث والمعاصر، وتطرق فيه إلى النظم الاجتماعية والدينية التي شهدها المجتمــع ومدى إسهام هذه النظم في تقدمه وتطوره، كما بين فيه دور المجتمع فــي الحركــة التاريخية الجزائرية في العصر الحديث والمعاصر، ومدى مشــاركته فــي الحيــاة السياسية للجزائر، كالنضال في الأحزاب السياســية، والمشــاركة فــي المقاومــات الجزائرية للاحتلال الأوربي في الفترة العثمانية والفرنسية، وكما بين فيــه مشــاركة المزابيين ودورهم في ثورة التحريــر الجزائريــة 1954 – 1962م، إذ خصــص الجزأين الأخيرين لدور المزابيين في ثورة التحرير الجزائرية. ويعد مــن المؤلفــات الهامة عن تاريخ مزاب في الفترة الحديثة والمعاصرة.

من الكتابات التي ظهرت كذلك في هذا المجال تأليف الأستاذ يوسف بــن بكيــر الحاج سعيد بعنوان: تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية[46]حيث تطرق المؤلف في هذا الكتاب إلى تاريخ مزاب منذ البدايات الأولــى، فــدرس عــن تأسيس قصور وادي مزاب، ونظم المزابيين الاجتماعية والدينية ونشاطهم الاجتماعي والاقتصادي في الفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة[47]، ومشاركة المــزابيين فــي الحياة السياسية الجزائرية في العهد العثماني ودورهم في المجال السياسي والصــحفي في الجزائر فترة الاحتلال الفرنسي، كما درس عن النشاط الثقافي والعلمي للمزابيين

في الفترات التاريخية المذكورة[48]. يعدّ هذا التأليف من المراجع الهامة حول تاريخ مزاب الحديث والمعاصر.

ومن تآليف الأستاذ يوسف بن بكير الحاج سعيد كتاب بعنوان: الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ، إذ قدم فيه الأستاذ معلومات عن أصول المزابيين العرقية ولغتهم، وموطنهم[49]، ونشاطهم الديني والثقافي والاجتماعي[50].

من الكتابات التاريخية التي أنجزت حول المزابيين أيضا، تأليف الأستاذ عبد القادر عزام عوادي، بعنوان: هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881 – 1956م[51]، حيث درس عن المزابيين في الإطار التاريخي والجغرافي[52]، ثم تطرق إلى النشاط الاقتصادي والعلمي والفكري للمزابيين[53]، وقد جاء أكثر من نصف الكتاب، حول هجرة المزابيين إلى تونس، ونشاطهم فيها في الحياة الفكرية والسياسية[54].

من بين الكتابات التاريخية العربية التي برزت في هذا المجال أذكر تأليف عبد القادر قوبع بعنوان: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و 1954م، حيث درس المؤلف فيه جذور الحركة العلمية والإصلاحية في منطقة وادي مزاب[55]، وأورد فيه كذلك أبرز علماء الإصلاح والمؤسسات الإصلاحية في وادي مزاب[56]، وموقع الإصلاح لدى سكان وادي مزاب[57].

الكتابات العربية في المجال الاجتماعي:

من الكتابات التي أنجزت حول مزاب في المجال الاجتماعي تأليف الشيخ القرادي الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى بعنوان: رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، حيث جاء الكتاب في غالبيته حول النظم الدينية والاجتماعية في المجتمع المزابي، معرفا بها ومبينا دورها في تسيير المجتمع(58).

الكتابات المزابية المحلية عن مزاب:

من أبرز المؤلفين الذين اشتهروا بكتاباتهم في هذا المجال أذكر: الأستاذ عبد الوهاب حمو فخار، الذي اشتهر بتآليف مختلفة حول الأدب واللغة المزابية، فجاء أحد مؤلفاته بعنوان: إمطوان إزوقاغن، حيث أورد في هذا المؤلف أبياتا شعرية

باللغة المزابية، وجاءت غالبية هذه الأبيات حول الحث على العمل والجد وتوحيد الصف[59].

وجاء مؤلفه الثاني بعنوان: تايدرت ن وغلان (سنبلة ميزاب)، وقد جاء الكتاب على شكل نثر، ومضمونه في الغالب حول الحياة اليومية للمرأة المزابية في عملها ونشاطها الاجتماعي[60].

وجاء مؤلفه الثالث بعنوان: تيسلسلت ن وورغ، وقد جاء هذا المؤلف في صميم اللغة المزابية، وذلك من خلال التعريف بقواعدها الصوتية والنحوية وبلاغتها[61].

كما أورد المؤلف في كتابه هذا عن مناسبات اجتماعية عرفية في المجتمع كمناسبة يناير[62]. كما تطرق إلى التعريف بالأعداد والشهور باللغة المزابية والفصول، وقد أورد المؤلف ركنا في كتابه للتعريف بمواقع تاريخية ونشاطات اجتماعية باللغة المزابية[63]. وقد جاء القسم الأخير من الكتاب حول بحوث ونصوص في اللغة المزابية[64].

ومن المؤلفين البارزين في هذا المجال الأستاذ صالح ترشين، إذ ألف هو الآخر في الأدب المزابي، كتابا بعنوان: أول إنو، فجمع بين صفحات كتابه أبياتا شعرية باللغة المزابية[65]، كما تضمن أيضا نصوصا نثرية[66]، وقد جاء مؤلف الأستاذ صالح حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية لدى المجتمع المزابي.

ومن المؤلفين الذين كتبوا حول الأدب المزابي الأستاذ حفار محمد بن إبراهيم بن بكير، كتابا بعنوان: تاونزا ن تسلت[67]، حيث قدم فيه الأستاذ ثقافة متنوعة سائدة في المجتمع المزابي، فعرف بها للقراء، كما دون الأستاذ في كتابه قصائد شعرية باللسان المزابي.

الإنتاج الأكاديمي الجامعي حول منطقة وادي مزاب باللغتين العربية والأجنبية:

لقد تعددت الدراسات الأكاديمية الجامعية حول مزاب والمزابيين في كل الأطوار العلمية، ليسانس، الدراسات المعمقة، ماجستير، ماستر، دكتوراه باللغتين العربية والأجنبية، فمهما قام الباحث بحصرها، فإنه لا يمكن له رصدها جميعا، وانطلاقا من هذا فإني سأحاول رصد ما توصلت إليه من رسائل جامعية، وسأعرض الرسائل

الجامعية إلى قسمين، فالقسم الأول سيكون حول الإنتاج الأكـاديمي الجـامعي باللغـة العربية، والقسم الثاني سيكون حول الإنتاج الأكاديمي باللغة الأجنبية.

الإنتاج الأكاديمي حول منطقة وادي مزاب باللغة العربية:

<u>في المجال القانوني:</u>

من بين الدراسات الجامعية في المجال القانوني رسالة ماجستير للباحـث عبـد الله نوح، بعنوان: النظم التقليدية العرفية بوادي مـزاب: بحـث حـول نظـام الشـورى والديمقراطية وتطبيقاته في هذه النظم[68]، حيث درس الباحث الـنظم العرفيـة لـدى المجتمع المزابي، فتطرق إلى نظام العزابة من حيث جذوره التاريخية وتطوره وفعاليته في المجتمع وعلاقته بالنظم الأخرى، وأبعاده القانونية[69]. كما تطرق إلى النظم التـي تسري بالموازاة مع نظام العزابة كمجلس الأعيان وهيئة إيمكـراس[70]. وقـد درس الباحث كذلك علاقة هذه النظم أو طريقة تعاملها مع الاستعمار الفرنسي وعلاقتها مـع المؤسسات الإدارية للجزائر المستقلة[71].

<u>في المجال الاجتماعي:</u>

من الدراسات الجامعية التي أنجزت حول مزاب في هذا المجـال، أذكـر رسـالة ماجستير للباحث خواجة عبد العزيز، بعنوان: الضبط الاجتماعي ومعوقاته فـي وادي ميزاب – دراسة سوسيو– أنثربولوجية لنظام العزابة من خلال مواقف الشباب (حالـة قصر بني يزقن)، حيث درس فيه تاريخ نظام العزابة وتطوره عبر المراحل التاريخيـة والهيئات التي تتفرع من هذا النظام[72]، والمسـيّرين لهـذا النظـام، والأدوار التـي يقومون بها في الوسط الاجتماعي[73]، ثم مدى فعالية هذا النظام لدى فئة الشباب فـي قصر بني يزقن[74].

وفي نفس هذا المجال أذكر مذكرة الماستر للطالب حمو عبد الله عيسى بـن يحيـى بعنوان: التسرب المدرسي للفتاة المزابية: دراسة ميدانية في معهـد الإصـلاح للبنـات بمدينة غرداية[75]، حيث درس فيها الباحث عن التعليم في الجزائر، وظاهرة التسرب المدرسي، ودرس عن التعليم بوادي مزاب، تاريخه وتطوره[76]، ثـم بدايـة ظهـور تعليم البنات وتطوره، ثم تطرق في الجزء الأخير من المذكرة لدراسة ظاهرة التسـرب

المدرسي للبنات المزابيات من متوسطة الإصلاح بوادي مزاب[77]، والتي بنى عليها إشكالية بحثه.

ومن الدراسات التي أنجزت في هذا المجال أذكر أيضا: أطروحة دكتوراه للباحث محمد عبد النور، بعنوان: المخيال وإعادة إنتاج الرموز الاجتماعية: دراسة حالة المجتمع المزابي من خلال المؤسسات الدينية[78].

<u>في المجال التاريخي:</u>

من الدراسات التاريخية التي أنجزت في المجال التاريخي حول مزاب والمزابيين أذكرمذكرة ماجستير للباحث محمد وقاد، بعنوان: جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1830م–1700م / 1246 هـ – 1112هـ)[79]، إذ درس الباحث فيها عن نشاط جماعة بني مزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ومدى تفاعلهم في الحياة الاقتصادية الجزائرية، وما قاموا به من أعمال وأنشطة تجارية، كما درس عنهم مدى تفاعلهم في الحياة الاجتماعية الجزائرية العامة، وتواصلهم مع غيرهم من الجزائريين والعثمانيين.

من الدراسات التي أنجزت حول المزابيين في المجال التاريخي أذكر: مذكرة الماستر للطالب يوسف بوسعدة بعنوان: الدور الاقتصادي لجماعة بني مزاب بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني[80]، حيث درس فيها الباحث انتقال المزابيين إلى مدينة الجزائر في بداية القرن السادس عشر، وتفاعلهم في الحياة الاقتصادية في مدينة الجزائر، كالاشتغال في التجارة والحرف والخدمات، كما درس عن التفاعل للمزابيين في الحياة السياسية بمدينة الجزائر خلال الفترة المذكورة.

الإنتاج الأكاديمي حول منطقة وادي مزاب باللغة الأجنبية:

<u>في المجال التاريخي: (Histoire)</u>

من الدراسات التاريخية الأجنبية التي أنجزت حول المزابيين، أذكر: مذكرة DEA، للباحث جمال حوقي (Jamel Haggui) بعنوان: Les Algériens Originaires du Sud dans la ville de tunis Pendant l'époque coloniale (1881– 1956) (mozabites, souafa et Ouarglias)[81]، حيث قام الباحث بدراسة الجزائريين

المتواجدين في تونس أثناء فترة الاحتلال الفرنسي بها، وركز علـى نمـاذج، وهـي المزابيين السوافة والورقلية، وأما فيما يتعلق بالمزابيين، فإن الباحث قد درس نشـاطهم الاقتصادي في تونس[82]، وتفاعلهم في الحياة السياسية بها، كمشاركتهم في الحـزب الحر الدستوري التونسي.

ومن الدراسات الأكاديمية التي أنجزت حول المزابيين باللغة الأجنبية (الإنجليزيـة) أطروحـة الـدكتوراه للباحـث دونالـد شـارل هوليسـينقر (Donald Charles Holsinger)، بعنوان Migration Commerce and Community the Mizabis in Nineteenth-Century Algeria، حيث درس الباحث جماعة التجار المـزابيين في مدينة الجزائر في القرن التاسع عشر، حيث درس نشاط المـزابيين فـي المجـال الاقتصادي بمدينة الجزائر فبيّن المهن والحرف التي امتهنها المزابيون، كما بيّن أيضـا رحلاتهم وأنشطتهم التجارية في الفترتين العثمانيـة[83]، وبـدايات فتـرة الاحـتلال الفرنسي[84].

أذكر: أطروحة دكتوراه، للباحث الجزائـري صـالح ابـن ادريسـو (Salah Bendrissou) بعنوان: Implantation des Mozabites dans l'Algérois entre les deux-guerres[85]، حيث درس الباحث تركز المزابيين بعمالة الجزائر ما بين الحربية العالميتين، فتطرق إلى نشاطهم السياسي والثقافي والاجتمـاعي فـي عمالـة الجزائر في مدة ما بين الحربين العالميتين.

<u>في المجال الاجتماعي: (Sociologie)</u>

من الدراسات الجامعية التي أنجزت في هذا المجال أذكر، مذكرة الماجستير للباحثة إيدينا فولديسي (Edina foldessy) بعنـوان: Entraide et Solidarite chez les Mozabites Ibadites (L'ACHIRA)[86] (المساعدات المتبادلة والتضـامن بـين المزابيين)، حيث درست الباحثة ظاهرة التضامن عند المزابيين وركزت على العشيرة كنموذج للدراسة، فدرست تأثير العشيرة في المجتمع المزابي والدور الذي تقـوم بـه، ومدى ارتباط العائلات بها[87]، وتعد هذه الدراسة الوحيدة حول العشـيرة، إذ قـدمت معلومات مفصلة حولها.

الخاتمة:

لقد تمكنت منطقة وادي مزاب، أن تسيل حبر مجموعة كبيرة من الكتاب والدارسين ليدونوا عنها وعن المجتمع الذي يسودها، فقد أنجز الفرنسيون الكثير من المؤلفات عن مزاب، في المجال التاريخي والاجتماعي والقانوني واللغوي محاولين بكل جهودهم أن يقدموا معلومات مفصلة ودقيقة، وذلك من أجل محاولة الفهم الدقيق للمجتمع المزابي، واستكشاف مكامن المعارف المجهولة عنه.

كما قدمت الكتابات العربية بدورها معلومات ومعارف عن المزابيين محاولة التوفيق والبناء على ما كتبه الفرنسيون، إضافة إلى ما لم يتوصل الفرنسيون إليه وبقي مجهولا.

كما أن الكتابات الأمازيغية المحلية (المزابية)، حاولت نقل الرسالة العلمية بطريقتها الخاصة، وقد برز الكتاب فيها بداية من الثمانينات إلى يومنا هذا، وتهدف جهودهم إلى الحفاظ على اللسان المزابي، والثراء الثقافي للهجة المزابية.

أما بالنسبة للدراسات الأكاديمية فانطلقت هي الأخرى لتكمل مسيرة التعريف وتسليط الضوء على ما لا يزال مجهولا حول الأدب الأمازيغي عن منطقة وادي مزاب، وقد تعددت هذه الدراسات بين مختلف الأطوار العلمية وبين مختلف اللغات العربية والأجنبية، ومهما كثرت هذه الدراسات فلن تتمكن من دراسة كل الجزئيات التي تتعلق بالمجتمع المزابي وثقافته ولغته.

وفي ختام هذه الدراسة لا يمكن لي أن أحيط بكل ما كتب عن الأدب الأمازيغي الذي يخص منطقة وادي مزاب، ولذلك فإني قدمت نماذج عما ألف في هذا الميدان، ولأن أي محاولة لرصد كل الدراسات والمؤلفات، ستنتهي حتما بسنوات من الكتابة ومجموعة من المجلدات.

هوامش الدراسة:

(1)Louis RINN, Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie, Libraire de L'Académie ; Alger ; 1884.

(2) Ibid, pp150 – 138

(3) Ibid, pp156– 150

(4)Edmond Doutté; L'Islam algérien en l'an 1900; Imprimeur- Photograveur; Alger; 1900.

(5)Ibid, pp33 - 34

(6)TESTEVIN ; Coup d'œil sur l'état politique du M'zab en l'an 1300 de l'Hégire ou 1882 de notre ère ; in Bulletins de la Société dauphinoise d'ethnologie et d'anthropologie puis d'ethnologie et d'archéologie et d'archéologie ; TOME QUATRI�ME ; LITHOGRAPHIE GABRIEL DUPONT ; GRENOBLE ; 1897.

(7) Ibid, pp108 - 109

(8) Ibid, pp110 - 111

(9) Ibid, pp121 – 116 ،113

(10)Commandant Robin ; Le Mzab et Son Annexion a La France; Imprimeur Libraire de L'Académie ; Alger ; 1884.

(11) Ibid, pp10 - 5

(12) Ibid, pp ،10 – 11

(13) Ibid, pp16 - 17

(14) Ibid, pp19 - 20

(15)Ibid, pp 22 – 23

(16) Ibid, p 27

(17)Ibid, pp 36 – 47

(18) A. Coyne; Le Mzab; Adolphe Jourdan Libraire-Editeur; Alger; 1879.

(19)Ibid, pp 3 – 7

(20)Ibid, pp 8 – 16

(21)Ibid, p 19 – 41

(22)Lieutenant D'Armagnac LE MZAB ET LES PAYS CHAAMBA (SAHARA); éditions Baconnier; Alger..

(23)Ibid, p 23 – 105

(24)Ibid, p 119 – 191

(25)Brahim Ben Youb Blidi, De l'Indigénat son application aux Mozabites, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Alger, 1903

(26) Ibid, p 17ص

(27)Ibid, p 38ص

(28)Zeys, Voyage d'Alger au M'Zab 1887, Le Ministre de L'Instruction Publique ; france; 1887.

(29)PAUL SOLEILLET, L'AFRIQUE OCCIDENTALE ALG□RIE, MZAB, TILDIKELT, IMPRIMERIE DE F. SEGUIN A□N□ ; AVIGNON ; 1877; p69 – 70

(30)E.ZEYS, L□GISLATION MOZABITE SON ORIGINE, SES SOURCES SON PRESENT, SON AVENIR, Imprimeur Libraire de L'Académie ; Alger ; 1884, p46.

(31)Ibid, p 67

(32)Emile masqueray, les kanoun des Beni-Mzab , in Etudes et Documents berbères; 1995; p214

(33)Ibid, pp 217 – 215

(34)marcel morand, les kanouns du mzab , Imprimeur Libraire Editeur, Alger, 1903; p 8

(35)Ibid, pp 10 – 11

(36)Ibid, pp 12 ،20 ،24 ،31،32 ،36 ،37

(37)René BASSET, □TUDE SUR LA ZENATIA DU MZAB, DE OUARGLA ET DE L'OUED-RIR, ERNEST LEROUX, □DITEUR, PARIS; 1892; pp 35 – 189.

(38)Ibid, p 241

(39)Ibid, p 244

(40)Ibid, pp 264 – 261

(41)M. em. Masqueray; Comparaison d'un Vocabulaire du Dialecte des Zenaga Avec Les Vocabulaires Correspondants Des Dialectes Des chawia et Des Beni Mzab; pp 473 – 533.

(42)Motylinski ; NOTES HISTORIQUES SUR LE MZAB Guerara Depuis sa Fondation; Imprimeur–libraire de l'Académie; Alger; 1885.

(43)Ibid, p 1ص (43)4

(45)A.–M. GOICHON ; LA VIE FMININE AU MZAB ; Librairie Orientaliste Paul Geuthner ; Paris; 1927.

(46) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية المطبعة العربية، ط4، الجزائر، 2017م.

(47) المرجع نفسه، ص ص1 – 90.

(48) المرجع نفسه، ص ص92 – 381.

(49) يوسف بن بكير الحاج سعيد: الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ، المطبعة العربية، بـ ط، الجزائر، 2011م، ص ص 6 – 16.

(50) المرجع نفسه، ص ص17 – 33.

(51) عبد القادر عزام عوادي: هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881 – 1956م، دار نزهة الألباب، بـ.ط، الجزائر، 2018م.

(52) المرجع نفسه، ص ص9 – 45.

(53) المرجع نفسه، ص ص50 – 119.

(54) المرجع نفسه، ص ص121 – 149.

(55) عبد القادر قوبع: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و 1954، دار طليطلة، بـ.ط، الجزائر، 2013م، ص ص35، 189.

(56) المرجع نفسه، ص ص234 – 248.

(57) المرجع نفسه، ص ص341 – 343.

(58) الشيخ القرادي الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى: رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب نشر جمعية النهضة – العطف، ط1، الجزائر، 2009م، ص57.

[59] عبد الوهاب حمو فخار: إمطاوان إزوقاغن، نشر المؤلف، غرداية، بـــــــ.ت، بـــــ.س ص32، 33، 38.

[60] عبد الوهاب حمو فخار: تايدرت ن وغلان (سنبلة ميزاب)، نشر المؤلف، غرداية، بـــــــ.ت ص10 – 21.

[61] عبد الوهاب حمو فخار: تيسلسلت ن وورغ، نشر المؤلف، غرداية، 2015م، ص24 – 97.

[62] المرجع نفسه، ص106.

[63] المرجع نفسه، ص ص133 – 159

[64] المرجع نفسه، ص ص197 – 230.

[65] صالح ترشين: أول إنو، المطبعة العربية، بــــ.ط، الجزائر، 1986م، ص ص10 – 101.

[66] المرجع نفسه، ص ص104 – 219.

[67] حفار محمد بن إبراهيم بن بكير: تاونزا ن تسلت، مطبعة الآفاق، بــــ ط، الجزائر، 2017م.

[68] عبد الله نوح: النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب بحث حول نظام الشـــورى والديمقراطيـــة وتطبيقاته في هذه النظم، رسالة ماجستير، معهد العلوم القانونية والإدارية، جامعـــة الجزائـــر 1994م.

[69] المرجع نفسه، ص ص21 – 167.

[70] المرجع نفسه، ص ص218 – 367.

[71] المرجع نفسه، ص ص376 – 424.

[72] عبد العزيز خواجه: الضبط الاجتماعي ومعوقاته فـــي وادي ميـــزاب – دراســـة سوســـيو– أنثربولوجية لنظام العزابة من خلال مواقف الشباب (حالة قصر بني يزقن)، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر02، 2004م، ص ص111 – 151.

[73] المرجع نفسه، ص ص152 – 164.

[74] المرجع نفسه، ص ص169 – 249.

[75] حمو عبد الله عيسى بن يحيى: التسرب المدرسي للفتاة المزابية: دراسة ميدانيـــة فـــي معهـــد الإصلاح للبنات بمدينة غرداية، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيـــة والعلـــوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2015م.

[76] المرجع نفسه، ص ص35 – 101.

[77] المرجع نفسه، ص ص 103 – 173.

(78) محمد عبد النور: المخيال وإعادة إنتاج الرموز الاجتماعية: دراسة حالة المجتمع المزابي من خلال المؤسسات الدينية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، 2014م.

(79) محمد وقاد: جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1830م-1700م / 1246 هـ - 1112هـ)، مذكرة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر02، 2010م.

(80) يوسف بوسعدة: الدور الاقتصادي لجماعة بني مزاب بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518 - 1830م/ 924 - 1425هـ)، مذكرة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، 2016م.

(81) Jamel Haggui; Les Algériens Originaires du Sud dans la ville de tunis Pendant l'époque coloniale (1881- 1956) (mozabites, souafa et Ouarglias); Mémoire de DEA; Faculté des lettres de Manouba; Université Manouba; 2004.

(82) Ibid, pp8.

(83) Donald Charles Holsinger, Migration Commerce and Community the Mizabis in Nineteenth-Century Algeria, Université

369 – 230 (84) Ibid, pp

(85) Salah Bendrissou; Implantation des Mozabites dans l'Algérois entre les deux-guerres; Institut Maghreb- EUROPE; Université Paris8; 2000.

(86) Edina foldessy; Entraide et Solidarite chez les Mozabites Ibadites (L'ACHIRA) ; Université Paris x – Nanterre; 1994.

(87) Ibid, ph 26 - 133.

الشيخ محمد علي دبوز الرائد في الاهتمام بلغة تيفيناغ والثقافة الأمازيغية تاريخها وأدبها تأليفا وجمعا وتدريسا

أ. دبوز بيوض إبراهيم بن محمد
غرداية
bahidadi6@gmail6com

المقدمة:

تنفست الهوية الأمازيغية: اللغوية خاصة الصعداء مؤخرا في الجزائـــر، منـــذ بداية هذا القرن الحادي والعشرين، بما حققته. بعد جهد جهيـــد دام نصـــف قـــرن. وكانت فرحة أمازيغ الجنوب وبهجتهم بقرارات رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة سيما الميزابيين عارمة تثلج صدورهم. ولكن كان يعكر بهجتهم ربط كثير من الكتاب الأمازيغيين تاريخ بداية الجنوب الاهتمام بالثقافة الأمازيغية تاريخا ولغة وأدبا .. بالشمال والحركات الناشطة كالربيع الأمازيغي سنة 1980م وما شابهها .. وادعاؤهم أن بداية اهتمام الميزابيين بأبجدية تيفيناغ كان تبعـــا لقـــرار الأكاديميـــة الأمازيغية بباريس سنة 1966م. وأشادوا وأطنبوا لهاته الأكاديميـــة الأمازيغيـــة وأرجعوا لها كل فضل في الاهتمام بالثقافة الأمازيغية .

ولكن الحقيقة أن تاريخ بداية اهتمام المزابيين بالثقافة الأمازيغية كـــان خـــلاف زعمهم. فقد كان في وادي أمزاب مدرسة مهتمة بالثقافة الأمازيغية سيما الجانـــب التاريخي واللغوي والأدبي قبل وجود هاته الأكاديمية الأمازيغية قرابـــة عشـــرين عاما، حينما كانت قبيلة كتامة وصنهاجة وهوارة مازالت تـــدعي وتتبنـــى النســـب الحسيني القرشي العربي ..

وكانت دوافع هاته المدرسة المزابية للاهتمام بالثقافـــة الأمازيغيـــة وأهـــدافها ومقاصدها موضوعية محضة، وطنية أصيلة، ولدت ودرجت من أعماق الأصـــالة الأمازيغية، لا شرقية سامية، ولا غربية فوركفونية، وترعرعت في أحضان الوطن الجزائري، لا تحت كفالة ووصاية باريس. جاعلـــة ثوابـــت الـــوطن الجزائـــري

الأمازيغي نصب عينيها، سيما العقيدة الدينية والوحدة الترابية، والأخوة الوطنيـــة. لم تشبها ما شاب بعض الحركات والمؤسسات الأمازيغية المهتمة بالثقافة في شمال إفريقيا، من الوصاية الأجنبية العلمانية.

وكان رائد هاته المدرسة المزابية المهتمة بالتاريخ واللغة والأدب الأمازيغي هو الشيخ محمد علي دبوز ـــ رحمه الله ـــ تأليفا وتدريسا ودفاعا عن أصـــالة هويـــة الأمازيغ. منذ سنة 1948م. حيث ترك تراثا قيما من الكتب والبحوث والمقـــالات في التاريخ والثقافة الأمازيغية، وخلف نخبة فذة من تلاميذه، الذين واصـــلوا حمـــل مشعل الاهتمام بالتاريخ والأدب الأمازيغي، الميزابي خاصة، مواصـــلين المســـيرة بعده.

إن السبب الدافع لتحرير هاته الورقة؛ هو ما شاب الثقافة الأمازيغية في وادي مزاب في العقود الأخيرة، من مفاهيم مكدرة. منها: الادعاء أن الثقافة الأمازيغيـــة حلت على وادي مزاب، في الثمانيننات بفعل الربيع الأمازيغي، وأنها وفدت إليه مع ما يكتنفها من تهديدات للإسلام ووحدة الوطن.

هذه الورقة أرادت أن تصحح هذا الالتباس، وتبين أن اهتمام المزابيين بالثقافـــة الأمازيغية كان قديما جدا. قبل الربيع الأمازيغي بزمن طويل. وكان مزابيا أصـــيلا كل الأصالة .

وسأحاول إبراز أهم اهتمامات الشيخ محمد علي دبوز بالثقافة الأمازيغية تاريخا ولغة وأدبا.

والذي يدفعني لتحريرها بمناسبة ملتقى الأدب أمازيغي في الجنوب الجزائـــري هو الإثبات أن اهتمام أمازيغي الجنوب الجزائري؛ المزابيين خاصة، كان أسبق من شماله بالثقافة الأمازيغية، وأنقى الدوافع، وأنبل المقاصد.

توطئة:

عصر محمد علي دبوز واضطهاد الهوية الأمازيغية:

إن من أهم العوامل التي حملت محمد علي دبوز على الاهتمام بتاريخ المغـــرب الكبير الأمازيغي عموما ووادي مزاب خصوصا هو تأثره الشديد من الممارســـات الفظيعة تجاه الهوية الأمازيغية في المغرب الكبير ليس من قبـــل المعـــربين فـــي

الحكومة الجزائرية وحكامها فحسب كما يرجعها الكثير؛ بل تعود إلى عهد الاحتلال الفرنسي الغشوم.

ويمكن أن نقسم تلك الممارسات الممنهجة الفظيعة على الهوية الأمازيغية إلى فترتين اثنتين:

أ ـ اضطهاد الهوية الأمازيغية في فترة الاحتلال الفرنسي المقيت.

ب ـ اضطهاد الهوية الأمازيغية من الاستقلال الجزائري سنة 1962م؛ إلى الربيع الأمازيغي مارس 1980م.[1]

أ ـ اضطهاد الهوية الأمازيغية في فترة الاحتلال الفرنسي:

يرى محمد علي دبوز أن الهوية الأمازيغية كانت مستهدفة تحت نير الاحتلال من قبل ثلاث جبهات أضرت بها أيما ضرر

الجبهة الأولى: مخططات الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تزوير الهوية الأمازيغية:

كانت إدارة الاحتلال الفرنسي تحارب وتضطهد كل ما يعمل على يقظة الضمير الجزائري بكل وسائلها الدنيئة ومن أخبثها تزوير حقائق الهوية الأمازيغية " وتراهم يستخدمون تاريخ المغرب المجيد الذي يحرفونه بالإزراء بأجدادنا الأمازيغ وتشويه سمعة دولنا القديمة ليخلقوا في نفوس أبنائنا عقائد سيئة في أجدادهم الأمازيغ وعقدا نفسية تصرفهم عن الاعتناء بهويتهم وتاريخهم"[2].

وركزت على الدول المستعمرة للجزائر، منها العرب في زعمها، حتى تشرع لاستعمارها للجزائر .

وعملت على طمس بطولات الأبطال الأمازيغيين ضد الاحتلال الروماني والوندالي والبزنطي كالقائد البطل يوغرطة ويوبا الأول وتكفاريناس وغيرهم العديدين "فبسطوا ألسنة السب السفيه في يوغرطة، وأرادو أن يغضوا من مقامه بالكذب والوقاحة فقالوا: " إنه ابن حرام !!"[3].

الجبهة الثانية: تزوير المؤرخين الأروبيين لتاريخ وهوية الأمازيغ

مما تكبدته الهوية الأمازيغية في نظر محمد علي دبوز هو تزوير المؤرخين الأوروبيين لتاريخها الأمازيغي المجيد.

"إن المؤرخين الأروبيين إذا كتبوا عن تاريخ المغـــرب الأمـــازيغي فليحتقـــروا البربر والدول البربرية، فيجعلون الرومان هم كل شيء في المغـــرب الأمـــازيغي وتابع لهم يمتثل بأوامرهم وينفذ إرادتهم"(4)

" إنهم حاقدون على البربر لعدم رضوخهم لهم؛ وثـــوراتهم المتواليـــة علـــيهم. وكانوا إذا تحدثوا عن تلك الثورات في تاريخهم يصفونها بأسوء النعوت، فيجعلونها فوضى وتخريبا وتقتيلا وهمجية ويصفون البربر بحب الفوضى وبالغرام بالتخريب وسفك الدماء، وليست تلك الثورات لعمرك إلا جهادا وطنيا مقدسا تحمل عليه أعظم الأخلاق، وأنبل الغايات".(5)

الجبهة الثالثة: تنكر المؤرخين المغاربة

تنكر بعض المؤرخين المغاربة والجزائريين خصوصا لهوية أجدادهم الأمـــازيغ بترديدهم تحريفات المؤرخين الأوروبيين .

"لقد تأثر كثير من مثقفينا الذين ألفوا في هذا العصر في تاريخ المغرب بالدعايـــة المغرضة، التي شنتها السياسة المغرضة قديما وحديثا على البربر والمغرب فتراهم إذا كتبوا عن البربر ينظرون إليهم نظرة شزراء، ويتحدثون عنهم حـــديث الأجنبـــي الشامخ الحر عن الأجنبي، زاعمين أنهم عرب وأولئك بربر، لا صلة بيـــنهم، وهـــم أجدادهم الأكرمين، وآباؤهم العظماء المحبون، أي عقوق أكبـــر مـــن هـــذا العقـــوق البغيض، وأي جهل وكفر للجميل أشد من هذا الفعل الشنيع، إن رأس الجهل والحماقة أن لا يعرف المرء شمس الضحى فيصفها بالظلام، فيزور عنها، وينظر شزرا إليها، وأن لا يعرف نسبه فيطأ بالأرجل الوحلية هامة كريمة هي رؤوس أجداده، ويكشـــر في وجوه جميلة كريمة وفية هي التي كانت تناغيه وتبسم له في المهود ."

المدرسة الأمازيغية المزابية للتاريخ والأدب الأمازيغي :

إن اهتمام المزابيين بالثقافة الأمازيغية الذي كان منذ أكثـــر مـــن مائـــة عـــام وإنجازاتهم الباهرة الميدانية في مجال التاريخ والأدب الأمازيغي، قد أسس مدرســـة أمازيغية أمزابية، وأرسى قواعدها، واضحة المعالم؛ أصيلة الجذور، تهتم بالهويـــة الأمازيغية التاريخية اللغوية الأدبية.

نشأ هذا الاهتمام الثقافي الأمازيغي المزابي الأصيل، فـــي أحضـــان الحركـــة الإصلاحية الثقافية في وادي مزاب بعد الحرب العالمية الأولى. فظهرت تباشـــيرها على الصحف والمجلات، وعلى خشبات المسرح. ثم اشتد ســـاقها بعـــد الحـــرب العالمية الثانية، فبدأت تثمر نتائجها الثقافية: التاريخية والأدبية حيث بـــدأت هاتـــه المدرسة تُظهر انجازاتها في الثقافة الأمازيغية. واستهلتها بإنقاذ التاريخ الأمـــازيغي من تحت أنقاض الإهمال والضياع، وصقلته مما تراكم عليه من أدران المـــؤرخين الملوكيين. حتى انجلى مصفى منقحا طاهرا من ترهـــات وأراجـــيس المشـــارقة والأوروبيين. وشمرت هاته المدرسة المزابية في الاهتمام باللغة الأمازيغيـــة، مـــع إبراز خصائصها ومميزاتها. والاعتناء بعلم اللهجات الأمازيغيـــة ســـيما المزابيـــة ودراسة الأدب الأمازيغي في الشعر والأقصوصة والأمثال والكنايات المزابية ..

ومما امتازت به هاته المدرسة المزابية للثقافة الأمازيغية أنها كانت هي أول من اهتم بالكتابة الأمازيغية، واستخرجت أبجديات تيفيناغ من أدغال توارق، وجعلتهـــا هي الأبجدية الأمازيغية المعتمدة. وقد أنجزت هذا وحققته على الميـــدان المعرفـــي عن طريق التأليف والتدريس، قبل أن تتأسس الأكاديمية الأمازيغيـــة فـــي بـــاريس سنة1966م. تلك التي ينسب إليها زورا استخراج حروف تيفيناغ من بين ظهراني التوارق وجعلها الأبجدية الأمازيغية الممثلة. بل لقد سبقتها المدرسة المزابية بالعديد من السنوات، قد تتعدى عقودا عدة من الزمن.

واهتمت هاته المدرسة بالشعر المزابي اهتماما لا بأس به، كان من أبرز بواكر انتاجاتها قصيدة المولد النبوي الشريف الرائعة للشاعر المزابي القدير صـــالح بـــن ابراهيم باجو رحمه الله .

ومن أهم خصائص هاته المدرسة :

ـــ الاهتمام بالثقافة الأمازيغية في حضن الأصالة الوطنية الدينيـــة. لا تتـــاهض ولا تستفز ثوابت الوطنية الجزائرية. ولا تعادي الدين الإســـلامي الـــذي اعتنقـــه أجدادهم منذ أربعة عشر قرنا وعدّ بجدارة من أوكد رمـــوز الهويـــة الأمازيغيـــة والمزابية خاصة.

ـ تدرك أن السبب الأساسي لضعف الهوية الأمازيغية واضمحلالها وترهلها في المغرب الكبير يعود أساسا لتخلي الأمازيغ عنها. وتزاحمهم على عتبات السامية وانتحال أنسابها القرشية. وإدبارهم عن الهوية الأمازيغية، ونسبهم.

أسست هاته المدرسة المزابية برنامجها فوق أرض صلبة من الأصالة الأمازيغية. التي تتجذر في الهوية الأمازيغية التي تتوغل في الزمن، أزيد من ثلاثين قرنا، وإن من أوكد أسس هاته الأصالة الأمازيغية الصرفة الخالصة هي العقيدة الدينية. فالأمازيغي من طبعه وسجيته إنسان متدين منذ عهد النشأة الأول للأمازيغ، له عقيدته الدينية، يكافح من أجلها، ويستميت في سبيلها. ولم يكن الأمازيغي الأصيل فردا علمانيا أبدا، ولا ملحدا ولا زنديقا. تاريخه الديني قبل الإسلام تاريخ زاهر زاخر بالولاء لعقائده تجاه آلهته.

ـ لا تناهض هاته المدرسة المزابية اللغات الأخرى، ولا تقصيها، سيما إذا كانت لغة ترتكز عليها أصول وقواعد مزابية، مثل لغة الدين الذي اعتنقه الأمازيغ منذ خمسة عشر قرنا، وهو لغة القرآن، فلم يكن أعضاء هاته المدرسة يشاكسون ويعادون اللغة العربية، لأنهم يرونها لغة عقيدتهم، واللحمة التي تجمع وتوحد الوطن الجزائري.

مازال أعضاؤها يكافحون ويجدّون في خدمة الهوية الأمازيغية الإسلامية الجزائرية، منذ إرساء قواعد هاته المدرسة المزابية في الأربعينيات بعد الحرب العالمية الثانية، لا يدفعهم إليها إلا دوافع متأصلة في الهوية الأمازيغية، ليست دخيلة أو مدسوسة من قبل الفكر اللائكي، ولا من الأصوليين وغيرهم ..

وكان رائد هاته المدرسة الأمازيغية الجزائرية هو المؤرخ الشيخ محمد علي دبوز. وهو من تلاميذ وثمرات الإمام الشيخ بيوض رحمهما الله. دافع ونافح عن الهوية الأمازيغية، وعن أصالتها. ولد سنة 1919م وتوفي سنة 1981م. تاركا تراثا زاخرا من المؤلفات والمخطوطات والأرشيف في التاريخ الأمازيغي وتاريخ أدبه ،وخلف عدة تلاميذ من الأدباء والشعراء المهتمين بالأدب الأمازيغي. حقق كل هذا قبل أن يحدث ما يسمى الربيع الأمازيغي.

وإن أهم ما دفع الشيخ محمد علي دبوز للاهتمام بالثقافة الأمازيغية، والتاريخ الأمازيغي خصوصا، هو ما هاله من إجحاف، وراءه من تعسف للهوية الأمازيغية. ليس من قبل الكتاب والمؤرخين، الذين تحكمت فيهم السياسة، وداخلتهم أهواء الساسة، من المشارقة والأوروبيين فحسب، بل من قبل الكتاب الجزائريين ذوي الأصول الأمازيغية، الذين نقلوا ما كتب عن الحضارات الأمازيغية، قبل الإسلام وبعده، من أكاذيب واحتقار للأمازيغ. فشمر عند تخرجه الجامعي سنة 1948للدفاع عن الهوية الأمازيغية، تدريسا وجمعا وتأليفا، في معهد الحياة بالقرارة. آخذا بعين الاعتبار أسس مدرسته، ألا وهي احترام الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم، وهو يعلم على يقين أن الفضل في المحافظة على الهوية الأمازيغية هنا في وادي مزاب يعود أساسا للمذهب الإباضي لعقيدته وبفضل النظام الاجتماعي والهيئات الدينية والثقافية الأمازيغية. ولولا كل هذا، لانقرضت الهوية الأمازيغية هنا في وادي مزاب. كما انقرضت في تيارت، وفي المواطن التي التجأت إليها فلول الرستميين، كالأغواط وغيرها، واهتم كل الاهتمام باحترام الأخوة الإسلامية الوطنية، فكان يؤرخ للعلماء والأدباء والشعراء الجزائريين عامة أمازيغهم وعربهم معا. فعندما تحدث عن الشعر الملحون في وادي مزاب، مثل له بالشاعر أحمد بن الحرمة، واستشهد بقصائده، إلى جانب الشاعر عمر بن عيسى بلعيد. رحمهما الله وكلاهما من بلدة بريان. والأمثلة عديدة في سائر مؤلفاته.

ثم تضافرت معه ومن بعده جهود تلاميذه النجباء الأفاضل. أمثال الأستاذ صالح بن إبراهيم باجو. رحمه الله، والأستاذ عبد الوهاب بن حمو فخار، وغيرهما ...

وفي هاته الورقة سأشير إلى بعض ما حققه الشيخ محمد علي دبوز رحمه الله من خدمات علمية للهوية المازيغية الثقافية. الأدبية خصوصا.

محمد علي دبوز ودفاعه عن أصالة الأمازيغ عرقا ونسبا :

<u>بين التسمية بالبربر والبربرية والأمازيغ والأمازيغية عند الشيخ محمد علي دبوز :</u>

انتقد كثير من نشطاء الحركة الأمازيغية تسميتهم اسم (البربر)، وتسمي لغتهم (اللغة البربرية)، رافضين إياه، مستهجنين منه. بدعوى أنه اسم قـدْح وذم، أطلق

عليهم من قبل الأوروبيين قديما، ثم من العرب في الإسلام. وتمسكوا باسم (الأمازيغ)، ولم يقبلوا له بديلا.

تُرى ما هو موقف المؤرخ محمد علي دبوز من التسمي (البربر) ؟ هل هو حقا اسم قدْح وذم ؟ وهو الذي دأب يدافع وينافح عن أصالة الهوية الأمازيغية ،ضد كل دعاوى الأوروبيين والمغرضين ؟

لم يكن الشيخ محمد علي دبوز متفقا مع هؤلاء، في رفض اسم (البربر). بل ردّ عليهم، مبينا حقيقة اسم (البربر) بالأدلة التاريخية. ومفندا مزاعمهم غير المؤسّسة ــ في نظره ــ في رفض هاته التسمية الأصيلة .

مدلول الأمازيغ عنده :

يبين: " إن جد البربر هو مازيغ بن كنعان بن حام. والبربر يسمون أنفسهم (الأمازيغ)، ويعتدون بهذا الاسم. وهم لا يطلقونه إلا على الأقحاح الصرحاء فيهم أما النزلاء والدخلاء، الذين يتبربرون كعبيدهم ومواليهم فلا يسمونهم الأمازيغ. ومعنى الأمازيغ عندهم هو (الأشراف). يعني الصرحاء أبناء مازيغ الذين يحملون شخصية البربر العظيمة، ويتصفون بأخلاقهم التي تطبعهم بها الوراثة الأمازيغية الزكية. ويسمي البربر لغتهم البربرية (تمازيغت) نسبة إلى الأمازيغ. وقد أرسل عمرو بن العاص لما كان واليا على مصر بعض رؤساء البربر إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فسألهم عن نسبهم فقالوا: " نحن أبناء مازيغ ."(6)

مدلول البربر عنده :

يقول: " أن البربر الذين سموا أنفسهم أمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ، قد سموا أيضا أنفسهم (بربرا) نسبة إلى جدهم بربر بن تملا بن مازيغ. فهم الذين تسموا بهذا الاسم اعتدادا بجدهم، وفخرا بهذا الأصل الشريف من أصولهم " (7).

يتجلى من قوله أن البربر هم الذين سموا أنفسهم (البربر)، نسبة لجدهم السادس بربر بن تملا بن مازيغ .

ويستدل كذلك بما يلي. إضافة مع نسبتهم لجدهم السادس:

" ومما يؤيد هذا أننا وجدنا هذا الاسم يطلق عليهم قبل الفتح الإسلامي. وقبل أن يعرفهم العرب في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين. لقد كانوا يتسمون بهذا الاسم

قبل الميلاد في عهد القرطاجيين. وقد سميت دولة قرطاجنة (الدولة البونيقية) وهو تركيب مزجي من البربر والفينيقيين. وقيل إنه تركيب من الليبيين والفينيقيين. فـــإذا كانت هذه التسمية قديمة فهي من الشواهد على أن اسم البربر قديم، أطلقه البربـــر على أنفسهم، ليس العرب ولا الرومان ." (8)

ويرد على المؤرخين المفسرين معنى البربر بمعنى (المتوحشين) :

"إن بعض الغافلين من المؤرخين المغاربة قد ظنوا أن ســـبب تســـمية أجـــدادنا بربرا كسبب تسمية الرومان للمتوحشين الأوروبيين الذين يغزونهم بربرا ."(9)

ويصحح معنى إطلاق الرومان لأعدائهم صفة البربر، ويقول :

"وإذا أطلق الرومان هذا الاسم على الغزاة الشجعان تشبيها لهم بالبربر، فلفتكهم لهم كالبربر الذين يثورون على الرومان الذين استعمروا بلادهم فيفتكـــون بهـــم، لا لأن البربر متوحشون كأولئك الأوروبيين الغواة. "(10)

" إن للبربر قبل الإسلام مجدا تليدا، وصفحات ذهبية، ودولا عظمى، وحضـــارة راقية، ومواقف للبطولة والذب عن الأوطان لا زالت من أكبر مفاخرهم إلى هـــذا الزمان. فلو لم يكن في جاهليتهم إلا تلك المواقف لكانت أكبر ســـببا يحثنـــا علـــى تسجيل تلك الحقبة من تاريخهم لأنها هي التي تفهمنا سبب استعصاء البربر علـــى العرب في الفتح الإسلامي نصف قرن كامل، وهو حادث لم يقع للدولة الإســـلامية في كل ما فتحت من الأقطار؛ فكيف ومع بطولة البربر في الحروب، وبسالتهم في النزال، وحضارتهم العظمى ودولهم الكبرى التي وصلت إلى ما لم تصل إليه الأمم في ذلك الزمن من المدنية والرقي"

ويدعم رأيه بأن البربر هم أسبق للحضارة من الرومان، ويقول :

"إن البربر قد سبقوا الرومان إلى الحضارة، فمغـــربهم الـــذي بنـــوه وعمـــروه بحضارة قرطاجنة فصار جنة عدن بالمدنية وكثرة الخيرات، هو الذي لفت أنظـــار الرومان إليهم فغزوهم، فاحتلوا بلادهم" (11)

يقول الكاتب الجزائري القدير محمد الزيتوني :

"واستعمله الرومان واطلقوه على كل الأجانب ومنهم الأمـــازيغ الـــذين كـــانوا خارجين تاريخيا عن سيادة الرومان. .. وهذا ما يدل على أن الرومان لم تكن لهم

سلطة واقعية أو فعلية على قبائل البربر، لان البربر لم يتقبلوا سلطان الرومان وكانت هنالك ثورات ضدهم، لعل أشهرها ثورة تاكفارينس Tacfarinac التي ظلت مستعرة 13 عاماً ."[12]

وهذا ما أكده محمد علي دبوز مرارا، منه قوله: " لما اشتهر الأمازيغ في الفروسية، والشجاعة والجرأة، وركوب ظهور الرومان في الحروب، سموهم بربرا لذلك"[13]

ويضيف الكاتب محمد الزيتوني مبينا كثرة تداول تسمية البربر في الحقل الأكاديمي:

"شاع إطلاق لفظ «البربر» على ألسنة الناس فهي الأكثر شيوعاً واستعمالاً من لفظ أمازيغ في الدوائر الأكاديمية ودور العلم، علماً بأن كليهما سيان من حيث الاستدلال بعيداً عن سوء الظن أو الفهم وما شاكل ذلك من حساسيات.. "[14]

وقد لفق المؤرخون العرب عدة روايات كاذبة خاطئة، في تقبيح تسمية البربر. حيث لفقوا عدة أنساب، ووسموا جد البربر بالهمجية والعصيان.

منها: ما ذكره الحمداني: "أن البربر من ولد بربر بن قيذار بن اسماعيل ﷺ. وأنه ارتكب ذنبا فقال له أبوه: البر البر. اذهب يابر، فما أنت ببر"[15].

ويبين الشيخ محمد علي دبوز مرارا عديدة؛ أن كلمة البربر تدل في مضمونها على مدح البربر لا على ذمهم. لأنها تدل على الثورة ضد الغزاة، والأنفة والعصبية الوطنية، وعدم الرضوخ والانصياع لسياسة القهر والاغتصاب. أطلقت عليهم لما ثاروا في وجه غزاة أراضيهم فوسموهم بها، أمام ثوراتهم ومواقفهم المتصلدة .

تفنيده الهوية السامية: العرقية والثقافية، وتضعيفه أشجار النسب المزابية الشريفة القرشية :

مما يؤثر سلبا على الهوية الثقافية الأمازيغية هو ادعاء جماعة من المؤرخين الشرقيين العرب؛ أن البربر كلهم أو بعض قبائلهم سامية الأصل، تنتمي للعرب العاربة في اليمن، أو العرب المستعربة في قريش .

وهذا الادعاء الباطل في أصل البربر؛ يؤسس لسامية وعروبة جذور اللغة البربرية، وكذا أبجدية تيفيناغ. وأنها عربية الأصل والنشأة .

وقد انخدع العديد من المؤرخين المغاربة لهذا الادعاء الخاطئ الملفق. فآمنوا به، وروجوا له في كتبهم وكتاباتهم .

هذا ما ثار عيه الشيخ محمد علي دبوز ثورة عارمة؛ فكذب بقوة فرية سامية وعروبة البربر أصلا وثقافة. وخصص له فصلا بعنوان " دعاوي المؤرخين الباطلة وترهاتهم في أصل البربر والدم البربري قبل الإسلام "[16]

ومما قاله فيه: " لقد ادعى بعض المؤرخين المشارقة وقلدهم بعض المؤرخين المغاربة أن كتامة وصنهاجة وهوارة من أصل يمني، وأنهم من أبناء سام لا من أبناء حام، كما ادعى بعضهم أن البربر كلهم من اليمن ."[17]

ويؤكد أن قبيلة كتامة وصنهاجة وهوارة هي حامية الأصل والجذور. بالأدلة القوية، ويقول :

" إن هذا زعم لا تؤيده الأدلة القوية. فكتامة وصنهاجة وهوارة من جملة شعوب البربر، وأصلهم كلهم حام بن نوح ."[18]

ويرجع أسباب ادعاء الهوية السامية العُروبية للبربر إلى سببين أساسيين سياسين:

أولهما: " الذي دعا المؤرخين المشارقة إلى هذا الزعم هو إعجابهم بالبربر وبطولتهم فألحقوهم بهم. إن كتامة هي التي نصرت الدولة العبيدية أيام نشأتها. فلا يبعد أن يكون مؤسسها أبو عبد الله الشيعي ومن سبقه من دعاة الشيعة قد ادعوا أن كتامة من العرب ليستميلوهم إليهم ."[19]

ثانيهما: " كانت الخرافة والبدعة الممقوتة وجوب اسناد رئاسة الدولة الإسلامية إلى قريش وإلى العرب وحدهم، ولا يجوز أن يتولاها سواهم كالبربر هي التي دفعت بكثير من ملوك البربر وأمرائهم كمحمد بن تومرت ويوسف بن تاشفين إلى الادعاء بأنهم من سلالة العرب، ويصلون نسبهم بقريش، ثم يخلقون لهم أجدادا في بني هاشم، لتدين لهم النواحي، ملزمين ومدفوعين بتلك الخرافة التي يناوئها الإسلام، ويأباها الدين العظيم الذي جاء لمحو الأنانية والعصبية من الدنيا ."[20]

ويؤكد مرارا عديدة أن البربر معتدّون كل الاعتداد بنسبهم الحامي، ويرفضـــون قطعا لصق أنفسهم إلى نسب غير نسبهم؛ كان عربيا أو لاتينيا. ويقول: " إن البربر فخورون بأنفسهم، معتدون بنسبهم إلى حام كل الاعتداد، لا يرون جنسا أكرم مـــن جنسهم، فيزكوا عرقهم بعرقه "(21)

<u>تضعيفه وتكذيبه نسب العائلات الميزابية إلى علي ﷺ أو الخلفاء الراشدينﷺ:</u>

يلفت انتباهنا في أشجار النسب الميزابية، وكذا الوارجلانيـــة، أن العديـــد منهـــا ينتهي إلى النسب الشريف، بسيدنا علىﷺ، أو قبيلة أحد الخلفاء الراشـــدين. حيـــث يفاجئك هؤلاء :أن أبا بكر الصديقﷺ هو أصل نسبهم، وألئك يزعمون أنه عمـــر بن الخطاب، ﷺ وآخرون ــ وهم كُثُرــ يدَّعون عثمان بن عفانﷺ . والغريب أن يكون مثقفو هاته العائلات معتزين بساميتهم، بل ويتبجحون بقرشيتهم. لشدِّ ما يحز في قلوبلنا حزا مريرا، أن نجد إحدى أكبر عشائر إحدى القصور تقر وتصرح فـــي مجالسها، أن نسبهم شريف، ينتهي إلى فاطمة ﷺ. والأغرب منه؛ هو أن نجد كبار المرجعيات العلمية والفقهية والفتوى في هذا القصر هم من هاته العشيرة الشـــريفة كما يدَّعون ويتبجحون .

وقد فند الشيخ محمد علي دبوز وضعف مرارا كثيرة هاته الأشجار السامية، في كتاباته، وخطبه ودروسه، سيما التي تنتهي في النسب الشـــريف؛ ســـيدناعلي ﷺ. وبين أنها كلها ملفقة عارية من الصحة. وضرب مثلا لتلفيقها وفبركتها؛ فقال:

"كان قديما في عهد الاحتلال في قصر بريان رجل عربي، يدّعى معرفـــة كـــل أشجار نسب عائلات قصر بريان، واتخذ مجلسا له عند المقهـــى، حيـــث يقصـــده المغفلون لاستلام أشجار نسب عائلاتهم، مقابل مبلغ مشروط من الدراهم .

ويقول: كان يلفق ويفصل أشجار النسب قياسا على المبلغ المالي المستلم، فمـــن قدم له مبلغا معتبرا أنهى نسبه بأحد الخلفاء الراشدين، وإذا كان المبلغ ثريا ســـمينا يرقيه إلى النسب الشريف فيلحقه بسيدنا علي ﷺ، أما إذا كان المبلغ زهيدا لفق لـــه نسبا رقيقا زهيدا .."(22)

ويرجع الشيخ محمد علي دبوز تلك الأنساب سيما الشريفة لشدة حب واحتـــرام وتوقير وإجلال الميزابيين لسيدنا علي ﷺ. لعمركم أمام كل هـــذا الحـــب الفيـــاض

والاحترام العارم لسيدنا علي ﷺ مازلنا نحن المزابيين نلاحق بدمه. رغم علمهم أن قاتله عربي أصيل، من العرب العاربة.

السكان الأوائل للمغرب الكبير هم أبناء يافث بن نوح عليه السلام وأثرهم الحضاري في أروبا :

يقرر الشيخ محمد علي دبوز أن أول من سكن شمال إفريقيا هم أبناء يافث بن نوح عليه السلام. وبالضبط ابنه قطوبال بن يافث وذريته، التي تناسلت منه في ربوع المغرب الكبير. ويقول :

" أول من سكن مغربنا جماعات من أبناء يافث انتقلوا إليه من الشرق، ومنه انتقلوا إلى جنوب أوروبا كما تدل على ذلك الآثار والنصوص الصحيحة .. فكان نوح عليه السلام آدم الثاني، وأصلا من أصول البشر ،ومبدأ للخليقة ."(23)

"وقد ذكر ابن خلدون الأمم التي تفرعت من أبناء نوح الثلاثة وهم: سام؛ وحام ويافث. فذكر أن ليافث سبعة أبناء منهم (قطوبال) ثم ذكر الأمم التي تفرعت عنه فقال: " وأما أبناء (قطوبال) فهم أهل الصين من المشرق، واللمان من المغرب. ويقال إن أهل إفريقية قبل البربر منهم، وأن الإفرنج أيضا منهم، ويقال إن أهل الأندلس قديما منهم "(24)

أدلته التاريخية: اعتمد عدة أدلة وهي :

1 ــ قول ابن خلدون الذي اطمأن إليه لغزارته العلمية وإنصافه وانتمائه الأمازيغي الذي يقول عنه :

"إن قول ابن خلدون الرجل العالم بالتاريخ، سيما تاريخ المغرب أكبر دليل على ما قلناه من أن جماعات من أبناء يافث هم أول من سكن المغرب"(25)

2 ــ"إن الآثار التي دلت على وجود هؤلاء السكان تتصل من المشرق إلى المغرب، وبعض عباداتهم وطقوس دينهم شبيه بما هو في المشرق، سيما في مصر التي كانت طريقهم إلى المغرب ." (26)

3 ــ " والمغرب فيما قبل التاريخ هو الناحية التي تصلح لحياة بني الإنسان، لا جنوب أوروبا البارد الذي تكسوه الثلوج، ويعمر الجليد أغلب نواحيه ."(27)

4 ـــ " وقد دلنا على وجود هذا الجنس من أبناء يافث آثارهم الموجــودة فـــي أنحاء المغرب، والآثار أصدق شاهد من الكتابة، وأصح دليل من الروايـــة. وقـــد وجدت بعض مصنوعاتهم الحجرية، وآثار لمنازلهم. ومن آثار منازلهم مـــا وجـــد بناحية معسكر، وفي نواحي وهران وســـعيدة، والجزائـــر، وفـــي غـــرب القطـــر الجزائري ووسطه. ووجدت في عين البيضة، وتبسة وعين أمليلة، وســـطيف فـــي شرق الجزائر .وقد وجدت قبورهم أيضا ويسميها البربر (قبور الجهلاء) ."[28]

"كان نزول هاته الجماعات من أبناء يافث في شمال المغرب واستقرارهم فيه قبـــل التاريخ. وهي العصور التي كان الإنسان فيها لا يعرف الكتابة ليسطر تاريخـــه، وفـــي العصر الحجري قبل أن يكتشف الإنسان النحاس والحديد فيقيم عليهما حياته ."[29]

"وكان أولائك السكان الأولون للمغرب على بساطة أهل العصر الحجري فـــي العيشة والحياة. فكـــانوا يلبســـون جلـــود الحيوانـــات ويقتـــاتون بالثمـــار البريـــة وبالأعشاب، وبما يصطادونه من الحيوانات. وكانوا يسكنون المغـــاور والكهـــوف المنيعة القريبة من المياه؛ ويتخذون من الحجر آلاتهم في القتال، وفي الصيد، وفـــي مختلف الضرورات ."[30]

"كان لهؤلاء السكان دين يعتقدونه، وآلهة يعبدونها. فكانوا يعبدون الشمس والقمـــر وبعض الحيوانات، ومنها الثور والكبش والقرد. وكذلك العقل فـــي طفولتـــه يخلـــع التقديس على ما يروعه ويراه مصدرا للقوة .، ومحلا للغرابـــة. وإذا كـــان هـــؤلاء السكان قد هاجروا إلى المغرب من المشرق فلابد أن يكونوا قد أتوا بشيء من هـــذا الدين من المشرق. إن عبادة الشمس التي كانت في أمم من أهل المشرق كالمصريين وأهل اليمن تجعلنا نتيقن أن هذا الدين ليس من اختراعهم في كل طقوسه.

وكان أولئك السكان الأولون يعتقدون البعث والنشور، وإن الإنسان فـــي بطـــن الأرض ما هو إلا جنين سيولد فيحيا حياة ثانية، لذلك كان مـــن أنـــواع دفـــنهم أن يدفنوا الميت وهو جالس القرفصاء، ولحياه إلى ركبتيه، وتلك هي هيئة الجنين فـــي البطن. وكانوا يدفنون مع الميت أدوات طعامه وشرابه، وبعـــض أشـــياء الزينـــة ليجدها حين نشوره، وفي حياته الثانية ."[31]

الأمازيغ الأوائل هم أصل حضارة أوروبا لا العكس :

يثبت المؤرخ محمد علي دبوز أن أصل حضارة أوروبا هي من أمازيغ المغرب الكبير ويقول:

"إن سبب عمارة جنوب أوروبا هو المغرب، لا العكس" (32).

"وقد انتقل هؤلاء ـ السكان الأوائل للمغرب الكبير أبناء قطوبال بن يافث بن نوح ـ إلى جنوب أوروبا، فاستوطنوا الأندلس وغيرها. فكان وطننا (المغرب الكبير) هو الأصل في عمارة جنوب أوروبا ."(33)

وأنكر بشدة ما شاع لدى المؤرخين الأوروبيين، ومن اتبعهم من المؤرخين الجزائريين، أن أوروبا هي أصل عمارة وحضارة المغرب الكبير، يقول:

"لا ما ادعى كثير من الأوروبيين الذين يتعصبون لأنفسهم، ويحصرون كل الفضل لجنسهم. لقد قالوا إن هؤلاء السكان الأولين للمغرب جاؤوه من أوروبا، وقد نقل هاته الدعوى بعض المؤرخين المغاربة"(34)

ويؤكد إنكاره بقوة لما شاع، وانتشر، واستفحل، وتجذر في حقل التاريخ:

"إن سبب عمارة جنوب أوروبا هو المغرب، لا العكس، كما يدعي بعض المؤرخين الأوروبيين المتعصبين. لقد اغتر أولئك المؤرخون الأوروبيون بتقدم أوروبا في هذا العصر، وتخلف المشرق، فنسبوا كل الفضل إلى أوروبا، وقالوا: إنهم الأصل في عمارة المغرب، وادعوا ادعاء الثمرة أنها الأصل للشجرة ـ وهي منها ـ لما رأت أغصانها حطبا وجردها الشتاء من حياتها ."(35)

انتقاده مؤرخي المشرق والجزائر لتقصيرهم في تاريخ البربر القديم وعظمائه.

الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي أنموذجا

من الأسباب التي دفعت محمد علي دبوز ليشمر عن ساعد الجد للكتابة في تاريخ المغرب الكبير الأمازيغي هو عزمه على تصحيحه وتنقيحه من الأكاذيب والأخطاء الفادحة التي أملتها العصبية وإرضاء ملوك العرب ويبين لنا حال تاريخ البربر عموما وما يعانيه من الإجحاف والنكران قائلا:

"إن تاريخ البربر عموما سيما ما يتصل بالقرنين الثاني والثالث الهجري قد تحكمت فيه السياسة وداخلته أهواء الساسة فصار من الأساليب في الدعاية ومن

الأدوات في الهدم والبناء. وقد كان كثير من العلماء المؤرخين بطانة للسلاطين، لا يكتبون إلا ما يرضي ملوكهم، ولا يكتبون في كتبهم إلا ما يتفق مع سياستهم التي تتبع أحيانا كثيرة من صبيانيتهم وأنانيتهم لا من الدين، فترى أولئك العلماء فيهم روح الشعراء يحكمون الوجدان ويغرفون من العاطفة، فإذا تحدثوا عن البربر ودولهم أعداء دولتهم صوروها كما يملي حقدهم؛ فيجردونها من الحسنات ولا يثبتون لها إلا السيئات، وتراهم ينفخون في الحصاة من السيئة حتى تصير جبلا أشم .. أما إذا تحدثوا عن ملوكهم فهم الأطهار والعظماء، وهم خلفاء الأنبياء، وهم الملائكة في البسيطة، وإن كانت درجاتهم في أخلاق الإسلام وطهره بسيطة ."

"وقد انفصل المغرب عن بني أمية وبني العباس في القرن الثاني من الهجرة فتأسست فيه دول عظام أمازيغية فلم يستطع الأمويون والعباسيون إزالتها بالسيف أمام بطولة البربر وبسالتهم في القتال، فأطلقوا فيها ألسنتهم الكاذبة، وقد عهدوا إلى المزاج الديني الذي يسود الأقطار الإسلامية في ذلك الزمان سيما المغرب فاستغلوه في دعايتهم فوضعوا الأحاديث الكاذبة والروايات المزورة فصوروا دول البربر طوائف مارقة من الدين وأحزابا شاذة عن جماعة المسلمين .. ولم يكتفوا بطعن الدول المغربية البربرية التي انفصلت عنهم في سياستها فعمدوا إلى جنسها يحطون منه بالترهات فأشاعوا روايات كثيرة تحتقر البربر وتهجو المغرب وتراه شر النواحي."

"روى ابن الحكم وهو من المشارقة في تاريخه فتوح مصر والمغرب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

"خلقت الدنيا على خمس صور، على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه، فالرأس مكة والمدينة واليمن، والصدر مصر والشام، والجناح الأيمن العراق، والجناح الأيسر السند، والذنب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس، وشر ما في الطير ذنبه ."

وقال الشيخ محمد علي دبوز معلقا على هذا الحديث الموضوع المكذوب :

"وأنا أنزه عبد الله بن عمرو بن العاص عن هذه الأحاديث إنهـا مـن أكاذيـب السياسة، أجرتها على لسانه. وقد رأيناهم لم يتنزهوا عن الكذب عـن الرسـول ﷺ فكيف يتنزهون عن الكذب على الصالحين ."

"والآن قد زالت الأسباب السياسية التي تحجب في القديم عيون العلماء أن ترى الحقائق فمن سوء الرأي أن نسلك سبيلهم فنظلم الأبرياء ونقلدهم فيما ألصقوا للبربر من تهم شنيعة. إن المشارقة قديما إذا عصفت بهم العصبية فثلبـوا البربـر لأنهـم يرونهم بعداء وإذا فعل ذلك البربر مع غيرهم فلا يجوز لنا نحن في هذا الزمان في الجزائر والمغرب الكبير؛ لأن البربر أجدادنا وآباؤنا .."

لم يحز في نفس محمد علي دبوز ويؤلمه هو اجحاف مؤرخي العرب فقط فـي تاريخ البربر؛ بل إن الذي أدمى قلبه هو ظلم وتعسف بعـض مـؤرخي الجزائـر لتاريخ البربر وتاريخ دوله وعظمائه وأبطالـه وحضـارته، وترديـدهم أكاذيـب وترهات المشارقة، ناهيكم أن جل هؤلاء المؤرخين الجزائـريين هـم أمـازيغيو الأصل.

"فأول ما ألاحظه على الأستاذ هو تعمده الإيجاز في تاريخ الجزائر قبل الإسلام وإغفاله حلقات هي الأصول، وهل حاضر أمة إذا درسناه إلا نتيجة لماض لها يجب أن ندرسه لأنه أصله. وقد رأينا جميع المؤرخين كابن الأثير وابن خلدون والطبري يعتنون كل الإعتناء بتاريخ العرب في الجاهلية فيصورون لنا تصويرا كاملا حياتهم وأحوالهم قبل الإسلام لأن ذلك كله هو سبب تكون الشخصية العربية .. وإذا كـان تاريخ العرب قبل الإسلام جل حروبه في العصبيات الضيقة وفي الفـتن الداخليـة فوجد من المؤرخين من فصله وبينه وأعطاه حقه وفيه كثير مما يود أصـحابه أن يموت فلماذا لا نحتفل بتاريخ الجزائر قبل الإسلام، وجله مما يود أصحابه أن يحيا

إنه قد وعدنا في مقدمته أن يجلو علينا شخصيات الجزائر ويبين لنا آثارها فيـه فمر مرور الكرام على الشخصيات الجزائرية البربرية العظيمة قبل الإسلام سـيما في ميدان السياسة والنضال: كمصينيسا وصيفاقس ومصيبسـا ويوغرطـة ويوبـا الأول وعرابيون وقرموس وجلدون هذه الأقطاب التي شرفت الجزائر فـي الـدنيا القديمة، ومثلت نبوغه وعبقريته وأجلت إباءه وبطولته , إن يوغرطة قد كتب حوله

حتى الأوروبيون فنوهوا ببطولته وجعلوا منه للزمن مثلا أعلى في الشجاعة والدهاء والإقدام، ونرى الأستاذ لا يلم إلا إلمامة صغيرة بمصينسا، ثم يهمل الشخصيات الأخرى فلا يزيد على إثبات إسمائها في جدول جاف ..

وقد رأيت الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه يتأثر بتلك الدعاية المغرضة التي شرعت ضد البربر لما انفصلوا عن الأمويين والعباسيين فأسسوا دولهم الكبرى وينظر إليهم بنظرة القدماء التي خلقتها الأنانية لا الدين، ويحكم عليهم بأحكامهم التي أرسلها التعصب للجنس والنفس لا للإسلام فيظلم البربر بوصفهم بالشذوذ عن الصواب ويورد لنا: باب ثورة البربر على الدول التي جارت عليهم مبهما غامضا ليس فيه واضحا، إلا مواقف البربر في الثورة، أما الأسباب الداعية إليها من الحيف والظلم فأجملها، ونفسية الأمويين التي استدعت الثورة عليهم في المغرب لم يشر إليها إلا إشارة خفيفة.

ثم ينتقل الأستاذ إلى تاريخ البربر في صدر الإسلام ومواقفهم ضد ظلم بني أمية وثوراتهم على من يعاملهم بالحيف ويحيد فيهم عن عدل الإسلام، فيظلم البربر ظلما شنيعا، فيحكم عليهم أحكاما بعيدة عن العدل والصواب، ويصفهم بأوصاف يستحقون غيرها ويضعهم في مرتبة يتنزهون عنها، وينظر إليهم نظرة شزرى. ولو حكم المنطق وروح الإسلام لنظر إليهم نظرة الرضا. وأرى الأستاذ اعتمد كتب التاريخ القديمة في هذا الباب، ونقل ما أثبته القدماء في البربر دون تمحيص ونقد،

الشيخ محمد علي دبوز واللغة الأمازيغية:

خصائص اللغة الأمازيغية ومميزاتها عن اللغة العربية:

تنتشر اللغة الأمازيغية بشمال أفريقيا أو ما يسمى ببلاد تامازغا منذ مالا يقل عن 5000 سنة كما تدل على ذلك مجموعة من النقوش والوثائق الأركيولوجية. وكانت الرقعة اللغوية الأمازيغية منذ فجر التاريخ القديم تمتد من حدود سيوة المصرية وشمال السودان شرقا إلى جزر الخالدات في المحيط الأطلسي غربا، ومن الأندلس وصقلية شمالا إلى دول جنوب الصحراء الكبرى كموريطانيا ومالي والنجير وبوركينافاصو، وتقدر مساحة اللغة الأمازيغية بخمسة ملايين كلم2،[36]

أشاد الشيخ محمد علي دبوز باللغة البربرية. مبرزا خصائصها التي تخصها سيما تلك التي تميزها عن اللغة العربية. من خصائصها التي أوردها:

1 ـ وتتميز بكونها لغة صامتة consonantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى.(37)

2 ـ نشأت اللغة البربرية قوية بأساليبها، منذ عهدها الأول، وهو أصل وأساس ما وصلت إليه من رقي وازدهار، في عهود الدول المغربية قبل الإسلام وبعده.

3 ـ اللغة البربرية لغة واسعة خصبة، فيها كل عناصر الكلام: ففيها الاسم والفعل؛ والحرف، ويوجد فيها كل ما في العربية من أساليب التعبير: كالتشبيه والاستعارة؛ والكناية؛ والمجاز المرسل وغيرها .. وهي لغة سلسة جميلة تتسع للخطابة؛ والوعظ والإرشاد ..

4 ـ الفعل الماضي يبتدئ بالياء، أما المضارع فبالهمزة، والأمر يبتدئ بالهمزة وقد يكون بدون همزة كما في العربية كقولهم (سُو) اِشرب ،والماضي (يَسْوُو) والمضارع (أَدِيسُو) والمصدر (آسْوَا)، والأمر المبدوء بالهمزة كقولهم: (أَشْ) يعني كُلْ، والمصدر منه (إِيشًّا) وكقولهم (إِيجُورْ)، والمصدر (تَاجُورِيتْ) .

5 ـ إن البربرية لغة واسعة، يستطيع الخطيب المصقع أن يعتمد عليها، فتمده بأدق الألفاظ وأوفرها، لكل المعاني التي تجيش في صدره، لا يصاب فيها بالعي، ولا تتحبس المعاني في نفسه.

6 ـ تمتاز اللغة البربرية بكثرة الأمثال الحكيمة، مثل (وَيخْسَنْ سُفْ أَسْيَخْدَمْ أَلْقَايْلْتْ تَحْمَا)، والكنايات البليغة، مثل (أَولَسْمَلاًّ تِغْمَاسْ)؛ لأن صفة الأمازيغ الإيجاز وعدم الإطناب والثرثرة في التعبير، وهم دهاة حكماء. الوقار عليهم والأغلب. إنك لا تجدهم يميلون للثرثرة ويملؤون الساحة بالعجيج. إذا تكلم أحدهم في المجلس يتكلم في وقار وعمق وإيجاز بليغ. لذلك كثرت الأمثلة في لغتهم. وإنك لا تجد موضوعا من مواضيع الكلام ليس فيه أمثلة عديدة بالبربرية وكذلك الكنايات. يتمثلون بها في كل المقامات. وهي كقواعد في الأخلاق ومواعظ للناس يغني المثل الواحد عن الكلام الطويل.

7 ــ من خصائصها انقلاب الفعل اسما، والاسم فعلا.[38]

8ــ إنها لغة سلسة مرنة، تقبل كل الألفاظ الدخيلة، فتبربرها فتصبح جزءا منها.

وبيَّن ما تمتاز اللغة البربرية عن العربية :

1 ــ مما تمتاز به عن العربية هو الحروف المركبة، وأرى أن هذا التركيب في الحروف مما اختص به البربر، وكانوا أول من اهتدى إليه، ولعلها مــن إصـــلاحات مصينيسا الملك البربري العظيم التي أدخلها على الخط البربري في القرن الثاني قبل الميلاد .[39]

2 ــ من مميزاتها التي لا توجد في العربية الابتداء بالســاكن كقولنـــا (تْزَالِّيــتْ) (تْمَارْتْ) (تْفُويْتْ).

4 ــ وتميزت عن العربية باجتماع ساكنين فأكثر في الكلمة الواحـــدة (تْفُويْـــتْ) (تْفَاوْتْ) (تْمَارْتْ).

5 ــ تمتاز عن العربية بأن تاء التأنيث فيها تكون في أول الاسم لا فـــي آخـــره كقولهم: (تِيزِيوِينْ تِيوَحْدِيِّينْ) الفتيات الحسان. إن هاته الجملة تـــرى فيهـــا الوصـــف مطابقا للموصوف في التذكير والتأنيث. وقد يكون المؤنث في اللغة البربرية مختوما بتاء، ولكن لابد من تاء في أوله لأنها علامة التأنيث عندهم كقولهم (تَامَطُّوتْ) للمرأة (تَامْرُوتْ) للبندقية (تْوَارْتْ) للبؤة.

6 ــ تمتاز عن العربية بأن كثيرا من أسمائها مبدوء بـــالهمزة كقـــولهم (أَجَنَّـــا) للسماء، وجمعه (إِيجَنْوَانْ) و(إِتْرِي) للنجم .

7 ــ علامة التثنية هي كلمة وليست حرفا (سَنْ إِتْرَانْ) .[40]

اقتباس الألفاظ وبربرتها وأثرهما في تطور اللغة الأمازيغية

يقدر الباحث الجزائري سالم شاكر في كتابه " نصوص في اللسانيات البربرية " نسبة الكلمات العربية في اللهجات الأمازيغية كما يلي :

38%بالنسبة للقبائلية في الجزائر .

25%بالنسبة للشلحية في المغرب .

5% بالنسبة للتارقية. [41]

إن من أبرز خصائص اللغة البربرية في نظر الشيخ محمد علي دبوز أنها لغة سلسة مرنة تقبل كل الألفاظ الدخيلة فتبربرها فتصبح جزءا منها [42]

ويوضح: "لقد اتسعت بالوضع والاقتباس من الأمم التي عاشرتهم كالفنيقيين والإغريق والرومان والوندال واقتبسوا ألفاظا من الجماعات الفارسية التي اندمجت فيهم، ومن المصريين الذين جاؤوا إليهم ومن الإسرائليين وغيرهم. ولكن هاته الألفاظ المقتبسة لم تبق على هيئتها الأولى، بل صاغها البربر على قواعد لغتهم وهضموها وركبوها تركيبا جديدا ينسجم بلغتهم فتبربرت فصارت جزءا من البربرية لا ينتبه لها إلا من عرف الأصل ولاحظ ملاحظة دقيقة الكلمة التي وقعت بربرتها" [43].

ويبين لنا قاعدة بربرة الأمازيغ للألفاظ المقتبسة:

"إن عملية بربرة الكلمات عند البربر سهلة. إنهم إذا أرادوا أن يبربروا كلمة مقتبسة زادوا لها تاء مفتوحة في أولها وتاء ساكنة في آخرها. إذا بربروا الدار قالوا (تَدَّارْتْ) والحانوت (تَاحْنُوتْ) وقد يكتفون بزيادة التاء في أخر الكلمة كالغابة فإنها في البربرية (الْغَابَتْ) والجنة (الْجَنَّتْ). وقد يكتفون بزيادة أل في أول الكلمة"[44] .

وعند بربرة اللفظ الغريب المقتبس قد تنقلب صفته من المذكر إلى المؤنث أو العكس:

"وفي بربرة الكلمات قد يقلبون المؤنث مذكرا والمذكر مؤنثا. والأول كالحنة في العربية فإنها في البربرية مذكر يقولون (الْحَنِّي) وكالدار فإنه مذكر في العربية مؤنث في البربرية"[45].

وللبربر مقاييس دقيقة في لغتهم عند قلب صفة اللفظ من المذكر إلى المؤنث والعكس؛ إذ لا يوقعون القلب إلا في المذكر غير الحقيقي، والمؤنث غير الحقيقي ويقول:

"والبربر لهم مقاييس دقيقة في لغتهم، لذلك تجدهم يوقعون هذا القلب في المذكر غير الحقيقي، وفي المؤنث غير الحقيقي"[46].

وقد تكون بربرة اللفظ الغريب بجرس النطق وطابع اللهجة فقط؛ فيبقى اللفظ على حاله:

"وقد يبقى اللفظ الدخيل في البربرية على صيغته، فيكتفون في بربرتــه باللهجــة البربرية التي يصبغونه بها عند النطق. فيقولــون (تُومُوبِيــلْ) للســيارة (الْبَــابُورْ) للباخرة "[47].

الشيخ محمد علي دبوز واللهجات الأمازيغية :

تعدد اللهجات البربرية في شمال إفريقيا والجزائر خاصة، الحاضرة والمندثرة :

يدافع الباحث سالم شاكر عن أطروحة وحدة اللغة الأمازيغية التي نافح عنها قبلــه العالم الفرنسي أندريه باسي في مؤلفه " اللغة البربرية" الصادر عام 1929م. ويؤكــد سالم شاكر أن 60%من الألفاظ الشائعة الاستعمال قاسم مشترك بين مختلف اللهجات الأمازيغية .[48]

مضيفا أن هذه اللهجات تشترك بالإضافة إلى ذلك فــي " نــواة صــلبة صــوتية وتركيبية (syntax)"

فقد اهتم الشيخ محمد علي دبوز بقضية اللهجات البربرية، في الجزائر خصوصــا وفي شمال إفريقيا عموما، وأثبت أن تعددها أمر منطقي عادي. فقال :

"لقد وقع في اللغة البربرية ما وقع في العربية من كثرة اللهجات، فلكل شعب من شعوب البربر الكبير لهجة. فلصنهاجة لهجة، ولزناتة لهجة، ولكتامة لهجة، ولنفوســة لهجة وكذلك بقية الشعوب الأخرى"[49]

ويشير إلى عامل التقارب بين هاته اللهجات، هو :

أ ــ قرب مواطن اللهجات من بعضها البعض .

ب ــ كثرة الاختلاط بين أصحابها. فيقول:

"وتجد التقارب بين لهجاتهم على حسب قرب المنازل وكثرة الاختلاط."[50]

ويبين أن الاختلاف بين اللهجات البربرية أقل منه في اللهجــات العربيــة. بــين اللهجات القحطانية في جنوب الجزيرة العربية؛ واللهجات العدنانية في الحجاز ومــا جاورها.

"والفرق بين اللهجات البربرية كان أقل من الفرق بين لهجة قحطان ولهجة عدنان في الجزيرة العربية"(51)

ويبين أن سبب قلة الاختلاف في اللهجات البربرية هو :

أ ــ وحدة التاريخ الأمازيغي .

ب ــ وحدة العوامل التي تؤثر في اللغة عند البربر. ويعلل:

"لأن تاريخ البربر واحد، والعوامل التي تؤثر في اللغــة كانــت واحــدة عنــد البربر ."(52)

ويفصّل أن أصل الكلمات في اللهجات البربرية هو واحد، ليس مختلفا، كما فــي اللهجات العربية. وأن الاختلاف البسيط في الكلمات بين اللهجات البربرية هو:

أ ــ إما هو في كيفية نطق الكلمات؛ وجرسها الصوتي بين لهجة وأخرى.

ب ــ أو زيادة بعض الحروف في الكلمة البربرية، بين لهجة وأخرى .

"وكان أغلب الاختلاف بين البربر في اللغة يقع في النطق، وفــي زيــادة بعــض الحروف. أما أصل الكلمات في الأغلب فواحد."(53)ويبين أن البربر يفهــم بعضــهم بعضا: "وكان البربر يفهم بعضهم بعضا، وإن التزم كل منهم لهجته، كما نرى اليــوم في الجزائر؛ الميزابي يفهم القبائلي والشاوي، وكذلك القبائلي والشاوي يفهم كل منهما لهجة الآخر، ويفهمان الميزابي."(54)

اللهجات الأمازيغية في شمال إفريقيا عموما وفي الجزائر خاصة :

يشير شارل أندري جوليان في كتابه? تاريخ شمال أفريقيا? إلى دراسة قــام بهــا وليام مارسي توصلت إلى أن ? نسبة الناطقين بالبربرية هي 23 % في ليبيا، و1% في تونس، و27% في مقاطعة وهران. وقد تجاوزت هذه النسبة 40% في المغــرب الأقصى. لكن الأمر لا يعدو الفروق اللغوية. فليس هناك خطأ أعظم من الاعتقــاد- كما فعله البعض في كثير من الأحيان- في أن التقســيم بــين النــاطقين بالعربيــة والناطقين بالبربرية يعكس تقابلا بين جنس عربي وجنس بربري. إن الأمر لا يدل إلا على أن اللهجات البربرية استقرت في جهات جبلية أصعب منالا على الغــزاة بينما استسلمت في جهات أخرى إلى لغة أكثر مسايرة للضرورات الاجتماعية.(55)

ويتحدث بالأمازيغية أكثر من 40 مليون نسمة. متــوزعين بــين عــدة لهجــات أمازيغية. منها:

ــ **اللهجة القبايلية:** وهي لهجة كتامة، يتحدث بها حوالي ستة ملايين في منطقــة القبائل، بالأطلس الساحلي الجزائري. وهي ليست منحصرة في منطقة القبائــل بــل يتحدث بها في ولاية تيزي وزو وبجاية والبــويرة وبــومرداس وســطيف وبــرج بوعريريج وجيجل. البعض يعتبر لهجة تساحليت، بين أوقاس وزيامــة منصــورية بجبال البابور، لهجة مستقلة عن القبائلية.

ــ **لهجة الأطلس البليدي:** يتحدث بها بعض المناطق من ولايتي البليدة والمدية.

ــ **اللهجة الشناوية:** يتحدث بها حوالي 150000شخص في بلاد شنوة في شمال الجزائر .

ــ **اللهجة السوسية (تاسوسيت, تاشلحيت):** وهــي لهجــة مصــمودة وصــمدة وجزولة. يتحدث بها أكثر من 9 ملايين شخص في بلاد سوسة بالمملكــة المغربيــة من خط دمنات ــ الصويرة شمالا، إلى الصحراء جنوبا، ومــن المحــيط الأطلســي غربا، إلى منطقة ورزازات شرقا.

ــ **لهجة الأطلس الأوسط (تامازيغت):** وهي لهجة صنهاجة، يتحدث بها حوالي 4 ملايين شخص في منطقة الأطلس الأوسط، وسط المملكة المغربية.

ــ **اللهجة الشاوية:** يتحدث بها حوالي 4 ملايين شخص، فــي منطقــة الأوراس شمال شرق الجزائر، وكل من الولايات: أتبســة، وباتنــة، وخنشــلة، وأم البــواقي وبسكرة، وميلة، وسطيف، وقالمة، وسوق أهراس ..

ــ **زناتة الونشريس:** يتحدث بها في ولايات عين الدفلة وتيسمســيلت والمديــة وشلف.

ــ **زناتة قورارة:** يتحدث بها في ولاية أدرار وتيميمون.

ــ **زناتة تيديكلت:** يتحدث بها في ولاية تامنغست وعين صالح وأدرار .

ــ **شليحة جبال القصور:** يتحدث بها في البــيض ونعامــة بقصــور بوســمغون تيوت، عسلة ...إلخ .

ـ **زناتة واد ريغ:** ولاية تيقرت.

ـ **زناتة تغارغرنت:** في ولاية ورقلة في قصري ورقلة ونقوست.

ـ **شليحة بني سنوس وبني بوسعيد** :في ولاية تلمسان.

ـ **شليحة الساورة:** في ولاية بشار بقصور إقلي، مازر ...إلخ.

ـ **اللهجة التارقية (آماهاغ):** وهي لهجة زناتية. يتحدث بها أمازيغ الطوارق بالصحراء الكبرى، بهاته الولايات: تمنراست وإيليزي وأدرار، وتنتشر هذه اللهجة في شمال كل من مالي والنيجر وجنوب الجزائر وليبيا ومناطق من تشاد وبوركينافاسو.

ـ **اللهجة الريفية:** وهي لهجة كتامة، يتحدث بها حوالي 4 ملايين شخص، في جبال الريف بالمملكة المغربية ،والهضاب التي تليها جنوبا وفي شرق المملكة ومدينتي سبتة ومليلة الإسبانيتين.

ـ **لهجة أزناكة:** يتحدث بها حوالي 4000 شخص، في منطقة أزناكة جنوب موريتانيا، تحديدا في ولاية ترارزة وشمال سينيغال .

ـ **اللهجة المزابية:** يتحدث بها حوالي 150000، في منطقة واد مزاب ولاية غرداية .

ـ **اللهجة الشليحية:** تنتشر في جبال ولاية تلمسان ومنطقة وجدة المغربية بحوالي 60000 شخص

ـ **اللهجة الزناتية:** تنتشر في منطقة أفكيك المغربية، وولاية بشار الجزائرية .

اللهجات الأمازيغية الشرقية :

ـ **اللهجة النفوسية:** يتحدث بها حوالي 200000 شخص، في جبل نفوسة شمال شرق ليبيا .

ـ **اللهجة الزوارية:** وهي لهجة يتحدث بها سكان مدينة زوارة الليبية، بحوالي 100000 شخص .

ـ **اللهجة الغدامسية:** يتكلم بها سكان مدينة غدامس بالجنوب الغربي في ليبيا. يتحدث بها حوالي 15000 شخص .

ـ **لهجة السند:** هي لهجة شبه منقرضة. كان يتحدث بها في قرى السند وتماجورت، شرق مدينة قفصة، في الجنوب التونسي، حتى منتصف القرن العشرين. في عام 1911 كان كل سكان قرية السند يتكلمون الأمازيغية؛ لكن بحلول سنة 1968م لم يعد يتحدث بها سوى المسنين .

ـ **اللهجة الأطلسية أو أمازيغية جربة:** يتحدث بها حوالي 70000 ناطق، في جزيرة جربة والجنوب التونسي .

ـ **اللهجة السيوية:** يتحدث بها حوالي 40000 شخص، في مدينة سيوة بمصر.

ـ **لهجة أوجلية:** يتحدث بها حوالي 150000 شخص، من سكان مدينة أوجلة الليبية .

ـ **لهجة أمازيغ الواحات:** عبارة عن لهجات أمازيغية متناثرة، في واحات صحراء تونس وليبيا.

ـ يتكلم الأمازيغية اليوم في الجزائر أكثر من 10 ملايين جزائري .

ـ في 31 ولاية من 48تحمل اسم أمازيغي .

ـ وفي 30 ولاية من 48 تستعمل لهجة أمازيغية .

الولايات التي اندثرت فيها الأمازيغية في القرنين 19 و20 هي:

ـ في ولاية الطارف: تذكر المصادر الفرنسية أن قبائل الخمير يعيشون أقصى شمال غرب تونس ولهم امتداد بولاية الطارف، كانوا يتكلمون الأمازيغية بداية القرن 19.

ـ في ولاية ميلة: كانت الأمازيغية مستعملة بالمناطق الجنوبية (تلاغمت، شلغوم العيد) لكنها تقريبا اندثرت اليوم .

ـ في ولاية مستغانم: كانت الأمازيغية مستعملة بمناطق عشعاشة وأولاد بوغالم (على الحدود مع شلف)، ودون جزءا منها عالم اللسانيات (روني باسي).

ـ في ولاية غيليزان: كانت الأمازيغية مستعملة بمناطق عمي موسى والرمكة عند عرش بني وراغ .

ـ في ولاية تيارت كانت الأمازيغية مستعملة بداية القرن 19 أقصى غرب الولاية، بين فرندة وتاخمرت (عرش أولاد بلحليمة) .

ــ في ولاية معسكر وسعيدة: كانت الأمازيغية مستعملة بداية القــرن 19م علـــى حدود تيارت، وربما بجبال بني شقران .

ــ في ولاية وهران: كانت الأمازيغية مستعملة بداية القرن 20م بمنطقة بطّيوة.

ــ في ولاية عين تموشنت: كانت الأمازيغية مستعملة في القرن 19م بمناطق بني وصاف وولهاصة.

ــ في ولاية تندوفت: تستعمل بها اليوم اللهجة الحسنية، التي تعتبر لهجة عربيــة أمازيغية، في القرن 19م. كان البعض من قبيلة تاجاكانت يعرفون الأمازيغية.

واللغة الأمازيغية هي هوية مشتركة بين كل الجزائريين، يجب أن نعمل جميعــا على حمايتها وتطويرها، وأن نخرجها من مستنقع المزايدات السياسية، وأن ننتزعهــا من براثن دعاة الفرقة وتقسيم الوطن. يجب أن تصـــبح عامــل وحــدة بــين كــل الجزائريين لا معول هدم وتشتيت للمجتمع المسلم، كما يقول الشــيخ الكاتــب رابــح خدوسي ابن الأطلس البليدي: أخرجــوا الأمازيغيــة مــن معطــف الفرانكوفونيــة ليحتضنها الشعب. وكما يقول الشيخ ابن باديس: ما جمعته مشيئة الله؛ لن تفرقــه يــد الشيطان.

اللهجة الميزابية وثرواتها اللغوية والبلاغية:

اهتم الشيخ محمد علي دبوز بتعريف اللهجة المزابية، واتخــذها نموذجــا للغــة الأمازيغية (تمازيغت)، يمثل بها عن قوة وجمال اللغة الأمازيغية، من الناحية اللغوية ومن الناحية الأدبية البلاغية .

ويعرف اللهجة المزابية:

"إنها لهجة زناتية متأثرة بلهجة لواتة وهوارة التي انتقلت مــن جبــال الأوراس فحلت بوادي أمزاب واستقرت فيه. وقد أثرت هذه الجماعات كلهــا فــي اللهجــة المزابية وأخذت الزناتية التي هي الأصل أحسن ما في كل لهجة من تلك اللهجات. لذلك تجدها لغة مصقولة واسعة جميلة الجرس عذبة النطق ولهجتها رصينة ينطق بها كما ينطق بالعربية في فصاحة ووضوح يأخذ كل حــرف فيهــا قســطه مــن الأداء."[56] وهي قريبة من اللهجة القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية.

ويبين مكانة اللهجة الميزابية بين اللهجات الأمازيغية:

"إن الميزابية هي اللهجة القريبة من اللهجات البربرية في المغرب الأوسط والأدنى للاختلاط الذي ذكرنا والاقتباس الذي أسلفنا .إن الشاوية في الأوراس والقبائل في جبال جرجرة وأهل جربة في جزيرتهم وأهل نفوسة في طرابلس وسكان الريف في المغرب الأقصى يفهمون كلهم الميزابية ويفهم عنهم الميزابيون لقرب اللهجة المزابية من تلك اللهجات كلها.كلهجة الأمير عبد الكريم الخطابي .."(57)

ويبين أصالة اللغة الأمازيغية:

"الكلمات التي تدل على الأشياء الضرورية كالأكل والشرب والمشي هي من وضع الأولين. لا من الكلمات المقتبسة الحديثة." (58)

" إن الأمازيغية كالأمازيغ أصلها واحد والاختلاف فيها غالبا يكون في اللهجة لا في نوع الكلمات ." (59)

من خصائص اللجهة الميزابية:

1 ـ إن المزابية لهجة واسعة ثرية، يستطيع الخطيب المصقع أن يعتمد عليها فتمده بأدق الأفاظ وأوفرها، لكل المعاني التي تجيش في صدره ،لا يصاب فيها بالعي، ولا تنحبس المعاني في نفسه .

2 ـ تمتاز اللهجة المزابية بكثرة الأمثال الحكيمة ،مثل (وَيخْسَنْ سُفْ أَسْيَخْدَمْ أَلْقَايْلْتْ تَحْمَا)، والكنايات البليغة، مثل (أَوَلَسْمَلاًّ تِغْمَاسْ) لأن صفة المزابيين الإيجاز وعدم الإطناب والثرثرة في التعبير؛ وهم دهاة حكماء. الوقار عليهم والأغلب. إنك لا تجدهم يميلون للثرثرة ويملؤون الساحة بالعجيج. إذا تكلم أحدهم في المجلس يتكلم في وقار وعمق وإيجاز بليغ. لذلك كثرت الأمثلة في لهجتهم. وإنك لا تجد موضوعا من مواضيع الكلام ليس فيه أمثلة عديدة بالبربرية وكذلك الكنايات. يتمثلون بها في كل المقامات. وهي كقواعد في الأخلاق ومواعظ للناس يغني المثل الواحد عن الكلام الطويل.

3 ـ وتتميز بكونها لغة صامتة consonantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى.(60) .

الشيخ محمد علي دبوز وأبجدية تيفيناغ:

خط تيفيناغ وخصائصه :

اهتم الشيخ محمد علي دبوز بالخط البربري " تيفيناغ" أو "الليبيـــة" (libyque) كل الاهتمام مبينا مميزاته، وخصائصه، وأصالته الأمازيغية. وهو يعتبـــر الرائـــد الأمازيغي في الاهتمام بالخط تيفيناغ؛ حيث بدأ الاهتمام به دراسة وتدريسا وبحثـــا وتأليفا، منذ الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي 20م .

كان البربر ــ كما يبين محمد علي دبوز ــ يعتدون كل الاعتداد بخطهم، إلـــى درجة أنهم يقدسون حروف تيفيناغ، ويعتقدون أنها منزلة مـــن عنـــد الله ﷻ، وأدى اعتقادهم أنها من خلق الله لا من وضع البشر، إلى الاهتمام بهـــا بـــالغ الاهتمـــام والاعتزاز بها اعتزازا بالغا، ويقول:

" وكان البربر معتدين بخطهم كل الاعتداد. وكـــانوا فـــي أول أمـــرهم وأيـــام بساطتهم قبل أن يتحضروا وتشيع الثقافة فيهم، يعتقدون أن هاته الحـــروف التـــي يكتبون بها منزلة من عند الله، وأنها من خلق الله لا من وضـــع البشـــر. وكـــانوا يسمون حروفهم (تيفيناغ) ومعناه: الحروف المنزلة من عند الله، وذلك لتقديسهم لها واعتدادهم بها ."[(61)]

ويحترم البربر احتراما كبيرا ويجلون من يحســـن الكتابـــة بـــالخط البربـــري (تيفيناغ)، ويقول:

"وكان من يحسن الكتابة فيهم يجلونه ويحترمونه ويعجبون به ."[(62)]

في العهود الأولى لخط تيفيناغ كان لا يحسنه ويكتب به إلا الصفوة والخاصـــة ولما شاعت الثقافة البربرية انتشر خط تيفيناغ بين المثقفين

"وكانوا في تلك العهود البسيطة لا يحسن الكتابة فيهم إلا صفوة الخاصـــة، ثـــم شاعت الثقافة فيهم، وكثر عدد من يكتب خطهم ويقرؤه في طبقاتهم ."[(63)]

ويؤكد أصالة خط تيفناغ البربرية، وأنه من اختراع ووضع البربر هم أنفســـهم. ولم يأخذوه من الخط العربي كما يدعي المشرقيون. ولا من الأوروبيين كما يدعي المؤرخون الأوروبيون، ولفيف كبير من المثقفين الأمازيغيين الفوركفونيين، الـــذين يدعون أن أصل تيفيناغ من أوروبا، ويقول :

"كان للبربر خط خاص بهم، يكتبون به لغتهم وأرى أنه من وضعهم"[64]

ويوضح مقصد البربر في جعل حروف خطهم غريبة، لكي تبقى سرية، لا يعرف معناها سواهم :

"إنه خط غريب لا يعرفه سواهم، فآثروه لكي لا يعرف أسرارهم غيرهم. هذا إلى تمسك البربر بشخصيتهم والخط كاللغة من الأشياء الأثيرة في شخصية الأمة وتقاليدها."[65]

"وقد احتفظ الملثمون الطوارق (ايموهاغ) بخطهم في أعماق الصحراء للسرية لتي يحرصون عليها في كل أمورهم ."[66]

وهي كتابة خاصة. تتميز بطبيعتها كلغة صوامت ساكنة naturealphab?tique (consnantique)[67]

المعنى اللغوي ل:(تيفيناغ):

ذكر الشيخ محمد علي دبوز أن البربر وكانوا يسمون حروفهم (تيفيناغ) ومعناه: الحروف المنزلة من عند الله، وذلك لتقديسهم لها واعتدادهم بها، يعتقدون أن هاته الحروف التي يكتبون بها منزلة من عند الله، وأنها من خلق الله لا من وضع البشر.[68]

ولكن الكاتب الجزائري محمد الزيتوني يرى أن كلمة تيفيناخ تتكون من كلمتين "تفي" يعني اكتشاف واختراع، و"ناغ" ضمير متصل يعني ملكنا لنا حيث "تفي" أتت من فعل "يوفا" أو "أف" ويعني عثر، وجد واكتشف، وعند تحويل هذا الفعل إلى اسم وهو "تفي" يتحول معناه إلى الاختراع والاكتشاف في نفس الوقت، وهذا أمر معروف بين جميع المتكلمين باللغة الأمازيغية ويزداد ارتباط معنى "تفي" بالاختراع إذا اتصلت بالضمائر المتصلة وهذا أمر معروف بين جميع المتكلمين باللغة الأمازيغية، وعليه فإن "تيفي ناغ" تعني نحن من توصلنا إلى اختراع شيء لم يكن معروفا بين الأمم، ونحن من تمكنا من اكتشاف شيء لم يكن معروفا بين الأمم أي نحن من أظهرنا هذا الشيء الذي لم يكن معروفا بين الأمم.[69]

كيفية نشأة وتطور الخط البربري:

ظهرت كتابة تيفيناغ إبان عصر الجمل، فمن المعروف أن الإنسان الأمـــازيغي في أنشطته عرف عدة مراحل وعصـــور، كعصـــر الصـــيادين مـــن5000 إلـــى 3500قبل الميلاد، وعصر الرعاة الـــذي ســـاد مـــن 3500ق.م إلـــى 1000ق.م وعصر الحصان الذي ساد في الألف الأخيرة ق.م، وعصر الجمال الذي ظهـــرت بوادره خلال المائة سنة التي سبقت التاريخ الميلادي. أما عصر الجمل? ذي السنام الواحد طبعا، فيظهر فيها هذا الحيوان من خلال رسوم أقل جودة وإتقانا من الناحية الفنية مما عرف في الفترات السابقة كعصر الصيادين وعصر الرعاة. ويسمى هذا العصر أيضا بفترة التيفيناغ؛ بسبب وجود هذه الكتابة منقوشة على الصخور؛ إلـــى جانب الصور المنقوشة والمرسومة. ويبدو أن هذا العصر استمر طـــويلا؛ بحيـــث يمكن دمج الفترة الإسلامية ضمنه؛ لأن بعض النقوش أخـــذت تظهـــر الحـــروف العربية إلى جانب حروف التيفيناغ

ومن المعروف أن الكتابة الأمازيغية عبارة عن حروف صامتة وغير صـــائتة كانت في البداية تتكون من 16 حرفا صامتا Consonnes، وصار بعد ذلـــك 23 حرفا في عهد المملكة المازيلية النوميدية. وستضاف إليها بعض الحروف الصائتة voyelles، وذلك مع الفتح العربي لشمال أفريقيا، وتسمى :? تيـــدباكين?، وهـــذه الصوائت هي: الفتحة والضمة والكسرة. وتسمى الأبجدية الأمازيغيـــة ?أگامـــك? ،لتصبح تيفيناغ اليوم عبارة عن 33 حرفا، منها 29 حرفا صامتا و4 صوائت.

ومن خصائص الخط الأمازيغي القديم أنه خط صامتي يشبه الكتابـــة الأيقونيـــة الإديوگرامية Idiogramme التي تعبر عن فكرة أو شيء أو صورة. كما يخلـــو الخط من العلامات الصائتية Voyelles، ويحضر هذا الخط في أشـــكال هندســـية كدوائر ومثلثات، ونقط، وخطوط مفتوحة ومنغلقـــة ومتقاطعـــة، وخطـــوط مائلـــة ومتنوعة.(70)

يقول محمد علي دبوز: "وكانت الحروف البربرية في أول الأمر أيام بـــداوتهم وبساطتهم قبل أن يتحضروا قليلة لا تتجاوز عشرة أحرف ثم زادوا فيها فوضـــعوا

لكل حرف مما ينطقون به ويستعملونه في الكلام علامة تـدل عليـه فبلـغ عـدد حروفهم ثلاثة وعشرين حرفا ."

"وللكتابة البربرية أيام طفولتها لما كانت عشرة حروف خمسـة أشـكال وهـي عبارة عن نقط ترسم مع بعض الحروف لتأكيدها أو شكلها. وقد زالت هذه الأشكال الخمسة لما اتسع الخط وكثرت حروفه. من يدري لعل بعض النقط التي هي رسـم لبعض حروف البربر هي بعض تلك الأشكال صيرت حروفا. إننا لا نجد في خـط الطوارق الذي لا يزال تلك الأشكال التي ذكرها الشيخ أمبارك الميلي في تاريخـه ورسمها ."(71)

ويبين اهتمام الملك البربري مصينيسا بالخط البربري وتطويره وترقيته:

"وقد اعتنى الملك مصينيسا بالخط البربري في القرن الثاني ق.م. فرقـاه وزاد في حروفه فصار على النحو الذي نجده اليوم ."(72)

ويثني على أبجدية تيفيناغ، مبينا مدى اهتمام وتطوير البربر إياها:

"إن الحروف البربرية تنقص عن الحروف العربية بأربعة حروف فقط، ثـلاث منها حروف معجمة وهي حروف فرعية وليست أصلية. وهذا دليل على أنها لغـة غنية واسعة، وعلى أن البربر قد تحضروا واعتنـوا بلغـتهم وبخطهـا فاتسـعت معانيهم التي تمور بها عقولهم الراقية المثقفة بالمدنية البونيقية والعلـوم البونيقيـة التي ورثوها، وبعلوم الإغريق الذين جاوروا البربر قرونا كثيرة في المغرب "(73)

وكان لتجاور الحضارة البربرية للحضارة المصرية الفرعونية أثره في الخـط البربري:

"ويمكن أن يكونوا قد اقتبسوا بعض حروفه من المصريين الذين كانوا يختلطون بهم ويحلون في بلادهم المصرية للتجارة أو للاحتلال. فكلتا الأمتـين المصـريين لقدماء والبربر من أصل واحد، فبينهما علاقة قرابة بالدماء وبين لغتيهمـا تشـابه فكلتاهما لغة حامية، فلا عجب إذا حكمنا بأن البربر قد اقتبسوا بعض الحروف من المصريين. إن مجاورة مصر للمغرب تسوغ لنا هذا الحكم، وعلاقة الأمتين الوثيقة المستمرة لتوحي به إلينا ."(74)

ويعالج قضية حرف العين، التي لا يوجد بين حروف تيفناغ، هـي والحـروف المعجمة الثلاثة:

(الثاء، والذال، والظاء)، ويبين أن البربر يكتبون العين غينا، ويقرؤونـه فـي مكان العين عينا، وفي موضع الغين غينا:

"ولكل حرف من الحروف العربية حرف يماثله من حـروف البربـر، ماعـدا حرف العين والحروف المعجمة: الثاء والذال والضاد .. إن البربـر لا يعجمـون حروفهم في النطق كالعرب. أما العين فإنها تكتب غينا فـي البربريـة. إن الغـين حرف مشترك فتارة يريدون به حقيقته؛ وتارة يريدون به العين، والمقام هو الـذي يدل على المراد. إنهم يكتبون غين عائشة غينا ويقرؤونه عينا. ولقلة ورود العـين في الكلمات البربرية لم يضعوا له حرفا. ولما جاوروا الفينقيين والعرب وبربـروا كثيرا من الكلمات الفينيقية والعربية التي فيها العين فكثر العين في لغتهم فاحتـاجوا لكتابته، فكتبوه غينا ."(75)

ويؤكد عدم وجود حرف العين في اللغة البربرية، رغم احتكاك البربـر باللغـة الفينيقية التي يوجد فيها حرف العين، ويستدل على تأكيده بعدم وجوده فـي كتابـة الطوارق رغم تعاملهم كثيرا مع العرب:

" إن كتابة الطوارق الآن في الصحراء الكبرى وهم الذين حفظـوا لنـا الخـط البربري باستعمالهم له إلى الآن لا نجد فيه حرف العين. فلو اقتبس البربر القـدماء حرف العين من الفينيقية لوجدناه في كتابتهم، سيما وقد اخـتلط هـؤلاء الطـوارق بالعرب منذ الفتح الإسلامي، وانتشرت في لغتهم الكلمات العربية والاسماء العربية التي فيها عين. إنه لا يمكن أن يهملوا حرفه وهو موجود في نطقهم وفـي لغـتهم التي يكتبون بها رسائلهم وعقودهم ."(76)

"وقد استعمل البربر الخط العربي فكتبوا به لغتهم فصار هو خطهـم، فـانكمش الخط البربري فلم يبق إلا في بعض زوايا المغرب، ومنها الصحراء الكبرى التـي لا زال محفوظا فيها عند الطوارق الملثمين. يكتبون به رسائلهم، ويستعملونه فيمـا بينهم، ويكتب به رؤساؤهم وأمراؤهم وقد احتفظ الملثمون بخطهـم فـي أعمـاق الصحراء للسرية لتي يحرصون عليها في كل أمورهم."(77)

وحاليا تتكون أبجدية تيفيناغ من 33 حرفا، منها 29 من الصـــوامت و4 مـــن الصوائت. وتتشكل الصوائت من أربع حركات ..[78]

جهة بداية الكتابة الأمازيغية:

تكتب الأمازيغية القديمة كما هو معلوم من الأعلى إلى الأسفل في البداية كمـــا يتجلى ذلك في النقوش والصخور والكهوف، ليتم تطويعها من جميع الجهات، مـــن الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى ،ومن اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين. واستمر وضع الكتابة على هذا الشكل إلى أواخر القرن التاســـع عشـــر الميلادي، إلى أن غير الطوارق صيغة الكتابة من اليمين إلى اليسار علـــى غـــرار اللغة العربية. بيد أن الباحث الجزائري بوزياني الدراجي يرى أن هذا التغيير بـــدأ مع الفينيقيين:? وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة ? تفنغ? تكتب من اليمـــين إلـــى الشمال؛مثلها مثل الخط الفينيقي.[79]

ويبين خاصية جهة بداية كتابة وقراءة الأمازيغية التـــي تمتـــاز عـــن الكتابـــة العربية:

"والبربر في القديم لا يلتزمون اتجاه واحدا في كتابتهم، كما تلتزم العربية مـــن اليمين إلى اليسار، بل تراهم يكتبون من اليمين حتى إذا انتهى السطر كتبوا تحتـــه سطرا آخر مبتدئا من اليسار فيختم في اليمين، فيبدؤون السطر الثالث من اليمـــين إلى أن تتم الكتابة. وتراك في قراءتها كمن ينزل من سلم دار عالية متصل يـــدور بك في طبقات الدار .. ثم صاروا يلتزمون اتجاها واحدا في الكتابة هـــو الاتجـــاه العربي من اليمين إلى اليسار ."[80]

ومن المعروف أن الكتابة الأمازيغية كما أقرها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية تبتدئ من اليسار إلى اليمين، وذلك على غرار الكتابة اللاتينية.[81]

أنواع خط تيفيناغ:

تمكن دارسو تيفينـــاغ (Faidherbe .1870، Chabot.1933 ، Marcy.1936 ، Galand .1966، Camps .1996، ect..) من الاتفـــاق علـــى وحـــدة "الليبيـــة" "تيفيناغ" كنظام للكتابة خاص باللغة الأمازيغية. لكنهم اعتبروا أن ثلاثة تنويعات من هذا الخط تعايشت فيما بينها منذ القدم، وشكلت الأوجه المختلفة لكتابـــة "تيفينـــاغ"

يتعلق الأمر بالأنواع التالية: تيفيناغ الشرقية؛ والغربية؛ والصحراوية القديمة. هذا التصنيف يفسر من خلال بعدين أساسين :

1 ــ "الليبية" أو "تيفيناغ" تتميز بتعدد أنواعها التي تختلف من حيث عدد حروفها، وتعدد جرس بعض أصواتها، بسبب العامل الجغرافي .

2 ــ الاستقلالية التاريخية للأقاليم والجهات التي تستعمل فيها إحدى هاته الأنواع .

وفي ما يلي أبرز الخصائص التي يتميز بها كل نوع من أنواع تيفيناغ والمناطق التي تعرف وجوده .

النوع الشرقي لتيفيناغ:

يتواجد هذا النوع بشمال تونس والجهة الشرقية للجزائر، وتعتبر هاتان المنطقتان من أكثر المناطق التي عرفت ظهور الكتابات الليبية الأمازيغية القديمة، فهما منطقتان تنتميان إلى مملكة نوميديا، التي اشتهرت بازدهار اللغة والكتابة الأمازيغيتين. بل وإصدار عملة نقدية تحمل الكتابة الأمازيغية، وتعايشهما مع الحضارات الأجنبية. أولى تلك الكتابات تم اكتشافها سنة 1603م، وكانت ثنائية اللغة "أمازيغية ــ بونيقية" تم اكتشافها بقبر الملك الأمازيغي ماسينيسا بدوكا (Duogga). قرنان بعد ذلك سيأتي القنصل الإنكليزي في تونس (Thomas Reade) ليقوم بأخذها إلى بريطانيا. بعد مماتهتم وضعها في المتحف البريطاني .[82]

ثاني تلك الكتابات لم يتم اكتشافها إلا في سنة 1904م. ودائما بقبر ماسينيسا بدوكا بتونس.

القيمة التاريخية لتلك الكتابات الليبية الأمازيغية الشرقية أثارت انتباه مجموعة من الباحثين مننذ بداية تيفيناغولوجيا (علم تيفيناغ) في نهاية القرن التاسع عشر. ونتيجة ذلك تتجلى في كون النوع الشرقي لتيفيناغ يعتبر من بين أكثر الأنواع دراسة وتداولا .

وقد تم حصر حروف هذا النوع في 23حرفا بفضل لوحة دوكاالمكتوبة باللغتين (الأمازيغية ــ البونقية) .

النوع الغربي لتيفيناغ :

هذا النوع يتواجد بالمغرب والجهة الغربية للجزائر، وتشكل الكتابات التي عثر عليها في المواقع التالية: ليكسوس، تامودا وليلي الأكثر دراسة وتداولا نظرا لكتابتها بلغتين: الأمايغية ـ البونيقية. ثم الأمازيغية ـ اللاتينية. في المغرب يتواجد العديد من المواقع التي تم العثور فيها على أزيد من ثلاثمائة (300) لوحة منقوشة بالليبية الأمازيغية .(83)

هذه المواقع هي: ليكسوس، تامودا، عين جمعة، تيكيكرا (قرب أزور)وليلي ونواحيها. رأس بيكفريون (قرب تيفلت) ،ياكور بأوريكا وأوكيمند، وأوامداز بأغرم (تارودانت)، وغيرها..

يتميز النوع الغربي لتيفيناغ بما يلي:

عدد الحروف التي يتكون منها أكبر من عدد حروف النوع الشرقي لتيفيناغ يحمل في طياته عددا من التنويعات، ويمتد على رقعة جغرافية واسعة، ويتشابه إلى حد كبير مع النوع الصحراوي.

النوع الصحراوي لتيفيناغ:

هذا النوع يغطي مساحة جغرافية واسعة: جنوب الجزائر، مالي، النيجر وليبيا. العديد من الكتابات تم اكتشافها ب: تاسيلي، الهكار، أدرارن، يفوغاس، أدرار أهنيت، أيير، بوناجم بطرابلس، جرمة بفزان ..إلخ .

ويرى الباحث Henri Lhote(1984) أن هذا النوع ينقسم إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى تعتبر الأقدم ظهرت في مرحلة الفرسيات caballin (قبل ظهور الجمل بالصحراء) إلى جانب النقوش الصخرية التي تحمل صور الخيول والفرسان، هذا النوع من تيفيناغ يصعب فك رموزه. المجموعة الثانية تتكون من رموز تعتبر الأقدم على الإطلاق والقريبة من حروف تيفيناغ الحالية. والطوارق دون غيرهم يتوصلون إلى قراءتها وفهمها. تيفيناغ هاته المجموعة تنتمي إلى مرحلة ظهور الجمل بالصحراء. المجموعة الثالثة تتكون من ،ةاع تيفيناغ الحالية التي يستعملها الطوارق من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا. بالإضافة إلى هذه المجموعات التي حددها الباحث Herni Lhote ترى الباحثة الأركيولوجية

مليكة حشيد (2001) أن هناك مجموعة رابعة تعتبر الأقدم تعود إلى ظهور أولى رموز الكتابة الليبية في الصحراء الكبرى، تلك الرموز مرتبطة بالإنسان الأمازيغي القديم في سياق تعايشه مع الحيوانات في حقبة ظهور الزرافة بتاسيلي بالجزائر. وترجع الباحثة حشيد تعدد أنواع تيفيناغ الصحراوية إلى التاريخ بفتراته المختلفة وإلى الجغرافيا بتعدد المناطق.[84]

الحروف البربرية المركبة:

مما اختصت به أبجدية تيفيناغ عن العربية وغيرها هو الحروف المركبة. حيث يكتبون حرفا وسط الآخر، ويقرؤون الأول قبل الثاني. مثلا يكتبون حرف الباء فيكتبون تاء في وسطه، فيكون حرفا مركبا. وهذا الرسم يقرأ (بت). والحروف المرسومة غالبا في الوسط هي التاء، لكثرة ورودها في البربرية، فهي أكثر الحروف استعمالا في البربرية. وبتوضيح أكثر :

"للبربر الحروف المركبة هي عبارة عن حرفين متداخلين ،فينطق الحرف المركب حرفين، والحرف الأصلي الذي يقحم فيه الثاني، ويبدأ بنطقه أولا إنما هو الذي يرسم في وسطه، والحرف المرسوم في الوسط ينطق بعد الأول، تراهم يرسمون حرف الباء فيرسمون تاء في وسطه فيكون حرفا مركبا. وهذا الرسم يقرأ بت. والحروف المرسومة غالبا في الوسط هي التاء لكثرة ورودها في البربرية فهي أكثر الحروف استعمالا في البربرية، فرسموها في وسط الحرف الذي تليه اختصارا للكتابة. وأرى أن هذا التركيب في الحروف مما اختص به البربر، وكانوا أول من اهتدى إليه، ولعلها من إصلاحات مصينيسا الملك البربري العظيم التي أدخلها على الخط البربري في القرن الثاني قبل الميلاد ."[85]

تأثير خط تيفيناغ في الأبجديات الأوروبية:

يؤكد محمد علي دبوز أن وطننا المغرب الكبير هو الأصل في عمارة جنوب أوروبا لا العكس. وقد نقل السكان الأوائل لشمال إفريقيا أبناء يافث بن نوح عليه السلام لغة تيفيناغ معهم إلى أوروبا. ويدل على هذا وجود الكثير من الأبجديات الأوربية القديمة التي ظهرت في عصور ما قبل التاريخ يوجد الكثير من أشكالها يتشابه مع التيفيناخ، بل قد عثر العلماء على أبجدية أوربية تسمى glozel alphabet بها 12

حرفا مطابقا للكتابة الأمازيغية شكلا ومعنى، زيادة عن التشابه العام للأشكال بين أبجدية الأمازيغ وأبجدية glozel، وكما عثر العلماء أيضا على أبجدية أوربية اسمها Vinča alphabet حيث هناك تطابق كثير من الرموز بين هذه الأبجدية مع أبجدية الأمازيغ.

ويرتكز المؤرخون على الرأي القائل بوجود صلة بين الباسكيين (هم شعب يسكن شمال إسبانيا وجنوب فرنسا) والبربر على طروحات معجمية متشابهة، وأول من نحا هذا المنحى هو الفرنسي (L. de Gèzeen) سنة 1885، ثم تبعه الألماني (G. Von der Gabelenz) سنة 1894 بعد أن أصدر كتابا بعنوان "البسكية والبربرية.". وقد تعزز هذا الطرح بمقالات كتبها سنة 1964 (HANS G. Mukarovsky) مفادها أن لغة سبقت لغة البربر سماها اللغة الموريتانية انتقلت من الصحراء، حيث كان يعيش البربر الطوارق، إلى بلاد الباسك. بقايا هذه اللغة هو ما يشكل الموروث اللغوي المشترك بين الباسك والبربر، إضافة إلى تشابه كبير بين نظام الكتابة البسكية ونظام الكتابة الليبية القديمة. ولم يتوقف الافتراض عند هذا الحد، بل ومنذ سنة 1995 وفيما يخص الصفات الوراثية اعتمدت الأبحاث التي يقوم بها العالم "Antonio Arnaiz" في إسبانيا على إبراز رصيد جيني مشترك بين البربر بمنطقة القبايل الجزائرية والباسكيين، وقد طرحت نتائج أبحاثه في مؤتمر حول الجينات البشرية في برشلونة {9، 10 نوفمبر 1995}. (للمزيد من المعلومات اطلع على ما كتبه الدكتور M. A. Haddadou).

ومن جهة أخرى توجد الكثير من الأبجديات الأوربية القديمة التي ظهرت في العصور ما قبل التاريخ يوجد الكثير من أشكالها يتشابه مع التيفيناغ، بل قد عثر العلماء على أبجدية أوربية تسمى glozel alphabet بها 12 حرفا مطابقا للكتابة الأمازيغية شكلا ومعنى، زيادة عن التشابه العام للأشكال بين أبجدية الأمازيغ وأبجدية glozel، وكما عثر العلماء أيضا على أبجدية أوربية اسمها Vinča alphabet حيث هناك تطابق كثير من الرموز بين هذه الأبجدية مع أبجدية الأمازيغ.

وقد تم العثور أيضا على أبجدية أوربية تتطابق تطابقـا تامـا مـع الأبجديـة الأمازيغية اسمها Vinča symbole والتي تعود إلى أكثر من 7000 قبل المـيلاد ثم أن علماء أروبا وأمريكا كلهم اعترفوا أن الرموز التي وجدت في أمريكا رموز أمازيغية

وقد اعتراف العالم " barry fell" أن البلدان الجرمانية مليئة بآثار كتابة الأمازيغ وأكد أن هذه الآثار تعود إلى فترة ما قبل التاريخ.

فقد اعترف العالم " Barry fell" أن اللغة الامازيغية هي أقـرب إلـى اللغات الجرمانية وأن البلدان الجرمانية مملوءة بكتابات أمازيغية ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث إذا راجعت قاموسا سويديا سيتخيل لك أنه قـاموس أمـازيغي لشدة التطابق بين الكلمات الجرمانية والكلمات الامازيغية. والأمثلة بالملايين،[86]

أمام هذا الأثر البين الواضح لتأثير حروف تيفيناغ في الأبجديات الأوروبية الـذي لا يترك مجالا للشك أو الانكار، نجد بعض المؤرخين والكتاب الأوروبيين ينسـبون الفضل لأوروبا، وأنها هي الأصل في عمارة شمال إفريقيا، وفي تحضره ولغته .

ولكن الشيخ محمد علي دبوز ينكر بشدة هذا الادعاء ويقول:

"إن سبب عمارة جنوب أوروبا هو المغرب، لا العكـس، كمـا يـدعي بعـض المؤرخين الأوروبيين المتعصبين. لقد اغتر أولئك المؤرخـون الأوروبيـون بتقـدم أوروبا في هذا العصر، وتخلف المشرق، فنسبوا كل الفضل إلى أوروبا، وقالوا: إنهم الأصل في عمارة المغرب، وادعوا ادعاء الثمرة أنها الأصل للشجرة ـ وهي منهـا ـ لما رأت أغصانها حطبا وجردها الشتاء من حياتها ."[87]

وينكر على بعض الكتاب والمؤرخين الجزائريين عموما والأمازيغيين خصوصـا تبني هذا الإدعاء الأوروبي والترويج له في كتاباتهم، واتخاذه قاعـدة لاسـتنتاجاتهم. منهم الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه. وقد حرر أكثر من ثلاث عشرة مقالـة في مجلة البصائر ينتقده في إخلاله بالهوية البربرية، سيما العرقية والثقافيـة .وممـا قاله: " وقد رأيت الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه يتأثر بتلك الدعاية المغرضة التي شرعت ضد البربر .. وأرى الأستاذ اعتمد كتب التاريخ القديمة في هذا البـاب ونقل ما أثبته القدماء في البربر دون تمحيص ونقد .."[88]

محمد علي دبوز الرائد في الاهتمام بخط تيفيناغ تدريسا وتأليفا منذ سنة 1948م:

كان الشيخ محمد علي دبوز من الأوائل الذين اهتموا باللغة البربرية عموما وأبجدية تيفيناغ خصوصا، نصرها ودافع عن أصالتها البربرية ودحض ادعاءات الأوروبيين والمشرقيين ..

وكانت مجهوداته العلمية في نصرة الهوية البربرية في حقلي التدريس والتأليف هي الباكورة في بابها .

حيث لما شمر للتدريس في معهد الحياة في القرارة سنة 1948م بعد تخرجه من دار العلوم بالقاهرة كان من أولوياته في التدريس هو الاهتمام بتاريخ البربر وإبراز أصالة هويته الحضارية منها الثقافية اللغوية .

وكان يدرس اللغة الأمازيغية الميزابية خصوصا في مادة التاريخ الجزائري بمهعد الحياة، مبرزا خصائصها ومميزاتها الحضارية واللغوية والبلاغية الأدبية .. وهذا ما يؤكده وينصح به:

"يجب دراستها في كتب التاريخ وبيان خصائصها إنها لغة أجدادنا ومن آثار آبائنا التي يجب المحافظة عليها. لا يجوز القضاء على اللغة البربرية فإنها لا تزاحم العربية ولا تناوئها"

وهكذا يكون الشيخ محمد علي دبوز في معهد الحياة في القرارة الرائد في الاهتمام باللغة البربرية والدفاع عن أصالتها الحضارية البربرية الأصيلة بعد الحرب العالمية الثانية، وقبل الثورة الجزائرية التحريرية بسبع سنوات ..

<u>كيف توصل وتحصل على حروف (تيفيناغ) في عهد الاحتلال:</u>

ولم تكن الحروف البربرية (تيفناغ) معلومة على الساحة العلمية إلا في حيز الطوارق في جنوب الجزائر، فعزم على تحصُّلها منهم. كان الاتصال بهم آنئذ في عهد الاحتلال، العقد الرابع من القرن الماضي عصيبا عسيرا ، نظرا للقيود المجحفة، وتراخيص السفر القاسية الشديدة المتعددة التي وضعتها غطرسة الاحتلال الفرنسي، لتصعيب السفر والتنقل بين المدن، وأبت همته إلا أن يظفر بها، وبعد عناء

ومشقة عصيبين؛ ظفر بحروف تيفيناغ، فتسلهما شخصيا من الخاصة المثقفـة فـي التوارق عدة مرات.

منها اتصاله بالأستاذ عبد القادر بن الحاج أحمد المترجم بين الحكومـة الفرنسـية وبين أمنوكال[89] رئيس التوارق (السلطان)، وقدم له حروف التيفيناغ، التي يكتبون بها عقودهم وتقاريرهم ورسائلهم ..في الوثيقة مؤرخة بتاريخ أفريل 1957م.

وقد فصل له الأستاذ عبد القادر بن الحاج أحمد في هاته الوثيقة أبجديات تيفينـاغ. وكانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول: كتب فيه أبجديات تيفيناغ الثلاثة والعشرين .

القسم الثاني: كتب فيه أشكال حروف تيفيناغ لكل حرف من حروفها المتنوعة .

القسم الثالث: كتب فيه نماذج لنحو خمسين لفظا أمازيغيا بحـروف تيفينـاغ مـع ترجمته بالفرنسية، التي يكثر استعمالها وتـداولها بـين التـوارق فـي مراسـلاتهم وكتاباتهم.

محمد علي دبوز وثقافة المرأة المزابية:[90]

الشيخ محمد علي دبوز والأدب الأمازيغي:

من كتاباته عن الأدب الأمازيغي الميزابي :

في الأمثال المزابية :

يبين الشيخ محمد علي دبوز أن الأمازيغ دهاة حكماء. الوقار علـيهم والأغلـب. إنك لا تجدهم يميلون للثرثرة ويملؤون الساحة بالضجيج. إذا تكلم أحدهم في المجلس يتكلم في وقار وعمق وإيجاز بليغ. لذلك كثرت الأمثلة في لغـتهم. وإنـك لا تجـد موضوعا من مواضيع الكلام ليس فيه أمثلة عديدة بالبربرية وكذلك الكنايات. يتمثلون بها في كل المقامات. وهي كقواعد في الأخلاق ومواعظ للناس يغني المثـل الواحـد عن الكلام الطويل

استشهد بهاته الأمثال المزابية:

ـ **(وِيفِينْ ولْيَطِّيفْ؛ أَدِكَلَّبْ ولْيَتِّيفْ)** من وجد ولم يقبض يبحث فلا يجد، يضـرب مثلا لمن يضيع الفرصة .

ـ **(تَالْوِيتْ سُوزَافْ؛ الاَبْلاَ سِيقَنْطَارَنْ)** معناه: إن الشفاء يــأتي بالشــعرة، أمــا المرض فيأتي بالقناطير .يضرب مثلا في النجاح والخير، يأتي قليلا حتى يكتمل، أما العاهات فتنزل مرة واحدة.

ـ **(الظَّلْ؛ وَلاَ ضَالِّي)** ومعناه: أن يغشى الظل دارك لجدرانك الطويلة خير من أن يطلع عليك الجيران؛ يضرب مثلا للسترة.

ـ **(أَغَرْمْ وْلِيتْوَابْنِي دِيوَاسْ)** يعني أن المدينة لم تبن في اليوم الواحــد؛ يضــرب مثلا لمن يتعجل النتيجة في الأمور.

ـ **(وِيدَّهْكْلَنْ يَطَّاوَدْ)** من يتأن يصل. يضرب مثلا للمتعجل النزق في الأمور.

ـ **(أَدْسَدَّنْتْ غَفْشْ تِلَوْلِيوِينْ نَصِّيفْ)** هذا كالمثل العربي: الصيف ضيعت اللــبن. يقال لمن يفلت الفرصة ثم يقع في حاجة، سيما فرصة العمل والجد في إبانه.

ـ **(وِيخْسَنْ سُوفْ أَسْيَخْدَمْ القَايْلَتْ تَحْمَا)** يضرب مثلا لمن يضيع الفرصة وقــت الاستعداد ومعناه: من أراد ماء السيل لبستانه فليعمل له بنزع الأتربة مــن ســواقيه والشمس ضاحية قبل ورود السيل الذي لا يبقى طويلا.(91)

<u>في الكنايات المزابية:</u>

وبين أن البربرية ثرية بكنايات كثيرة رائعة في كل موضوع ومنها ما هو كنايــة وصف وما هو كناية

عن موصوف وما هو كناية عن نسبة.

ـ **(أَشْرُومَسْ دَازِيوَارْ)** معناه غليظ الرقبة، كناية عن التجبر .

ـ **(تِيغْمَسْتَسْ أَتَّازَعْلُوكَتْ)** معناه ضرسه كبيرة، كناية عن الرغبة والنهم .

ـ **(طِيطِّسْ أَتَّاوَسَّاعْتْ)** أي عينه واسعة، كناية عن الطموح وعدم الرضا بالقليل.

ـ **(أَوَلْسْمَلاَّ تِيغْمَاسْ)** أي لا تضحك لهم فيجترئوا عليك .

ـ **(إِرَنِّي أَمَانْ إِيْوْغِي)** أي يخلط اللبن بالماء، كناية عن المبالغة والكــذب فــي الكلام .

ـ **(تَقَّنْ سْوُولْمَانْ)** ،كناية عن عدم إحكام الأمور.

ـ **(أَضْغَاغْ تَاوَّارْتْ)** معناه في الشكوة حجر: كنايــة عــن وجــود غريــب فــي الجماعة.

ــ (إِغَسْ أَتْشُورْدَاسْتْ): كناية عن المكدر في الأمر الحسن.(92)

في الشعر الأمازيغي المزابي:

بين أن في الأمازيغية شعر رائع في كل المواضيع سيما في الحماسة والغزل والتاريخ والفخر، وبين أن في جبال القبائل إلى يومنا هذا ما يملأ دواوين كثيرة من الشعر الرائع بالبربرية القبائلية في كل المواضيع .. وترى كل من يفهم البربرية سيما اللهجة القبائلية تهزه تلك الأغاني، لحسن معانيها وعمق وجدانها وجمال ألحانها. وفي كل أنحاء المغرب التي تتكلم بالأمازيغية قصائد من الشعر الأمازيغي يتغنون بها في المناسبات سيما المناسبات العملية كوقت الحصاد للفلاحين وأوقات النسج للنسوة وفي أيام العرس للفتيات والصبايا وفي الأعياد الدينية سيما عيد المولد النبوي.(93)

ويقول: وترى الفتيات في مزاب سيما في القرارة من أول ربيع الأول ينشدن نشيد المولد بالبربرية في أصوات رخيمة ترقص حتى الجمادات. وكن يدرن في شوارع المدينة التي تسيطر عليها وقار الدين وطهره في أول الليل بين العشاءين إذا خف الزحام في الطرقات .فيملأن المدينة بأفراح المولد وأغاريده .

ويبين أن من الشعر البربري الموجود إلى اليوم ما هو قديم وما هو حديث والمحفوظ عندنا في المغرب من القديم سيما في المدن، جله شعر إسلامي .ولا أرى أن هناك شعرا في الألسن مما قيل قبل الإسلام أو في صدره (94).

ويورد ثلاثة أبيات من قصيدة غزلية قديمة أنشأتها امرأة في زوجها تعاتبه وتشكو عذابها بحبه .

وقالت وهي تعاتبه على الهجر وتصف نار حبها:

أَغَّارْ أَيَا أَرْنَاوْ   أَتْخَادْعَاشْ دَا النَّيْتِيكْ

أُولاَ أشَسُّودْسَغْ   جَاجْ نُوحُولِي انْوُولْ

أَتِمْسِي تَاحْلاَلْتْ   أَيَامَانْ   نُوضِيلْ(95)

المعنى: أيها الحبيب الذي هجرني سينتقم الله منك لوفائي وحبي كأنني لم أسكنك في أعماق فؤادي ولم أخلص لك الوداد والمحبة يا حبيبي الذي يكويني بنار الحب المقدس أيها الحبيب الذي أراه صهباء روحي ويورد قصيدة ميزابية بديعة جدا

للشاعر الفحل الشيخ صالح بن إبراهيم باجو ـــ رحمه الله ـــ في مدح خاتم الأنبيـــاء والرسل ﷺ استشهد بمطلعها:

يَلُولَدْ سِيدْنَا مُحِمَّدْ   تَضْوَا الدُّونِيتْ أسْ الانْوَارْ
آرَبِّي زَالْ اتْسَلْمَدْ   فْوَاسِي سَجْدَنْتَاشْ الاْشْجَارْ
تُولِيدْ تَزِيرِي نَرْسُولْ   تْشَعْشَعْ آمَّاسْ نِيجَنْوَانْ(96)...

ومن فضائل نشر محمد علي دبوز هاته القصيدة الرائعة في كتابه تاريخ المغرب الكبير أن انتشرت في المحافل الدينية والأعراس النسوية والرجالية في كـل قصـور واد مزاب يصدح بها النسوة والفتيات بأصواتهن الشذية التي تخلب الألباب.

تحفيزه الأدباء والكتاب الأمازيغيين على درر تاريخ البربر في القصة والشعر والمسرح والمقالة:

كثيرا ما كان يوصي الأدباء ويحفزهم على استغلال التـاريخ الأمـازيغي فـي كتاباتهم الأدبية في كافة فنونها. ومما نصحهم به، قوله :

"يا قوم إن التاريخ مجال الأدب الأكبر، ومسرح الفن الأعظـم، فاغمسـوا فيـه أقلامكم تاتون لنا بالأدب الرفيع، واتجهوا إليه في القصة والرواية تقدموا إلينا الغـذاء الذي يفرضه العصر علينا. إن تاريخ الجزائر قبل الإسلام حافل بالعبقريات والأمجاد ويوم يهب الله له من يصور لنا بطولته بأسلوب فني ويتناولهـا بقلـم أدبـي تظفـر مدارسنا بأحسن بيئة يعيش فيها الأبناء فتذكي فيهم وراثة الآباء."

يجب على أدبائنا أن يعتنوا بهذه الحقبة من التاريخ ففيها من القصـص الوطنيـة والبطولة ما يجب تقديمه للناشئة، وفيها من المادة الغزيرة ما يخلق الشخصية. وقـد رأينا الأوروبيين يعتنون بمواقف البطولة في تـاريخهم فيصـوغون بـه قصصـا للأطفال، ومقالات للشباب، وروايات للمسـرح فينوهـون بمفـاخرهم بكـل لسـان ويرسمونها مثلا أعلى لشبابهم بمختلف الوسائل، فترى أممهم تعيش في تاريخها فـي كل أدوارها وترى أبطالهم أحياء في نفوسهم يوجهونهم في السلوك ويرسـمون لهـم الطريق الذي سلكوه من قبل فوصلوا. أما تاريخ الجزائر عموما وتاريخه قبل الإسلام خصوصا فلا يعرف الجزائري منه إلا عناوين، والمثقف إلا حقائق جافـة لا تخلـق روحا ولا تذكي نفسا ."(97) .

الخاتمة

أخيرا يجب أن نعلم أن وادي مزاب كان مهتما بالثقافة الأمازيغية منذ أمد طويـــل. ويعالجها بكل أصالة وموضوعية وبكامل الأخوة الإسلامية والوطنية. لا تقصي أحـــدا ولا تستنقص لغة وتحترم كل الاحترام الدين الإسلامي، ولغة القرآن الكريم. وإن بقـــدر اهتمام الشيخ محمد علي دبوز بالدفاع عن الهوية الأمازيغية بقدر حرصه وتأكيده على الأخوة الإسلامية وعلى المحبة والصفاء بين جميع الجزائريين كلهم الأمازيغ والعـــرب وعلى الروح الوطنية الجزائرية في كل كتبه ودروسه حتى عرف واشتهر بالصفاء.

شمرت مدرسة وادي مزاب للثقافة الأمازيغية سيما في حقل التاريخ والأدب واللغـــة سابقة الشمال الجزائري، قرابة عقدين مـــن الـــزمن، وكـــل اهتماماتهـــا وإنجازاتهـــا موضوعية محضة، ووطنية أصيلة. وتتمثل هاته المدرسة في بدايتها في فكـــر الشـــيخ محمد علي دبوز وإنجازاته في الثقافة الأمازيغية الوطنية .سيما في حقل تاريخ شـــمال إفريقيا (تامزغا)، إبرازا ؛وتنقيحا ؛وذبا للترهات.

من أهم تحقيقاته:

ــ السكان الأوائل لتامزغا هم أبناء يافث بن نوح ﷺ ثم أبناء حام بن نـــوح وهـــم الأغلب

ــ إسم البربر ليس قدحا للأمازيغ بل هو اسم جدهم بربر بن تاملا بن مازيغ. يدل على الثورة والجهاد ضد المستعمرين. لا على الهمجية. لأن البربر سبقوا الرومان إلى الحضارة.

ــ تضعيفه وتكذيبه نسب العائلات الميزابية إلى عليؓ أو الخلفاء الراشدينؓ.

ــ كتامة وصنهاجة وهوارة من جملة البربر، وأصلهم حام بن نوح، وليس قريش

ــ سبب التزوير هو 1ــ أبو عبد الله الشيعي. 2 ــ القول بإسناد الرئاســـة لقـــريش دون غيرهم.

ــ سبب عمارة جنوب أوروبا هو المغرب تامزغا، لا العكس. كما يـــدعي بعـــض المؤرخين

ــ اللغة البربرية لغة حامية. واسعة خصبة، فيها كل عناصر الكلام .

ــ نشأت اللغة البربرية قوية بأساليبها، منذ عهدها الأول.

ـ إنها لغة سلسة مرنة، تقبل كل الألفاظ الدخيلة، فتبربرها فتصبح جزءا منها.

ـ يمتاز الأمازيغ بِالإيجاز، وعدم الإطناب في التعبير، لذلك تمتاز لغتهم بكثرة الأمثال الحكيمة .

ـ تختلف عن العربية كثيرا. ما يثبت أنها ليست سامية. وهي لغة من الصوامت عكس العربية.

ـ تمتاز بالحروف المركبة؛ والتقاء الساكنين؛ والابتداء بالساكن؛ وتقدم تاء التأنيث وغيرها..

ـ الفرق بين اللهجات البربرية كان أقل من الفرق بين لهجة قحطان ولهجة عدنان

ـ التقارب بين اللهجات الأمازيغية على حسب قرب المنازل وكثرة الاختلاط.

ـ الاختلاف في اللغة يقع في النطق، وزيادة بعض الحروف. أما أصل الكلمات في الأغلب فواحد.

ـ اللهجة المزابية زناتية متأثرة بلهجة لواتة وهوارة قريبة من القوارية والشاوية والشلحية والنفوسية

ـ للبربر خط خاص بهم، وهو من وضعوه، انتقل منهم إلى أوربا. وليس العكس.

ـ يسمونه (تيفيناغ) ومعناه: الحروف المنزلة من عند الله، لتقديسهم لها واعتدادهم بها.

ـ التركيب في الحروف مما اختص به البربر، وكانوا أول من اهتدي إليه .

ـ سبق محمد علي دبوز الأكاديمية الأمازيغية في جلب تيفيناغ من الطوارق والتمثيل والاستشهاد به.

ـ أثرت تفيناغ تأثيرا كبيرا في الأبجديات الأوروبية .

ـ تحدثت كتاباته عن الأدب الأمازيغي كثيرا. واهتم بجمع التراث الأمازيغي متخصصا في تاريخه.

المصادر والمراجع :

1 ــ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، مطبعة الحلبــي وشــركاؤه القاهرة مصر ،ط الأولى سنة 1963م.

2 ــ أرشيف مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، مكتبة الصفاء، شارع الحاج علــي بن عيسى دبوز، بريان.

3 ــ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمــد، كتــاب العبــر، ج6، ط. بــولاق. القاهرة.

4 ــ عثمان الكعاك، كتاب البربر، ط الترقي بتونس سنة 1956.

5 ــ جميل الحمداوي: المدخل للكتابة الأمازيغية .

6 ــ خالد أوبلا، تيفيناغ: التاريخ والمستقبل، طالب بماســتر اللغــة والثقافــة الأمازيغيتين جامعة محمد الخامس، أكدال، الرباط. Khalid_oubla@yahoo.fr.

7 ــ محمد الزيتوني، ألأمازيغ وإشكالية الأصل، الحــوار المتمــدن، العــدد: 4049 ــ 2013، 2، 4، 1 ــ 46: 10، المحور: دراسات وأبحاث في التــاريخ والتراث واللغات

8 ــ مجلة البصائر ،العدد 312 ،1 أفريل 1955

9 ــ د محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ،الطبعة الأولى، سنة 2002م.

10 – الدكتور صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغــة، دار العلــم للملايــين بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1981م.

11– أحمد بوكوس: الأمازيغية السياسة اللغوية والثقافيــة بــالمغرب، مركــز طارق بن زياد،، طبعة1، نونبر2003م، مطبعة فيديبرانت، الرباط .

12 – شارل أندري جوليان: تاريخ شمال أفريقيا الشــمالية، تعريــب: محمــد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى 1969.

13 – محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمــازيغيين، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى 1989م.

14 ــ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، طبعــة رابعــة بيروت، 1980.

15- عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية فــي الجزائــر والمغــرب، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى 1999م.

16 - محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1982م.

17 ــ (لغة أمازيغية)، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، موقع رقمي؛

18 ــ محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، أعمــال الــدورة الأولــى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير، مطبعة فضــالة، المحمديــة، الطبعــة الأولــى 1982م.

19 - بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، الجزء الأول، دار الكتاب العربــي الجزائر، 2003م، "المنشأ البربري للثقافة المغاربيــة؛ انظــر الــرابط : www .mondeberbere.com

20 ــ مصطفى أعشى، جذور بعض مظاهر الحضــارة الأمازيغيــة خــلال عصور ما قبل التاريخ ،طارق بن زياد، الربــاط، المغــرب ،ط. الأولــى. ســنة 2002م.

هوامش الدراسة:

---

[1] قمت بحذف هذا الملف بعد تحريره , نظرا لحساسيته، ثم إن أحداثه لا تمثل للجنوب كثيرا ..

[2] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص8، ط الأولى 1963.

[3] المصدر السابق، ج1، ص304.

[4] المصدر السابق، ج1، ص249.

[5] المصدر السابق، ج1، ص401.

[6] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص25.، ط. الأولى ، مطبعة عيسى البابا الحلبي وشركاؤه ، 1384هـ ـ1964م.

[7] م .س، ص 26.

[8] م .س، ص27. انظر – محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى 1989م

[9] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص27.

[10] ن .م، ص28.

[11] ن م ، ص28.

[12] الأمازيغ وإشكالية الأصل، محمد الزيتوني ، موقع الحوار المتمدن-العدد: 4049 - 2013، 4، 1 - 10:46، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات

[13] ن .م، ص 27.

[14] ألأمازيغ وإشكالية الأصل، محمد الزيتوني ، موقع الحوار المتمدن-العدد: 4049 - 2013، 4، 1 - 10:46،

[15] مقال: نسب البربر، بقلم :باسم محمد، موقع فيض القلم، 3 فبراير 2010.

[16] تاريخ المغرب الكبير، ج1، من صفحة 30 إلى صفحة38.

[17] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص32.

[18] ن.م، ص32.

[19] ن. م ، ص32.

[20] ن. ص ، 32.

[21] ن م ، ص32. انظر – بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، الجزء الأول دار الكتاب العربي، الجزائر، ط. الأولى ، سنة2003م ..

[22] محاضرة تاريخية في دار العلم ببريان يوم: أفريل 1979م.

[23] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 17.
[24] كتاب العبر لابن خلدون، ج2، ص10، ط.بولاق في القاهرة 1284هـ.
[25] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 18.
[26] م .س، ص 19.
[27] م .س ، ص18.
[28] م.س، ص18.
[29] م س، ص19.
[30] م .س، ص18.انظر ـ مصطفى أعشى، جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ ، طارق بن زياد، الرباط، المغرب ، ط. الأولى. سنة 2002م.
[31] م س، ص19.
[32] م .س ، 18.
[33] م .س، ص 18 .
[34] م. س، ص 18 .
[35] م م. س، ص 18 .
[36] جميل الحمداوي، المدخل للكتابة الأمازيغية
[37] جميل الحمداوي، المدخل للكتابة الأمازيغية، ص 9 .
[38] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص49إلىص68.
[39] م. س، ص 68 .
[40] المصدر السابق، ص49إلىص68.
[41] نصوص في اللسانيات البربرية، سالم شاكر ، ص 54 .
[42] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص49.
[43] م.س، ص60، 59.
[44] م.س، ص60.
[45] م.س، ص60.
[46] م.س، ص60.
[47] م.س، ص60.
[48] "الوجه الثقافي واللساني للهوية الأمازيغية " الكاتب الجزائري ياسين تملالي- أحمد بوكوس: الأمازيغية السياسة اللغوية والثقافية بالمغرب، مركز طارق بن زياد طبعة1، نونبر2003م، مطبعة فيديبرانت، الرباط
[49] تاريخ المغرب الكبير ، ج1، ص 50 .

[50] م. س، ص 52 .

[51] م . س، ص 50 .

[52] م. س، ص 49 .

[53] م. س، ص 50 .

[54] م. س، ص 59 .

[55] – شارل أندري جوليان: تاريخ شمال أفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى 1969

[56] تاريخ المغرب الكبير، ص 50 .

[57] يقول الشيخ محمد علي دبوز :

إن اللهجة البربرية في الريف بشمال المغرب الأقصى قريبة من المزابية. وقد زرت الأمير عبد الكريم الخطابي ـــ رحمه الله ـــ أيام نزوله في القاهرة لاجئا في سنة 1947م وصار يتكلم مع أخيه محمد بلغتهم البربرية الريفية، فكنت أفهم كل ما يقولانه. فسارعت فأخبرت الأمير بأن لهجتهم كاللهجة الميزابية التي أتقنها، خوفا من أن يتباحثا في سر من أسرارهم الخاصة؛ تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص50.

[58] م س، ص 49 .

[59] م .س، ص 51 .

[60] جميل الحمداوي، المدخل للكتابة الأمازيغية، ص 9 .

[61] ن. م، ص 65 .

[62] ن. م، ص 65 .

[63] م. س، ص 65 .

[64] م. س، ص 64 .

[65] م س، ص 67 .

[66] م. س، ص 68 .

[67] خالد أوبلا، تيفيناغ: التاريخ والمستقبل، طالب بماستر اللغة والثقافة الأمازيغيتين جامعة محمد الخامس، أكدال، الرباط.

Khalid_oubla@yahoo.fr

[68] تاريخ المغرب الكبير ، ج1، ص 65.

[69] الأمازيغ وإشكالية الأصل ، الحوار المتمدن-العدد: 4049 - 2013، 4، 1 - 10:46 المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات

[70] جميل الحمداوي، المدخل للكتابة الأمازيغية، ص 8 .

(71) انظر تلك الأشكال في ج1، ص86، طثانية، بيروت.

(72) م. س، ص 67 .

(73) م. س، ص 65 .انظر – محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى ، 1982م.

(74) م. س، ص 64 .

(75) م. س، ص 64 .

(76) تاريخ المغرب الكبير، ج 1، ص 65 .

(77) م. س، ص 68.67.

(78)وهي: صائت الفتحة– a ? (ءاوال، ءامان، الماء)، وصائت المد المضموم u– ? (ءور، القلب، ءودم، الوجه)، وصائت السكون e– ? (حركة شيا) التي تستعمل عند تكرار الحروف الساكنة(بد، قف، مّي ، ابني، ءاسرزم، النافذة)، وصائت الكسرة –i– (ءيراف، الخنزير).

وتحضر الصوامت في شكل دوائر وأنصاف دوائر، وعدد حروفها سبعة، وهي: الراء (ءابريذ، الطريق)، والباء (بابا، أبي)، والهاء (بوهرو، الأسد)، والصاد (ءاصميظ، البرد) والسين (واس، اليوم)، والشين (ءوشان، الذئب)، والراء المشددة (بارّا، خارج).

وهناك 11 حرفا في شكل خطوط عمودية وأفقية، وهي: النون (ءامان، الماء)، والجيم (ءاجانا، السماء) ، واللام (تملالت، البيضة)، والتاء (تافوكت، الشمس)، والميم (تامزيدا المسجد)، والظاء (ءاظير، العنب)، والطاء (باطاطا، البطاطس)، والفاء (فيغار، الثعبان) والواو (ءاوال، الكلام)، والعين (ءاعموذ، العصا أو الركيزة)، والغين (ءيغزار، النهر) والدال (ءادرار، الجبل).

وثمة أربعة خطوط مائلة كالدال (ءادرار، الجبل)، والحاء(ءيصباح، جميل)، والخاء (ءاخام، البيت)، والياء(ءاشفاي، الحليب)، وخمسة حروف على شكل مثلثات كالگاف (أرگاز)، وگوا (ءازگاغ، الأحمر)، والكاف (تاسكورت، الحجلة)، وكوا (ءيتاكور، يشتم) والقاف(ءاقراب، المحفظة)، وخطان متنوعان كالزاي(ءيزي، ذبابة)، والزاي المشددة(ءازرو، الحجر).

(79) جميل الحمداوي، المدخل للكتابة الأمازيغية، ص5 .

(80) تاريخ المغرب الكبير، ج 1، ص 67 .انظر ـــ د. محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير، مطبعة فضالة المحمدية، الطبعة الأولى، 1982م.

[81] المدخل للكتابة الأمازيغية ، ص12 .

[82] انظر: شابو (Chabot)، :1933. 145ـ146.

[83] انظر: مارسي ، 1932. كالون، 1966. سكونتي وآخرين 2001 .

[84] خالد أوبلا، تيفيناغ: التاريخ والمستقبل .

[85] م .س، ص 67 .

[86] محمد الزيتوني، ألأمازيغ وإشكالية الأصل، الحوار المتمدن-العـــدد: 4049 - 2013، 4، 1 - 10:46،

[87] تاريخ المغرب الكبير، ج 1، ص 18 .

[88] مجلة البصائر ، العدد 312 ، 1 أفريل 1955. انظر كتاب محمد علي دبـــوز والمـــنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، د محمد ناصر، ص 39 إلى 50 .

[89] أمنوكال هو مصطلح السلطان بالأمازيغية عند التوارق .

[90] حذفت هذا الملف نظرا لكبره، استنادا لحجم الورقة البحثية المحددة من قبل إدارة هـــذا الملتقى للأدب الأمازيغي في الجنوب. وهو ملف مهم جدا .بودي عدم حذفه .

[91] تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص53، 52، 51.

[92] م.س، ص53.

[93] م.س، ص53.

[94] م.س، ص54.

[95] م.س، ص54.

[96] م.س، ص52.

[97] مجلة البصائر ، العدد 312 ، 1 أفريل 1955 .

الحِسُّ الاجتماعي تجاه اللغة الأمازيغية المزابية وأهمية الحفاظ عليها ودور الباحثين للنهوض بها

أ. حمو علوان باسليمان
جامعة سطيف.
mezwar.tamella@gmail.com

1. نبذة عن المسار التاريخي للأمازيغية:

تعتبر اللغة الأمازيغية (tamaziγt) من اللغات النادرة التي استطاعت أن تواجه_عبر التاريخ_ تحديات الهيمنة اللغوية السائدة والتهميش الإقصائي لها، وهذا نظرا لقوة دلالة ألفاظها اللغوية وتأصيلها التاريخي الفريد في حياة الإنسان الأمازيغي . ورغم هذا فلم تسلم من التراجع وتأثّرها السلبي بالتغيرات المحيطة بها، لعدة أسباب تارة ترجع إلى الشعوب الناطقة بها لنقص التدوين بها (مثل المدوّنة الإباضية لأبي غانم الخرساني وعقيدة التوحيد التي ترجمها الشيخ عمرو بن جُمَيْع من اللسان الأمازيغي إلى العربي)، كما أن خسارة الدولة الرستمية لمكتبتها " المعصومة " (التي تضم أكثر من 30ألف مجلّدا) وحرقها على يد الفاطميّين لَتُعَدّ خسارة كبرى في التاريخ العلمي من كلّ النواحي: العلمية، الثقافية، الدينية، اللغوية الأمازيغية... حيث اندثرت فيها عشرات الآلاف من الكتب النّفيسة، فمن يدري لو وصلتنا تلك المكتبة لوجدنا فيها كتبا أمازيغية صرفة على غرار كتاب "عقيدة التوحيد" ولا استفدنا منها الشيء الكثير !

ومن جهة أخرى فقد تأثرت الأمازيغية في شمال إفريقيا عموما بلغة المحتلّين الوافدين والحكومات المتعاقبة أو الامبراطوريات التي مرّت عليها كلٌّ بلغتها (كالإغريقية، اللاتنية، التركية والفرنسية ...)[1]، والتي أخذت مكانتها _ على حساب اللغة الأم لتلك الشعوب ! _ سواء في التعليم وكذا التعاملات اليومية والوثائق الإدارية إلى غيرها من مجالات الحياة المختلفة ... كما أنه من البديهيات أن تتأثر أيضا بالعربية بعد دخول الأمازيغ في الإسلام نظرا للاحتكاك المباشر بها. كما وكانوا

السبّاقين الأوائل إلى اعتناقه عندما وصل إليهم، ومن الذين دافعوا على فكره ونشـــرِه في ربوع إفريقيا [2] .

ولكن رغم كل هذه الظروف والعراقيل فقد عقدت العزم مع أهلها أن تستمرّ وتكافح من أجل البقاء، فقد تعجّب العلماء والباحثون مشرقا ومغربا من هذا الأمـــر وأثـــارت فضولهم للبحث في سرّ بقائها إلى اليوم في حين أنها تزامن تواجدها مع عـــدة لغـــات عالمية آنذاك تعدّ اليوم من اللغات المندثرة، مثل اللاتنية !

فكلّ ما مرّ على اللغة الأمازيغية قديما وحديثا من ظـــروف قاســـية، ومـــع ذلـــك حافظت على استقرارها إلى حدّ بعيد، ولم تُحفظ كمفردات ومعاني فحسب، بل أيضـــا حافظت على التراكيب الصحيحة للجمل(taseddast)؛ التي لم تتغيّر ولم تتأثر باللغات المحيطة بها . مع أنه لا ينكر أحد تأثرها الواضح من ناحية المفردات الدخيلة، وهنـــا ننوّه أن اللغة العامّية أو ما يصطلح عليها بـــ" الدارجة "، والمنتشرة اليوم فـــي بـــلاد المغرب الكبير عموما هي لغة أمازيغية معرّبة بحتة، والكثير من كلماتهـــا المســـتعملة حتى اليوم هي أمازيغية، وتركيبها الجُملي كلّه يخضع لتركيب الجملة الأمازيغية ![3]

إذن فهذه هي الأمازيغية التي حافظت على كيانها طيلـــة قـــرون، بـــل تتوّعـــت وتفرعت منها إلى عشرات التنوعات الأمازيغية الأخرى؛ مثل: (tacawit, taqbaylit, taggargrent, tum□abt , tamacaqt[قبائل تيبـــازة]tacenwit , taznatit فـــي الجزائـــر)، و(tarifit , tacel□it n figgig) فـــي المغـــرب؛ و (tanfusit) بليبيـــا و(tajirbit) في تونس ... وعدّة مناطق أخرى في العالم [4] .

إن وجود اللسان المزابي الأمازيغي الذي يتفرع من (taznatit)[5] في بلاد الشـــبكة قديمٌ بقدم الإنسان الأمازيغي فيها، حتى رسّخ اسمه في تسمية واد مزاب التي أطلقـــت فيما بعد، بعدما كان يسمّى ببلاد الشبكة، والذي كان في ذلك الوقت مجتمعـــا خليطـــا من الأمازيغ تغلب عليه البطون الزناتية قبل أن يتشكّل التنوع المزابي المتفـــرع عنهـــا بالطريقة التي هو عليها اليوم. أمّا من ناحية التواجد فدليل ذلك هـــو وجـــود كهـــوف ومغارات للإنسان الأوّل بالمنطقـــة (مثـــل: كهـــف tizefrin) المتواجـــد بضـــواحي قصر"atbunur" والذي يؤرّخ إلى فترة العهد الحجري، وكـــذلك القصـــور القديمـــة المندثرة، التي تعود إلى فترات ما قبـــل المـــيلاد . (مثـــل: , "Aγerm n wadday"

(“Aγerm n tleẓdit” , “Aγerm n murky” , “aγerm n Babasse3d” ... إلى غيرها.. ثمّ أنشأت بعدها القصور المعروفة اليوم: “Aγerm n teğnint” , “Aγerm n tγerdayt” , “Aγerm n atbunur” , “Aγerm n atyezğen” , “Aγerm n atmličet” , “Aγerm n igraren” , “Aγerm n Bergan” , “Aγerm n warjlen” , “Aγerm n ḍḍayet” , “Aγerm n umetlili” .

كما أن النقوش الصخرية المنتشرة في مختلف منـــاطق واد مـــزاب بـــلا اســـتثناء نجدها ممثَّـــلة في حروف التيفيناغ ورسومات الحيوانات وبعـــض الوســـائل والآلات المستعملة التي تدلّ على آثار الإنسان الأول[6] والـــديانات الســـماوية التـــي اعتنقهـــا الزناتيون على مرّ التاريخ . ومن الأدلّة الواقعية على هذا هو وجود بعض الرموز في النسيج التقليدي وزربية مزاب المحلية إلى اليوم، والتي ترجع لتلك الحقبة التاريخيـــة . مثل احتوائها على رمز الأفعى مرسوما بنفس طريقة الكتابة الهيروغليفيـــة للفراعنـــة وكذلك وجود النجمة السداسية لسيّدنا داوود عليه السلام . أيضا بعض الأهازيج القديمة جدا مثل أهزوجة "kreḍ amzur" التي نجد في معانيها تتحدث علـــى ديانـــة ســـيدنا عيسى عليه السلام [7]، وكل هذا يدلّ على عراقة الإنسان الزناتي وأنه وصـــلته تلـــك الديانات وعاصَر تلك الحضارات وتأثرت ثقافته بها .

لذا فاللسان المزابي قد مرّ بمراحل تكوين متعددة في إطار زناتية أمازيغ الجنـــوب . وعاش فترات قديمة مختلفة حتى تكوَّن بهذه الطريقة اليوم، ووصل إلينا كإرث عريق يجب علينا المحافظة عليه .

2. أهمّية اللسان المزابي وعلاقته بالتنوعات الأمازيغية الأخرى:

إن أهمّية لغة مّا تكمن في قدرتها على مسايرة الحياة اليومية للإنسان وقـــدرة ذلـــك الإنسان على التعبير بها بالوجه الصحيح من خلال تراكيب لغويـــة ســـليمة ومفـــردات وأسماء يعبّر بها ويتواصل بها مع الآخرين، وكذا القدرة على التعبير بالأمثال والحكـــم للاستغناء عن الكلام الواسع الفضفاض . وهذا ما يتميّز به اللسان المزابي. وهو كثـــرة الأمثال فيه، حيث جمع الباحث المرحوم: عبد الرحمـــان حـــوّاش مـــا يزيـــد عـــن 2500مثلا مزابيا[8] . كما يشترك التنوع المزابي مع الأمازيغ في الكثير من الألفـــاظ

والتصورات البارزة من خلال أسماء الأشياء، مع أنه يتفرّد بعدة خصائص وإثـــراءات لغوية أخرى.

المفردات المشتركة: يشترك اللسان المزابي في كثير مـــن المعـــاني (lnamken) والمفردات (tiwalin) وحتى النحو (tağeṛṛumt) والتراكيب (taseddast) ... مع عديد التنوعات الأمازيغية.

وهنا ســـأورد عـــدّة مفـــردات مشـــتركة فـــي أغلـــب منـــاطق تامازغـــا (tamazγa)، مع اللسان المزابي:

(ixef – tiṭṭ – imi – fus – ḍar – fud – awal – tawalt – siwel – ini – susem – awi – awi–d – ṭṭeff – ecc – su – fad – laẓ – bedd – qim – iğur – tiniri – tamuṛt – tala – aman – aḍu – itri – yur – taziri – ass – ussan – iḍ – iḍan – tfuyt – tifawt – sulles – uṭṭun – amḍan –asiḍen – aṛa – taṛwa – tamettuḍt – arğaz – twacult – ameqqwran – ameẓẓan – amduččel – abaw – ibawen – aγṛum – aysum – iγes – alγem – tγaḍt – tafunast – uccen – atbir – tyaẓidt – aydi – ṃuc – aγerda – izi – talefsa...)

لذا، فهذه الكلمات ما هي إلا نماذج للاتحاد اللغوي والجذر المشترك ســـواء بـــين المزابية والتنوعات الأمازيغية الأخرى أو بين التنوعات نفسها، مما يدلّ على أن كـــلّ هذه التنوعات عموما من أصل واحد، ويمكن فهمها والتعامل فيما بينها بســـهولة عنـــد معرفة اللكنة الصوتية والحروف التي تتغيّر أو تتحوّل من تنوّع لآخـــر. ومثـــال ذلـــك هذه الحروف: "ğ , g y , " في هذه الكلمة:

- " ar**ğ**az": في تنوع "tumẓabt"بالجزائر .
- " ar**g**az": في تنوع"taqbaylit"، "tacawit"، "taggargrent"بالجزائر .
- " ar**y**az ": في تنوع "tacawit" بالجزائر، وتنـــوّع "tarifit" و"figig" بشـــمال المغرب.

دور اللغة المزابية في القاموس الأمازيغي العالمي:

لقد ساهمت اللغة المزابية في قاموس المفردات « amawal» الذي تمّ إنجازه في الثمانينات من طرف ثلّة من الأساتذة والباحثين الكبار من عدّة دول مغاربية ومنها الجزائر. حيث بحثوا في جذور وأصل الكثير من الكلمات والأسماء لعدّة تنوعات أمازيغية، ليستنبطوا ويستحدثوا منها مفردات جديدة، وهي الكلمات المتداولة اليوم والمستعملة غالبا كمصطلحات في مجالات الاقتصاد والسياسة والصحافة والوطن والرياضة ... باعتبارها لم تكن موجودة من قبل أو وجدت لكنها محصورة الاستعمال في المعنى الأوّل فقط.

وتفاديا للإطالة سأقدّم مثالا واحدا للاستدلال والتوضيح: فمثلا: أخذ الباحثون من اللسان المزابي كلمة: "aɣlan": والتي معناها الأصلي في اللغة المزابية هو الأرض المنخفضة بمحاذاة الوادي المحيط بسلسلة جبلية(9)، والتسمية طبعا يتطابق معناها على أغلب المناطق التي يسكنها بنو مزاب إلى اليوم، ثم بعدما كانوا يسافرون من أجل التجارة أصبحوا يطلقون« aɣlan » بمعنى الوطن أو الأرض التي يسكنونها. وبهذا توسّع مفهوم الكلمة .

لقد استعمل هؤلاء الباحثون الكلمة الأصلية "aɣlan" بنفس المفهوم وهو الوطن ثمّ أضافوا إليها – كما يوجد في العديد من اللغات الأخرى – السوابق واللواحق اللغوية، مثل: (in – tin – an – as – aw – ugw – ager ...)المعروفة لدى اللغويين لإنشاء الكلمات ولتكوّن معاني أخرى . لذا فأصبحت لدينا ثلاث كلمات جديدة، وهي كالتالي:

- كلمة :aɣlan: المتكونة من الكلمة الأصلية فقط (دون إضافات)، ومعناها: الوطن .
- كلمة :aɣeln**aw**: وتتكون من الكلمة الأصلية »« aɣlan والإضافة « aw »ومعناها: وَطنيّ.
- كلمة :**ager**aɣlan: وتتكون من جزأين:(ager+aɣlan)، ومعناها: بين الدول (أي خارج الوطن).

ثراء اللسان المزابي ثقافيا ولغويا :

إن اللسان المزابي قديما كان يزخر بمفردات ضخمة ومعاني جميلة، في الأمثـــال والحكم المتنوعة، والقصص والأساطير، والأشعار والأهازيج القديمـــة، والألعـــاب التقليدية، والنسيج التقليدي، واللباس، والأواني الفخارية، والوسائل المســـتعملة فـــي حفر الآبار، والاهتمام بالزراعة والنبات وخصوصا النخلة، وكذا الهندسة المعماريـــة المزابية، ... إلخ . فكانت هذه الوسائل وعاءً لحفظ كمٍّ هائل مـــن الكلمـــات العتيقـــة الضاربة في التاريخ، ويمكن من خلالها أن نستنتج حتى نمط العيش وعهد تلك الفتـــرة بالتقريب ! (10)

كما تجدر الإشارة أن الكثير من المفردات المزابية لا توجد في اللغات الأمازيغيـــة الأخرى، لاسيما أمازيغ الشمال . وهذا لسببين منطقيين :

الأول: نظرا للطبيعة الجغرافية القاسية للمنطقة والتي طوّر المزابيـــون حضـــارتهم وفقها، فتأقلموا معها ماديا ومعنويا، رغم قساوتها وظروف العـــيش الصـــعبة التـــي كابدوها على مختلف المراحل التاريخية، منذ العصور القديمة مرورا بـــالرّعي، ثـــم الزراعة، ثم التجارة، ثم الاهتمام العلمي في عصر المعلوماتية إلى يومنا هذا.

والثاني: فلأنّ المجتمع المزابي كان كثير الاعتماد على نفسه وعلى طاقته البشـــرية الدّاخلية؛ لذا نجد أغلب حاجياته ينتجها محليا؛ وبمواد محلية خالصـــة ولا يلجـــأ إلـــى غيرها إلاّ عند الضرورة القصوى . وكما هو معروف عنه أو كما يقول عنه مالك بـــن نبي أنه مجتمع منفتح داخليا . وما دام أن المنتوج محلي فأمر بديهيّ أن تكون التســـمية أيضا بنت المنطقة. وهذه المسميات والكلمات شملت شتى نواحي حياة الفرد المزابـــي، مثل مسميات وسائل حفر الآبار واستخراج المياه(ağbad) بجهد الإنسان أو باســـتعمال الدّواب . أيضا وسائل الزراعة وأنواع النباتات (11) وكل أجزائها الدقيقة والصـــغيرة سواء من حيث المواد أم الوسائل؛ وبحكم الطبيعة الصحراوية للمنطقة فقد برعـــوا فـــي اهتمامهم بالنخلة وتطويرها (كاهتمام أمازيغ الشمال بـــالزيتون وتفاصـــيله)، وكـــذا تفننهم الشديد في خدمتها والحفاظ عليها وتسمية التفاصيل المتعلقة بها، وكذا إنتاج عشرات بل ما يفوق المائة نوع من التمور (ما بين أصليّ وغير أصليّ)، مـــع دراسة خصائص كل واحدة منها ومشاكلها واحتياجاتها ووقت تأبيرها وجنيهـــا وو ...

إلخ . فكل هذه الجوانب الحيوية في النخلة حافظوا على أسمائها وأبدعوا فيها . وأيضا القاموس المحلي الغني بالكلمات المتداولة في الصناعات التقليدية وخاصة النسيج التقليدي المزابي (aẓetta) وما يتعلّق به من أشكال وفسيفساء (lebtaxi , tiqeddisin) ودقّة في تسمية ألوانها، حيث أبدعوا في التسميات في كل المراحل التي يمرّ بها النسيج، ابتداءً من مرحلة استخلاص الصوف أو الوبر أو الجلد من الحيوانات إلى آخر مرحلة موجّهة للاستهلاك في النسج أو اللباس أو الفراش أو بعض الأوعية ... وكذا تفرّدهم بالهندسة المعمارية المحلية وترويضها حسب جغرافيا المنطقة . فكل هذه المنتجات والوسائل بأجزائها لها أسماء معروفة ومتداولة إلى اليوم، وجلّها لا يوجد في التنوعات الأمازيغية الأخرى .لأنها نشأت في ظروف خاصة بمنطقة مزاب فقط .

وكمثال لبعض المسميات التي لها علاقة بالنخلة؛ نذكر :

(tazdayt – akercuc – aγṛuṛ –tmaleft– tuffa – tiseqqest – tifezγelt – tareṭṭa – ta3eddaft – taḥğuṛt – taγda – tizit – tadra– tasiseft – tafetfatt – san – aziwa – tazrirayt – tamenziwt – amersiḍ–taqqa – barir – ağğal – tazeddit – taxriḍt – teyni – taγiwt – adaw – alebbuz–ağerḍum – amlaw – uččiḍ – ubṛim – tazerzayt – akerbuc – tdalt – tineṭbuct – taysibbi – kaza–n–baza – bağu – aṛebbeb – taγṛaṛt – ilis – imidi – tmutit – inerčeb – čal … etc)

فعندما نرى كلّ هذا النتاج الفكري الواسع، فإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على بُعد النظر لدى الأجداد القدامى في الاهتمام بمكتسباتهم الاجتماعية والثقافية والفكرية وتعزيزها بناءً من ذواتهم، وحرصهم على الإنتاج الذي يساهم في حفظ اللغة وتطوّرها انطلاقا من ثقافتهم المحلية الأصيلة، فلم يستوردوا نموذجا دخيلا، لا ماديا ولا فكريا [12]، ولعلّ إعجاب المفكرين الوطنيين والأجانب وبحوثهم حول هذه التجربة الاجتماعية الفريدة واعتبارهم إياها كنموذج فعّال للمجتمع المتكامل لهو أحسن دليل على هذا.

الأعلام المحلية الذين ساهموا بأقلامهم في تدوين التراث الشفوي لـ مزاب:

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على مزاب كوكبة من الباحثين، الذين ولو قلّ عددهم إلا أنهم متضلّعين في اللسان الأمازيغي عموما والمزابي خصوصا وبذلوا مجهودات معتبرة في سبيل إحياء اللغة وتراث المنطقة من جديد، وكذا حفظه من التدنيس والتحريف ومن نسبه إلى غير أصحابه، حيث أنقذوا تراث المنطقة من خطر وشيك تدخل في عدّة أقسام من التراث خاصّة اللامادّي . لذا فتنقسم أنواع الأعمال لهؤلاء الباحثين إلى قسمين: أعمال وبحوث فردية أي قام بها باحثون بمفردهم، وأعمال جماعية كبيرة. وبين هذا وذاك سنحاول ذكرهم وإنتاجاتهم الفكرية في المجال وكذا بحوثهم المخطوطة إن وجدت:

الأستاذ المرحوم عبد الرحمان حواش: كانت له حصص إذاعية قيّمة، في مواضيع مختلفة، وكانت تحت عنوان: « Iles–neγ »، ثم أنتجها فيما بعد على شكل سلسلة من الأقراص المضغوطة حملت نفس العنوان . كما أن له عدّة أعمال وبحوث مخطوطة، لم تر النور بعد . كما ساهم في إنشاء أكبر قاموس مزابي–فرنسي رفقة كوكبة من الأساتذة والباحثين . توفّي رحمه الله إثر مرضٍ ألزمه الفراش، وذلك في 16أفريل2017م . ورحل منّا، وترك صمتا رهيبا وثراثا مهيبا في أوساط المجتمع . نأمل من الشباب البحث في هذا التراث وإصداره، ليستفيد منه الجميع .

الأستاذ الباحث ابراهيم عبد السلام: من أبرز مؤلّفاته كتاب قواعد الكتابة والنحو للغة المزابية . وكذا ساهم في إنشاء وإصدار القاموس المزابي–الفرنسي السابق الذكر مع مجموعة من الباحثين . كما لديه عدّة بحوث قيّمة مخطوطة، نطلب من المولى له التوفيق والسداد لإصدار تلك البحوث . كما كان عضوا للجنة المختصة بمناهج اللغة الأمازيغية (CSD) غداة إقرار الحكومة لها لغة وطنية لتدرّس . وذلك لمدة ثماني سنوات (من 1996م إلى 2004م) .

الأستاذ الباحث عبد الوهاب فخار :_هو أوّل أستاذ درّس مادة الأدب المزابي في وادي مزاب . ابتداء من سنة 1986م [13] إلى يومنا هذا، و له عدة مؤلفات ودواوين شعرية، منها: , imeṭṭawenizeggwaγen , imeṭṭawen n lferḥ

taydert n weγlan , tislselt n wureγ . وله حصّة بإذاعة taγerdayt الجهويــة موسومة بعنوان: « idurran n wussan » .

<u>الأستاذ الباحث صالح تيريشين:</u> ومن أبرز مؤلفاته الأمازيغية ديــوان الشــعر ul– inu بالمزابية والعربية والفرنسية. وله عدة أعمال أخرى مخطوطة نسأل الله تعالى لــه التوفيق لطباعتها . كمــا أن لـــه حصـــة ثراثيـــة فـــي الإذاعـــة المحليـــة بعنـــوان: « izelwanwatuṛat » .

<u>الأستاذ الباحث نوح أحمد مفنون:</u> ساهم في إنشاء القـــاموس المزابـــي–الفرنســـي المذكور سابقا برفقة مجموعة من الأساتذة والباحثين . كما له عـــدة بحـــوث أخـــرى مخطوطة، منها مخطوط رائع وفريد، والأول من نوعه في مزاب، حـــول نباتـــات المنطقة وأنواعها بالأمازيغية مرفقا بأسمائها العلمية . ومخطوط آخر حـــول صـــناعة الصوف بواد مزاب والنسيج التقليدي . إلا أن المرض أنهكه فلم ترَالنور بعد. نرجو له الشفاء العاجل ليواصل مسيرته القيّمة في سبيل خدمة ثراث المنطقة.

<u>الدكتور نوح عبد الله:</u> دكتور جامعي في القانون وله دكتوراه في الأمازيغيـــة مـــن جامعة تيزي وزّو، وقد قضى عدة سنوات من بحوثه فيها باحثا ومكافحا في تـــدريس التنوع المزابي . كما أنه عضو في المحافظة السامية للأمازيغية . له مؤلّف بعنـــوان: " قاموس المفردات المشتركة بين المزابية والقبائلية ".

- **<u>الأستاذ المرحوم محمد كحل–عينو :</u>** مهتم وباحث في اللسان المزابي، له كتاب حول القواعد بعنوانTajeṛṛumt n tmaziγt » . :« tumẓabt، وترك قاموسا "مزابي–فرنسي" مهمّا، لا يزال مخطوطا نأمل أن يرى النور ويطبع لتثرى به المكتبة الأمازيغية .

- **<u>الأستاذ مجاهد يحي:</u>** مهتم باللسان والتراث المزابي . ومن الأوائل الذين تلقّوا تكوينا في الأمازيغية للتدريس بها عند اعتماد الأمازيغية لغة وطنية بالتنسيق مع وزارة التربية والمحافظة السامية للأمازيغية، فتحصل منها على شهادة التدريس . كما أنه كان عضوا هاما في المحافظة (HCA) بجانب الدكتور الجامعي عبد الله نوح .

<u>الأستاذ الباحث يوسف لعساكر:</u> هو شاعر له العديد من القصـــائد، كمـــا عـــرف بترجمته إلياذة الجزائر –لمفدي زكرياء– إلى اللسان المزابي . وكـــذا مهـــتم باللســـان

والأدب . وضع محاولات في أوزان الشعر المزابي، كما له كتـــاب فـــي أنثولوجيـــا الأدب المزابي، تحت عنوان : '' Idurran n tsekla''. أيضـــا لـــه عـــدة بـــرامج وحصص إذاعية ينشطّها عبر أثير الإذاعة، شارك في عديد الأنشـــطة الأدبيـــة ولـــه إسهامات في عدة ملتقيات وتظاهرات ثقافية وأمازيغية محليا ووطنيا .

الأستاذ الشاعر والمنشد عمر بوسعده: شاعر ومنشد وملحّن بامتيـــاز، أصـــدر زهاء عشر(10) ألبومات إنشادية رائعة وراقية، داعب فيها الروح والوجدان التراثـــي الأصيل قبل الآذان . كما صدر له كتاب يجمع فيه العديد من قصائده وروائـــع أخـــرى متداولة في مزاب، تحت بعنوان: أحوّف ن وغـــلان '' Aḥewwef n weɣlan '' . كما صدر له تسجيل لقرص فريد من نوعه، وثّق من خلاله حول الأهازيج الطفوليـــة القديمة، حيث أصدرها بطابع مزابي أصيل كبديل لإعلام دخيل .

- **الأستاذ الشاعر مصطفى العلواني :** باحث في مجال الأدب والتراث المزابي .له عدة قصائد رائعة بالمزابية . كما صبّ اهتمامه في جمع الألعاب التقليدية ودراستها وإعادة إحيائها من جديد . له بحوث مخطوطة في ثراث مزاب حول النسيج، النخلة ّالألعاب التقليدية.. [14] .

- **الشاعر احمد الحاج يحي:** شاعر ومسرحي فكاهي في مجال المونولوچ، له أقراص فكاهية هادفة باللسان المزابي .

الأستاذبوكراع عمر: مهتم وباحث في التراث المزابي، له قاموس مزابي–فرنســـي في طور الإنجاز .

الأستاذ القدير ابراهيم حوّاش: ومحبوب الجماهير، وهو الفنّان الذي أحيا التمثيـــل الهادف باللغة الأم المزابية، وكرّس ثقافة الفائدة والفكاهة معا، ممزوجين فـــي قالـــب واحد، أفلامه يشاهدها الجميع لبساطة أسلوبه وتعقيده في آن واحد، فكلٌّ يجد ضـــالّته فيها . وكما هو معروف عنه أنه يستعمل التلميح والتعريض كثيرا في الرسائل التـــي يودّ تمريرها ولا يصرّح بها في طبق سائغ للمتفرجّين، بل يعطي لهم حريـــة التفكيـــر والفهم وفق ذواتهم . لقد أنتج الممثل إبراهيم عدة أعمال ســـنمائية قمـــة فـــي الروعـــة وسيناريوهات تعالج الواقع المعيش قبل كل شيء .

الأستاذة نوح عائشة : باحثة في المنتوجات التقليدية المحلية، حيث أصدرت عدة كتب حول التمر وتطوير استغلاله بطرق جديدة، كصنع العسل به وإضافته إلى الحلويات بدل السكر ... من كتبها: "فوائد عسل التمر" . نرجو التوفيق لها والمزيد من الأعمال في المنتوجات التقليدية وغيرها.

الشاعر الفكاهي بلحاج بلعديس: مهتم بالشعر الفكاهي المحلّي بمزيج بين اللغتين المزابية والدارجة . له كتيّب أسماه: "بعض القصائد الفكاهية من ديوان الشعر الملحون" (بالمزابية والدارجة) .

مؤسسة موستاكس: هي مؤسسة تجارية مهتمة بالنسيج ولوازمه، أصدرت كتابا نفيسا تجمع فيه أغلب أشكال النسيج التقليدي (lebtaxi – lbetxat).

* وكما يجب التنويه إلى طبقة فتيّة مهمة من الشباب الجدد الذين حاولوا الإنتاج والتدوين، وقاموا بخطوات شجاعة ورائعة في مجال حفظ التراث الشفوي وتدوينه وخاصة منه ما يتعلق بالقصص والأساطير والأمثال والحكم والألعاب التقليدية وخاصة الشِّعر ...

وسنذكر هنا عدة كتب صدرت مؤخّرا في هذا المجال لأجل الإثراء وتثمين جهود أصحابها :

– الأخت الكريمة قرقر سعيدة بنت الحاج صالح: شاعرة مزابية، مهتمة بالتراث المزابي، صدر لها كتاب الأول من نوعه بعنوان: « lwalen s ul–inu » . في ديسمبر 2015 . نرجو لها التوفيق للمزيد .

– السيّدة الكريمة مقنين فلّه بنت مصطفى: شاعرة باللسان المزابي، ومهتمّة بالتقاليد والتراث المزابي. أصدرت ديوانا شعريا عنوانه « tawenğimtyersin » في السداسي الأول من عام 2017 .

– الأخ الفاضل حفار محمد بن ابراهيم: طالب جامعي وشاعر، مهتم بالتراث والأدب المزابي، ويبدو أنه أول من أصدر مؤلفا باللسان المزابي حول تراث المنطقة في هذا العُمرِ الفَتيّ ! أطلق على هذا المولود الجميل اسم « tawenza n tesslet » . نرجو له مزيدا من الأعمال وفقه الله .

– الأستاذان الباحثان: علوان باسليمان حمو بن محمد، والأخ عبد السلام إليـاس: مهتمان بالبحث في الأدب المزابي والتراث عموما . أصدرا كتابا جديدا في هذه الأيـام من نشر دار نزهة الألباب، ويهتم بتعليم حروف التيفيناغ للمبتدئين، كبـارا كـانوا أو صغارا، حيث رعيا فيه إدراج كلمات مزابية بسيطة مع تمثيلهـا بصـور كارتونيـة مشوقة تجذب إليها المطالع الصغير خاصة . كما أن لكلّ من الأستاذين بحوثا خاصـة مخطوطة في طور الإنجاز، نأمل أن ترى النور قريبا .

سرُّ التدريس باللغة الأم وما أدراك ما اللغة الأم :

ماذا يقصد باللغة الأم ؟ للغة الأم العديد من التعريفات منها: "أن اللغة الأم هي اللغة التي يفكر بها الإنسان ويحلم بها".

وتعرّف اللغة الأم غالبا بأنها:"اللغة التي تعلمها الشخص في حياته أولا".

أهميّة اللغة الأم: من الأسباب المهمة لتشجيع التعدد اللغوي في ريـاض الأطفـال والمدارس، هي أن اللغة تعتبر أهم أداة لتمرير أو تلقي المعرفة حول العالم.وهنا يكمـن الدور الرئيسي للغة الأم في التحصيل، لأننا نتعلم باللغة التي نفهمها أفضل مـن اللغـة الجديدة علينا.واللغة الأم هي أيضا مهمة لهوية الأطفال والاهتمام ودعم التعددية اللغوية المكتسبة من قبل لدى الأطفال والطلاب، والتي ستجعلهم يشـعرون بـأن تجـاربهم السابقة هي ذات قيمة، فتكون كذلك حافزا لهم في مسيرتهم التعليميةالمستقبلية(15).

دراسات مهمة حول اللغة الأم: إن ما توصلت إليه الدراسات حول أهميـة التعلـيم الأولي باللغة الأم لهو شيء لا يتصوّر، وما تحدثت عنه في التحسّـن الواضـح فـي مستويات التعليم انطلاقا من الحضانة والتحضيري فالابتدائي، حيث تعتبـر المراحـل المهمة والخطيرة والحساسة التي يجب مزاولة تعليمها باللغة الأم . ولا يعقـل أن مـا تعلّموه خلال سنوات الطفولة الأولى، يُأخَذ هذا الرصـيد اللغـوي مـن لغـتهم الأم ويُضرَب عرض الحائط من أجل لغـة أخـرى جديـدة علـيهم ثـم يبـدؤون مـن الصفر!والمشكلة العويصة هي أن التلميذ وقتها سوف يقوم بجهد مضـاعف فـي كـل معلومة يتلقاها. الأول من أجل فهم اللغة الجديدة عليه والثاني من أجـل فهـم الكفـاءة التربوية التي هو بصدد دراستها!! وبهذا بالضبط يحصل التأخر الدراسي(16) . ومـن جهة أخرى نحن نقوم بإعطاء رسالة مباشرة للتلميذ أن ما بذله من جهد تجاه تلك اللغـة

(اللغة الأم) ما كان ينبغي لأنها غير مهمة ففي نهاية المطاف ستدرس وتعيش أهم مراحلك العمرية بلغة أخرى!! فتحصل المفارقة وكره اللغة الأم، ولهذا السبب نجد أغلب الأطفال مهما كانوا على المستوى المحلي والعالمي ومهما كانت لغات أمهم أنهم يتخلون وينسون بسهولة لغة أمهم، بعد تعلّمهم اللغة الجديدة، وهذا منطقي لأننا نشعرهم عن طريق غير مباشر أنه توجد لغة أفضل يقع عليها الاهتمام وليس لغة الأم!

وقد أظهرت دراسة أجريت لمدة ثلاث سنوات قام بها جيا وأرونسون على عشرة(10) أطفال صينيين تتراوح أعمارهم بين 5 و16 عام أنهم سرعان ما نسوا لغة أمهم عند انتقالهم إلى محيط إنجليزي يدرسون فيه اللغة الإنجليزية، التي اهتم بها مقارنة بلغتهم الأم التي لا تكاد تذكر، وأهملت أصلا ![17]

يعتقد الكثير من الناس أن تعلّم الأطفال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو حتى العربية (لغير ناطقيها) في سن مبكرة له تأثير إيجابي على تحصيلهم الدراسي المستقبلي، لكن يحدث عكس ذلك تماما، وهذا ما أظهرته عدة دراسات حول الأهمية البالغةلتعلم الطفل اللغة الأم أوّلا قبل الشروع في تعلمه أي لغة .كماأشارت دراسة إلى أن قيام المدارس في المملكة العربية السعودية بوضع أطفالهم الصغار في برامج الطفولة المبكرة دون دعم من اللغة الأم له آثار سلبية عليهم. وأكدت دراسة أخرى أن تعلم الأطفال للغتهم الأم من شأنه أن يساعدهم في بناء الأساس الأكاديمي الذي سيسهم في نجاحهم الدراسي والمهني في المستقبل[18].

وفي نفس السياق، يقول أشرف العريان (أخصائي نفسي) إن هناك عدداً من العوامل التي تؤدي إلى نسيان الأطفال اللغة الأم أو المحافظة عليها . فقد استعرض الباحث "فيرهوفن" مجموعة من الدراسات السابقة وتوصل إلى أنه إذا كانت النظرة إلى اللغة الأم مرموقة، ولها مكانة في المجتمع، لن يكون لتعلم اللغة الأجنبية آثار سلبية ولكن إذا كانت نظرة دونية هنا يحدث نسيان لها. وأشار كروفورد إلى أن نسيان اللغة الأم لا يفرض من الخارج، بل من تغيرات داخلية في الجماعة التي تتحدث تلك اللغة[19].

ومرة أخرى تؤكد دراسة مالية أجرت تجربة على أقسام نموذجية لمجموعة من التلاميذ يدرسون بلغتهم الأم(Bambara) في السنوات الأولى من تعليمهم، ثم يدرسون بعدها اللغة الفرنسية كلغة ثانية. ومجموعة أخرى من التلاميذ يدرسون بالفرنسية. فوجدوا فرقا شاسعا بين التلاميذ الذين بدأوا الدراسة باللغة الأم حيث تفوقت علاماتهم وظهر فيهم الانسجام الفكري. أما من ناحية مستوى تعلم اللغة الفرنسية فوجدوا أن لهم نفس المستوى فيها مع التلاميذ الذي يفترض بهم أن يكونوا في مستوى أعلى لأنهم درسوا الفرنسية سنوات أكثر. ولكن ذلك لم يحدث بل كانت لهم مشكلات أخرى مع اللغة الأم [20].

ومن هنا نجد أنه كان لزاما علينا كجزائريين أن نأخذ بعين الاعتبار هذه التجارب والدراسات من أجل الرفع بمردودية المستوى التعليمي في بلادنا بدل التخبط في الحلول الترقيعية المستمرة .

وهنا تجدر الإشارة إلى تصريح معالي وزيرة التربية الوطنية الحالية "نورية بن غبريت" في السنوات الأخيرة الماضية بضرورة الرجوع إلى التدريس باللغة الأم، لما لها من أثر واضح في التحصيل العلمي. لكن للأسف الشديد لقي هذا التصريح استنكارا في الوسط الشعبي الجزائري! ووُجّه في مسارٍ غير مساره!ولكنه رغم هذا يبقى واقعا مريرا يحتاج إلى علاج في أقرب الآجال لاستدراك ما فات.

اشكالية اعتماد الحرف لكتابة الأمازيغية:

لقد اختارت الدول التي اعتمدت الأمازيغية كلغة رسمية ولها مقرر للتدريس، كل دولة اختارت الحرف الذي تراه مناسبا لها، وكما يعلم الجميع أن أغلب إن لم يكن كلّ هذه الاختيارات، لا تخلو من جانب سياسي، ولو كانت اختيارات منطقية تقنية لكان اختيارا موحّدا على الأقل في دول المغرب الكبير من أجل الترقية بالأمازيغية. ولكن لا نجد هذا في الميدان، فعلى غرار دولة ليبيا الشقيقة التي تمزج بين الحرفين العربي والتيفيناغ، نجد أن المغرب اعتمدت حرف التيفيناغ كحرف أساسي يكتب به كل شيء أمازيغي! وبين هذا وذاك تركت الجزائر الحروف الثلاثة (العربية واللاتنية والتيفيناغ) كلها في الساحة التعليمية، وفضلت العمل بمبدإ الحرية في اختيار الحرف، فلم تفصل بعد في أمر أي الحروف أجدى لكتابة الأمازيغية.

أما من الناحية الواقعية والتقنية فنجد الباحثين والأكاديميين قد حسموا الأمــر عــن طريق غير مباشر، حيث نجد أكثر من 90% من الكتابــات والدراســات والبحــوث الأكاديمية وغيرها من المؤلفات كتبت بالحرف اللاتينـــي المســـمّى « tam3emrit » والذي أجمع عليه الباحثون والتقنيون بصفة شبه كليــة وحتـــى المختصّــين مــن دول الجوار، على أنه الحرف الأجدى والأنسب والأصلح لكتابة الأمازيغية رغبة منهم في طيّ المراحل التطويرية التي يمكن أن تمسّ الحروف الأخــرى لإخضـــاعها لقواعــد الأمازيغية. فكان اختيارهم تقنيا بحتابعيدا عن الاختيــار السياســـي أو الــذي يفرضــه العرف والعاطفة، مما قد يعيق مسار تنميتها.

أما من ناحية القول الفصل في الموضوع، فأكيد أنه يعوزه التــدخّل السياســـي أو الحكومي، الذي من خلاله فإننا نهيب بالدولة الجزائرية أن تُقِرَّ الحرف الأنســب وذو الفائدة للغة الأمازيغية لطيّ المراحل وعدم التخبط مرة أخرى في إشكاليات وسفاســف تتيح فرصة تعكير الصفو ممّن ليس أهلا للغة ولا البحث فيها فضلا عن توجيه الأمور إلى غير مسارها العلمي.

توصيات الملتقى:

إنه لمن الرائع فعلا أن تتم هكذا ملتقيات لتلاقح الآراء وتبادل الأفكار، خاصة فـــي المجال الأمازيغي وبتنوّعه المحلي المزابي أيضا، الذي عانى(ولا يزال) من التهمــيش والشفوية فترة طويلة من الزمن، مما جعلته عرضة للتزييف أو الاندثار. فبعــد هــذا العرض المتواضع نختم الملتقى باقتراح توصيات هامة نأمل أن تــرى تجســيدا فـــي الواقع، وهذا يدخل في إطار سياسة الدولة في ترقية اللغة الأمازيغية بشـــتى فروعهــا وأيضا المساهمة في لمّ الشّمل الأمازيغي الذي أنهكه الشتات...

- ضرورة عقد رابطات للأدباء والشعراء ولكل المهتمين والمؤلفين فـــي مجـــال الأدب الأمازيغي في كافة تامازغا أو على الأقل داخل الجزائر، مــن أجــل تنســيق الجهود وتشجيع الإنتاج والتأليف باللغة الأمازيغية، وكل هذا تمهيدا لتوحيد اســتحداث الكلمات الجديدة من عام لآخر تجنبا لفوضى الاستحداث المصطلحاتي، والذي يجــب أن يراعى فيه القواعد والمعايير التقنية الصحيحة لاستخراج الكلمات مثــل ضـــرورة اعتمادها على جذر لغوي صحيح أو التسمية على أساس الوظيفة المنوطة بها...إلخ.

•عقد ندوات ومحاضرات وأيام دراسية (خاصة في مناطق الجنــوب الجزائــري وأخص بالذكر ولاية تاغردايت) من حين لآخر من أجل تحســيس المجتمــع بأهميــة الثروة الثقافية التنوعية في الجزائر التي تعتبر من روافد الفكر الإنساني ويجــب علينــا الحفاظ عليها وتنميتها.

•نظرا لأهمية التعامل مع اللغة الأم كما تقدّم، فإننا نُشيد بالمختصّين من محافظــة سامية للأمازيغية ومن وزارة التربية، وكل الأساتذة والمهتمــين، بضــرورة تنميــة التنوّع الأمازيغي لكلّ منطقة ثقافيا وتربويا، فلنحذر أن نجعل من الأمازيغية المعيارية مادة أجنبية ثانية أو ثالثة للتلميذ(خاصة في الابتدائي) بَدَلَ أن يدرس ويتعمّق فــي لغتــه الأم! فنكونَ فقدنا الهدف الأسمى من اللغة الأم ومن ترسيم الأمازيغية عموما. لذا فكان على الوزارة من الأولوية بمكان أن تُنصّب أســاتذة الأمازيغيــة بحســب تنوعــاتهم الأمازيغية في المناطق التي يتحدثون ذلك التنوع تجنّبا للسقوط في مشكل اللغة الأجنبية الأخرى !! خاصة في المستوى الابتدائي.

•ضرورة دعم المؤلفين في مجال الأدب الأمازيغي، حيث يجدون صعوبة بالغــة في طبع وتوزيع ونشر منتوجاتهم الأدبية، وكذا تمكينهم من بطاقة الفنان، ليكون لديــه الدعم اللازم.

وفي الأخير أشكركم وبارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هوامش الدراسة:

(1)– Khadiğa sa3ed :Amawal (tamaziγt–ta3rabt), tira Edition , 2013 , p 07 .

(2)– ومن الجدير بالذكر أن الإسلام أتي بالدّين والقرآن، وليس ليجتثّ جذور النـــاس وتقاليـــدهم بل العكس تماما ورد في القرآن الكريم وهو احترام الإنسان وتنوع اللغات والثقافـــات. لكـــن للأسف نشأت فكرة استعمارية بديلة وألصقت بالإسلام فشوّهته حيث اختيـــرت بـــذكاء بـــالغ وبالتالي فسيقبلها المستقبلون بصدر رحب ولا يرفضونها ما دام أنها تحمل عاطفة الإسلام! ألا وهي فكرة القومية العربية التي حرّفت كلّ شيء قسرا في سبيل تقميص المغرب الكبير قميص العروبة، كما وجدت من يروّج لها من الداخل حتّى نجحت. وتزامن هذا مع انتشار الحركات التحررية واستقلال بعض الدول فيه آنذاك، بعدما أحسّ المحتلّون بشراسة مواجهة أصـــحاب الأرض.. فكأنه تمّت مقايضة حرية بلاد الأمازيغ باستعمار خَفِيّ دُسّ فيها بالمقابل !!فاشتدّت القومية حتى جُعِل منها قرينة للتأسلم الشريف! المبني على تعريب كـــل مكتســـبات الشـــمال الإفريقي، الموصول بالفخر للانتماء العُروبي وعقلية سلالة الأشراف ! وبالتالي ذريعة باسم الإسلام والدين لمحاربة عادات شعوب شمال إفريقيا وتقاليدها وتراثها الثقافي ومسح هـــويّتهم من أساسها.. تبريرالاستعمارها أو لاحتمال استعمارها من جديد!وبعدها طبعا ينشأ جيـــل دون أصول ولا انتماء حقيقي وتاريخ أمجاده مغيّب . فكيف سيبني حضارته ؟! لذا فلا يكـــون إلا مستهلكا، فلا يستطيع الإنتاج ولا النهوض يوما مّا ! وللأسف هذه هي حال مغربنا الكبير إلى اليوم !

(3)– الأستاذ الباحث ابراهيم عبد السلام، بحث مخطوط حول تاريخ اللغة الأمازيغية .

(4)– الأستاذ الباحث ابراهيم عبد السلام، المرجع السابق .

(5)– الأستاذان: ابراهيم وبكير عبد السلام، " الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغـــة المزابيـــة " – الجزء الأول –، المطبعة العربية، 1996م، ص 04 .

(6)– الموقع الإلكتروني لديوان حماية وترقية سهل واد مزاب OPVM .

(7)– يوسف قاسم لعساكر، أنثولوجيا الأدب المزابي « Idurran n tsekla »، الطبعة الأولـــى 2011م، ص 07 .

(8)– يوسف قاسم لعساكر، المرجع السابق، ص 17 .

(9)– الأستاذ الباحث: ابراهيم عبد السلام: بحث مخطوط حول الألفاظ المزابية القديمة .

(10)– الأستاذ الباحث: ابراهيم عبد السلام، مخطوطٍ لدراسةٍ تحليليةٍ في الأمثالِ والحكمِ المزابيةِ .

(11)– وتجدر الإشارة إلى مجهود الأستاذ الباحث: باحمد الحاج محمّد نوح مفنون، في مخطـــوط جمع فيه أنواع نباتات منطقة مزاب مع أسمائها الأمازيغية والعلمية في كتاب مخطوط، إلا أن

المرض حال بينه وبين إخراج هذا المخطوط الثمين. فنرجو من الله تعالى أن يعجّل بشـــفائه لمواصلة المشوار الثقافي .

(12)– إن هذا الثراء والاهتمام اللغوي لم يقتصر على الجانب الإنتاجي المادي فحسب، بل شـــمل عدة مجالات، بما فيها الإنتاج الثقافي الدّيني، حيث كتبت أول وثيقة تاريخية بـــواد مـــزاب باللسان المزابي حول نظام حلقة العزابة، والتي يعود تاريخها إلىحوالي 700 هـــ، 1300 م.

(13)– الأستاذ الشـــاعر: عبـــد الوهـــاب حمـــو فخـــار، « tiselselt n wureγ , almad n tmaziγt tumẓabt » (تعلّـــم اللغـــة الأمازيغيـــة وآدابهـــا بالمزابيـــة)، الجـــزء الأول نوفمبر2015، ص 11 .

(14)– يوسف قاسم لعساكر، المرجع السابق، ص 88 .

(15)– الأستاذ محمد مليوي، موقع "http://morsmal.no "، (بتصرف)، نوفمبر 2011م .

(16)– مقابلة فكرية مع الأستاذ الباحث: ابراهيم عبد السلام .

(17)– لكبيرة التونسي، موقع "http://www.alittihad.ae" (بتصـــرف)، نشـــر: 19 ســـبتمبر 2010م .

(18)– لكبيرة التونسي، المصدر السابق.

(19)– لكبيرة التونسي، المصدر السابق.

(20)– لأستاذ ابراهيم عبد السلام، بحث في أهمية الدراسة باللغة الأم .

تعدد المستويات في حكاية فافة تانجيمت المزابية

د. كريمة رقاب
كلية الآداب، جامعة غرداية
begag84@gmail.com

الملخص:

تندرج حكاية فافه تانجيمت الشعبية ضمن أدب الطفل الأمازيغي، تحديدا المزابي، وهي حكاية شعبية مليئة بالخيال والخرافة والرمز، والقيم التربوية والاجتماعية، تهدف إلى ترقية الشمائل النفسية والتربوية الرفيعة، وهي حكاية تمتزج فيها المستويات؛ الشيء الذي يجعل الدارس يجد صعوبة في تحديد نوعها فهي لا تسير على مستوى واحد، فمرة ذات مستوى واقعي، ومرة خرافي، ومرة رمزي، ومرة اجتماعي، ومرة تربوي، ومرة أنثربولوجي، ومرة أخرى تقاطبي وهي مستويات متداخلة في شبكة العلاقات السردية، ساهمت كثيرا في تشكل هذه الحكاية فنيا ودلاليا، وعليه سنحاول إبراز هذه المستويات من خلال المداخلة بالوقوف عندها؛ عن طريق الشرح والتحليل.

ورغم أن هذه الحكاية الشعبية موجهة إلى الطفل إلا أنها مليئة بالصور وبالأبعاد الدلالية التي تصقل وتنمي شخصيته .

تنتمي حكاية فافة تانجيمت الشعبية إلى أدب الطفل الأمازيغي تحديداً الميزابي[1]، وهي حكاية شعبية مليئة بالخيال والخرافة والعجائبية، والرمز والقيم التربوية والاجتماعية التي تميز الحياة الاجتماعية والحركة الأدبية والثقافية في إقليم غرداية.

ويلاحظ القارئ لأدب الطفل عامة طغيان عنصر الخيال فيه، باعتباره ملكة فطرية لابد من تطويرها "فتربية الخيال عند الأطفال تنمي مهارتهم الفنية والعلمية وتجعلهم ذوي إبداع ذاتي وتفكير خلاق"[2]، ويشترط في هذا الخيال أن يكون خيالاً بناءً، وهو ما يعتمده الخيال الأدبي في أدب الأطفال ويضم مستويات مختلفة منها:

قصص السحر والجن والأسطورة والخرافة والعجائبية و...، وهي مستويات عادة ما تتجلى بشكل جلي في القصص الشعبية الموجهة للطفل، هدفها ترقية الشمائل النفسية والتربوية العالية[3]، وتوجيه الطفل إلى إدراك عالمه الخارجي، وزرع القيم الفاضلة والنبيلة واختيار السلوك والتصرف الصحيحين في الحياة لتجنب الوقوع في الأخطاء من خلال سرد مصير الأشرار الوخيم.

والقارئ لحكاية فافة تانجيمت تستوقفه عدة مستويات تجعل الدارس يجد صعوبة في تحديد نوعها، فهي لا تسير على مستوى واحد، فمرة ذات مستوى واقعي ومرة ذات مستوى خرافي، وتارة أخرى ذات مستوى تربوي، وأخرى ذات مستوى انثربولوجي وهكذا.

فهي مستويات متداخلة في شبكة العلاقات السردية، ساهمت كثيراً في تشكل هذه الحكاية فنيا ودلاليا، وسنتطرق إلى هذه المستويات:

1- <u>المستوى الواقعي:</u>

تدور أحداث حكاية فافة تانجيمت حول فتاة يتيمة الأم، حسنة الأخلاق، تجيد حرفة نسيج الزرابي، فتنسج زربية جميلة يتهافت عليها الناس في سوق لالا عشو فتباع في شكل مزاد إلى أن يصل ثمنها إلى مبلغ عالٍ جداً، فيفرح الأب ويقرر أن يكافئ ابنته فيشتري لها فخذ لحم خروف، ويطلب من زوجته أن تطبخه كله لفافة كنوع من الجزاء الحسن لما صنعته يداها، فتغتاظ زوجة الأب وتشبع الفخذ ملحاً ثم تخفي كل الماء في البيت حتى تموت عطشا، وفي الليل تشعر الفتاة بالعطش الشديد فتخرج إلى الغابة بحثا عن الماء المفقود في المنزل، وهنا تبدأ عقدة الحكاية وتتوالى الأحداث.

إن المتلقي / الطفل لهذه المتوالية السردية يجدها أحداثاً مستمدة من الواقع المعيش ماضيا وحاضراً؛ وقد زاد من واقعية الحدث أسماء الشخصيات والأماكن:

فافة: وهو اسم خاص بمنطقة غرداية تحديداً عند الأمازيغ الذين يعتمدون على حرفين مكررين في الأسماء أمثال: فافة، بابا، لالة، شاشة، نانا، ...

سوق لاله عشو: سوق معروف في منطقة بني يزجن بغرداية، وهو ساحة عامة كبيرة كانت تستعمل سابقا للفلاحة، وهبتها امرأة صالحة اسمها "لالة عشو"

لاستعمالها كسوق للقصر، تبرعت بها للجماعة تكفيراً عن تأخيرها لصلاة المغرب بعد أن كانت وسط البئر تحفر فيه ولم تتنبه لوقت الصلاة وللآذان [4]، وهذه السوق توجد بعيدا عن وسط البلدة، وتقع بضواحي القصر، لها شكل مثلث بمقاييس (30,59,56) ومساحة تبلغ 806م2، أين تفتح داخلها محلات تجارية ومخازن وهي محاطة بمقاعد مبنية، و بها بئر في زاويتها الحادة.

تعرف سوق بني يزقن حركة ونشاطا دائمين منذ تأسيسها، وهي مميزة بالبيع بالمزاد العلني الذي يقام كل يوم بعد صلاة العصر ما عدا الجمعة، وهي مسيرة ومراقبة من طرف أعضاء مجلس العزابة (شيوخ المسجد)[5].

وعليه يتحرك المتلقي (الطفل) ضمن مستوى واقعي لا لبس فيه، ربما كان صوغ الحكاية جديداً بالنسبة إليه، أو يضم بعض المبالغة – وهي من خصائص الحكاية الشعبية ذات المستوى الخرافي –[6] كأكل فخذ خروف مالح بأكمله من طرف فتاة، أو ثمن الزربية الكبير، لكنه في كل الحالات نموذج لما يحدث في الواقع الذي يعرفه الطفل الميزابي، أو في الإمكان حدوثه في هذا الواقع، فهو إذن حَدَثٌ حَدَثَ في إطار مرجعي يعرفه، ويستطيع أن يحقق له مع هذه الحكاية وفق مبدأ الانعكاس* تواصلاً وتفاعلاً بينين[7].

2- <u>**المستوى فوق الطبيعي:**</u>

يتضمن هذا المستوى الجانب الخرافي والعجائبي والأسطوري في هذه الحكاية فالمستوى الواقعي لا ينفرد وحده بالحكاية، فالسامع** (الطفل) لها يجذبه ذلك النسيج الخرافي الممزوج بالعجائبية والأسطورة، فالطفل يعلم أن تلك الغابة التي خرجت إليها الفتاة ليلاً بحثاً عن الماء هي غابة كادية كما يعرفها لأنها جزء من حياته، صحيح قد تبعث في نفسه الخوف لأنها مكان كبير وعميق وغير آمن في النهار ناهيك عن الليل، لكنه يملك تصور مرجعي عنها إلا أنّه حتما سينجذب إلى المستوى الخرافي فيها فيتفاعل ويتعاطف مع الفتاة الطيبة التي تؤدي دور البطلة الضحية مثلما يصنفها فلادمير بروب، ونقصد بها "الشخصية التي لا تقرر للفعل البطولي وإنما تكون ضحية لسلسلة من الاعتداءات تنجح في النهاية من الانعتاق من حالات الاضطهاد الذي تتعرض له بفضل حكمتها وأخلاقها وصبرها"[8]

تماماً مثلما حدث مع فافة، حيث تمارس عليها زوجة الأب الظلم وتخرج إلى الغابة ليلاً بحثاً عن الماء إلا أنها تلتقي مجموعة من الكائنات الموجودة في محيط الطفل وهي الحصان وشجرة الياسمين وشجرة الورد، فيطلبون منها إحضار الماء لأنهم يشعرون بالعطش الشديد وهم يضمرون الدعاء السيئ إذا لم يُلبَّ طلبهم لكنها تنجو بفضل طيبتها وحكمتها وتحضر لهم الماء فيقدموا لها الدعاء الصالح كل حسب ما يملك من أشياء جميلة وإيجابية، فيدعو لها الحصان بالصحة الجيدة مثله، وتدعو لها شجرة الياسمين بالبياض والنعومة مثلها، وتدعو لها شجرة الورد بالجمال وتورد الخدود مثلها.

إن كلام هذه الكائنات يعد أحد مظاهر الخرافة التي يأنس بها الطفل، فيتمنى بداخله لو أن له القدرة فيكلم الحيوانات التي يحبها وكذا النبات، وهي كائنات قريبة من وجدانه لذلك عادة ما توظف في القصص الشعبية وغير الشعبية الموجهة للطفل.

ويقصد بإدراج هذا المستوى في هذه الحكاية تنمية خيال الطفل وقدراته الذهنية والوجدانية حيث يقدم له نموذج من السلوك البشري وهو مساعدة الآخرين ولو عند الشدة والضيق، بالإضافة إلى أثر الدعاء الطيب والصالح على الفرد، وليس غريبا أن نجد هذا المستوى (الخرافي) في هذه الحكاية الشعبية لأن أصل القصة الخرافية الشعبية التراث الأدبي الأمازيغي[9].

ويتداخل المستوى العجائبي مع المستوى الخرافي حيث يصنع سحراً قوياً في الحكاية يشد خيال ووجدان الطفل، ونقصد بالعجائبية – مثلما يعرفها تودوروف– "التصور الخاص لأحداث غريبة غير طبيعية وهي السر الخفي المستغلق عن التفسير الذي يندس في الحياة الواقعية أو العالم الواقعي"[10].

وهذا ما عبر عنه ابن منظور في كتابه لسان العرب "العجب والعُجب: إنكار ما يرد لقلة اعتياده وجمع العجب أعجاب"[11].

وتعد العجائبية عنصراً من عناصر شعرية الخطاب السردي التي يوظفها الكاتب عن قصد لأغراض جمالية من أجل شد انتباه المتلقي[12].

ويعتبر المسخ أو الامتساخ أو التحول عنصراً مهماً في خلق مستوى رفيع مـــن العجائبية في السرد، وهو من أهم موضوعات هذا المستوى، بل أحد أهم ركـــائزه وآلياته الأكثر فاعلية واندهاشا لدى الكبار فما بالك بالصغار.

باعتبار المسخ والتحول يتجسدان في أشـــكال مختلفـــة كالكائنـــات البشـــرية والحيوانية وحتى الجماد[13]، وهو معروف في الثقافة العربية والغربية، إذ نســـمع عن مدن بأكملها طالها المسخ قديما أما لانتشار الفسق والرذيلة فيهـــا أو لغضـــب الآلهة أو ...

ويمكن للمسخ والتحول أن يكون جميلاً كما يمكن أن يكون قبيحاً وهو ما حدث في هذه الحكاية حيث جمعت بين المسخين، ففافة عندما أعطت الماء لتلك الكائنات تحولت بفضل دعائهم إلى فتاة جميلة كالورد وبيضاء كالياسمين ولها قـــوة بدنيـــة كالحصان، أثارت غضب وغيرة زوجة أبيها، أما أختها من أبيها التي امتنعت عن إعطائهم الماء فأصبح رأسها كبيرا كالحصان ونحيلة كسيقان الياســـمين ومؤلمـــة كأشواك شجرة الورد.

ونلاحظ أن هذه الحكاية الشعبية رغم جواز عنصر العجائبية فيها بل هو أحـــد مكوناتها إلا أنها لم تمنح تلك القوة الخارقة في التحول والمسخ إلى قـــوى غيبيـــة كالجان أو السحر أو العفاريت، بل منحتها إلى قوة الدعاء الذي يظهـــر المســـتوى الديني الذي تحرص المرأة الميزابية على تعليمه لأولادها.

ويمكن أن نجد مستوى آخر للعجائبية في هذه الحكاية تمثل في خروج فافة من بيتها ليلاً بحثا عن الماء ففي هذا الخروج محاكاة للسفر والمغامرة المتجذرة فـــي الحكي العربي القديم الذي وظف بشكل مركزي في البنية الحكائية كحـــافز علـــى استخراج العجيب والمدهش[14]. حيث تصادف في رحلتها التي تبحث فيهـــا عـــن الماء كائنات كانت ستعصف بها لو أنها رفضت مساعدتها، وهنا نجد الطفـــل فـــي قمة خياله وانفعاله مع البطلة، إذ يبدأ يتصور نفسه مكانها ويفكر في الطريقة التـــي ستنجيه حتما من المصير المجهول، ثم يحمد الله في ســـره أو علنـــه ويفـــرح لأن البطلة التي تعاطف معها لم تخيب ظنه واســـتطاعت أن تنجـــو بفضـــل حكمتهـــا وطيبتها؛ ولعل في تحول الابنة الثانية إلى صورة قبيحة وبشعة إحالة على مستوى

آخر خفي ومتداخل ولصيق بالمستوى العجائبي، إنه المستوى الأسطوري " ذلك العالم من اللامعقول الذي يلف المتلقي في أثناء القراءة عالم لامنطق فيه، ولا عقلانية، وليس في وسع المتلقي نسبته إلى زمان تاريخي معين، أو مكان جغرافي محدد، لأن له منطقا خاصا ينهض على اللامنطق واللامعقول، واللازمان واللامكان"[15]، إنه مستوى يتداخل مع الخرافة باعتبارها أكثر الأنواع الحكائية التقليدية شبها بالأسطورة[16]، وقد جاء توظيف هذا المستوى في الحكاية خفيا، ولم يظهر منه غير قرينة المسخ والتحول من هيئة عادية إلى هيئة بشعة بعد ارتكاب خطأٍ أخلاقي، ففي مسخ أخت فافة استحضار لأسطورة ميدوسا البنت الجميلة التي مارست الرذيلة مع بوسيدون في معبد أثينا التي غضبت عليها كثيراً فحولتها إلى امرأة بشعة المنظر وحولت شعرها على ثعابين[17]، واستحضار لقصص مسخ كثيرة في الحضارة الإسلامية والغربية، وهي نهاية حتمية في الحكاية الخرافية الشعبية حيث يجازى الخيّر ويعاقب الشرير والأناني.

3- المستوى التربوي:

وهو أهم مستوى في هذه الحكاية الشعبية، حيث أبرز لنا عن طريق مقارنة مصير البنتين عاقبة الخير والشر، وهي وظيفة الحكاية الشعبية الموجهة للأطفال، وبهذا يكون الطفل قد أضاف إلى رصيده الأخلاقي سلوكاً حميداً كالخير والإيثار ومساعدة الناس وإتقان العمل، فيحاول السعي لتحقيق ذلك؛ وسلوكاً مشينا كالأنانية وعدم مساعدة الآخرين و... ويحاول الابتعاد عنه، لأن عاقبته وخيمة، وهي كلها سلوكات ومعانٍ تؤهّل الأطفال وتعدهم كي يكونوا عناصر فاعلة في إطار الجماعة التي ينتمون إليها[18]، وتصقل شخصيتهم وتمدهم بخبرات موجودة في واقعهم ومجتمعهم وتعرفهم على تصرفات أفرادهم وما ينتج عنها من أفعال وردود أفعال مختلفة[19] وهذا ما يحث الطفل على أداء دوره في الحياة الاجتماعية كما ذكرت والتمسك بالفضائل السامية والابتعاد عن الرذائل والسلبيات.

4- المستوى الانثروبولوجي*:

يعتمد هذا المستوى على الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية ... للحكاية، وتظهر مظاهره في ربط الحكاية بجانب الدعاء المرتبط بالمعتقد الديني

الذي يقدسه المجتمع الميزابي وقوة ذلك العامل في التحويل والمسخ، حيث كان باستطاعتهم – كما ذكرت سابقاً– إسناد هذه المهمة إلى قوى غيبية أخرى يميل إليها الطفل ويكون أحد مكونات تلك الخرافة لكنهم فضلوا الدعاء لتربية الطفل الميزابي على فضله وأثره.

وتعكس لنا الحكاية اهتمام المجتمع الميزابي وخاصة المرأة بحرفة النسيج التي مازالت صامدة إلى يومنا هذا باعتبارها مرجعا تراثيا للبيئة الميزابية، مازالت العائلات تحافظ عليه وهو مصدر رزق بعضهم، وقد كان في إضفاء المبالغة لثمن تلك الزربية الجميلة التي نسجتها فافة دعوة واضحة للبنات لامتهان تلك الحرفة لأنها ستعلّمهن الصبر، وتجنبهن الخوض في جلسات النساء التي قد تمتلئ بالغيبة والنميمة كما أنها ستدر عليهن بالمال الوفير خاصة إذا أتقنّ عملهن.

ولا يخفى علينا ما وصلت إليه الزربية الأمازيغية وغير الأمازيغية من شهرة ورواج منقطعي النظير. وتذكر لنا الحكاية اسم مكان له قيمة عظيمة عند المجتمع الميزابي وهو سوق لالة عشو، هذا المكان الجغرافي الذي يحمل في حد ذاته دلالات كثيرة لدى ذلك المجتمع وهو مكان ذكر عرَضاً داخل الحكاية لإعطائها نوعا من الواقعية، لكنه استطاع أن يثير فضول القارئ فيسأل ما حكاية لالة عشو فيدرك أنه نسبة للمرأة الصالحة عشو المحافظة على صلاتها، فبعد معرفته بهذه الرواية يزداد حبه للفضيلة والتمسك بالدين الإسلامي.

وتظهر لنا الحكاية أيضا الجانب الاجتماعي لهذا المجتمع وهو الاهتمام بالجانب الأخلاقي والحرفي والجمالي للفتاة الميزابية، حيث لا تعد الفتاة جميلة ومؤهلة للزواج إلا إذا كانت بيضاء البشرة وناعمة ولها قوة جسدية تؤهلها لتسيير وقيادة بيتها، حيث اعتبرت زوجة الأب شكل ابنتها الجديد مصيبة ابتليت بها قائلة "يا للهول... لقد صارت ابنتي بشعة ونحيلة شاحبة.. وامصيبتاه"[20].

وما يلفت انتباه المتلقي هو اختيار الأب لفخذ لحم هدية لابنته وليس شيئا أنثويا آخر كقطعة حلي أو ملابس أو عطر أو ...، وهو ما يطرح عندنا احتمالين: إما أن المجتمع الميزابي في تلك الفترة مجتمع يميل إلى التقشف والاقتصاد المعيشي امتدادا للحضارة الرستمية التي كان يميل حكامها إلى التقشف والزهد[21]، فشراء

فخذ لحم خروف بكامله هو هدية ثمينة للفتاة ربما ستوقع البهجة في قلبها أكثر من الذهب والفضة، وإما أنه جزء من الأشياء التي تهدى بين الأفراد في ذلك المجتمـــع شأنه شأن الحلي أو العطور أو ...

5- المستوى الرمزي:

يزيد المستوى الترميزي المتلقي يقظة ويتركه حائرا[22]، لأنه خاضع لتـــأويلات مختلفة ما دام غامضا ومبهما، ومن ثمَّ يضطر المتلقي إلى التأويـــل انطلاقـــا مـــن

الحكاية مترجمة إلى العربية*:

يحكى بأنّ فتاة تدعى "فافة" تحبّ نسج الزرابي وتتقن صناعتها ورسم ألوانهـا.. في أحد الأيّام نسجت زربية جميلة بديعة؛ فقرر والدها أن يبيعها في سوق الدلالة (لالة عشو)(24)، أعجب الناس بالزربية أيما إعجاب؛ فساوموها إلى أن بلغ ثمنها الآفاق؛ باع الأب هذه الزربية وربح منها مبلغاً كبيراً.

أحبّ الأب أن يكافئ ابنته على عملها المتقن؛ فاشترى لها فخذ لحم طازج (جيقو)، وطلب من زوجته أن تعدّه وجبة عشاء لابنته (فافة) كي تأكله وحدها إلى أن تشبع.

اغتاظت زوجة الأب من هذا الأمر؛ لأن ابنتها لا تجيد حرفة النسيج مثل "فافة"، فقررت أن تقتلها:

وضعت في اللحم ملحاً كثيراً، وقدمت هذا اللحم المملّح لـ "فافة" ثم أبعدت عنها كل إناء فيه ماء حتى تموت عطشاً.

في منتصف الليل استيقظت "فافة" من نومها تلهث من شدة العطش، بحثت عن قطرة ماء تطفئ بها ظمأها؛ لكنها ما وجدت شيئا؛ فاضطرت إلى الخروج من المنزل بحثا عن الماء... وفي طريقها إلى الغابة صادفها حصان فسألها:

إلى أين أنتِ ذاهبة؟

أجابت: "أنا ذاهبة إلى الغابة بحثا عن ماء أشربه، أنا أكاد أموت عطشا".

الحصان: "أحضري لي معك القليل من الماء، فأنا عطشان مثلك".

فافة (بفرح): سأفعل ...

تابعت "فافة" سيرها فالتقت بشجرة ورد ذابلة الأوراق، دنت من الشجرة قائلة: "يبدو أنك عطشانة مثلي".

شجرة الورد (بحزن): أجل .. !

فافة (مطمئنة): أنا ذاهبة الآن إلى الغابة كي أبحث عن الماء، سأحضر لك القليل منه عند عودتي".

واصلت "فافة" طريقها فصادفت شجرة ياسمين تلهث من العطش...

شجرة الياسمين: إلى أين أنت ذاهبة؟

فافة: أنا ذاهبة إلى الغابة كي أحضر ماء أشربه، فأنا عطشانة !!

شجرة الياسمين: وأنا أيضا عطشانة مثلك .. أرجوك أحضري لي مـــاء عنـــد عودتك !!

فافة: بكل تأكيد ..

وصلت "فافة" إلى الغابة، فوجدت ماء كثيرا فشربت منه حتى ارتوت ثم مـــلأت دلوا بالماء وسقت به شجرة الياسمين وشجرة الورد وكـــذلك الحصـــان .. شـــكر الجميع "فافة" على معروفها ودعوا لها:

شجرة الياسمين: رب اجعلها بيضاء ناعمة مثلي.

شجرة الورد: رب اجعلها جميلة مثلي ...

الحصان: رب اجعلها تنعم بالصحة مثلي...

عادت "فافة" إلى المنزل وتابعت نومها، أمّا زوجة أبيها فكانت تنتظر الصـــباح بفارغ الصبر؛ كي تجدها ميتة .. !!

لكنها فوجئت لمّا وجدتها على قيد الحياة وقد أصبحت بنتا فائقة الحسن والجمال ...

اغتاظت زوجة أبيها منها فطلبت من الأب أن يحضر لحمـــا طازجـــا تملّحـــه وتعطيه وجبة عشاء لابنتها كما فعلت مع "فافة" ثمّ أخفت الماء في حجرة لا تصـــل إليها ابنتها.

استيقظت الابنة في منتصف الليل عطشانة جدّا، بحثت عن قطرة ماء تطفئ بها عطشها لكنها لم تجد شيئا، فانطلقت إلى الغابة بحثـــا عـــن المـــاء، التقـــت بـــذلك "الحصان" فسألها:

إلى أين أنت ذاهبة؟

أنا ذاهبة إلى الغابة كي أحضر ماء أشربه، فأنا عطشانة !!

الحصان: أرجوك أحضري لي معك ماء فأنا عطشان مثلك !!

الابنة (بغضب): اغرب عنّي.. فأنا بالكاد أجد لنفسي قطرة مـــاء أطفـــئ بهـــا عطشي !!

لن أحضر لك شيئا.. !

وفعلت الشيء نفسه مع شجرة الورد وشجرة الياسمين عندما صادفتهما في طريقها إلى الغابة ...

دعا الجميع عليها:

الحصان: رب اجعل رأسها كبيرا كرأسي..

شجرة الورد: رب اجعلها كأشواكي المؤلمة..

شجرة الياسمين: ربّ اجعلها ضعيفة كسيقاني...

وصلت الابنة إلى الغابة فوجدت ماء فشربت منه حتى ارتوت ثمّ عادت إلى المنزل لتتابع نومها، كانت أمها تنتظر على أحر من الجمر طلوع شمس الصباح كي تجد ابنتها قد صارت حسناء جميلة، لكن عندما رأتها صُعقت من منظرها فصرخت باكية:

يا للهول ... لقد صارت ابنتي بشعة نحيلة شاحبة .. وامصيبتاه !!

قائمة المصادر والمراجع:

✓ تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام الرباط، ط1، 1993م.

✓ حكاية فافة تانجيمت كما ترجمتها الطالبة: الزاوي شاشة.

✓ سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2003م.

✓ السواح فراس، الأسطورة والمعنى دراسة في الميثووجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط2، 2002 ص15.

✓ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.

✓ عبد الحميد بواريو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائر، د ط، 2007م.

✓ عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر ط1، 1997م.

✓ لسان العرب لابن منظور.

✓ محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، ج1، د ط، 2013م.

يوسف مارون، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان ط1، 2011م.

6-<u>الدوريات والرسائل العلمية:</u>

✓ عبد القادر عواد، العجائبي في الرواية العربية المعاصرة آليات السرد والتشكيل أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011-2012م.

✓ فاطمة مطهري، مدينة تهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية القرن 2 – 3ه / 8 – 9 م، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2009م – 2010م.

✓ مليكة سعدي، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012- 2013 م.

7-<u>المواقع الإلكترونية:</u>

✓ أسطورة ميدوسا الموسوعة الحرة: https://or.wikipedia.org

✓ رشاد أحمد، أدب الخرافة جدل حول توظيف الخيال للإرشاد: .http :www.al.emon.com

✓ ساحة السوق التقليدية: من علاقة الأنا بالآخر إلى التقسيم الفئوي للمجال . حالة قرية بني يزقن بغرداية

✓ http://www.crasc.dz/ouvrages/index.php/en/books/50-les-espaces-publics-au-maghreb-au-carrefour-du-politique,-du--religieux,-de-la-soci-civile,-des-mdias-et-des-ntic/749

✓ لمياء بن دعاس، طراز معماري وقوانين حياة تجلب السواح , "بني يزقن"... هندسة معمارية تتغنى بجماليات التراث المزابي

-https://www.elmaouid.com/dossiers/11103

✓ لهجة ميزابية الموسوعة الحرة: https://or.wikipedia.org

هوامش الدراسة:

(1) أدب الطفل الميزابي هو الأدب الموجه إلى الأطفال باللغة الميزابية وهي لغة أهل ميزاب أمازيغية قريبة من القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية، من خصائصها الابتداء بالساكن في الأسماء واجتماع ساكنين في نهاية الكلمة ...

انظر: لهجة ميزابية الموسوعة الحرة: https://or.wikipedia.org يوم: 2018/03/30 على 07:30.

(2) يوسف مارون، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1 2011، ص76.

(3) انظر المرجع نفسه، ص75.

(4) ينظر: ساحة السوق التقليدية: من علاقة الأنا بالآخر إلى التقسيم الفئوي للمجال . حالة قرية بني يزقن بغرداية

http://www.crasc.dz/ouvrages/index.php/en/books/50-les-espaces-publics-au-maghreb-au-carrefour-du-politique,-du-religieux,-de-la-soci-civile,-des-mdias-et-des-ntic/749- يوم: 2018/03/30 على 08:10.

(5) ينظر: لمياء بن دعاس، طراز معماري وقوانين حياة تجلب السواح , "بني يزقن"... هندسة معمارية تتغنى بجماليات التراث المزابي

https://www.elmaouid.com/dossiers/11103- يوم: 2018/03/30 على 08:10.

(6) انظر: السواح فراس، الأسطورة والمعنى دراسة في الميثووجيا والديانات المشرقية دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط2، 2002، ص15.

* يضرب مبدأ الانعكاس بجذوره في الأدب إلى نظرية المحاكاة عند أفلاطون حيث أن الأدب ما هو إلا انعكاس ومرآة وتصوير للواقع الاجتماعي بطريقة فنية. للتفصيل أكثر انظر: عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر، ط1، 1997م، .

(7) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب د ط دمشق، 2003، ص219.

** وظفت كلمة السامع على اعتبارات هذه الحكاية الشعبية كانت ومازالت المرأة الميزابية تجمع أبناءها وتسرد لهم هذه الحكايات في أوقات معينة بغرض غرس الفضيلة بداخلهم.

(8) عبد الحميد بواريو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2007 ص145.

(9) انظر: محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع عنابة، ج1، د ط، 2013، ص71.

(10) انظر : تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام الرباط، ط1، 1993، ص48 وما بعدها.

(11) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة عجب.

(12) انظر : مليكة سعدي، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012– 2013، ص 125 وما بعدها.

(13) انظر عبد القادر عواد، العجائبي في الرواية العربية المعاصرة آليات السرد والتشكيل أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011–2012، ص288.

(14) انظر : شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة خطاب المتخيل رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص73.

(15) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية: البناء والرؤيا : مقاربات نقدية، ص 220.

(16) انظر : السواح فراس، الأسطورة والمعنى دراسة في الميتولوجيا والديانات الشرقية ص15.

(17) انظر: أسطورة ميدوسا الموسوعة الحرة: https://or.wikipedia.org

(18) انظر : رشاد أحمد، أدب الخرافة جدل حول توظيف الخيال للإرشاد: http :www.al.emon.com 2018/03/30 على 8:34.

(19) انظر : يوسف مارون، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، ص150.

* الانثروبولوجيا: علم يهتم بدراسة مختلف جوانب البشر في المجتمعات ماضيا وحاضراً.

(20) حكاية فافة تانجيمت كما ترجمتها الطالبة: الزاوي شاشة.

(21) ينظر: فاطمة مطهري، مدينة تهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية القرن 2 – 3ه / 8 – 9 م، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2009م – 2010م، ص 124 وما بعدها.

(22) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية: البناء والرؤيا : مقاربات نقدية، ص 220.

(23) المرجع السابق، ص 221.

* الحكاية من ترجمة الطالبة: شاشة الزوّاي.

(24) سوق للدلالة في بني يزقن، موجود إلى حد الآن.

كشفيات النص الوامض المثل الشعبي رؤيا جمالية معرفية
ديوان "أولْ إنو" لصالح ترشين

أ.: نزيهة مزروع
أ.: زهية طرشي
جامعة محمد خيضر، بسكرة
zahiatorchi2016@gmail.com

ملخّص:

يعد توظيف التراث في بناء العملية الشعرية من أبرز الظواهر اللافتة للانتباه تمثلت في ذلك التفاعل العضوي بين العناصر التراثية التي زادت الشعر دلالةً وعمقا، أي بما يخدم التجربة الشعرية المعاصرة ويوسع فهمه لها.

وهذه الدراسة هيّ استجلاء لهذه العلاقة بين الشاعر المعاصر "صالح ترشين" والتراث. بما في ذلك الأمثال التي نالت حظها الوافر في قصائده الشعرية باعتبارها أحد أهم الأشكال الأدبية الشعبية والمتميّزة عن باقي الأشكال الأخرى، فهيّ تحمل في طيّاتها دلالات اجتماعية وثقافية تعبر عن مظاهر الحياة العامة السائدة في المجتمع ومايدور فيه من علاقات وتعاملات وأحداث وغيرها، ومع إبراز أبعادها الفكرية والجمالية وفي المداخلة بيان على ذلك.

فاتحة أولى:

الثقافة الشعبية هي الثقافة التي تميز الشعب والمجتمع الشعبي، وتتصف بامتثالها للتراث والأشكال التنظيمية الأساسية. ويذهب الإثنولوجيون الأوروبيون إلى أن الثقافة الشعبية في أوروبا هي ثقافة ذات طابع قديم .والثقافة الشعبية ليست هي الثقافة التي خلقها الشعب، وإنما هي تلك التي قبلها الشعب وتبناها وحملها.

فالثقافة الشعبية نصوص معرفية من مواد التراث الشعبي الأكثر انتشارا في النصوص الأدبية ؛ وما نقصده بالتراث في هذا المقام: «هو ذلك الموروث الذي تركه الأسلاف لخلائفهم من بعدهم ،وهو موروث ذو طابع فكري وثقافي أكثر منه مادي، أو هو ما تراكم خلال الأزمنة من التقاليد والعادات والتجارب والخبرات

وعلوم وفنون شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والخلقـــي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه، ». [1] فهو نتاج المجموعة البشرية والمتنقل جيلا بعد جيل على مرّ العصور والأزمنة، بمعنـــى أنه وليد الحياة الشعبية لمجتمع يتميّز بالثقافة التي تنتجها اللّغة.

فمسألة توظيف التراث أضحت من القضايا الفكرية التي بقيت الشّاغل الأكبر لدى الكتّاب الجزائريين وحضورها في نصوصهم الأدبية ،حين تتعلّق بـــالأدب واتّخـــاده كمرجعيّة تم تحويرها لبلوغ آفاق أكثر استيعابا للدلالات الاجتماعية.

وما يهمنا هنا هو كيفية توظيف التراث وجعله نافذة يطل القارىء مـــن خلالهـــا على العمل الأدبي. مما يفسح له المجال للآنفتاح أكثر فأكثر على التراث الجزائـــري .فلا يكاد يخلو أي عمل أدبي من طقوس وعادات وتقاليد، ولا من أغـــاني وأمثـــال وحكايات يتميّز بها المجتمع الجزائري، وهذا ما دفع بها للمساهمة في الحفاظ علـــى الهوية والأصالة الجزائرية.

وبناء على ذلك، سوف نقوم بدراسة هذا التراث الذي تشرّب من منابعه الشـــاعر "صالح ترشين" انطلاقا من نصوصه الشعرية في ديوانه "أولْ إنو" التـــي اخترناهـــا مدوّنة لدراستنا ،والتي تحتوي على مجموعة من الأمثال الشعبية المزابيـــة الكثيـــرة والمتنوعة المواضيع تميّزه عن بقية الشعراء بما في شعره من مـــواعظ تـــرد فـــي المجتمع المزابي وهيّ مستمدّة من واقعهم أصيلة بأصالة مجتمعهم وعريقـــة بعراقـــة تنظيماته وأعرافه، ومما يستعملونه ويعايشونه في حياتهم اليومية، كالمنسج، والحقـــل والعناية بالنخيل ....الى غير ذلك. مما هو مستمدّ ومرتبط بحياتهم اليومية. وقـــد أدى هذا التوظيف إلى نشوء علاقة ذات أبعاد فكريّة وجمالية بينها وبين التجربة الشعرية.

أول إنو .. الديوان في مرايا جديدة :

تعددّت مواضيع الأمثال المستحضرة في الديوان وتباينت مضـــامينها فعكســـت البيئة الاجتماعية للكاتب وجسدت مهاراته، وهذا ما سنلاحظه من خلال الأمثال التي وظفها "صالح ترشين" في ديوانه الشعري "أولْ إنو" فقد استثمر العديد مـــن الأمثـــال الشعبية والتي كان لها دور كبير في ايصال المعنى للقـــارئ، اســـتمدّها مـــن الإرث

الاجتماعي والمرتبطة « خصوصا بما تعيشه الطبقة الشعبية البسيطة التي ينتمي اليها الشاعر ».[2] في مدينة غرداية وضواحيها .

وقد جاءت مضامينها لتعبر عن تجارب الشعب المزابي أوردهـا ترشـين فـي نصوصه الشعرية « نافثا فيها روحا عميقة منطويّة على مهارة الفنان الـذي خبـر مواطن الجمال، في كلام الأسلاف، فكانت له نعم المعين فـي اسـتعمال المشـاهد والصور التي عجز قلمه عن التعبير فيها كما سنرى ».[3] ليمنحها بعدا جماليّا يجعل المتلقي يعيش داخل عالمه، وهيّ أمثال مقتطفة من المجتمع الأمازيغي الـذي يعـيش فيه الكاتب.

وتوظيفه للأمثال في القصائد الشعريّة يكـون بكيفيـة تتماشـى والموضـوعات المطروحة والقضايا المعالجة مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب الفني في التقـديم لهـذا الموروث، فالشاعر "صالح ترشين" لا يورد لنا الأمثال كما هيّ بل يعيـد صـياغتها ويضيف إليها أبعادا جديدة تنسجم مع العصر، وتستجيب لطبيعة الهموم التي يعانيهـا الشعب المزابي. وقد أوردناها بالترتيب على النحو التالي :

1. « **تَحَمَّلْ أَشْوَاكَ النّخْلَةِ** ».[4]: وقد وردت في القصيدة رقم ثلاثة بصـيغة « وتَحَمَلْ قَلِيلاً أَشْوَاكَهَا ».[5]. يعني أن الإنسان إذا أراد أن يبلغ ما يريده عليه أن يتسلق الصعاب مهما صادفته العقبات والعوائق ومن لم يتحمل مصاعب الحيـاة لـم يبلغ شيئا من أهدافه، كذلك النخلة إذا أردت أن تأكل تمرها وتتذوق حلاوتـه عليـك تحمل وخز أشواك النخلة لتنال ما كنت تصبو إليه، وورد هذا المثل في أحد قصـائد الديوان: « هو مثل يُضرب لمن يتذمر من صعوبات الحياة، يوجـه الإنسـان إلـى الصبر على المكروه حتى يبلغ هدفه ويحقق مراميه في الحيـاة بالضـبط مثلمـا لا يستطيع جني التمر دون أن تنال منه الأشواك ».[6]

2. « **وَضْعُ الحَمَّالَةِ فِي الْمَاءِ**».[7]: ورد في القصيدة 28 بصيغة « **قُلْنـا: وصَلْنَا ،فَوَضَعْنَا "الْحَامْلَة"**».[8]

يُضرب هذا المثل للإنسان الذي أصبح عاجزا على تحمل مشاق الحياة ومتاعبهـا خاصة فئة الشيوخ، فجسمه لا يتحمل مالا يفوق طاقته من حمل فهو في سن طاعنـة يفقد فيها قوة ذلك الشاب المستعد لحمل الأشياء مهما كان وزنها، والمقصود أن الشيخ

قام بحمل هاته الحمالة رغم عدم قدرته ربما تحديا لكنه لم يستطع المواصلة فخـــارت قواه ووضع الحمالة في غير مكانها المتفق عليه: «وهي كناية عن بلوغ الهدف فـــي حفر البئر لكن مدلولها تطور ليصبح مثلا يضرب لمن فقـد القـدرة علـى التحمـل وأصابه اليأس شبيه بمن يحمل حماله ويئس من قدرته على تحمل نقلها فوضعها فـــي غير موضعها ». (9)

3-« **الماءْ غْلَبَ علَى الدَّقِيق**» (10): ورد في القصيدة 35:

فالمرأة عندما تعجن عجينة يجب أن تنتبه على كمية الماء التي تضـعها عينهـا ميزانها، فلا يغلب الماء على العجينة وإلا أصبحت غير صالحة للاستعمال وفسـدت كذلك هي الحياة يجب أن تكون مبنية على نظام متوازن ودقيق وإعطاء كل ذي حـق حقه دون زيادة أو نقصان وتسير على النهج الذي وضـعه الله لنـا وقـد ورد فـي القصيدة بصيغة « **المَاء عِنْدَمَا يَغْلُبُ طَحِين الحَيَـاةِ** » (11)وهو: « مثـل يضـرب لاختلال التوازن بين الأمور مما يؤدي إلى الفساد والفوضى مثلما يفسد الكسـكس إذا غلب فيه الماء على الدقيق ولم تحترم المقادير اللازمة » (12) فمن لم يحافظ علـى توازن أمور حياته أفسدها.

4- « **مَا إِنْ غَطَيْتُ الْقِدْرَ حتَى فَارَ الْكَسْكَاسْ**» (13): ورد في القصيدة 28:

يعد الفقر من بين أهم القضايا التي تجعل المجتمع في حالة تخبط وحرمان، وهـو مركز الدائرة التي تنطلق منها المشاكل والآفات الاجتماعية التي بدورها تؤدي إلـى نشر الفساد وإذهاب العقل وانحلال الأخلاق في خضم هذه الحياة التـي تسـلل إلـى شبابها الفقر المدقع الذي أوقعهم في فخ الانحراف: « وهو قول مقتبس مـن قصـة شعبية تشكو فيه البنت إلى أمها حالة الفقر التي تعيشها وهي كناية عن هـذه الحالـة فيفور الكسكاس بمجرد وضعه فوق القدر إلا إذا قل فيه الكسكس» (14).

5- « نَ**أْكُلُ الْمَعْرُوفْ ونَقُولُ لِله**» (15): ورد في القصيدة 27 بصيغة: « **نَأْكُـلُ الْمَعْرُوفْ، وَنَنْصَحُ لِلَهِ** » (16)

ودلالته أنّ الله في هذا العالم الغني والفقير أي أنه صور عباده في درجـات، فهـذا الغني يملك ثروة طائلة لا يعرف طعما للجوع والعطش أو البرد والبؤس يعـيش فـي بذخ كبير لكنه نسي أخاه الفقير، الذي بات جائعا ومن شدة الجوع أصابه المرض ولـم

يجد أحدا يعيله، كما نسي أن الصدقة على الفقراء واجبة، فتخيل مـدى الفرحـة التـي ستدخلها إلى قلبه ناهيك عن أجرها عند الله عز وجل: « بمعنى ننصح في سـبيل الله، والمقصود من هذه الكلمة المأثورة هو أن أكل معروف أو صدقة شخص ما لا يجـب أن يقف عائقا دون الصدع بكلمة الحق إذا وجدت » [17]فأكل الطعام المقدّم الينا هديّـة أو صدقة ينبغي ألاّ يمنعنا من قول الحق متى لزم الأمر.

6- « من يقول الحق يموت» [18]: ورد في القصيدة 45:

فقد صار الكذب والنفاق عبارة عن موضة أما كلمة الحق فهي مرفوضة، فالنـاس أصبحت تصدق كلام المنافق الكذاب وتضعه في أعلى الدرجات أما كلام الحق صـار كشربة ماء ويعتبرون قائل الحق مذنبا ومخادعا فيرمونـه بأصـابع الإتهـام الباطلـة ويضعونه في أسفل السافلين، وبهذا يقتلون صوت الحق: «كلمة مـأثورة وردت فـي قصة شعبية تحكي عن زمان كانت فيه التينة قاضية بين الناس، وفـي يـوم حكمـت لمظلوم ضعيف على ظالم مستبد، فما كان من الظالم إلا أن استأصل التينة فقال حـين حضرتها الوفاة هذه الكلمة المأثورة في تراثنا الشعبي » [19].« مـنْ يَقُـولُ الْحَـقْ يَمُوتْ» [20]

7-«**ذَاكَ عَقْلُهُ كَالْعُصْفُورْ تَارَةً مَوْجُودٌ وتَارَةً غَيْـرَ موجـودٍ**» [21].: ورد فـي القصيدة **48** بصيغة « مَسْكِينْ مَنْ عَقْلُهُ عَقْلَ عُصْفُورْ،وَهُوَغَيْرُ مَوْجُودْ» [22].:

لقد كرمنا الله بنعمة العقل على باقي المخلوقات ذلك لمعرفة الأمور بمنطقية ودقـة والتمييز بين ما هو صالح وغير صالح، لكن في هذه الدنيا نجـد أناسـا ذوي عقـول صغيرة فتصبح لديهم نظرة ورؤى ناقصة للأشياء ولا يدرك ما يفعله ولا مـا يـدور حوله، فالشيخ عندما يتقدم به العمر يصبح تفكيره مثل طفل صغير في مقتبـل العمـر فبالرغم من كبر سنه نعتبره غير راشد: وهو مثل « يُضرب لغير الراشدِ » [23].

8- « ذَاكَ يَدُقُ الْمَاءَ فِي الْمِهْرَاسِ» [24]: ورد في القصيدة **11 و45:** ذكر هذا المثل مرّتين في قصيدة **11و45** بنفس الصيغة .

ودلالته حسب متن القصيدة أن المرأة خلقت مخلوقا ضعيفا رقيقا حساسـا لا تقـوى على مجابهة الحياة دون أن يقف بجانبها أخوها الرجل، فأصبحت تحس وكأنها مهمشـة ولا أحد يريد مساعدتها في مشوار حياتها، فكانت تمنح الأحقية للرجل أكثر منهـا فـي

التعليم في النصح والإرشاد ولا أحد يوعيها إن أخطأت أو جاءت بزلة، فهـل نسـتطيع أن ندق شيئا سائلا كالماء في المهراس إنه لمن أصعب الأمور بل مـن المسـتحيلات فالمرأة كهذا السائل الشفاف لا يمكن سحق رقتها ومشاعرها: وهو « مثل يضرب لمن يجهد نفسه من غير طائل سواء في القول أم العمل » (25). فليس الحكمـة اضـاعة الوقت فيما لا جدوى ولا طائل منه.

9- « **لاَ أَبْقَانَا اْللهُ بَعْدَ الْمَاءِ، أَوْبَعْدَ الرِّجَالِ** » (26).: ورد في القصـيدة 36 كمـا هو: ودلالته أنّ الأرض العطشى تحتاج إلى ماء لترتوي، والوطن بحاجة إلـى رجـال يحمونه ويحافظون على أنفاسه من أي تلوث يصيبها، والماء هـو الحيـاة إذا انقطـع صارت حياة البشرية مهددة بالموت والزوال فلن نستطيع العيش بدونه، والرجـال هـم حماة الوطن وسند لنا نرى فيهم قوتنا فبناء حياة بدون ماء أو رجال كإنسان استأصـل قلبه وغادرت روحه جسده فهل يستطيع العيش؟: « كلمة مأثورة في صيغة دعاء يبـين أهمية الماء والرجولة التي تعني المسؤولية والتضحية والعمل الجاد» (27).

11- « **وَأَهَلْتُهَا لِتَحْمَلَ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ** » (28): ورد في القصيدة **12**: بصـيغة « هيّ التِي تُنْشِئ ابْنَهَا وابْنَتَهَا لِلْجُوعِ وَالْعَطَشِ» (29):

فالأم هي الركيزة الأساسية في توجيه الأبناء –بعد والـدهم– لمجابهـة صـعوبات الحياة ومشاقها وذلك بتربيتهم على تحمل الشدائد والجلد أمامها، ومحاولة تخطيها مـن خلال العزيمة والإصرار والعمل الجاد، بدلا من تدليلهم بل وجعلهـم يعتمـدون علـى أنفسهم والتأقلم مع كل مصاعب الحياة: « وهيّ حكمة تدعو الأم لتهيئة أطفالها لتحمـل صعوبات الحياة وتحذرها بالمقابل من تدليلهن.» (30).

12- « **حِينَمَا تُهَيَّأُ لَهَا الْقماط، تَقْتَصِدُ قَلِيلًا فِي مِلْحَفَةِ الـزَّوَاجِ** » (31): ورد فـي القصيدة الأم وابنتها 12:

تعد الأم المدرسة الأولى التي تنشئ الأجيال سواء البنات أم البنـين فتـربيهم منـذ نعومة أظافرهم على مكارم الأخلاق وأسماها لتربي النشء الصـالح، خاصـة البنـت يجب أن تضع مستقبل ابنتها بين عينيها من ولادتها إلى غاية بلوغها سن الزواج لتؤمن لها مستقبلا زاهرا وحياة مليئة بالسعادة والفرح، إنها الأم الحنون والقلب العطوف التـي تضحي من أجل فلذات كبدها لتراهم ناجحين: «وهو مثل تـوجيهي يـدعو الأم إلـى

التفكير في مستقبل البنت وتأمينه منذ اليوم الأول وخاصة أن البنت كانت تتــزوج فــي سن مبكرة» [32].

13- «**مَنْ لَمْ يُخْطِءْ فِي النَّسجِ لَا يَنْسُجُ نَسْجَهُ**"» [33].: ورد في القصــيدة 24 بصيغة :« مَنْ لَمْ يُخْطِئ فِي النَّسْجِ، فَعَمَلُهُ غَيْرُ تَامْ » [34]

إن الدنيا مقر للإنسان قبل الدار الآخرة فيها يعيش الذي يسعى للعمــل والاجتهــاد لتحقيق أهدافه، وهناك الإنسان الكسول الذي همه هو الاتكال على الآخرين فــي كــل شيء، فالدنيا مليئة بالأخطاء فلا يوجد من هو معصوم عن الخطأ فالشخص في حياتــه سيتعرض لمجموعة من العراقيل والحواجز ليبلغ قمة الجيل ويزهر بالنجاحات فــالتعلم محاولة ثم صبر ثم اتقان: «وهو حكمة توضح أن العمل والخطأ في سبيل التمكن مــن العمل واتقانه"»[35]. وهيّ اشارة إلى المحاولة والخطأ وإلى التدرّج في الــتعلّم ،وفيــه تشجيع البنات على تعلّم حرفة النسيج وغيرها .

14- « **الْفَرَجُ يَا إخْوَانْ يَأْتِي شَعْرَة شَعْرَة**»[36]:

المصاعب والمحن تصيب الإنسان وتهطل عليه كهطول الأمطار دفعة واحدة، لكن الفرج أو الخروج من هذه الشدائد أو من الظلمة إلى النور يتطلب الصــبر الــذي هــو مفتاح للفرج، ولهذا على الإنسان التمسك بالله تعالى« إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَا» [37] وثقتــه به أنه يمهل ولا يهمل لكن دواء المشاكل هو الصبر.

15- « **أَنْصِتْ لِلنَّمْلَةِ، حِينَمَا حَمَلَتْهَا الْمِيَّاهُ، تَقُولُ بِسْمِ اللْهِ، اللْه يَــا رَحْمَــانْ**"» [38]**:** ورد في القصيدة 41 .

مفاده أنّ لحظة الفرح تكون أحيانا في غير موقعها فذلك الشخص المتهاون الــذي لا يعطي أهمية لمدى المصائب التي حلت عليه مهما كان نوعها، فــلا حــرب تحــرك وجدانه ولا ألم غيره يحس به كقربة ماء مثقوبة يخيل لك أنها ممتلئة بالماء لكن ما فيها قد فرغ، وهذا النوع من الأشخاص يلتهي بالغنــاء كالمغفــل ويعــزف بصــوته دواء لمصائبه ناسيا ما أصابه وهذا مثل يضرب للمغفل الذي يهلل ويمرح سادرا غافلا عــن المحنة أو المصيبة التي حلت به.

وما نستخلصه من عرضنا لهذه الأمثال المتنوعة أنّ "صالح ترشين" اســتطاع أن يوظف الأمثال بنسبة كبيرة في شعره ،لكن مايلفت الانتباه أنّ نصــف هــذه الأمثــال

وظفت دون تحريف أو تحوير من خلال ورودها في سياق القصيدة دون التلميح إليه ومن جهة أخرى تميّزت بعض الأمثال بتحريف وبتوسع أكثر مما وردت عليه في الأصل أي أنه يوظف مضمون المثل في شعره ،دون أن يوظفه بالكامل، وفي بعض الأحيان الأخرى كان يوظف أمثالا منسوبة إلى قصص شعبية مستوحاة بشكل عام من منطقة بني مزاب، وبذلك تكون القصة هيّ الأصل الذي نشأ عنه هذا المثل.

حفريات النص الوامض واستحضار الفلسفة الجمالية :

1-المثل ومعرفة النص: إن المثل بوصفه وسيلة من وسائل التعبير نجده يحمل أبعادا فكرية تخص الأديب منها :

- لقد استفاد الكاتب مما يتوفر عليه المثل من شحنات بلاغية وطاقات رمزية، ومن مفارقات تصويرية ليعكس آراءه النقدية حول قضايا تمس المجتمع.

- تضمنت الأمثال كذلك في أسلوبها فلسفة بسيطة نابعة من الحياة اليومية الجارية، وهو ما يبرر إدراكها بسهولة، ذلك لأنها في دائرة التجربة الشعبية المصوغة لفن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

- إن استخدام" ترشين" للمثل في الموقف المناسب يدل وينم عن تفهم صحيح للمثل، مما يعني أن الشاعر لديه استيعاب فكري يسمح له بتمثّل التراث الذي نشأ فيه.

-كما أن توظيفه للتراث بأسلوبه ونظرته الخاصة يعكس عناصر نفسية متعددة من مزاجية وانفعالية خلقية تربى عليها الأديب.

- إدراك" ترشين" لقيمة المثل وما يحمله من دلالات رمزية وشحنات تعبيرية حاول استغلالها بذكائه الخاص للتعبير عن أفكاره ومناقشة قضاياه..

- كما أن « من مميّزات أمثاله تركيزها على الرّجل والمرأة أكثر من الطفل وأحيانا على الرّجل أكثر من المرأة، هذا لأنّ المجتمع المزابي مجتمع رجالي أي السلطة فيه للرّجل وعمالي أي أنه يحث على الجد في العمل» [39].

2-الذائقة الجمالية وروح المثل:

لقد وفق الشاعر" ترشين" في توظيف أمثال من التراث الشعبي الجزائري بالضبط في منطقة **بني مزاب،** أضافت مسحة جمالية على قصائده عبر المستويات التالية:

–تمكن الكاتب من الاستفادة مما يتوفر عليه المثل من طاقات رمزيــة وشــحنات بلاغية، أضفى مساحة جمالية على قصائده الشعرية من خلال تنوع وتشعب مواضيعها التي تضمنتها حسب مجالات الحياة العامة للشعب المزابي.

– على مستوى لغة الديوان الشعري استفادة الشاعر مما يتوفر عليه المثــل مــن شحنات تعبيرية وطاقات رمزية سمحت له بالتخفيف من رتابة الشعر.

– الكتابة باللغة الأمازيغية في توظيف الأمثال عكس تلك اللحمة الجميلــة التــي تتكون منها الثقافة العربية الأمازيغية.

– يعتبر المثل مرآة صادقة لحياة الشعب المزابي وطرق تفكيره، ومناحي فلسفته ومثله الأخلاقية والاجتماعية وهذا ما يبحث عنه الشاعر عند استدعائه للأمثال الشعبية.

إنّ توظيف الأمثال في الدّيوان لم يأت صدفة أو بلا قصد، وإنمــا لغــرض تبيــين حقيقة مختلف الأوضاع التي يمكن أن يعيشها الفرد المزابي بحلوها ومرها فقد أجــاد الشاعر "صالح ترشين" في تصوير أفكاره، وإبراز مكنونات فؤاده بدقة وايجــاز، وقــد اعتمد البلاغة ومتانة السّبك، فانتشرت أمثاله بين صفحات ديوانه الشعري.

وقد استقرّ رأينا بعد ذلك على أن الشاعر استشهد بالأمثال ليظهر القيمــة الانســانية والأدبية لأمثاله، ولا تزال وهّاجة كالمصابيح المنيرة على منعطفات القصائد الشــعريّة تعرّفنا على تقاليد المجتمع المزابي، وتطلعنا على عاداته. فهيّ تتبع دون شك من منهج الخير، وتتوخى صلاح البشر ،لأنها من الأقوال الرّشيدة التي تشحذ أذهــانهم، وتهــبهم التبصر، وتدلهم على الدّرب القويم نابعة من ايمان راسخ وسم بطابعه اختبارات وســيّر الحياة اليوميّة للمزابيين وهيّ حاضرة في يوميّات النّساء والرّجــال والأطفــال فــي مختلف نواحيها.

المثل .. لوحة البداية والنهاية :

اتخذت المجتمعات الثقافة الشعبية موضوعا للتفكير في تقابلها مع الثقافة الكلاســيكية واستثمرت في ذلك جملة من الفرضيات الموضوعية في البحث في الثقافة الشعبية وقــد تحولت إلى منطلقات، حيث اتجهت نحو التمييز بين الثقافة الشعبية والثقافة الكلاســيكية. فالثقافة الشعبية تعني الثقافات التي تتعارض في منطقها ولغتها وصــورها ومحاورهــا ومراجعها ومقاصدها مع الثقافة الكلاسيكية أو الرسمية .وهي كل الثقافات التــي تــتكلم

بلغة العوام وتعكس بناهم الذهنية ورؤيتهم للعالم. وينبني هذا التعـارض مـع الثقافـة الرسمية على شكل التبليغ والتواصل والنقل أكثر من المضمون ولا يعني هذا أن الثقافة الرسمية الملتزمة أو الواقعية أدبا وقصة وغناء وشعرا هي ثقافة شعبية، فالفرق بينهمـا هو فرق في طرق التبليغ أو أشكال إنتاجه.

المثل بملامحه الوامضة محددة ترتسم مـن خـلال الخطـوط العريضـة لعقـل المجتمعات الجمعي, وآلية تعبيرها عن الواقع، وحركة مفرداتها المختلفة, وما احتوتهـا من مكتسبات معرفية خلال فترة طويلة من الزمن، وهذه الصورة هي بالضرورة نتاج مؤثرات مختلفة خارجية، وداخلية تفاعلت مترافقة مع شروط معينـة كانـت نتيجتهـا وصول المجتمع إلى ما صار إليه، والمثل العامي المحلي هو أحد المكونـات الهامـة للثقافة الشعبية للمجتمع كان ظهوره, واستمراره، وتداوله بشكل معين نتيجة مجموعـة من المؤثرات المختلفة المتداخلة, ويمكن لنا القول إن لكل مجتمع محلـي مهمـا كـان صغيراً شكلاً محدداً من أشكال، وأساليب إنتاج الخيرات المادية تعكس طـرق تفكيـر جماعية، وثقافة شبه عامة لأفراد المجتمع المذكور.

هوامش الدراسة:

---

(1) جبور عبد النور، المعجم الأدبي،(د ط)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1986م، ص63.

(2)–سعيد سلام ،دراسات في الرواية الجزائرية وتناصها مع الأمثال ،ط1،دار التنــوير للنشــر والتوزيع،2012م،ص92.

(3)– المرجع نفسه ،ص ن .

(4)–صالح ترشين ،في ديوانه "أولْ انو"، المطبعة صالح تورشين، ديوان " أول إنــو"، المطبعــة العربية، دار القطب، غرداية،ط1994،1،ص 3107.

(5)– المصدر نفسه،ص110.

(6)– المصدر نفسه،ص110.

(7)– المصدر نفسه،ص110.

(8)– المصدر نفسه،ص 153.

(9)– المصدر نفسه، ص 316.

(10)– المصدر نفسه، ص 110.

(11)– المصدر نفسه، ص 176.

(12)– المصدر نفسه، ص 110.

(13)– المصدر نفسه، ص170.

(14)– المصدر نفسه، ص316..

(15)– المصدر نفسه، ص117.

(16)– المصدر نفسه، ص 169.

(17)– المصدر نفسه، ص117.

(18)– المصدر نفسه، ص117.

(19)– المصدر نفسه، ص117.

(20)– المصدر نفسه، ص199 .

(21)– المصدر نفسه، ص118.

(22)– المصدر نفسه، ص 205.

(23)– المصدر نفسه، ص 118.

(24)– المصدر نفسه، ص318.

(25)– المصدر نفسه، ص318.

(26)– المصدر نفسه، ص175.

(27)– المصدر نفسه، ص318.

[28]- المصدر نفسه، ص318 .

[29]- المصدر نفسه، ص125 .

[30]- المصدر نفسه، ص 318.

[31]- المصدر نفسه، ص125.

[32]- المصدر نفسه، ص319.

[33]- المصدر نفسه، ص319.

[34]- المصدر نفسه، ص142.

[35]- المصدر نفسه، ص 319.

[36]- المصدر نفسه، ص319.

[37]-المصحف الشّريف، سورة الشّرح، الآية السادسة، برواية ورش عن نافع، ص596.

[38]-المصدر نفسه، ص 187.

[39]-يحي بن بهون حاج امحمد،(الادب المزابي بين الحفظ والتدوين؛ الأشكال السردية التقليدية نموذجا.) متاح على الموقع:

https://revues.univ-ouargla.dz/index تاريخ الانزال:

2018/03/20م

[40] -أحمد خواجة، الذاكرة الجماعية والتحولات الاجتماعية من مرآة الأغنية الشعبية، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، سلسلة أضواء تونس 1998، ص 17. .

القراءة في الأدب الامازيغي
الأمثال والحكم بالميزابية نموذجا

د. حمو بن إبراهيم فخار
كلية الحقوق، جامعة غرداية
hfekhar71@gmail.com

تمهيد:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، القائل في محكم تنزيلــه(الرحمــان علــم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)أي علم أدم البيان الذي هو النطق والإعــراب عما في النفس بلغة من اللغات كل هذا تعليم الله عز وجل ولولا الله ما نطق إنسان

حيث لا يوجد صوت أحد مساويا لصوت الآخر مع كثرة الناس، ولــو اتفقــت الصور أو الأصوات لتعطلت مصالح. فباللغة يفكر الإنسان ويتعلم. فهــي أســاس التنمية الفكرية والمادية وعليه يمكن القول ،إن اللغة تحتل مكانة مركزية كبيرة في رسم مصير الحضارة، وتوجيه مصيرها. يقتضي هذا العناية بها ورعايتها، والعمل على التعامل معها بحذق ومهارة، وبمنهجية محكمة.

وعملا بهذا المبدأ نجد اللغة المازيغية كانت ولا تزال جزءا لا يتجزأ من ثقافــة المجتمع الجزائري، وهو ما أكده الدستور الجزائري في المادة الرابعة منه

تمازيغت: هي كذلك لغة وطنية ورسمية تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكــل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني . (1)

وبناءً على ما تقدّم جاءت هذه الورقة البحثية لتساهم في إبراز جانب لا يستهان به في الأدب المازيغي وهو يتعلق بقراءة في بعض الأمثال والحكم بالمزابية.

حيث نتناول في المحور الأول أهم المراحل التي مرّ بها الأدب المزابي وفــي المحور الثاني نتطرق إلى بعض الأبعاد التي تضمنتها الأمثال والحكم .

أولا: لمحة عن التراث المزابي

قبل الغوص في طيّات هذا الموضوع جدير بنا الوقوف عند مضامين قــواميس اللغة العربية وأقوال العلماء التي قيلت في تحديد المقصود بالتراث وهو مـــا ســيتم بيانه فيما يلي .

أ- **المقصود بمصطلح التراث:**

فكلمة التراث من الناحية المعجمية مشتقة من مادة (ورث)، يرث، ميراثـــا، أي انتقال إليه ما كان لأبويه فصار ملكا له.والتراث والميراث ماورث. (2)

كما وجد ورودا لهذه الكلمة في القرآن في قوله تعالى **(وتأكلون التـــراث أكـــلا لما).**

أما الأستاذ جبور عبد النور فيعرف هذا المصطلح بأنه: ما تراكم في الأزمنـــة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهـــو جزء أساسي من قيمه الاجتماعي والخلقي.(3)

ب- **الأدب المزابي من الشفوية إلى الكتابة**

بالرجوع إلى ألوان وأشكال الأدب المزابي بما فيه القصـــة والأمثـــال والحكـــم والشعر نجد مثل هذه الأعمال حفظت في ذاكرة الأفراد تنتقل من جيل إلـــى جيـــل مند القدم حيث لا يعرف أصحابها مما يجعل من الصـــعب ضـــبط تـــاريخ هـــذه الأعمال وكل منطقة تذكرها وترويها بطريقتها الخاصة.(4)

وبقي الأمر على هذا الوضع إلى حين صدور بعض المؤلفات والدواوين فـــي أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي، كأعمـــال الشـــاعر عبـــد الوهاب فخار، الذي له فضل الانطلاقة الفعلية في تدوين وتدريس اللغـــة المزابيـــة وقد صدرت له مجموعات شعرية جديرة بالدراسة والنقد، وهي كالتالي:

أ. وريدة قرج، القيم الروحانية في الثقافة الأمازيغية،، ملتقـــى الامـــازيغ وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 2010،ص 4.10

- " ئمطاون ن الفرح " (دموع الفرح)
- " ئمطاون ئزوغاغن " (الدموع الحمراء)
- " تايدرت ن وغلان " (سنبلة مزاب)

كما برز في الساحة الأدبية شاعر متميز لا يقل أهمية عن سابقه، أضاف للأدب المزابي الكثير، واهتم بجمع التراث القديم وتوظيفه في شكل إبداعي رائد، ألا وهو الأستاذ صالح ترشين صاحب ديوان

- " ؤلينو " (قلبي)، مترجم إلى العربية والفرنسية.
- " تايني ن ويلان " ذاكرة السنين، وهو ترجمة لبعض القصائد إلى العربية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية (2007).

دائما في خدمة التراث المزابي تجدر الإشارة إلى العمل المؤسس لقواعد الكتابة والنحو الخاصين باللغة المزابية في الجزء الأول، بالأحرف اللاتينية والعربية الصادر عن المطبعة العربية سنة 1996، من تأليف الأستاذين: إبراهيم عبد السلام وبكير عبد السلام اللّذين لهما فضل السبق في هذا المجال، إذ جمعا نصوصا نثرية وشعرية مع ذكر نماذج من الأمثال الشعبية المزابية. وقد تبعتها أيضا خطوة مشرقة في حقل التدوين لقواعد اللغة المزابية كتاب " تاجرومت ن تومزابت " سنة 2006، بالأحرف اللاتينية، الصادر عن دار الفرقان للأستاذ محمد كحل عينو. وفي سنة خمس وألفين 2005، صدر كتاب يحمل عنوان " أحوّف ن وغلان " (الإنشاد المحلي) من إعداد الشاعر والمنشد: عمر بن سليمان بوسعدة، وقد جمع فيه احدى وستين -61- قصيدة بين القديم والجديد مما أبدعه شعراء مزاب لتكون مرجعا للمنشدين والباحثين. وفي سنة 2010 قام الاستاذ الباحث يوسف بن يحي الواهج بإعداد دليل للباحث في اللسان المزابي، وهو الموسوم ب " إلسنغ " (لساننا) عبارة عن دليل الحصص الإذاعية للأستاذ الفاضل حواش عبد الرحمن، والتي كانت تبث أسبوعيا عبر أمواج إذاعة الجزائر من غرداية منذ سنة 2002 إلى 2008 عن اللغة المزابية وأصولها، واسم الدليل هو نفس اسم حصص الاستاذ حواش عبد الرحمن.

وفي سنة 2011 توجت المكتبة الجزائرية بمولود جديد لطالما انتظره المثقفون والمهتمون. ألا وهو القاموس المزابي الفرنسي. ثمرة مجهود الاستاذين نوح مفنون احمد وإبراهيم عبد السلام، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية <<ENAG>>

وحدة الرغاية تحت إشراف المحافظة السامية للأمازيغية. عدد صفحات القاموس 393 ويشمل على 9700 لفظة [5]

ثانيا بعض الأمثال والحكم بالمزابية:

الأمثال هي أقوال لها مكانة أدبية رفيعة لدى كل الشعوب والأمم باعتبار أنها تمثل حكمتها وخلاصة تجاربها وتعد من أقدم وأعرق أنواع الأدب.

ويعرف أحمد أمين الأمثال بأنها نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولفظ التشبيه وجودة الكناية. [6]

ومن هنا يمكن القول أن ضرب الأمثال من الأسباب البليغة التي تقرب المعاني الدقيقة من الأفهام وتدفعها إلى التأمل والتفكر [7]. والاعتبار وفي هذا الصدد روي أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال .. فاعملوا بالحلال ،واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم ،وآمنوا بالمتشابه ،واعتبروا بالأمثال.**) [8]

ومن أجل إبراز ما جاء في بعض الأمثال بالميزابية من معانٍ رأينا تصنيفها إلى المحاور الآتية:

ت- **<u>1-البعد الروحي والاجتماعي:</u>**

"**تطاوين تطاوين أوول**"

وهذا المثل ترجمة لقوله تعالى إنها لا تعمى الأبصار

ألم نسن انج انغ دموش موشنغ أنجنسن ضالم.

هذا المثل يضرب لمن يكيل بمكيالين إذ يقزم الأشياء ويستخف بها حتى لو كانت في الحقيقة عظيمة وخطيرة وفي المقابل يهول من بعض الأشياء ويضخمها متى كانت تخدم مصالحه إذ العبرة من هذا المثل هو تحذير أفراد المجتمع من التعدي على بعضهم البعض فالظلم ظلمات والخالق عز وجل يرشدنا إلى العدل حيث يقول(وإذا قلتم فاعدلوا).

ث- 2-البعد الفكري:

"ماني لان أولاون أضاوضن إضارن"

هذا المثل يضرب للطموح والتعلق بالأهداف وبمعنى آخر لو تعلقت همة المرء بالثريا لنالها

إيلس نتاعرابت د إيلس نتوغرسانت انترشاست نفوسي تتي نزلمد

وهذا المثل يبيّن أهمية كل من اللغة العربية واللغة المزابية بحيث لا يمكن ان تحل لغة محل أخرى مثلما الإنسان يحتاج إلى حذاء للرجل اليمنى وأخرى لليسرى.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد الوهاب حمو فخار، كان أبي رحمه الله دائما يحذرني من التطرف والتعصب للغة دون أخرى، ويؤمن بأن لكل من العربية والأمازيغية مكانها ومكانتها في بناء شخصية المواطن المسلم الصالح المتزن، في تاريخ مزاب العريق، الزاخر بالأمجاد والعظائم...وبتلك التوجيهات النورانية، من أديب لا يشق له غبار في اللغة العربية وآدابها، شققت طريقي، راجيا من الله أن أكون عند حسن ظنه حاضرا أو غائبا، حتى أبرز أمام عينيه، أو تحت أنوار روحه الطاهرة، خير خلف لخير سلف، مرددا شعاره في الحياة.[9]

3-البعد التربوي:

"و وفين أولطيف أدكلب أولتيف" [10]

وهذه الحكمة معناها من ضيع الفرص تجرّع الغصص، وفي ذات الغرض نجد مثلا يضرب

- **"ويوفين تاسيرت ادزد اغجار دو منسيس"** .
- **"أرانوم أميدن دزت أدلمد لحليب سومخاض يتربى تلوستيس"** [11]

هذا المثل يقال للمربي حتى يقوم بواجبه التربوي وفقا لما تقتضي به الأسس التربوية وهو مبدأ تدريب الابناء على تحمل المسؤولية بعيدا عن التدليل المفرط إذ مبدأ الثواب والعقاب في العملية التربوية أمر ضروري فأي إفراط أو تفريط في المسألة يخلّف آثارًا سلبية يجنيها كل من الآباء والأبناء فالولد أن يبكي وهو صغير خير أن يبكي وهو رجل .

"**احمل تدروين**"

تحمّل أشواك النخلة مثل يضرب لمن يتذمر من صعوبات الحياة، يوجه الإنسان إلى الصبر على المكروه حتى يبلغ هدفه ويحقق مراميه في الحياة بالضبط مثلما لا يستطيع جني التمر دون أن تنال منه الأشواك .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر عمر بن سليمان بوسعدة

"**اتشرتد اترواك**"

أشـــرتد أتـــرواك إليـــت قـــاع دخســـان　　لاش وتــــدجان أســـو إمـــاون

تخســـم اتشـــم امـــلاو س تزدايـــت　　بـــلا ودجَّـــال تلـــيم اتنقِّـــيم أداون

نكلت تزعمي　　أتافم تزعمي. (12)

"**أدج تكلمونت تنكظ**"

وهذا المثل يضرب لتوجيه الناس بأن يتجاوزوا عن بعض ويتخلقوا بخلق ســعة الصدر حيث لابد من التغافل أحيانا عن بعض الأخطاء فلا نكثر اللــوم فالإنســان مهما تحرى الصواب قد يقع في الخطأ.

ج- 4-البعد الاقتصادي:

"**شار باجو دسات ساشو**"

املأ الربد قبل الفراش واحذر من الجفاف صالح ترشين .

الخاتمة:

بناء على ما جاء في هذه الورقة البحثية يمكن القول أن الأدب المــازيغي لــه تراث فكري بما فيه الأدب المزابي يجب على الدارسين والبــاحثين الإعتنــاء بــه بداية من تدوينه ونقده وإخراجه في ثوب جديد حتى يسهّل للقراء والناشئة الرجوع إلى هذه الذاكرة بكل يسر ولا سيما في الوقت الذي أصبحت فيه هذه اللغة معتمــدة في الدستور كلغة رسمية.

هوامش الدراسة:

---

[1] أبي بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، دار التوفيقية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية2012،ص.422

2قطب الأيمة الشيخ الحاج امحمد بن يوسف اطفيش. تحقيق وإخراج الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي، تيسير التفسير، المطبعة العربية نهج طالبي أحمد، غرداية الجزء 11 ص 109

3دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 6 مارس 2016

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط1، مجلد 05، دار صادر بيروت،ط1، مجلد 05، 2000، ص720-721

[3] أ. أوريدة قرج، المرجع السابق ،ص 11 .

[4] أ. أوريدة قرج، المرجع نفسه ،ص 74.

[5] يوسف لعساكر، أنثولوجيا الأدب المزابي ئدورّان ن تسكلا، مديرية الثقافة لولاية غرداية 2001، ط 1، ص .09- 11 .

[6] الموسوعة في أمثال ،إعداد مكتب الدراسات ،دار الهدى للطباعة والنشر، ص10

[7] الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش.، نفحات الرحمان في رياض القرآن. نشر جمعية النهضة ،.الجزء 13، 2007 ص475

[8] الموسوعة في أمثال، لمرجع السابق،ص18

[9]عبد الوهاب حمو فخار. تسلسلت ن وورغ. مطبعة الفنون الجميلة 2015 ص12

[10] ابراهيم باحمد عبد السلام، تعلم الكتابة الامازيغية في وادي ميزاب، ألماد ن تيرا ن تمازيغت د يغزر نات مزاب

[11] راجع قصيدة اومزاب جار باريس دوغلان للأستاذ عبد الوهاب حمو فخار.

[12] عمر بن سليمان بوسعدة، احوف ن وغلان ،ص43.

الأمازيغية بالجنوب الجزائري
كرونولوجيا تاريخية

أ. عمر بن عيسى سماوي
محامي، ورئيس المحكمة العسكرية بورقلة سابقاً

التقديم:

هذه الورقة أظهرتها رياح العهد الجديد للدستور الذي صادق عليه الشعب وصدر بموجب القانون الصادر بتاريخ 06 مارس 2016، والذي جاء في مضـــمونه رواح الأمازيغية الجزائرية طرفا كامل الصفة في هوية الشعب والدولة بعد طــول تفكيــر وتجاذبات وتردد، وإقبال وإحجام وتحفظ.

إن الإقرار للأمازيغية مكانة في بناء الدولة الجزائرية مع العربية، اكتمال للسيادة بعد استرجاعها من المستعمر المغتصب لها لأكثر من قرن وثلث، وبتمام العناصــر الأساسية للهوية الوطنية ينبغي رفع الإقصاء والنكران عن التراث المادي واللامادي للأمازيغية في الجزائر منذ فجر التاريخ وعبر المراحل المتعاقبة وإلـــى اليــوم بمــا يزخر في مخزونه ومضمونه من فنون في كل المجالات.

هكذا وفق مسالك الدين[1] ينتهي الكتمان إلى الظهور بكل أبعاده إقلــيم، مجتمــع عمران، علوم مختلفة ودين، تعلو في عالم الإنسانية شجرة جذورها راسخة في تربة الجزائر وجذعها سابق في جوها، فروعها ممتدة إلى كل الجهات وارفــة الضــلال وافرة الغلال صبغتها من صبغة الله وقد تزكت بالفتح الإسلامي للشــمال الإفريقــي استقبالا واعتناقا وإخلاصا، وقد كانوا من قبل ردوا جميع المحاولات الغازية ببسالة وقوة.

منذ إسلام الأمازيغ تبدو العربية لغة وحرفا مع الاحتفاظ بلغتهم لهجــات محليــة لسانا وتواصلا، فكان للفكر وللعلم منهم تراثا، فصيحا مرجعيتــه بمرجعيــة دينيــة

إسلامية حملوها إلى اقوام الساحل جنوب الصحراء شرقا وغربا والى أوروبا شمالا.

هذه الورقة رسم لطريق بإشارات دلالية عن أمازيغ ميزاب فرع يتميز بتراثه المادي واللامادي في الساحة أمة وحضارة بما يحقق لظهور مكان وللمسعى أحقية ويحدد المراكز ويرتب الأولويات في الدول الجديدة باعتبار الشعب أساس الحضارة ومصدر السيادة وتوافر الإرادة يعكس رشاد الحكم وينزل غنيمة الحرب نطاقها في الفعل دون تحدي ولا تجاوز كل شيء جاوز حده انقلب الى ضده، في تسيير شؤون الأمة وتمثيل الدولة في الخارج[2].

محاولتي من هذه الورقة وضع عناوين فيما يخص ميزاب تراث حضاري تاريخ ومذهب. بعد سقوط الدولة الرستمية ونزوح البعض من عائلات امازيغية اباضية إلى الجنوب الجزائري سدراته. منطقة ورقلة ثم الشبكة شعاب وادي ميزاب للاستقرار، وما ساهموا به من عبقريات في فنون الإنتاج الإنساني وصناعة للحضارة. فكرا، عمرانا وسلوكا وما خلفوه وخلدوه إنتاجا محفوظا مطبوعا أو مخطوطا أو شفوي. لعل المسعى يكون له مسرى إلى مقررات وبرامج المؤسسات المختصة بالثقافة التعليم، تربية وتكوين فتحقق الإضافة، ويعم النفع بما يصلح الوضع ويرفع الشأن في الأمة وبين الأمم.

عينات من الشخصيات التي عملت والتي لا زالت تعمل، إلى جانب أحداث ووقائع، عناوين للدراسة، البحث، التحقيق ورسائل تضاف إلى المخزون من التراث الموروث والمطمور والمحتفظ به لدى العائلات والنصيب الموضوع في المكتبات الخاصة مكتبة الاستقامة، مكتبة أبو اسحاق، مكتبة الصفاء، مكتبة البكري، مكتبة التوفيق ومكتبة جمعية التراث وما يوجد في المكتبات العمومية والمحلية والمكتبة الوطنية.

بشر الله المسلمين بعد فترة من بعث الرسول (ص) لتبليغهم رسالة الإسلام بقوله" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي..." [3]، مع أنها ليست الآية آخرة النزول من القرآن الكريم .

لقد كان وقع هذه الآية في نفوس المؤمنين عميقا ومؤثرا، فهي منة وهــدي لمـــا يجب أن يكون عليه الدين الذي استمر نزول الوحي به حوالى ثلاث وعشرون ســنة ووجوب تحمل المرسل إليه تبليغه إلى العالمين كافة – قرآن وسنة نبوية.

إن اكتمال الكمالة يحقق المقاصد ويجلي الرؤية ويقيم الدليل بداية ونهايـــة لمـــا يتطلبه السعي من جدية وإخلاص، فهي أمانة و تحمل الأمانة بما يعترضها وتتطلبــه في حكم الشرع والعرف كبير.

نحس بنفس الشعور بعد صدور الدستور الجديد بموجب القــانون رقــم 16/ 01 بتاريخ 06 مارس2016 المعدل للدستور السابق و تلك المواد التـــي صـــدرت منـــذ استرجاع السادة الوطنية في 05 جويلية 1962، بحيث رسم القانون الدستور الجديـــد قانونا أسمى فيما يتعلق بالأمازيغية لغة رسمية وتراث وطني، ما يفتح الباب إلـــى رد الاعتبار لجزء كبير من مشكلات الهوية الوطنية في سبيل إقامة الدولـــة الجزائريـــة كيانا مستقلا ذا سيادة وأبعاد إقليمية ودولية.

بموجب هذا الدستور وما جاء به من تحول وتبنى من موقــف تــاريخي جــرأة واعترافا تماما مثلما حصل عند إعلان الاستقلال الوطني بعد ثورة تحريرية كبـــرى وحركة وطنية سياسية، تربوية واجتماعية ومقاومات شعبية متعددة، فأصـــبح لزامـــا تمكين الامازيغية بما تمثله في الجزائر إقليما، مواطنين وتراث ما تســـتوجبه الإرادة الجديدة وتوافقها مع الإرادة الشعبية من وسائل وهياكل وحوافز مثلما هو قائمـــا مـــع اللغة العربية نصا وتفعيلا.

نحاول من خلال هذه الورقة رسم نطاق الامازيغية في الجزائر باعتبارها موروثا تاريخيا أقرته الأبحاث والدراسات وتشهد به الآثار المادية واللامادية المنتشرة عبـــر الإقليم، والتي أكدت أن الامازيغ سكان أصليين لشمال إفريقيا ومنها الجزائـــر، وقـــد واجه كل محاولات الغزو والاعتداءات التي شنتها القوميـــات الأخـــرى بيزنطيـــة، نوميدية ، رومانية وغيرها، إلى الفتح الإسلامي بقيادة التابعي عقبة بن نافع الفهـــري في إطار تبليغ رسالة الإسلام، تعبدا وتدبرا، فقد استقبل بالاســـتجابة والرضـــا مـــع الانخراط في فعل الفتح نحو أوربا وأمريكا.

من خلال هذا العرض يكون تتبعنا لأمازيغ الجزائر المسلمين حركة وحضارة في إطار التراث الذي خلفوه وما عرف عنهم من خلال الدراسات والبحوث في الوطن وخارجه ومن الغربيين بحيث تزخر خزائن العلم الخاصة والمكتبات بالكثير من المراجع التي يمكن اعتمادها والاطلاع عليها والأخذ منها المفيد من الأخبار والأحكام في إطار العلاقات والمبادرات المشكلة لحضارتهم المادية والفكرية في حدود الإقليم الجزائري وخارجه نحو الشرق العربي أو دول الساحل جنوب وعمق إفريقيا غربا وشرقا وفق ما أرخه ابن خلدون، ابن الصغير، الإدريسي وغيرهم[4] عن القوافل التجارية التي كانت إلى جانب السلع تساهم في العمران والسلوك الطيب والرأي وبما أبدوه من كمالات دينية صدقا وأمانة مع شعوبها. إلى أن توالت حملات الغزو من أوربا، تبشيرية، تنصيرية واستعمار من أجل الثروات الطبيعية والتوسع والاستغلال المهين لشعوب إفريقيا عبيدا وجنودا ووقودا، ما عجل بانحسار مذهب قيم، المبادئ، العبادة والتعامل وإلى انسحاب كلي من مجالات السياسة والدعوى بعد سقوط الدولة الرستمية والنزوح الى الجنوب الجزائري للعديد من العائلات الأمازيغية الاباضية نحو سدراته في ورجلان ثم الاستقرار في وادي ميزاب[5].

إن استقرار الأمازيغ الاباضيين في جوانب وادي ميزاب قام على بناء القرى العطف، بنورة، غرداية، بني يزقن، القرارة وبريان، خلال مدة زمنية متقاربة واشتغلوا بالعمران، بناء، فلاحة، تربية وتعليم لبعث الحضارة التي أفلت مع سقوط تيهرت وسدراته.

اجتهد الكثير من الشيوخ بعصامية مشهودة آثارها، فكرا ورأيا لتحمل أمانة الدين دعوة وتدريسا، تأليفا وتوليفا، من أجل بناء مجتمع متكافل بين أفراده متوافق في توجهاته ومتضامنا في مواجهة أعدائه.

يكون من المفيد التركيز على ذكر بعض الشيوخ الذين خلفوا آثارا في التراث المكتوب والمخطوط بالمنطقة منذ بداية القرن العشرين للتقريب وليس الحصر أمام ما يتوفر من مراجع دراسات وبحوث ورسائل علمية وكتابات، مرصودة وأخرى محفوظة في خزانات عائلية لم يتم بعد الكشف عنها حرصا من أهلها. أحسن وإن لم

يحسنوا صنعا، لما في ذلك من تعطيل للعلم ومخالفة للقصد ممن عملوا وعانوا مـن أجداد وآباء وحرموا بذلك من أجر وثواب[6]، بما مكن الحركة الإصلاحية في بدايـة القرن العشرين من توفر أسباب انطلاقها والجزائر حين ذاك تحت وطأة الاسـتعمار الفرنسي الشامل لكل الإقليم انطلاقا من الحركة العلمية، التربوية للشيخ محمـد بـن يوسف أطفيَّش والشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش إلى الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ومن معه من شيوخ قرى وادي ميزاب مجتمعين[7].

وقفت الحركة الإصلاحية من أمازيغ ميزاب في مواجهـة الاسـتعمار الفرنسـي ودسائسه التفريقية والتجهيلية بواسطة الشيوخ أعضاء حلقات العزابة فـي المسـاجد وبتنسيق بينهم في مجلس عمي سعيد[8] ومع المجتمع المدني في مجلس عبد الرحمان الكرثي[9] مع المشاركة الفعالة في الحركة الوطنية، سياسيا، تربويا وماديا. أحـزاب وجمعيات وإعلام جرائد، مجلات وتآليف داخليا وخارجيا، وذلك الى اندلاع الثورة التحريرية والتحضيرات السابقة لها حتى استرجاع السيادة الوطنية بعد إعلان وقـف اطلاق النار في 19 مارس 1962 عيد النصر في الجزائر.

اجتمعت الأسباب المطلوبة لإقامة الدولة الجزائرية الحديثة من كل الفئـات التـي يتكون منها الشعب أمة واحدة إقليما وهوية تفعيلا للسيادة الكاملة ترابا، ثروات وبنـاء في عالم تحكمه قوانين دولية بمبادئ وقيم إنسانية تشرف عليها هيئات دولية وإقليميـة انخرطت فيها الجزائر ناشطة ومشاركة بعد أن كانت غير معلومة ولا موجودة لـدى من أقر مرغما أو مقتنعا بها دولة، نظام وسيادة.

تعززت الجزائر بالدستور الجديد (2016) بعـد أن وحـدت عنصـري الهويـة _العربية والامازيغية_ مع الدين الإسلامي ثوابت تؤسس لوجودها مع الأمم وبينهـا مساهمة في الحضارة والتراث العالمي بما ورثته عن الأجيال السابقة وتصـنعه مـع الأجيال الحالية والمستقبلية .

إن الرجوع الى ذكر بعض الشيوخ الذين تواجدوا جهودا وآثارا فكرية وتربويـة واجتماعية قبل استرجاع السيادة الوطنية من أمازيغ ميزاب تواصـلا للـذين هـم

ينشطون بعده ربطا للحاضر مع الماضي وبناء للمستقبل تدعيما للصرح الذي يجسد الدولة الجزائرية أمة وحضارة.

شيوخ لهم فكر وذكر:

الشيخ محمد بن يوسف أطفيَّش :1818م/1914م

عالم موسوعي كتب في كل العلوم[10] الفقه، الشريعة، الفلسفة، المنطق الحديث، النحو، الفلك وغيرها. منح لقب (قطب الأئمة) من طرف السلطان عبد الحميد الثاني الباب العالي، تركيا ومنح رخصة الدرس لليلة واحدة بالمسجد النبوي في المدينة المنورة وكانت ثلاثة دروس متتالية اقنع بها الحاضرين وأسكت اللاغين.

خلف مكتبة عامرة في بني يزقن ولاية غرداية مفتوحة لطلاب العلم ومن التآليف التي رصدت من بين 320 ثلاثمائة وعشرون انجاز وآلاف الرسائل، فتاوى وخطابات إلى جهات مختلفة داخل الوطن وخارجه، علماء وقادة دول وإلى المستعمر في الجزائر وخارجها.

نذكر من بين تأليفه:

أ) التفسير: ثلاثة تفاسير للقرآن، هميان الزاد ليوم الميعاد، تيسير التفسير، داعي العمل ليوم الأمل وشرح النيل وشفاء العليل وغيرها.

ب) في الحديث والسيرة: جامع الشمل في حديث خاتم الرسل، وفاء الضمانة لأداء الأمانة والسيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، ترتيب الترتيب وغيرها

ج) الفقه :شرح رسالة الوضع لأبي زكريا، ترتيب المدونة الكبرى للخرساني وشامل الأصل والفرع وغيرها.

وكتب أخرى في العقيدة، التاريخ، اللغة، الأخلاق والشعر كثيرة مطبوعة ومخطوطة.

الشيخ أبو اسحاق ابراهيم طفيش:1887 م/1965م

هو ابن أخ القطب، عالم وفقيه ومناضل سياسي، نفته فرنسا الى تونس وأسس مع آخرين الحزب الدستوري التونسي ثم نفي إلى القاهرة في عام1920م، حيث عمل

أديبا ومناضلا وصحفيا بأن أصدر جريدة المنهاج لمقاومة الاستعمار وأعوانـــه وقــد مثل الإمام غالب بن علي إمام العمانيين في هيئة الأمم المتحدة قبل بينها والسلطنة.

تولى طبع العديد من تآليف الشيخ أطفيَّش قطب الأئمة إلـــى جانـــب إصـــداراته البحثية والصحفية والفتاوى الشرعية والتقديم والتحقيق. قال عنـــه صـــديقه المقـــرب أحمد توفيق المدني" عالم ورث عن جده العلم والعمل يهابه القوم ويزدادوا تألقا فـــي نفوسهم"، بتصرف.

الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى: 1888 م/1973 م

رائد الصحافة الوطنية، عضو تأسيسي في جمعية العلماء المسلمين عضـــو اداري في المكتب سنة 1934 م ومن رواد الحركة الإصلاحية في ميـــزاب إلـــى جانـــب زعيمها، مجاهد ومناضل سياسي في الحركة الوطنية، عالم وفقيه للعلـــوم الشـــرعية والاجتماعية، أديب وشاعر له مؤلفات وديوان أشعار من جزئين مطبوع، ورســـائل إلى مختلف القادة، الرواد والشيوخ وفتاوى وهـــو منشـــئ المطبعـــة العربيـــة ســـنة 1930م، بعد أول جريدة في عام 1926م وآخرها في سنة 1938م وعددها ثمانيـــة جرائد ومن تراثه المكتوب: سلم الاستقامة، تاريخ صـــحف أبـــو اليقظـــان ســـليمان الباروني، فتح نوافذ القرآن وغيرها ومن المخطوط الاباضية فـــي شـــمال إفريقيـــا وملحق سير الشماخي

الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض: 1899م – 1981 م.

رائد حركة الإصلاح في وادي ميزاب، عضو مؤســـس فـــي جمعيـــة العلمـــاء المسلمين، شغل منصب أمين المال بعد أن شارك في صياغة قانونها الأساسي عضو حلقة العزابة بالمسجد الكبير بالقرارة ورئيسا له، واعظا، مدرسا ومفتي شعاره الـــدين والخلق قبل الثقافة؛ شارك في الحركة الوطنية من بداية القرن العشرين وفي الثـــورة التحريرية قائد مع القادة منسقا ومشرفا قال عنه الرئيس يوسف بن خـــدة " مناضـــلا جاد ومناضلا صارما في وحدة التراب الوطني ودعـــوة الإخـــوة" أمـــازيغ ميـــزاب الالتحام مع الأمة في مقاومة الاستعمار مصلحة الوطن قبل مصلحة الفـــرد شـــارك بفكره وقلمه وحضوره اللقاءات والملتقيات الخاصة بالقضية الوطنية باللغـــة العربيـــة

والدين الإسلامي. كان عضو منتخبا في المجلس الجزائري لعهدتين وكـــان عضـــوا معينا في الهيئة المؤقتة التي تولاها السيد عبد الرحمان فارس بالصـــخرة الســـوداء (بومرداس) والتي أشرفت على الانتخابات التي توهب الاســتقلال فـــي 5 جويليـــة 1962.

خلف عدة أجيال من الطلبة والأساتذة والتراث الفكري والفتاوى الشــرعية منهـــا المطبوع والمخطوط إلى جانب تفسيره للقرآن الكريم وختمه في حفـــل كبيـــر عـــام 1980م، نوه عن ذلك الرئيس الشاذلي بن جديد في رسالة الى المهرجان منها "مـــآثر الشيخ بيوض وجهوده في سبيل الدين والوطن جديرة بكل تقدير"[11].

الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري :1901م /1986م.

عالم وفقيه، أديب، مؤرخ ومفتي عضو حلقتي العزابة العطف وبريان ومجلـــس عمي سعيد ثم رئيسا له، كما كان عضو ناشـــطا فـــي جمعيـــة العلمـــاء المســـلمين الجزائريين في لجنة صياغة القانون الأساسي.

مدرسا، واعظا، باحثا، مؤلفا في التاريخ والشرعيات والفتـــوى لكتـــب مطبوعـــة قواعد الإسلام للجيطالي، كتاب النيل وشفاء العليل، عبد العزيز الثميني تحقيقا رجـــال الاصلاح في جيل وفتاوي البكري، خطب رسائل ومقالات[12].

الشيخ محمد علي دبوز:1919م/ 1981م

خريج الزيتونة و القاهرة في علوم التربية ، التاريخ و الاجتماعيـــة شـــارك فـــي الحركة الإصلاحية و في الحركة الوطنية ، عضو حلقة عزابة بريـــان ســـاهم فـــي مقالاته ورسائله وشعره ثم بإصداراته تاريخ المغرب الكبير ثلاثة أجـــزاء، نهضـــة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في أربعة أجزاء وخلف مكتبة الصـــفاء للمطالعـــة والبحث والدراسة في مدينة بريان ولاية غرداية.

الشيخ إبراهيم بن يحى حاج ايوب القرادي : 1923م /1989 م

فقيه وعالم في الشريعة والتاريخ و التراث المحلى الامازيغي، عضو حلقة عزابة العطف للمسجد العتيق ثم عضو بمجلس عمي سعيد، وجمعية القـــيم الإســـلامية دار الفكر الإسلامي، ومجلتها بالعاصمة، مناضل في الحركة الوطنية الجزائرية وعضـــو

مؤسس للمجلس الثوري لجبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، أثر العديد من الباحثين في التراث المعمار، التاريخ والفقه وشارك العلماء والباحثين في الملتقيات، المؤتمرات والندوات في الجزائر وخارجها، توفي بالروضة الشريفة بالمسجد النبوي في المدينة المنورة أثناء أدائه صلاة الفجر وهو في رحلة الحج عضو في بعثة الحج إلى البقاع المقدسة رحمه الله ودفن في البقيع مع الصحابة والتابعين.

الشيخ ناصر بن محمد المرموري: 1927 م /2011 م.

عالم عصامي وفقيه كون نفسه علميا بحكم علاقاته مع شيوخه طالبا ثم أستاذا معهم بمعهد الحياة بالقرارة ومن خلال تنقلاته بين قرى وادي ميزاب ومختلف المدن الجزائرية جنوبا وشرقا وإلى خارج الوطن: تونس، ليبيا، مصر، عمان تنزانيا في زنجبار.

اشتغل بالتدريس في معهد الحياة مباشرة بعد تخرجه، وكلف بالوعظ لمجتمعي الرجال و النساء بالمسجد الكبير في القرارة والدار المخصصة للنساء.

عين رئيسا للبعثة العمانية في القاهرة 1965/1996م مديرا ،مدرسا ومسئولا وانعقدت له حين ذاك علاقات حميمية وفكرية مع بعض شيوخ جامع الأزهر ومركز المؤتمر الإسلامي ومع مثقفين وقادة في الشرق العربي رفعت تكوينه ورصيده وساهمت في تفعيل مساره للإصلاح بعد عودته من مهمته إلى وطنه ليعين عضوا في حلقة عزابة المسجد الكبير بالقرارة وعضو في مجلس عمي سعيد ثم رئيسا له وكان عضو دائما في بعثة الحج إلى البقاع المقدسة للفتوى وللمزارات

خلف ثروة كبيرة فقهية، شرعية، أدبية، شعرية وفتاوى، طبع منها القليل جدا من خزانة ثرية بالتراث الإباضي والسنّي وقفها في خدمة العلم مطالعة، بحثا ودراسة لقد كان الى جانب ذلك له إشراف، تحقيقات وتقديمات لعدة بحوث ورسائل تخرج مع أشرطة سمعية وبصرية لدروس ومساهمات ومحاورات جد مفيدة، من كتبه المطبوعة مختصر تفسير الشيخ بيوض وأجزاء تفسير الحديث مسند الربيع بن حبيب ومذكراته[13].

للإشارة إلى هذه السلسلة من الشيوخ علاقات أخرى من الذين يمكـــن اعتبـــارهم فاعلين في الحركة الاصلاحية، الاجتماعية والتربوية من أمازيغ وادي ميزاب للأمانة والذكر كل من:

الشيخ شريفي سعيد بن بلحاج (الشيخ عدون)، الشيخ بلحاج قشار، الشـــيخ بكيـــر أرشوم، حاج حمو فخار، الشيخ سعيد محمد بن إبراهيم (كعبـــاش)، الشـــيخ محمـــد طلاي، الشيخ حاج إسماعيل يحيى بن إبراهيم والشيخ صـــالح بـــن طالـــب عمـــر اسماوى، شاعر الثورة مفدي زكريا، د. صالح خرفي، حمو بن محمد عيسى النوري وإلى جانبهم مجموعة الأساتذة خريجي الجامعات والمعاهد العليا والمدرسين بها فـــي الجزائر وخارجها منهم د.محمد صالح ناصر، د. إبراهيم بحاز د.محمد بـــن موســـى باباعمي ، د.داود بن عيسى بورقيبة، د.محمد قاسم بوحجام، د. قاسم بن عمر حـــاج امحمد، د.يحيى بن بهون حاج امحمد، د.مصطفى باجو... والكثيرين ممن هـــم فـــي الدرب وعلى العهد ندعو لهم بالتوفيق ونعتذر إليهم عن عدم الذكر أو التعريف.

وكل هذه الأسماء يمكن اعتمادها مواضيع بحث ودراسة لاستخلاص الكثير ممـــا يتعلق بأمازيغية ميزاب في الجزائر باعتبارهم من بين سكان وادي ميزاب والعاملين في المجتمع بجهدهم وفكرهم وفق القيم والمبادئ التي ورثوها عن آبائهم وأجـــدادهم واستوعبوها سلوكا، علاقة وتعاملا.

شهادات وانطباعات:

عرفت امازيغ وادي ميزاب في الجزائر بناء على ما تقدم وما هـــو موثـــق فـــي التراث المكتوب، مطبوع والمخطوط من بحـــوث ودراســـات ورســـائل أكاديميـــة لمتخرجين ومهتمين بالحضارة علوما وفنونا كلها أنهم أنشئوا منذ أكثر مـــن عشـــرة قرون لاستقرارهم عمرانا، سكنا، ونشاطا فلاحيا، تجاريا وتربويا، بنظـــام اجتمـــاعي خلفيته الدين الإسلامي قيما ومبادئ، تعبدا وتعاملا بينهم ومع غيرهم مـــن المقيمـــين والزائرين أو العابرين، ولهؤلاء انطباعات عن مستوى ونوعية ما وجدوه ولامســـوه، وشهادات ذات أبعاد إنسانية وإيمانية معبرة.

أ- مثقفون جزائريون:

1) الشيخ عبد الحميد بن باديس : لم يسجل عن رحلة مـــن الشـــيخ الـــى وادي ميزاب و لكن كانت له لقاءات في العاصمة، عند إنشاء جمعيـــة العلمـــاء وبمناســـبة نشاطها وعند زيارته البعثة من أبناء ميزاب للدراسة في تونس فقد عبر حينذاك فـــي مقال في جريدة الصديق "...ما شعرت به من متعة وافتخار وطني لما قدم بأســـلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية واللغة والعربيـــة والفرنســـية وحفـــظ القرآن باللهجة الفصيحة... غروس ضئيلة يوشك أن تجنى ثمارها " بتصرف

2) الأستاذ مالك بن نبي: سجل عقب زيارته إلى وادي ميزاب انه وجـــد وجهـــا لحضارة ذات جذور مع الحداثة، وأن البذرة تضاعفت وتكاثرت مجتمعـــا متماســـكا إجماعا يعقد كل علاقات الأفراد مع المجموعة مجتمع روحي أخلاقي سلوكا ولسانا. بتصرف(14).

3) الأستاذ محمد الهادي الحسني: عالم اجتماعي جزائـــري زار ويـــزور وادي مزاب عدة مرات معتزا بعلاقاته ومزهوا بحضوره مناسبات اجتماعية دينية وعرفية ومشاركا بكلمات وتدخلات منه أو بطلب ممن معه.

نشر في الشروق اليومي الجزائري: "...أجد في إخواني من أهل الوادي المبارك اللسان العربي الفصيح والانتماء الصحيح والخلق الإسلامي المليح..." وددت لـــو أن قومي على هذه الصورة الجميلة التي أفسدتها فرنسا وأنجى الله الوادي المبارك مـــن فسادها ليون شاهدا لما كنا عليه".

لا يخلو الحضور من استفادة علمية ومتعة أدبية في مناسبة اجتماعيـــة مهرجـــان أدبي، كلمات وعظات مؤثرة تسيل العبارات" بتصرف(15)

4) الدكتور ابو القاسم سعد الله: زار منطقة واد ميزاب سائحا وزارهـــا فـــي زيارة علمية في جلسة مع بعض المثقفين وحوارات عن الجزائر، ميـــزاب والكتـــب التراثية وأقام في بني يزقن، والعطف وغرداية، وحضر حفـــلا بالمســـجد، واســـتمع لأناشيد وأشعار، وآداب نثرا وفق الموروث الحضاري، اعتزاز أصيل ولغة عربيـــة وقرآن يطمئن البال والأمل بمستقبل سعيد للوطن، مجتمع منظم محافظ على التقاليـــد

الثقافة والدين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، تحت إشراف عزابة المساجد والاحتكام إلى مجلس أعلى هيئة علماء، مجلس عمي سعيد ومميزات أخرى" ستقف ميزاب في الطليعة بدون منازع... من حق الجزائر عليكم أن تمدوها بما عندكم من رصيد في الأدب والعلم والتضامن والجد ومن روح المبادرة والوفاء وفوق كل ذلك ما عندكم من غيرة على التراث الإسلامي ولغة القرآن" بتصرف.

5) الدكتور عبد الرزاق قسوم[16]: علاقاته كثيرة مع أمازيغ وادي ميزاب واتصالاته وزياراته عديدة زائرا ومشاركا في مناسبات عديدة مؤكدا بأن الدين الصحيح يصنع السياسة الرشيدة ويبني المجد، مهندسوه حكماء وعقلاء المذهبين المالكي والإباضي والعاملين بعلمهم.

حضر مهرجان الوفاء لرموز الفكر الإسلامي الإباضي، الشيخ بيوض والشيخ عدون، وما نعكس فيه من خلق في الناس صلاحا، إصلاحا وانفتاحا، آملين أن تعم هذه المعاني باقي أنحاء وطننا في الوفاء بمجاهديها وعلمائها وشهدائها.

<u>ب مثقفون من خارج الجزائر:</u>

نظرا إلى أن وادي ميزاب بموقعه الجغرافي في إقليم التراب الجزائري كواسطة عقد بين الشمال والجنوب وبما يتشكل به من تضاريس طبيعية إلى ما أقام فيه سكانه من معمار وتنظيم اجتماعي في القرى السبع وما أنتجته من حضارة منذ نهاية القرن العاشر ولا زالت عبر المراحل والسنوات تحت وطأة الطبيعة الصحراوية والمحاولات الاعتدائية العديدة إلى المميزات التي تجعل لها طابعا خاصا في أعين وأذهان ووجدان القاصدين إليها مرورا، زيارة أو منصب عمل أو شغل مهني

بما عايشوه ويعيشونه في اتصالاتهم واحتكاكهم بالسكان من إباضية ومالكية أمازيغ وعرب توحدا في العطاء والأخذ وتحقيق أساسيات الحياة الضرورية بخلفية دينية واعية مرجعيتها الإسلام عبادة وتعامل ولو اختلفت الآراء أو المظاهر شكلا وزمنا ومظهرا.

للزيارات التي تشد رحالها إلى وادي ميزاب، سياحة، متعة، عمل، علم وغيرها أثرها في نفوس الزائرين من خارج الوطن، عرب وغربيين ومن هذه الآثار

انطباعات وشهادات أدلوا بها أو عبروا عنها في مقالات صحفية أو تآليف فكرية أو إنتاج أكاديمي دراسات، بحوث وتحقيقات.

للمثال نذكر منهم:

1) الدكتور شكري فيصل: مفكر وأديب سوري له عدة مؤلفات وتخرج عنه عدة طلبة جامعيين ونخب مثقفة، زار ميزاب في 1969م، سجل في رسالة إلى الشيخ بيوض رحمه الله بعد نهاية الزيارة: "...إن صورة المجتمع الذي شاهدته تقي ومتماسك، صلاحا وتفتحا"..."لقد عشت معكم وبينكم... في رعاية نموذج للخلق الإسلامي الرفيع.

"التراث المحفوظ في وادي ميزاب..."لابد من الالتفات إليه دراسة، وفهرسة ونشرا"..." سأحتفظ بأطيب الذكريات لكل الوجوه التي عرفت والأمكنة التي زرت" بتصرف[17].

يكون من المفيد إضافة لما سجل وأشير إليه خدمة لتراث عبثت فيه انعكاسات أهواء جهولة وإيحاءات ظالمة للقضاء عليه لولا حفظ الله وهو أصلا متعلق في شكله ومضمونه ومسعاه في ما يخص الدين الإسلامي، تعبدا وتعاملا بناء وتربية، نصا اجتهادا فكان بذلك مصونا بحفظ الله وفضله.

لقد كان انتشار المذهب الإباضي في أوساط الأمازيغ بعد الفتح ومع الفتح إلى كل الجهات إفريقيا شمالها وصحرائها، الساحل الافريقي وجنوبه بفضل دعاة في شكل زيارات تجارية، علمية أو توجيهية بنفس الأسلوب كان العمل في وادي ميزاب عند الاستقرار اعمارا ومجتمعا ولا يزال العمل بنفس الإيمان والقناعة تحت إشراف المساجد بهيئاته المسيرة والموجهة.

أخص بالإشارة في الموضوع شيخا جليلا، بسيطا في مظهره فصيحا في لسانه وسهلا في أسلوبه لغزارة علمه ودماثة خلقة ولطافة معشره زاهدا في متاع الدنيا صادقا في سعيه قولا وعمله وهو من شيوخ حركة الإصلاح الاجتماعي والتربوي في وادي ميزاب منذ أن كان عمره عشرين سنة، وأرى وقد كنت قريبا منه ومقيما عنده سنة 1966م ومرافقا له أحيانا من دون تحضير أو سابق استعداد متوافقا مع

صورته في نظرتي إليه بداية وبعدها وإلى أن تغمده الله برحمته عند وفاته في سـنة 2011م إنه الشيخ ناصر بن محمد المرموري.

الداعية القدوة:

من باب الأمانة والوفاء لهذه الشخصية، ولو بعد وفاته رحمه الله أن أسـجل مـا يمكن اعتباره توثيقا لعلاقتي معه وقد كنت طفلا في عمر الخمـس عشـرة، أخـذت للإقامة عنده في بيته بالقرارة مع والديه وأسرته.

تعريف بالشيخ:

هو مرموري ناصر بن محمد بن حاج عمر(18).

ولد بالقرارة في 1927/01/07م، متزوج ووالد ثلاثة أولاد، ولد وبنتين.

دراسته:

التحق بالكتاب المدرسة الخاصة في سنة 1932، ثم المدرسة الرسمية، تخرج من الأولى مستظهرا للقرآن الكريم، ومن الثانية بشهادة التعليم الابتدائي.

التحق بمعهد الحياة في القرارة طالبا في الثانوي وتخرج في عـام 1947م وفـي نفس السنة عين للتدريس أستاذا بالمعهد، واستمر في المهمة إلى سـن متقدمـة مـن عمره ممارسا للتدريس وفق الظروف التي تناسب مهامه وسنه حتـى وفاتـه فـي عام2011م.

توطئة:

إن الحديث عن الشيخ رحمه الله مني ينطلق من إقامتي عنده لمدة سـنة دراسـية 1966 م و1967 م، واستمرار العلاقة معه منذ ذلك الحين وإلى ليلة وفاته في 15 ماي 2011 م رحمه الله وفي وجداني وقلبي إلى الأبد.

فتكون الكتابة انطلاقة من داخل الدار التي جمعتنا أسرة واحـدة بكـل المقـاييس الأبوية من رعاية واهتمام وتشجيع ودعاء، ما كان له الأثر الايجابي لتمكني من ختم القرآن الكريم واستظهاره أمام أستاذ القسم المصلى رقم واحد ثم إمام المسجد الكبيـر بالقرارة، وذلك فضل من الله وثواب لمن كان السبب.

خلال إقامتي عنده كان الشعور بالأبوة الحقة من خلال تعاملاته مع أفراد العائلة وكنت واحدا منهم انسجاما واهتماما، أقيم في غرفة مستقلة في الطابق الأرضي كانت لي فرصة استقبال زملاء لي من البعثة وفي الدراسة من دون إحراج.

لقد كان الشيخ رحمه الله في معاملته هادئا، لطيفا وجذابا وبسيطا في ثوبه وطعامه، يدعو بسلوكه قدوة حسنة مثالا وفعلا، وهو ما أشاع ذكره ورفع شأنه عند جيرانه بل في مجتمع البلدة ثم في قرى وادي ميزاب وخارجها، وانعكس على أداء المهام التي كلف بها من قبل شيوخ الإصلاح الاجتماعي وصبغت علاقاته مع كل الفئات الاجتماعية الرجال، النساء، الشباب والطلبة، بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم وأنا شاهد عيان على هذا المستوى من تعامل الشيخ رحمه الله داخل بيته وخارجه

التوظيف:

تفرس رائد الإصلاح الاجتماعي، الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر في الطالب مرموري الناصر بن محمد الفطنة والذكاء وعصامية يافع مقبل على الحياة فاختاره إلى جانبه عنصرا فعالا في المشروع الإصلاحي وزكاه في الاختيار رائد الصحافة الوطنية، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى وأعضاء هيئة التعليم أساتذة وأعيان ووجهاء، فتم تعيينه وهو في السنة النهائية من الدراسة الثانوية بالمعهد طالبا ليكون أستاذا إلى جانب أساتذته.

استطاع الأستاذ الشيخ الناصر رحمه الله ببساطته وفيض زاده العلمي ويسر أسلوبه كفاءة وإخلاصا أن يستميل الطلبة إليه ويحبب لهم الدراسة عنده باهتمام وشغف كبيرين قد تكون أحيانا سببا لما يسود فيها من تجاوزات عن الانضباط الصارم من الشيخ مدير المعهد، ملاحظات من دون خلفية عتابية أو إهانة مقصودة، ترضية للشيخ وتدعيما له في مهمة التدريس واحترام لعلاقاته مع الرواد.

مع مرور الأيام أثبت الشيخ رحمه الله صواب اختياره للتدريس بالمعهد بما أظهره من جدية وقبول من طلبته وأوليائهم، ما رفع من رصيد الثقة فيه لدى شيخ الحركة الإصلاحية لاختياره رئاسة البعثة العمانية في القاهرة سنه 1962م مشرفا

مدرسا وسفيرا خلال ثلاثة سنوات وكان ذلك بطلب من الإمام غالب العماني وتزكية من الشيخ بيوض إبراهيم بن حاج عمر.

كانت بساطته إلى جانب زهده في متاع الدنيا سبيلا لإخباره الإقامة في الحي الشعبي، حي العجوزة بالقاهرة، مع أن مكان عمله حيث إقامة البعثة العمانية كان بحي الزمالك بالقاهرة، وهو حي راقي نسبيا، واختياره ذلك سببه القرب من الجامع الأزهر ومركز المؤتمر الإسلامي من أجل ربط علاقات مع الشيوخ والزيادة في التحصيل المعرفي بالقرب منهم، ومن بين هؤلاء الشيوخ على سبيل الذكر: الشيخ محمد أبو زهرة، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش والشيخ محمد الغزالي وغيرهم.

لقد كان إخلاصه في أداء المهمة سبب فعال لربط العلاقات القوية والأخوية المتبادلة مع العمانيين مسئولين وجالية في القاهرة، الذمام وعمان وامتدت هذه العلاقات إلى إباضية جبل نفوسة بليبيا وإلى جزيرة جربة بتونس، وكانت لها الأثر البالغ والصدى الإعلامي والدعوي المستحق، ولا زالت ثمارها مظهرا وذكرا وافتخارا تتردد إلى اليوم بعد وفاته رحمه الله.

بعد حصول الاتفاق بين الإمامة والسلطنة في عمان، أستدعي الشيخ رحمه الله إلى العودة بالقرارة في عام 1965م، وهو مزود بتجربة ومعارف علمية وشرعية للتدريس في معهد الحياة وفق البرنامج الإصلاحي والمنهجية البيداغوجية المعتمدة وتفوق في مهمته مع طلبته مؤرخا، أديبا وفقيها ورئيسا للجمعيات الثقافية والأدبية.

إن هذا التفوق الذي أظهره الشيخ رحمه الله بعد عودته من القاهرة وبعد مدة قصيرة وبالتحديد في عام1971م عين من قبل الشيخ رئيس حلقة العزابة بالمسجد الكبير بالقرارة الذي يتولى الوعظ والإرشاد والإفتاء فيه، لأن يقوم بنفس المهمة في المجتمع النسوي بدار الشيخ بلحاج وسط المدينة بانتظام استجابة لإلحاح الساكنة واستكمالا للمشروع الإصلاحي بما يمثله الشق النسوي فيه من أهميته وخطورته.

لقد كانت دروسه وعظا وإرشادا وفتاويه الشرعية دافعا بليغا لحب المقربين إليه بفضل أسلوبه الهادئ الميسر القائم على أحكام القرآن[19] والسنة النبوية الشريفة[20] ما جعل المجتمع النسوي خاصة منهن كبيرات السن والأمهات وحتى البنات يتمسكن

بالحضور إلى مجالسه ويتقدمن إليه من أجل الاستشارة والفتوى ولقد كان لهذا النجاح صداه في قرى ميزاب ما دعا شيوخ الحركة الإصلاحية فيها بالتنسيق مع رائدها بالقرارة للانتقال في مهمة مماثلة إليها عند العطل التدريسية خلال السنة، وكانت تحضر له إقامة في كل قرية منها ومقر للقيام بالوعظ، الإرشاد والإفتاء، وهو ما وطد العلاقة بين القرى السبع لوادي ميزاب وقرب كثيرا الأفكار والبرامج والتواصل بين الفاعلين في الحركة الإصلاحية وفق المشروع الذي سعى في تحقيقه الرائد ومساعدوه منذ بداية القرن العشرين.

عرف عن الشيخ رحمه الله في بداية عمله في التدريس مستوى أدبي رفيع وشاعرية رقيقة وصوت شجي أهله إلى المشاركة في التظاهرات التي تقام بمناسبة الأعياد الدينية والأفراح والاحتفالات العرفية في القرارة وأحيانا خارجها.

لقد كانت له قصائد شعرية ذات مضمون مطابق لشخصيته، فكره، روحه نصحا وتوجيها العاطفية منها، الوطنية والوصفية بالوزن والبيان والحكمة المكتسبة من تجاربه إلا أنه عند انشغاله بتدريس الشريعة ومهمة الوعظ والإفتاء، قل منه الجانب الأدبي والشعري للتكفل بما هو ألح ومطلوب منه.

عين الشيخ رحمه الله عضوا في حلقة المسجد الكبير بالقرارة سنة 1971م تزكية لدوره في المشروع الإصلاحي وتدعيما به للحلقة تأهيلا وثقة بما تتطلبه العضوية من مقاييس في اختار وتعيين أعضائها ويكون هذا التشريف لمدى العمر. وبوأه هذا التعيين لنيابة شيخها في الوعظ عند الغياب أو الضرورة بالمسجد الكبير مع دروسه في المجتمع النسوي .

إن اعتلاء الشيخ رحمه الله منبر الوعظ في المسجد الكبير وبالدار المخصصة للنساء مع عضويته في حلقة العزابة، جعله مطلب مساجد وادي ميزاب وبتزكية من مجلس عمي سعي، الهيئة العليا لمساجد الاباضية في ولاية غرداية ورجلان للقيام بنفس المهام، ولقد قام أحسن القيام بالمهمة ما ترك الأثر البالغ والصدى الحسن لدى الأوساط الشعبية عموما والرسمية الإدارية والأمنية خصوصا.

بعد وفاة شيخ حلقة العزابة بالمسجد الكبير، رائد الإصلاح الاجتماعي، الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر في 14 جانفي 1981م، وبعد وفاة خليفته الشيخ شريفي عدون في 02 نوفمبر 2004م عين الشيخ رحمه الله رئيسا للحلقة باعتباره الأفقه في الشريعة والأقرب إلى الجميع وأن كان من بين أعضائها من هو أقدم وأكبر سنا وبذلك انعقدت له عضوية مجلس عمي سعيد وأعتمد للإفتاء والوعظ في دائرة اختصاصه الشرعية واستمرت نشاطاته بحضور جلسات المجلس وحصص التدريس ومواعيد الدروس والوعظ ولقاءات الإفتاء للرجال والنساء إلى أن وافاه أجله بتاريخ 15 ماي 2011 في عيادة الواحات بغرداية، وكان لي شرف الحضور عند وفاته بمعية وفد سلطنة عمان برئاسة الشيخ أحمد بن حمد خليلي، مفتي السلطنة، والشيخ عبد الحميد أبو القاسم ناظر الأوقاف الإباضية في الجزائر، وأدينا له في المكان والوقت صلاة الجنازة ترحما ودعوة إلى الله كحق له علينا قبل أن ينقل صباح الغد إلى القرارة لتشيع جنازته في موكب مهيب حضره شيوخ، علماء أعيان، وجهاء وسلطات مدنية، عسكرية، أمنية وجميع غفير جدا من المواطنين من سكان القرارة والوادي والجزائر عموما باختلاف طبقاتهم، مستوياتهم ومذهبهم فكان بحق رجل إجماع حيا وميتا وهي بشرى خير نشهد بها للفقيه رحمه الله إذ أن ألسنة الخلق أقلام البارئ.

المنابر العلمية للشيخ :

يتضح جليا من خلال العرض السابق وأن للشيخ رحمه الله مجالات نشاط علمي، دعوي واجتماعي في دائرة وجود المذهب الإباضي بالجزائر وخارجها إلى جانب علاقات حميمية مع مسئولين في الوطن وخارجه كلها من أجل الصالح العام وما يفيد مشروع الإصلاح منذ تقريره وانطلاق تنفيذه وما تبعه ويتبعه من تجديد وتحديث.

إلى جانب مهامه العرفية المذكورة سابقا عرف عن الشيخ إنتاجا فكريا أدبياً نثراً وشعراً، وشرعي وفقهي والكثير منه إلى جانب العدد الهائل من الفتاوى لا يزال مخطوطا لعل الله يهيئ له من يتكفل به وقد بدأ فعلا في بعضه من قبل فريق من

الطلبة والأساتذة والمحسنين في جمع تحقيق، طبع ونشر تفسيره الحديث النبوي الشريف مسند الربيع بن حبيب أعانهم الله ووفقهم وسدد خطاهم.

من الإنتاجات المطبوعة للشيخ رحمه الله نذكر انجازه: مختصر تفسير الشيخ بيوض رحمه الله وقد بدأه في حياة شيخه وشجعه على ذلك وصدر منها حوالي ستة أجزاء تتعلق بصور مختلفة من القرآن، تم طبعها من قبل وزارة التراث في سلطنة عمان.

خلف الشيخ بحوثا ومحاضرات ومشاريع مختلفة في الفقه والشريعة إلى جانب إنتاج أدبي نثرا وشعرا تزخر به مكتبته الخاصة وقد أوصى بها وقفا للباحثين المحققين والدارسين عموما ولإنتاجه بالخصوص، ويمكننا التنويه بجمعية التراث التي تقوم في حدودها في المجال وكل من يهتم جماعة أو فردا ولهم بذلك أجر العلم والانتفاع والصدقة الجارية. من أهم المنابر التي سجلت حضور الشيخ رحمه الله، يمكننا للذكر لا عدا ولا حصراً هذه الحلقات التي عرف بها ومنها:

1) دروس الوعظ والإرشاد للرجال بالمسجد الكبير في القرارة وفي مختلف مساجد الوادي وفي الجزائر وخارجها.

2) دروس الوعظ والإرشاد للمجتمع النسوي في القرارة وخارجها.

3) جلسات الإفتاء والاستشارات الشرعية، للرجال، النساء والشباب.

4) لقاءات الجمعيات الأدبية، الثقافية والمهنية.

5) لقاءاته ترفيهية، توعوية وسياحية.

6) مساعيه في إصلاح ذات البين، خصومات وآراء مع التجار، الفلاحين والعموم.

7) عضويته بعثة الحج إلى البقاع المقدسة فتوى ومزارات.

8) رحلاته إلى خارج الوطن في مهمات علمية، شرعية وترويجية.

9) تكفله بالبعثات العلمية من عمان، ليبيا، تونس.

10) انشغالاته بالأوضاع والتطورات والتاريخ والحضارة ما بين إفريقيا والشرق العربي.

11) الإشراف على عديد الرسائل الأكاديمية، دراسات، تحقيقات وتقديمات.

12) حوارات صحفية، إذاعية وتلفزيونية.

إن هذا الحصر لما ذكر من النشاطات والمساعي للشيخ رحمه الله تجعله من الذين خلدوا ذكرهم ولم يورثوا للأقربين منهم إلا ما ذكره الرسول (ص) وأقره أمثاله من العلماء والفقهاء والمخلصين والمجاهدين والشهداء، ما يجعل ذكرهم رشدا لغيرهم وشاهداً لهم عند ربهم لما قدموه لمجتمعهم ووطنهم والإنسانية جمعاء من إنتاج وصناعة رجال فيهم الرائد، الوزير، المسؤول السامي، المفكر والأستاذ وقد يكون لهم مثيل في المجتمع النسوي الذي اهتم كثيرا بشؤونه، وعظا، استشارة فتوى وتأطيرا ما لم يكن متوفرا من قبل منهجية ومضمونا بفضل بساطته، سلوكه وأسلوبه الميسر، المبشر المستمد من القرآن الكريم الشامل لكل أساليب الدعوة والتبليغ والسيرة النبوية المترجمة عمليا ،ميدانيا تلك الأساليب والأحكام وما خلفه الاجتهاد حول الموضوع تحقيقا لرسالة الإسلام، الدين الحنيف والقويم المهيمن على الأديان كلها والأفكار المعارضة لها ضلالة وتعنتا إلى أن يرث الله الأرض وما عليها بنص القرآن الحكيم، قال الله تعالى: "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا" (سورة فصلت/ الآية 33).

الخلاصة:

من خلال هذه الكرونولوجيا التاريخية للوجود الامازيغي عموما ولما ذكر فيها على سبيل الإشارة بما يفتحه الدستور الجديد 2016م هو ما تسمح به المبادرات وتؤسس له الطموحات الفردية والجماعية من قبل المؤسسات الفكرية، العلمية والدراسية، العمومية والخاصة كلها مجهودات في تركيبها مجمعة إلى ما سبق وقائم بالنسبة للثقافة في الجزائر رسميا وغير رسمي، مركزيا أو محليا باعتبارها روافد في جمعها عجينة متماسكة منصهرة مادة صلبة في بناء الصرح الوطني للجزائر بصبغة إسلامية _صبغة الله_ إنسانية ممتدة عبر الأقاليم، بوادر الاعتراف العام إقليمي، دولي ثابتة ومعلن عنها عبر كل الوسائل.

إن فعالية الخطوة الجريئة للحكم في الجزائر بموجب دستور2016م والنصـوص التنظيمية متصلة به، القرارات الصادرة من أجل تفعيله في الميدان يمثل بحق رفـع ظلم تاريخي بجانب كبير من التراث الوطني المادي واللامادي و جزء واسـع مـن مقومات الأمة الجزائرية إقليما، فردا، لغة

وكل هذه المؤشرات وما تضيفه الاستنتاجات والانطباعات تعطـي للفعـل بعـده الصادق في البناء والتشييد بقلوب سليمة وجهود سوية بما يرفع عن تاريخ حضـارة الإنسان في الجزائر مرحلة الكتمان إلى مسلك الظهور وفـق اسـتراتيجية المبـادئ المعتمدة في المذهب الإباضي منذ نشأته. إلى توجيه الاهتمام للتعريف رفعا للإهمـال ودفعا للإنكار لما خلفه الأوائل واتجه إليه الخلف وتصبو إليه الأنفس في طلب العلـم ومعرفة الحقيقة إحاطة، إلماما، اكتشافا، ثراء معرفي وذكاء فكري فعلى أهل القـدر تتم العزائم، ويشاء الله أن يكون من الصدق والاعتزاز الربط بين الأمازيغيـة تراثـا وشعبا الإشارة إلى ما يعنينا بالمنطقة في الموضوع والمذهب الإباضـي مرجعيـة دينية تربية، اجتماعا، وعبادة، وبذلك يكتمل للمطالبـات الموضـوعاتية والفكريـة مقاصدها البنائية الوطنية بما يرفع للجزائر إشعاعا وذكرا وقدوة أمام الـدول والأمـم ويقيم للحكم الراشد فيها، مصداقيته المعروفة عنه تاريخيا قديما وحديثا فـي وقـائع مقاومة الاستعمار ومحاربة خططه الحربية، الفكرية والنفسية إلـى ثـورة التحريـر لاسترجاع السيادة الوطنية واسترجاع الثروات الطبيعية والحقوق الخاصة بالشـعوب الإنسانية المصيرية والطبيعية.

قال الله تعالى: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله"؛ المفهوم البياني وأن إرادة الله تتأكد بإرادة عبده في الاختيار والعزم. إلا: أداة تأكيد في السياق البياني للآية وليسـت أداة استثناء، ليكون للمعنى الحقيقي انعكاس في الاختيار.

بمثل هذه الملتقيات الرسمية منها والغير الرسمية من مؤسسات الدولة المختصـة المعنية والمؤسسات الناشطة في المجال الثقافي تربية، تعليم، توعية، ترفيه وغيرهـا ينتظم الفعل ويستقيم المسار وتنسجم الرؤى والتطلعات والمواقف إلى الآراء والنتـائج

بشكل جماعي شامل لكل جهات الوطن مسنود من قبـــل المنتقـــين أفـــرادا وهيئـــات وشخوصا رسمية وأخرى نخبوية كإضافات محقق منها ومحكمة قراءاتها.

الملتقى الوطني الأول للأدب الامازيغي في الجنوب الجزائري وشاكلته في مـــدن أخرى من الجزائر[21] أعلام، قضايا وموضوعا برعاية المجلـــس الأعلـــى للغـــة العربية والمحافظة السامية للأمازيغية وإشراف السيد والي ولاية غردايـــة ورئـــيس المجلس الشـــعبي الـــولائي وتنظـــيم مخبـــر تـــراث الثقـــافي والأدبـــي بـــالجنوب الجزائري،نموذج جيد للفعل الحكيم والتصرف القويم لخدمة التراث الجزائـــري مـــن خلال تظافر الجهود والابتعاد عن التنافر المنبوذ والذي كان إلى أمد قريـــب ســـائدا بفعل المكر والكيد من أعوان أعداء الجزائر وعملائهم الذين لم يألوا جهدا من أجـــل التخريب، التجهيل والاستهانة بالأمة تراثا وفكرا، والذين لا يزالون يعتقدون ســـرا أو جهرا بأن اللغة مجرد وسيلة من دون أثر في شخصـــية ناطقهـــا أو المتعامـــل بهـــا وبالنسبة للفرنسية بالخصوص في الجزائر هي غنيمة حرب يتعين اســـتغلالها، إلا أن استثمارها لسانا، قلما وتوجها كما هو ملاحظ من العاملين علـــى مســـتوى الهيئـــات الرسمية للدولة، تجاوز بكثير المصرح عنه والموثق رســـميا قانونـــا وتنظيمـــا[22] والمعمول به ميدانيا بشكل مستفز ومهين أمام الرأي العام الداخلي والخارجي.

ألا ليت تنطبق النصوص مع الشخوص في تحركاتها القولية والفعليـــة فيصـــدقوا بذلك العزم ويتأكدوا الحزم في ما يرفع الشأن ويقيموا الذكر ضميرا حيا وقلبا سليما.

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنو لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا" سورة الصف.

وقال تعالى: "إن يعلم الله خيرا في قلوبكم يأتكم خيرا "(سورة الأنفال).

هكذا استرجعت الجزائر سيادتها كاملة على مقومات بناء الدولة بأن حرر الأمـــة بعد تحرير التراب وطرد المستعمر ونبذ أعوانه إلى تحرير اللغة بالفصحى المحليـــة أمازيغية وعربية لسان الأمة كلها بمختلف طبقاتها وفئاتها، وبذلك يـــتم الـــربط بـــين الحاضر والماضي تاريخ حضارة للإنسان الجزائري بامتداد للمستقبل شخصا كـــاملا في مكنون الوجود الإنساني متوافقا مع حضارته منسجما مع تطلعاتـــه كلهـــا قـــولا وعملا والله الموفق.

هوامش الدراسة:

(1) – منهج استراتيجي في أدبيات المذهب الإباضي.

(2) – بايوب سماوي، كشكول أدبي حول الحياة في مزاب قديما، مخطوط، دون ترقيم.

(3) – المائدة/الآية3.

(4)– دور الاباضية في نشر الإسلام في بغرب إفريقيا، د. محمد صالح ناصر.

(5) – وادي ميزاب جزء من إقليم ولاية غرداية الولاية رقم 47 من التقسيم الإداري للجزائر.

(6) – قال رسول (ص) " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، علم ينتفع بـه أو ولد صالح يدعي له" حديث صحيح.

(7) – يقصد من مصطلح الشيخ مرتبة اجتماعية وعلمية.

(8) – مجلس عمي سعيد هي هيئة جامعة لشيوخ حلقات عزابة المساجد فيما يتعلق بشؤون الـدين عبادة، وعظ وفتوى مقره في مدينة بني يزقن.

(9) – مجلس عبد الرحمن الكرثي هيئة تتشكل من أعيان ممثلين للقرى تختص في شؤون المجتمع الدنيوية منازعات، خصومات وعمران، مقره مدينة مليكة.

(10) – أقترح تسمية جامعة غرداية باسمه، ولمّا يتمّ ذلك بعدُ.

(11) – مشائخي كما عرفتهم، محمد صالح ناصر.

(12) – مشائخي كما عرفتهم، محمد صالح ناصر.

(13) – أقمت عنده في داره مع عائلته سنه دراسية عام 1966م/1967 م بمناسبة التحاقي بمدرسة الحياة قسم المصلى.

(14) – ندوات ميزاب، مالك بن نبي تقديم د. محمد باباعمي.

(15) – مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، محمد صالح ناصر.

(16) – رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(17) – رسالة بتاريخ 10.04.1969، المصدر: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، محمـد صالح ناصر.

(18) – هي القراءة السارية للاسم الثلاثي بمنطقة شمال إفريقيا وذلك وفق الطريقة الغربية فرنسـا الموروثة وكان معروفا ومشهورا لدى الخاصة والعامة بالشيخ الناصر مرموري، وفـق المعمول به في الشرق العربي، وقد كانت له إقامة وعلاقات هنالك.

(19) – قال تعالى " أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة "

" ما جعل عليكم في الدين من حرج "

" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " وفي آية أخرى " إلا ما آتاها".

[20] – أوصى الرسول(ص) معاذ بن جبل وقد كلفه بالدعوى في اليمن السعيد: يسروا ولا تعسروا، كما وصى غيره : بشرو ولا تنفروا.

[21] – انعقد هذا الملتقى الوطني في جامعة غرداية بتاريخ 25و26 افريل 2018م، رئيس اللجنة العلمية للملتقى د. يحى بن بهون حاج امحمد.

[22] – النص الدستوري، قانون تطبيق اللغة العربية في الإدارة والنصوص التنظيمية المتصلة.

توثيق التراث المزابي
ببلدة تجنينت بوادي مزاب
قراءة في أرشيف الدبلوماسي بايوب اسماوي نموذجاً.

د. يحيى بن بهون حاج امحمد
مخبر التراث الثقافي والأدبي بالجنوب
الجزائري
كلية الآداب واللغات / جامعة غرداية / الجزائر
yahiabenbouhoun@yahoo.fr

الملخص:

تعدّ منطقة واد مزاب (غرداية) ملتقى مجموعة معارف وتجارب إنسانية، وقد شكلت مع مرور الزمن ثراء فكرياً وثقافياً مميزاً للمنطقة، يضاف إلى الرصيد اللهجي والثقافي المتنوع ببلادنا الجزائر ومعظم أقطار المغرب الكبير، وأمام إشكاليات العولمة ومنها إلغاء ومحو الخصوصيات، وأمام التراكم والتنوع الثقافي والحضاري الذي تزخر به بلادنا، بادر كثير من المهتمين والباحثين والمتخصصين إلى سبر أغوار هذا التراث الثقافي في سبيل تثمينه والتعريف والمحافظة عليه؛ وقد نتج من هذا المنطلق مؤلفات مطبوعة ومخطوطة ومذكرات وأبحاث شخصية ما يزال معظمها مخطوطاً.

في إطار اهتمامي بآثار الكشاف والمجاهد والدبلوماسي بايوب اسماوي (1929 – 2015) أصيل بلدة تجنينت بوادي مزاب، وتصفيف مذكراته وآثاره المخطوطة، وقد وفقت إلى إصدار الجزء الأول من مذكراته سنة 2016، وهي مذكرات رحلته مع فريق جيش التحرير الوطني لكرة القدم (1957 – 1958) في الوطن العربي للتعريف والدعاية للثورة التحريرية المظفرة.

ومن جملة ما وقفت عليه في مجموع مذكراتــه المخطوطــة كشــكول مــن 110 صفحات مؤرخ بــ 17 ربيع الثاني 1397هــ (1977/4/5م)، وكذا بعــض الأوراق والجذاذات المنفصلة تحمل فوائد في اللغة والأدب المزابي...

وعليه سأحاول في هذه الورقة البحثية أن أقف على محتوى هذا الكشــكول الأدبــي المخطوط وأصف محتوياته.

وفيما يلي باقي عناصر المداخلة:

- بايوب اسماوي السيرة الذاتية.
- أرشيف ومذكرات بايوب اسماوي (عرض وتوصيف).
- كشكول عادات وتقاليد ولغة واد مــزاب تــأليف بــايوب ســماوي (عــرض وتوصيف).
- أهمية نشر وإخراج المذكرات والأبحاث الشخصية.
- الأدب المزابي بين الحفظ والتدوين.
- خلاصة وتوصيات.

بايوب سماوي مقتطف من السيرة الذاتية:

ولد الكشّاف والمجاهد والدبلوماسي بايوب سماوي ببلدة تجنينت (العطف) بغردايــة خلال سنة 1929م، وتوفي بها يوم الأحد 08 نوفمبر 2015م؛ تلقى ببلدتــه مراحــل الدراسة الأولى ثم انتقل إلى الحراش سنة 1937م ليدرس هنالك حيث تجــارة والــده ولكنه عاد إلى مسقط رأسه بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وفي سنة 1944 انتقــل إلى القرارة للدراسة في معهد الحياة، لينصهر في بوتقة التحصيل العلمــي والأنشــطة اللاصفيّة[1] في جو البعثة الذي يبعث على الحيوية والنشاط؛ وفيما يلــي مقتطفــاً مــن سيرته الذاتية في جانبها الكشفي والنضالي:

1945: انخرط في التنظيم الكشفي ضمن "أفواج الحياة"، بمعهد الحياة بالقرارة.

1947: شارك في المخيم التكويني الذي أقيم في منطقة "أغزُو" بالقرارة، مــن 27 إلى 29 ماي 1947، تحت إشراف القائد المنتدب "جون مايير".

1949: عضو في إدارة البعثة العلميّة المزابية بالقرارة، وفـــي اللجنـــة المســـيّرة للنشاط الرياضي في معهد الحياة، وخاصة رياضة كرة القدم.

1953: بعد انتقاله إلى تونس لمواصلة الدراسة، انخرط مع المرحـــوم قاســـم بـــن صالح بابكر في النادي الرياضي للمصارعة اليابانية.

1954: أثناء زيارته لمسقط رأسه ميزاب لقضاء عطلة الصيف، رفقة زميله قاســـم بابكر قاما باستعراض فنّي بواحة غرداية وبريان، وهي أوّل مرّة ترى فيه المنطقة هذا الفن؛ وبعد عودته إلى تونس وانقطاع زميله بابكر عن الدراسة، واصل مزاولـــة هـــذه الرياضة حتى حصل على الحزام البنّي.

1954: رغبة منه في الاستفادة من النظم الكشفية الفنيّـــة، المطبّقـــة فـــي القطـــر التونسي الشقيق، اتصل رفقة زميله قاسم بابكر بالقيـــادة العامـــة للكشـــافة الإســـلامية التونسية وطلبا منها المشاركة في المخيمات التمهيدية التي اعتادت تنظيمها في العطـــل المدرسية؛ وبعد الموافقة شارك قاسم بابكر في قسم الاكتشاف، وشارك بايوب اســـماوي في مخيّم قسم الأشبال، ثم انتقل إلى مخيّم قسم التجوال شهر ديسمبر.

1955: بفضل السمعة الطيبة التي تركها لدى القـــادة التونســـيين، قُبلـــت طلباتـــه بالترحاب لضمّ أفرادٍ من البعثة المزابية في المخيمات الكشـــفية، كمـــا واصـــل هـــو المشاركة في قسم الاكتشاف وقسم التجوال، وحصل على رتبة قائد في كلا القسمين.

1956: عيّن عضواً في اللجنة العليا لشبيبة جبهة التحرير الوطني بتـــونس والتـــي أخذت على عاتقها تنظيم الشبيبة الجزائرية بتونس.

- تقلد منصب نائب رئيس البعثة العلمية المزابية بتونس(2).

:1957

- عضو في المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين (فـــرع تـــونس) مكلّف بالنشاط الرياضي والكشفي.

- كوّن أول فريق كشفي طلاّبي جزائري؛ قام برحلة على الأقـــدام إلـــى الـــوطن القبلي.

- بتعيينٍ من القيادة العامة للكشافة للكشافة التونسية، شارك في المخــيم التكميلـــي بألمانيا الاتحادية وحصل على الشارة الخشبية صنف (أ).

- بعد نشر رسالة الكشافة في أوساط الشبيبة الجزائرية بتونس، والتكوين الفعلـــي بإنشاء بعض الأفواج الكشفية الجزائرية بتونس، قرر تكــوين قيـــادة عامـــة للكشـــافة الجزائرية بتونس، تعمل بالتنسيق مع الكشافة التونسية، فعُيِّن نائباً للقائد العام ومرشـــداً، وذلك أواخر السنة.

- أسهم في تنظيم مخيّم تمهيدي لقيادة أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية بـــالقطر التونسي، وذلك خلال شهر جويلية.

- عيّن عضواً منتخباً في المجلس الأعلى للكشافة التونسية، وعضواً مُعيّنـــاً فـــي اللجنة العليا لقسم التجوال للكشافة التونسية.

- عيّن نائباً لمسؤول فريق جيش التحرير الوطني الجزائري لكـــرة القـــدم، وقـــام بجولة رياضية ودعائية رفقة الفريق في العالم العربي، زار حينها (ليبيـــا – مصـــر – الأردن – القدس الشريف – العراق – الكويت – المملكة العربية الســـعودية)، وذلـــك للتعريف بالثورة الجزائرية، بين ديمسمبر 1957 إلى مايو 1958.

1958:

- الممثل الثاني للكشافة الإسلامية الجزائرية بتونس في المؤتمر التأسيسي للاتحـــاد الكشفي للمغرب الكبير المنعقد بالرباط في شهر ديسمبر.

- مسؤول الدعاية في الخلية الأم الخاصة بالطلبة الجزائريين في التنظيم النضـــالي لجبهة التحرير الوطني بتونس.

1959:

- قام بمخيم فردي، زار فيه سوريا ولبنان لدراسة الأساليب الكشفية بالقطرين.

- مثّل الكشافة الجزائرية في اللجنة الفنية لكشافة العرب والتي اجتمعت بالقاهرة.

خلال الفترة 1960 – 1962: مسؤول الثقافة في خلية الأم التابعة لجبهة التحريـــر الوطني، والخاصة بالطلبة الجزائريين الدارسين ببغداد[3].

أرشيف ومذكرات الدبلوماسي بايوب سماوي (عرض وتوصيف):

تتنوع مذكرات الكشاف والمجاهد والدبلوماسي سماوي بايوب بين الأرشيف الوثائق الشخصية والمذكرات الكتابية والصور الفتوغرافية والكتب العلمية الجامعية والمجــلات الكشفية وكتيبات جمعها أثناء سفرياته المتنوعة في البلدان العربية والأجنبية...

ونظراً لعدم استقراره في أرض الوطن وكثرة تنقلاته بحكــم وظيفتــه فـــي وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية، لم يقم الفقيد بتنظيم أرشيفه بالشكل الذي يساعده ويســاعد المهتمين بتصفحه والاستفادة المباشرة منه، ومع ذلك كان قد جهّز قاعة ببيته خصصها بخزائن خشبية حفظ فيها مكتبته المتنوعة، فجعل الكتب في الرفوف المرئيــة بــالجزء العلوي، في حين خصص الجزء السفلي منها والمحفــوظ بــأبواب خشــبية لأرشــيفه الخاص.

توجد مجموعات الصور _وهي كثيرة_ في أظرفة ورقية مختلفة الأشكال والأحجام وزعها صاحبها بحسب الفترات التاريخية التي التقطت فيها أو الأمكنـــة الدالـــة عليهـــا بالتقريب، وفي بعضها تداخل؛ من ذلك:

- ظرف به صور تذكارية عن فترة التعليم الأولى بالقرارة.
- ظرف به صور تذكارية عن فترة الدراسة بتونس.
- ظرف به صور تذكارية عن فترة الدراسة بجامعة بغداد بالعراق.
- ظرف به صور ووثائق التسجيل والدراسة بجامعة تلوز بفرنسا.
- ظرف صور الرحلة مع فريق جيش التحرير إلى المشـــرق العربـــي1957 – 1958.
- ظرف به صور المرحلة الكشفية برحلاتها وتكويناتها وخواطرها...
- ظرف به شهادات الجهاد والمشاركة في النضال الوطني بتونس.
- ظرف به أرشيف إنشاء الاتحاد الكشفي للمغرب العربي (ديسمبر 1958).
- أظرفة بها أرشيف نشاط الفقيد في الحركة الكشفية بتونس.
- ظرف به أرشيف انخراط الفقيد في رياضة المصارعة اليابانية بتــونس (1954 – 1958).

– ظرف به قصاصات تحوي معلومات تاريخية وفوائد عن سيرة ومسيرة الفقيد.

– ظرف به صور أثناء الفترة الدبلوماسية بالولايات المتحدة الأمريكيـــة (1970 – 1973).

– ظرف به صور أثناء الفترة الدبلوماسية في الصين (1974 – 1976).

– ظرف به صور أثناء الفترة الديبلوماسية في النمسا (1980 – 1984).

– ظرف به صور تذكارية عائلية متنوعة، وتقارير كشفية تونســية، ومراســلات مختلفة.

– دفتر به تفاصيل رحلته مع فريق جيش التحرير لكرة القدم في الــوطن العربــي (1957 – 1958)

– دفتر به تقييدات تاريخية عن مساهمة عائلته فـــي الحركـــة الوطنيـــة وثـــورة التحرير.

– دفتر به كشكول تواريخ منطقة وادي مزاب وعادات سكانه وتقاليدهم.

– جذاذات وأوراق مستلقة؛ عبارة عن معجم (أمازيغي – عربي)[4].

ولعلك تلاحظ تنوع نشاطات الفقيد واهتماماته، ويرجع ذلك إلى تكوينـــه فـــي جـــوّ البعثة بالقرارة ثم بتونس وبغداد، وكذا إلى إرادته وعزيمته في صقل مواهبـــه وحـــبّ المغامرة والاكتشاف...

كشكول عادات وتقاليد ولغة واد مزاب (عرض وتوصيف).

الكشكول بخط المؤلف، وقد اختار له عنواناً جمعاً هو: "كراس يتضـــمن مواضـــيع مختلفة تتعلق بعادات وتقاليد وتواريخ ولغة سكان ميزاب"، كما أرخ له تحـــت العنـــوان مباشرة بالعطف 17 ربيع الثاني 1397هـــ (1977/4/5م).

الكراس غير مرقم الصفحات، بل اكتفى بترقيم الموضوعات فيه، وأول موضـــوع هو "التعداد باللغة البربرية (المزابية)"، ثم الشهور وتسميتها بالبربرية بمزاب، ثالثاً ذكر العادات التي يتخذها المزابيون بمناسبة زيادة أول مولود في تفاصيل دقيقة ولطيفة، فـــي بيت الأم النفساء حيث تحلّ فيه مدة أربعين يوماً وما يتبع مدة إقامتها في بيت أهلها من عادات وتقاليد اجتماعية في خمس صفحات تقريباً.

رابعاً[5]، العادات الاجتماعية للعرس المزابي (أولاً في دار العروس "تَاسلَتْ").

– فائدة تدخل ضمن التربية الدينية للأولاد الصغار؛ دعاء النوم بالمزابية.

– من العادات الاجتماعية في ميزاب، سن البلوغ عند الذكور والإناث وما يتبع ذلك من تعليم الصلاة، ثم الاحتفاء بصوم أول رمضان عند الأطفال بعادات وتقاليد اجتماعية راسخة[6].

– من عادات النساء المزابيات في رمضان.

– الأعمال الجماعية (النّدهات / التويزة / الصرخات).

– عرس الختان في ميزاب (نقله المؤلف من أفواه بعض النسوة).

– الأناشيد المصاحبة لاحتفالية الختان (كلمات وألحان متنوعة أزيد من 7 مقاطع مختلفة).

– "أسوقاس ن طرميزين"؛ طلب الغيث في مزاب.

– فائدة: أدعية جماعية عند خروج الأولاد من محضرة القرآن مساءً.

– كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية.

– فائدة: دعاء بعض الصلاة المفروضة بالمزابية، (نقله بالتلقين من إحدى النساء المعمرات).

– كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (في صفحتين).

– عقيدة التوحيد بالبربرية (المزابية) [7].

– فائدة من التراث المحلي: واقعة حال حين ميلاد الشيخ حمو بن باحمد بكلي[8].

– مجموعة من ألعاب الأطفال في مزاب (لعبتين للأطفال وواحدة للبنات).

– حكاية بالمزابية "طمشّيط دو وجمير" (التينة والعشب).

– قطعة من إزالوان مزاب. نشيد بالمزابية حول بلدة تجنينت.

– مجموعة أمثال بالمزابية مع شرح معانيها بالعربية، قرابة 50 مثلاً.

– كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (في صفحتين).

– كلمات من عائلة "أثاث البيت"، حوالي 70 كلمة مزابية دون شرح أو ترجمة إلى العربية.

- كلمات من عائلة "المنسج"، حوالي 40 كلمة مزابية دون شرح أو ترجمة إلى العربية.
- كلمات من عائلة "البستان"، حوالي 60 كلمة مزابية دون شرح أو ترجمة إلى العربية.
- أشهر أسماء النخيل 30 اسماً، ومكونات النخلة أجزائها ومصنوعاتها 31 جزءاً.
- جسم الإنسان ومكوناته، 73 كلمة مزابية دون شرح أو ترجمة إلى العربية.
- ملابس الرجال 14 كلمة، 22 كلمة مزابية دون شرح أو ترجمة إلى العربية.
- أطباق ووجبات محلية مزابية، 32 طبقاً دون تعقيب أو شرح أو ترجمة إلى العربية.
- الخضروات 27 اسماً، والفواكه 22 اسماً.
- الأعشاب الطبية بالمزابية، حوالي 60 نوعاً، دون تعقيب أو شرح أيضاً.
- **الألوان:** 12 لوناً.
- الحيوانات والطيور، حوالي 80 نوعاً.
- الأرض وأشكالها تقلباتها وام يستخرج منها، حوالي 33 اسماً(9).
- حكايات وأمثال بالمزابية، 3 حكايات قصيرة.
- حكاية للأطفال ما قبل النوم.
- ألغاز بالبربرية، بل هو لغز واحد.
- أمثال مزابية، 8 أمثال.
- ألغاز مزابية، 15 لغزاً للصبية.
- أمثال مزابية، 6 أمثال.
- فائدة حول الاستعداد لفصل الصيف، وأخرى عن المنسج "أزطّا"، وأخرى عن عجن الخبز.
- أمثال مزابية، 26 مثلاً.
- لعبة للأطفال.

- من عاداتنا في ميزاب، أطفال الكتاتيب القرآنية في الأعياد وعاشوراء.
- الاحتفال بيوم عاشوراء في مزاب؛ ليلة عاشوراء.
- من عادات الاحتفال بالمولود الجديد.
- كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (في ثلاث صفحات).
- الألوان بالمزابية، قائمة من 16 لوناً مع الترجمة إلى العربية.
- أمثال بالمزابية، 10 أمثال مع الشرح.
- كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (حوالي ثلاث صفحات).
- أمثال بالمزابية، 20 مثلاً مع الشرح.
- كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (حوالي ست صفحات).
- أمثال بالمزابية، 17 مثلاً مع الشرح.
- أصوات الحيوانات، 13 حيواناً يقابله 13 صوتاً.
- كلمات متنوعة بالمزابية مع ترجمتها بالعربية (حوالي ثلاث صفحات).
- أمثال بالمزابية، 50 مثلاً مع الشرح.
- الشهور القمرية بالعربية والبربرية.
- الشهور الشمسية بالعربية والبربرية[(10)].

لعل المتأمل لهذا الكشكول الذي تركه الأستاذ بايوب سماوي يلاحظ تنوع الموضوعات وتوارد الخواطر فيه، فأحياناً نجد موضوعات مصنفة بدقة، وأحياناً أخرى نجد موضوعات متداخلة؛ وحسب التواريخ المذكورة في ثنايا بعض الصفحات، يتضح لنا بأن المؤلف قد تفرغ لهذا العمل فيما يبدو بعد إحالته على شرف المهنة أي التقاعد أو قبله بقليل، ولم يذكر سبب اهتمامه بالموضوع وليتني سألته لما كنت بصدد تصوير أرشيفه ورقمنته.

كما لاحظت في مجموع الأرشيف المتعلق بهذا الموضوع ورود لفظة "منقول" في بعض صفحات الكشكول، نقلها من أوراق مستقلة وجذاذات مرفقة بالكشكول، من ذلك ما لاحظته في ذكر بعض أسماء الأماكن والنباتات وتفصيل بعض العادات والأعراف المحلية، تقع في حوالي عشرين صفحة مستقلة، وهو ما يرجّح ربما بداية العمل في

أوراق مستقلة ثم عمد في فترة لاحقة إلى وضع دفتر خاص نقل إليه محتوى تلك الأوراق خوف ضياعها من جهة، وإعطاء مزيد من الأهمية للموضوع بتخصيص دفتر لهذا الغرض من جهة أخرى والله أعلم؛ مع ملاحظة التنوع في الموضوعات والاهتمام بجانب العادات الاجتماعية والأمثال الأمازيغية.

- وصف مكونات البيت المزابي بجزئياته وأقسامه (أخّام)؛ 5 صفحات.
- الفُرش المستعملة في الدار بالمزابية والملابس، صفحتان.
- النخلة وتكوينها بالمزابية، صفحتان.
- أواني المطبخ التقليدي المزابي، صفحة واحدة.
- بعض أسماء الخضروات والفواكه المحلية بالمزابية، صفحة واحدة.
- جذاذات تحمل موضوعات متنوعة، حوالي 10 صفحات(11).

مزايا نشر المذكرات الشخصية للأعلام المعاصرين:

إن مزايا نشر المذكرات الشخصية للأعلام المعاصرين من الأهمية بمكان، فهي تخزن لنا كماً معتبراً من الحقائق التاريخية المعاصرة قلّ من سجّلها بلسان القلم لظروف الثورة وعدم الاستقرار، وما النموذج الذي بين أيدينا إلاّ أفضل شاهد على تلك الحقبة من الزمن.

على الرغم مما ذكرنا من مخاطر التحقيق على نسخة واحدة إلاّ أن إهمال النسخ المفردة ينذر بخطر زوالها النهائي واندثار ما تحمل في طياتها من الفوائد الجليلة؛ لذا وجب إخراج تلك النسخ المفردة في كل الظروف وإلاّ ضاعت وضاع معها جزء من ذاكرة الأمة؛ ثم ما أحوج جيل اليوم إلى القدوة الحسنة في الاجتهاد في طلب العلم والتضحية في سبيل بناء الوطن ونشر الخير والفضيلة.

وما قام به فضيلة الأستاذ بايوب سماوي من رصد للمورث الأمازيغي في بلدته ووضعه لكشكول أدبي متنوع يسترعي انتباه المهتمين، بحيث لو نحى كثير من الأعلام نحو هذا الأستاذ في جمع المادة الأدبية والتاريخية المتنوعة لترك للأجيال اللاحقة فوائد جمّة لا تقدّر بثمن، ولعلي أستشهد هنا بوصية المؤرخ الجزائري الشيخ محمد علي دبوز _رحمه الله_ حول ضرورة خدمة تراث الأمة وجمعه؛ إذ يقول في كتابه نهضة

الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: "...إنَّ تاريخ الجزائر الحـديث إذا لـم نُعجِّـل بـه يضيع، فيا ليت كُتّاب الجزائر يهتمّون به؛ فيكتبُ كلٌّ عن ناحيتـه كـلّ مـا يسـتطيع الوصول إليه، فيتكوّن لنا من مجموع ذلك تاريخ الجزائر الكامـل، ولـيس تعصُّـباً أن يقصر المؤلف جُهوده على ناحيته، فإنه واجبُ فرضٍ لأنه أعرفُ بهـا مـن غيـره، ويستطيع من البحث فيها ما لا يستطيع سواه، ثم هو قد شـاهد وحفـظ مـن أحـداثها التاريخية ما لم يعرف غيره، فيجب أن يقدم كلَّ ذلك إلى القـراء، وإذا كتمـه وضـاع يكون آثماً، وقد رأينا القدماء يَخُصّون بلدانهم بتآليف واسعة فلم يَعُدّ الناسُ ذلك تعصـباً بل واجباً وفضيلة عُظمى..."[12].

على أنّ هنالك دون شك أعمال إبداعية أخرى كثيرة لم ترى النور بعد، لـو التفـت إليها المهتمون والجيل الناشئ من الباحثين في كليات الآداب واللغات وأبرزوهـا مـن خلال مذكراتهم للتخرج لتعرفنا على الكثير منها ولتحقق النفع العمـيم منهـا، عـوض اجترار الموضوعات أو السطو على أعمال الآخرين ونسخ مـذكرات التخـرج فمـا أحوجنا إلى أعمال بحثية رصينة ولو كان حجمها بسيطاً شرط أن تنقد شيئاً من ذاكرتنا الوطنية والجماعية.

الأدب المزابي في ظل إشكالية الجمع والتناول.

يطرح الأدب المزابي عمومًا إشكاليتي الجمع والتناول، أمَّا الجمع فيأتي من تشـتته في المصادر الشفوية هنا وهناك، بحيث أنَّ كل قصر من قصور وادي ميزاب السـبعة يحتفي برصيد شفهي متنوع وغني بالقيم الفنية والجمالية، في حين أنَّ إشكاليات التناول تأتي من قلة الإقبال عليه من طرف الطبلة والباحثين، وبخاصة من أبناء المنطقة ممـن هم وثيقي الصلة بلغتهم الأم وأعرف أكثر من غيرهم بتفاصيل الحياة اليومية وبالعادات والتقاليد الخاصة بمجتمعهم الصغير...، ولعل ذلك راجعٌ بالأساس إلـى عـدم وجـود مؤسسات تعنى بهذا الجانب من الذاكرة، وعدم إحاطة الهواة بمناهج البحث فـي هـذا المضمار.

وقد وجدت فئة قليلة جداً، تنظر إلى هذا الموضـوع عـادة بنظـرة الانتقـاص أو التخوّف، لأنها _في تصور بعضهم_ قد تكون مدعاة إلى التعصـب للبربريـة علـى

حساب اللغة العربية أو إلى سبباً لبعث فوارق جهوية على حساب الوحدة الوطنية، غير أنّ الهوية الجزائرية معروفة بتنوّع لهجاتها باتساع رقعتها الجغرافية.

إذ لم يكن ليرد هذا أو ذاك فيما عرفناه وشاهدناه، فسكان الصحراء هُم مــن حمــى اللغة العربية ومنعها من الذوبان في بوتقة الاستعمار الفرنسي مدة 132 ســنة، تمامــاً كما ضرب أهلها أروع الأمثلة في الفداء والوطنية، ولنا في شاعر ثورتنا المجيدة مفدي زكرياء أروع الأمثلة وأوضحها، وكانوا في طليعة من قدموا الغالي والنفيس في ســبيل وحدة التراب الوطني واستقلاله لما عُرض عليهم فصل الصحراء عن الشمال، وجهود الشيخ الإمام إبراهيم بيُّوض لا تخفى على ذي اطلاّع بتاريخ الجزائر الحديث.

لهذه الأسباب وغيرها همّش الأدب الشعبي؛ بالرغم من أنّ القصة الشــعبية علــى أنواعها كانت تُقدّم باللغة المحكية أو بما هو أقرب إلى اللغة المحكية، ولــم يكــن لهــا هدف الإثراء اللغوي المكتوب بل التعبير الكلامي عن العواطف من مخاوف وأُمنيــات، وبالتالي بأيّ لسان سيعبّر الأديب عن هذا الأدب ؟!

من هذا المنطلق، عندما نتناول القصة الشعبية الحديثة، على اللغة الفصحى أن تلفت الانتباه إلى ذاتها، وهي هنا في صراع آخر بين اللغة الفصيحة الأدبية وبــين مقــدور القرّاء استيعاب هذه اللغة؛ فهل نحن _إذن_ إزاء اكتشاف وخلق لغة جديــدة مــا بــين المحكية والفصحى؟! أم أننا أمام لغة عربية فصيحة مبنية من طبقات متعــددة يســتمد منها الطفل الطبقة الأولى المسطحة مع إهمال شحناتها التاريخيــة ؟! ومــا عليهــا أن توردە من أفكار وتجارب بعيدة المدى ؟!

كذلك فيما يتعلق بتدريس هذا النوع من الأدب في المدارس الرســمية أو المعاهــد الحرة في ميزاب، بالنسبة للتعليم الرسمي فهو في طور الإنشاء لندرة الإطار التربــوي المتخصص من جهة، وبالنسبة للتعليم الحر فهو غير مطروق بصورة متكاملــة، بــل الأمر موكول فيه لبعض المجتهدين، إذ العجز مسجل وواضح، والمبــادرة إليــه مــن طرف إدارة المدارس غير مذكورة بتاتاً، لتبقى بذلك العهدة على البيت وحــده، وعلــى المجتمع من بعده إن شاء تعاون في هذا الأمر أو تركه؛ هذه بعض الإشــكاليات التــي تطرح نفسها للباحثين المتخصصين، ونفس الكلام _من دون مبالغة_ يقال عن الألســنة البربرية الأخرى كالشّاوية والشّلحية والتّارقية... وغيرها، كما يطرح بعض الدارســين

قضية الخط والكتابة، هل تكون بالحرف العربي أم اللاتيني (الفرنسي) أم الأمازيغي (التِّفِينَاغْ) ؟!!.

مع ذلك لابد من ذكر جهود بعض المجتهدين في الأدب المزابي ومنهم: عبد الرحمن حواش في التاريخ والتراث المزابي؛ والأخوين عبد السلام المتخصصين في اللغة والنحو المزابي؛ وأحمد نوح مَفْنُون في الحكاية الشعبية المزابية؛ والدكتور عبد الله نوح في الأدب المزابي المقارَن؛ وترشين صالح وداوي عمر وعبد الوهاب فخار وآخرين... في كتابة وأداء الشعر المزابي؛ ولكل هؤلاء وغيرهم أعمال أدبية مطبوعة وتسجيلات سمعية في السوق الجزائرية.

توصيات ختامية:

في ختام هذه الورقة البحثية أوصي الباحثين الناشئين بما يأتي:

– تكثيف الجهود في إبراز الثروة الوطنية والتنوع بالجنوب الجزائري وتحقيق ما أمكن منه.

– مساندة العاملين في ميدان تحقيق المخطوطات وحماية التراث المادي وغير المادي.

– المساهمة في النهوض بالبحث العلمي المتخصص في مجال ترقية الأدب الأمازيغي.

– توطيد أواصر التواصل والتعاون بين مختلف الجامعات الوطنية الجزائرية والمغاربية في مجال الأدب والثقافة الأمازيغية.

– وضع دليل إلكتروني للمدونات الرقمية والسمعية والبصرية بين يدي الباحثين والمهتمين.

– نشر قوائم الرسائل الجامعية (الليسانس والماجستير والدكتوراه) والتي تناولت الأدب الأمازيغي بالدراسة في سبيل تعضيد الجهود وعدم تكرار البحوث وتوسيع شبكة الاهتمام.

ملحق:

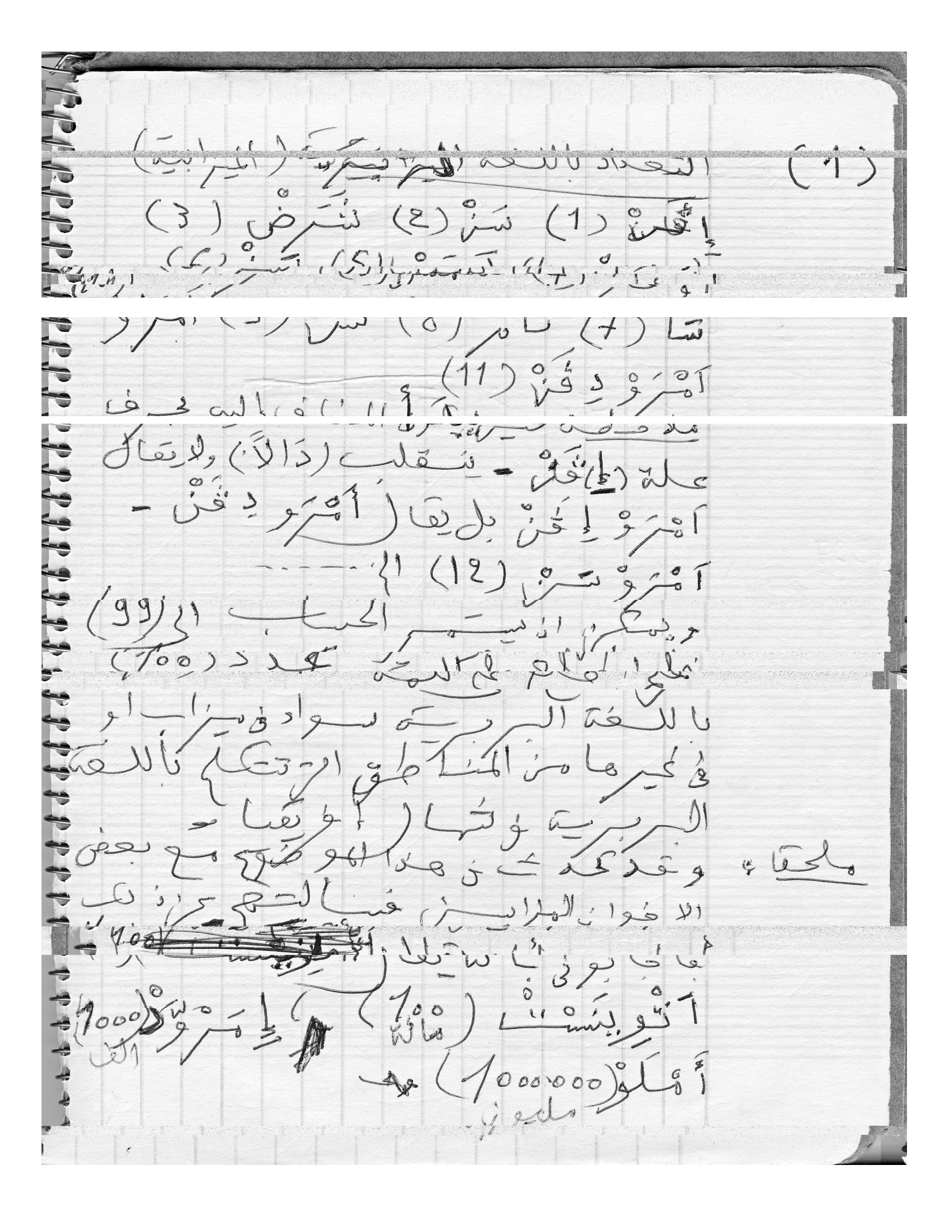
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

كراس يتضمن مواضيع مختلفة
تتعلق بعادات وتقاليد
[illegible] وتواريخ ولغة

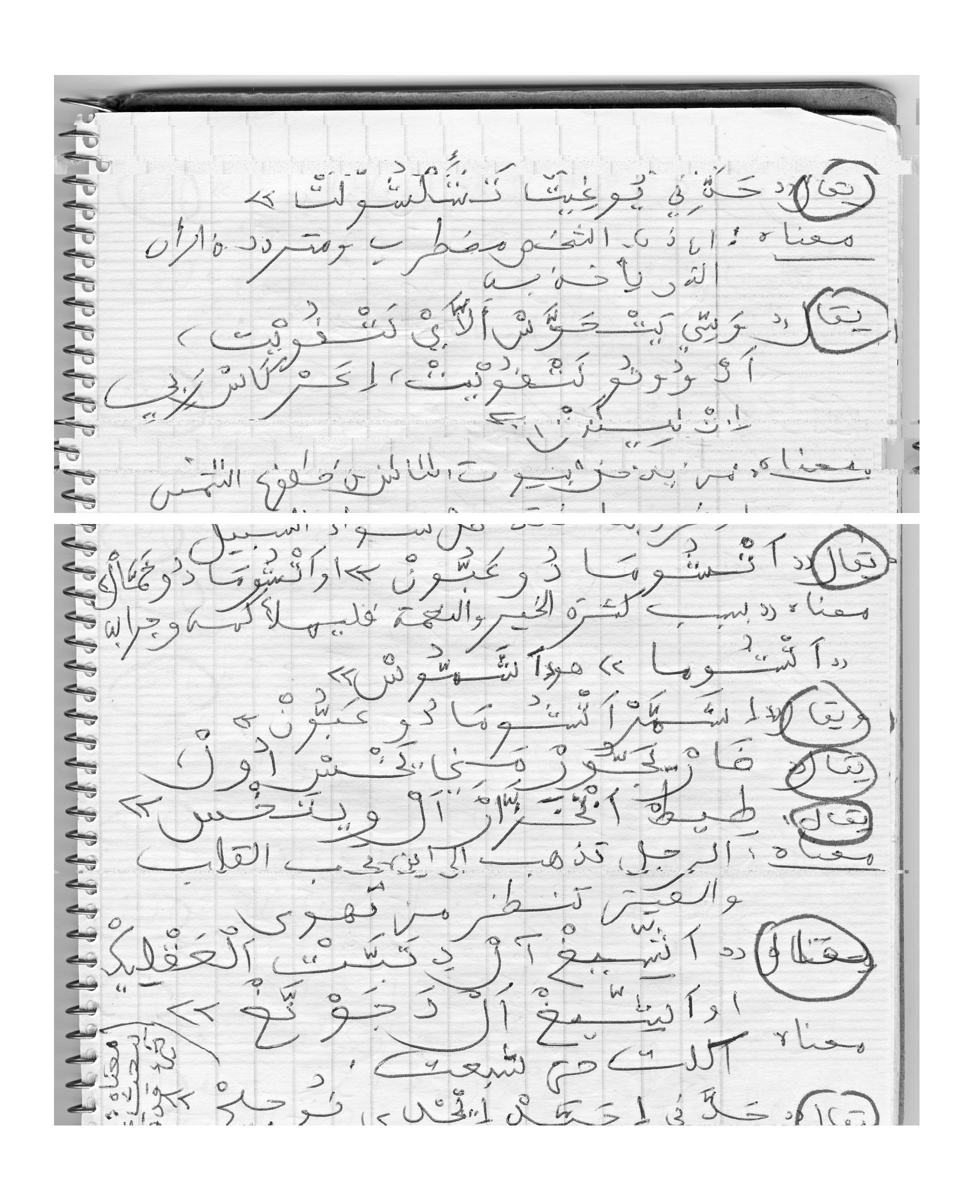
سكان ميزاب.

العطف ١٧ ربيع الثاني 1397 هـ

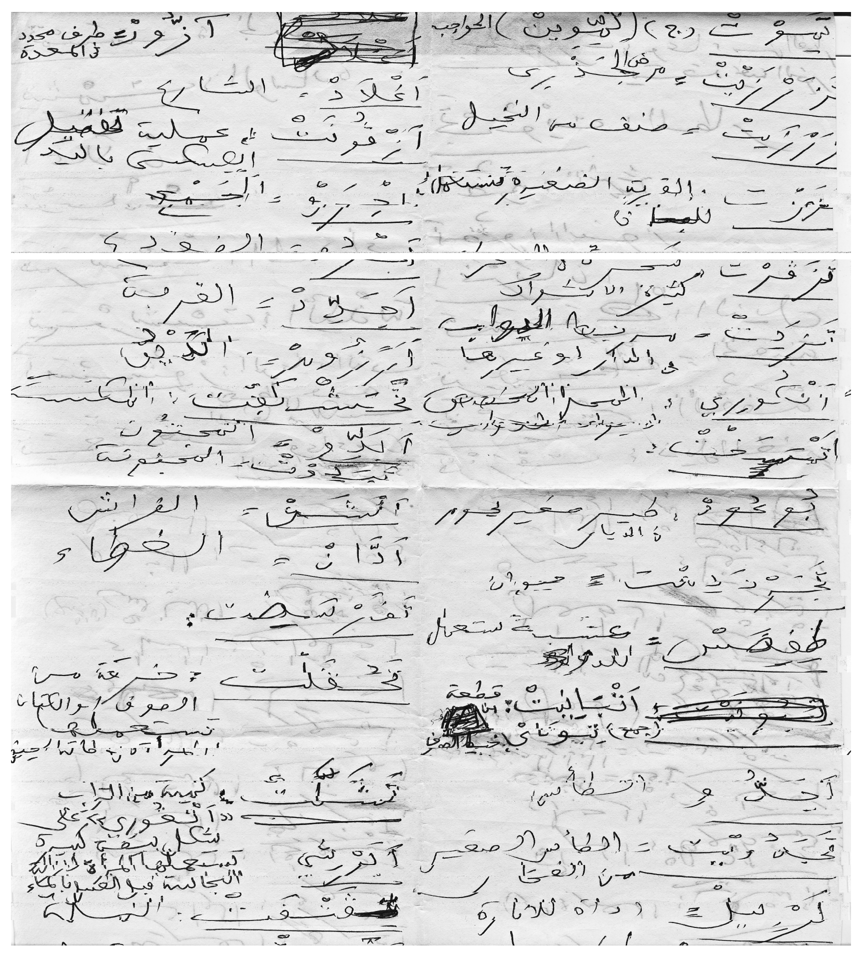
الصفحة الأولى من كشكول الأستاذ بايوب اسماوي



الصفحة الثانية من الكشكول، وقد بدأها بالتعداد (حساب الأرقام).



مجموعة من الأمثال بالمزابية مع الشرح بالعربية.



نموذج من الجذاذات المستقلة بالمزابية بخط المؤلف بايوب اسماوي.

هوامش الدراسة:

---

[1] – هي الأنشطة التي يمارسها التلاميذ خارج الصفوف وأوقات الدراسة كأنشطة الجمعيات والنوادي الثقافية والأدبية والرياضية...

[2] – بايوب سماوي، رحلتي مع فريق جيش التحرير الوطني لكرة القدم، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، نشر دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1، 2016، المقدمة كلها.

[3] – بايوب سماوي، رحلتي مع فريق جيش التحرير الوطني لكرة القدم، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، نشر دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1، 2016، المقدمة كلها.

[4] – بايوب سماوي، مجموع الأرشيف والوثائق، في مكتبة الفقيد الخاصة بمنزله بالعطف، دون ترقيم.

[5] – نسي المؤلف أن يكتب الرقم (4)، وسيتوقف من هذا العدد عن الحساب وترتيب العددي للموضوعات.

[6] – في الهامش ورد تاريخ جديد غير الموجود في واجهة الكشكول وهو 1410هـ/1990م، وذلك أثناء الإشارة إلى رسوخ كثير من العادات الاجتماعية كإكرام الأطفال في أول رمضان يصومونه في حياتهم.

[7] – تعتبر عقيدة التوحيد أحد أقدم النصوص الإباضية التي كتبت بالبربرية في شمال إفريقيا، وقد نقلها عمرو بم جميع إلى العربية في القرن السابع الهجري.

[8] – الفائدة مؤرخةبـ: 28 جوان 1990، وهي الفترة التي أحيل فيها المؤلف على شرف المهنة (التقاعد).

[9] – استغرقت هذه التصنيفات حوالي ثلاثين صفحة كاملة.

[10] – بايوب سماوي، كشكول أدبي حول الحياة في مزاب قديما، مخطوط، دون ترقيم، مجموع الكشكول بالصور الرقمية 110 صورة وهو يساوي عدد صفحات الدفتر.

[11] – بايوب سماوي، كشكول أدبي حول الحياة في مزاب قديما، مخطوط، دون ترقيم.

[12] – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، ط1، 1971، ج2، التقديم.

Tasleḍt tanseddast n kra n yinzan n tumẓabt

D. Brahim HAMEK
Langue et Culture Amazighes
Université A. Mira Bejaia
hamekbr@yahoo.fr

Ma neṭṭal ɣer *Le Grand Robert électronique*, anzi d : « Tanfalit yesɛan iskanen ilɣanen urkiden, di tuget d tawimkant neɣ d tawedmant i d-yeqqaren kra n tidet i d-yeḍran neɣ kra n lemɛani i isexdam ugdud, yerzan kra n ugraw anmetti. » Ɣef wanect-a, inzan s umata d tifyar tukrifin yerzan kra n tallit taqburt n kra n tmetti. Ilmend n waya d igerrujen idelsanen daɣ imutlayen ladɣa di tutlayin timawin icban tamaziɣt anda anzi yurar daɣ mazal yetturar tamlilt tagejdant deg teywalt daɣ deg useḥbiber ɣef tudert n tmeslayin timaziɣin yemgaraden, daɣ d amseddu asduklan aqbur n yidles amazigh, ɣef waya d adeg n umyiger d uganzi n tmeslayin timaziɣin yemgaraden n wass-a.

Anzi yesɛa azal meqqren di tsekla; di ddeqs n yidlisen, deg wayen akk i d-wwin ad tafeḍ ires ɣef kra n tikti yellan di kra n wanzi i yettwasefrurin i yettwajebden akka wakka i yettwaleqmen sya wesya armi yeqqel d adlis.

Deg tseknawalt, anzi yettaṭṭaf tikwal amkan n umedya; deg kra n yisegzawalen, yettikki deg usegzu ugar n yinumak n kra n wawal. Di kra n yisegzawalen-nniḍen ttilin-d yinzan ɣer taggara-s s yinumak-nsen acku rzan ugar tamsalt n yidles n yal agdud n yal tutlayt.

Deg teywalt, isiwzil ameslay acku anzi d awezzlan dacu anamek-is d ahrawan yettuɣal deg wadeg n kra n temɛayt ara d-yeḥku yiwen; daɣ igezzem-itt deg wawal, am wakken d asaḍuf i ilaq yiwen ad yeḍfer, iferrru timsal, yeskanay-d tidet d wayen yefren.

Anzi yesɛa amezruy, izegger seg tasut ɣer tayeḍ, yettawi-yaɣ-d ulamma s lewhi kan amek tedder tmetti n yimir-nni i d-isekren anzi-nni, dacu seg tasut ɣer tayeḍ s umata yesṛuḥuy assaɣ yesɛa d kra n tedyant, yettɣima-d anagar unamek-is amatu. Di tuget n tikkal yella-d d taseḍfart i kra n tedyant yeḍran, dacu drus maḍi anda anzi

mazal teqqim-d tedyant ansa i d-yekka, d amedya, anzi n teqbaylit “ Yuker ḥeḍreɣ, yeggul umneɣ”, anda wid i aɣ-id-izwaren di tudert sawalent-d dakken:

“Zik-nni, llan sin n yigujilen ur ufan ara d acu ara ččen dɣa terra-ten tmara ad d-ṛuḥeɣ ad akren akken ad kksen laẓ-nsen. Mi wḍen zdat n tebḥirt n tfirest dɣa ameqqran-nni ibubb gma-s ameẓẓyan akken ad yizmir ad d-yekkes tifirest, yekkes-d ayen i d-yekkes syen ffɣen-d. Bab n tebḥirt yella yettqaraɛ ɣef wayla-s, iwala-ten mi i d-ffɣen seg tebḥirt-is daɣ tteddun ttetten. Yewweḍ ɣur-sen yesqerqer-iten dɣa rewlen anda ɣlint-asen kra n tɛeqqayin. Yeddem-itent-id bab n tebḥirt. D ayen ibanen d tifirest-is acku ala netta i yesɛan ṣṣenf-a n tfirest di taddart-nni.

Ɛeddan wussan, bab n tebḥirt isaweḍ-d igujilen-nni ɣer yimɣaren n taddart, dɣa asmi xedmen lejmaɛ, luɛan i yigujilen-nni akken ad asen-sbedden taxeṭṭayt neɣ ahat ad asen-semḥen. At taddart lumen iman-nsen, ufan-d tasensert i yigujilen-nni, am wakken fkan-asen lḥeqq ad akren acku at taddart ur ɛawnen ara igujilen-a; d laẓ, d tamara i ten-yerran ad xedmen anect-a; wid akk i d-imeslayen mmalen dakken ad asen-semḥen, daɣ ilaq at udrum-is daɣ imawlan n lxir ad bedden ɣur-sen ad ten-ɛiwnen, ad sfiqiden fell-asen, ur ten-ttağğan ara mmuten di laẓ. Llan kra-nniḍen qqaren dakken arrac-a d arrac lɛali, amer ahat mačči d nutni, d amzuleg i mzulgent kan wallen n bab n tebḥirt, deg leɛmert i d-nsukkes kra i yiwen seg-sen, daɣ baba-tsen d argaz bu lxir, di tudert-is ulac win ur iɛawen ara. Dacu kan, bab n tebḥirt tamuɣli-s tṛuḥ ɣer wayen-nniḍen, la ihedder irennu, la yeqqar dakken yettwaḍlem, yettwakar, at taddart fkan afus seg-s, la ittezzi ittenneḍ dakken arrac-a ilaq ad s-id-ɣermen ayen wwin daɣ isefk ad ttwaxeṭṭin.

Igujilen-nni qqimen di kra n teɣmert, kusmen; ata yiwen n umɣar isawel-d : “Si zgelli nekni la nettmeslay, yal yiwen d acu i d-yenna, ilaq ad nsel i wayen ara ɣ-d-inin warrac-a, neɣ ala ?” Dɣa at taddart nnan i warrac-nni : “I kunwi d acu ara tinim?” Igujilen segmi i walan bab n tebḥirt iguma ad yebru i wawal, daɣ ur sɛin ara s wacu ara xelṣen taxeṭṭayt, rnu ɣef waya ugaden, dɣa inṭeq-d umeẓẓyan igull : “A ḥeqq Ṛebbi ma rekḍeɣ akal n tebḥirt-is”; ma d ameqqran igull : “A ḥeqq Ṛebbi ma kkseɣ-d tifirest di tebḥirt-is.” Imir, yekker-d yiwen n umɣar d aciban, yedda di tudert, yenna : “Atnan warrac-a gullen-d dakken ur ukiren ara, ma yella kra i d-

skadben ad tt-id-iseɣli seg-sen Bab-igenwan.” Wid i iḥeḍren meṛṛa bedden ɣef yiwen n wawal : “D tidet, d tidet...”

Imi i tewweḍ ɣer tgallit, bab n tebḥirt iwet-it uzaylal, yefka-d ula d netta azuɣar, ur yezmir ara ad d-yekk nnig tejmaɛt, yuɣal ula d netta yedret. Deg wansayen n at zik, win i d-igullen s zzuṛ, ad as-yeḍru kra, ad d-teɣli fell-as kra n ddeɛwessu; dacu kan ɣef wakken iṛuja bab n tebḥirt ulac kra i yuɣen arrac-nni, simal ttimɣuren, ttimlulen, ttuzuren. Bab n tebḥirt mazal tamsalt teqqaz deg wul-is, yiwen n wass mi llan ttqeṣṣiren di tejmaɛt, iban-d am wakken yeshetrif, dɣa yenna: “Yuker ḥedreɣ, igull umneɣ!” ɣyen yulles-d i taluft i s-yeḍran. Aya yeskanay-d azal i yesɛa wanzi di tmetti, d tugna n kra n uɣref; daɣ s tifkin n wazal i tmaziɣt, d tutlayt taɣelnawt tunṣibt, ak d ukeččum n tentaliwin timaziɣin deg uselmed di Lezzayer daɣ di Lmeṛṛuk, ajmaɛ d uzraw anamkan, azrumḍan, asneɣref, anmawal d unseddas n yinzan ɣur-sen azal meqqren deg tuṭṭfa ak d ulmad ak d uselmed n tentaliwin ak d tmeslayin yemgaraden.

Iswi n tezrawt-a d tasleḍt tanseddast deg wayen i yerzan tasekka n 93 n yinzan n tumẓabt, d ammud i d-yettwakksen s umata deg usegzawal n Jean Delheure, tumẓabt-tafransist, i yettwasexdamen deg ulmud n tumẓabt, aseggas wis sin n turagt, tasdawit n Bgayet. Inzan-a uran s tira talatinit tamirant n tmaziɣt i wumi giɣ tasuɣelt ɣer teqbaylit. Di tazwara semyezwareɣ inzan-a ilmend n ugemmay-a n tmaziɣt : a, ɛ, b, c, č, d, ḍ, e, f, g, h, ḥ, i, j, ǧ, k, l, m, n, o, p, ɣ, q, r, ṛ, s, ṣ, t, ṭ, u, v, w, x, y, z, ẓ. Syen ad d-tili tesleḍt ɣef tsekka tanseddast n yinzan-a anda ara d-yili usbadu n tulmisin-nsen ɣer taggara.

S umata taseddast n teqbaylit ak d tin n tumẓabt ur mgaraden ara, d ayen i d-ibanen deg wayen yerzan tasuɣelt n yinzan-a n tumẓabt ɣer teqbaylit, tasuɣelt awal-awal ur d-tegli ara s umata s ubeddel deg unamek neɣ s tefyar tirenjerrumin, ur d-yelli ara usexreb n tseddast n teqbaylit, daɣ ulac ugur deg wayen yerzan amseḍfar n wawalen ɣas akken tikwal ttilin-d sya wesya wuguren, icban addad amaruz. Ɣef waya di tuget nezmer ad d-nini dakken taseddast n teqbaylit ak d tin n tumẓabt ur mgaradent ara, asuɣel n yinzan yuɣal am wakken d tamsalt n umawal kan anda llan kra n wawalen n tumẓabt ur ttwasexdamen ara di teqbaylit, am deg: tirest/ anu, aweḥdi/ lɛali, twart/ tasedda, iqqsen/ inedlen, taɣrit/ tasremt yeɣs/ yebɣa, sagged/ ddaw, tzeɣlek/ temɣer, war/ izem ...

Tasleḍt tanseddast

Tarrayt-a n tesleḍt n tsekka n tefyirt, da n yinzan, terza s umata tajerrumt tanɣerbazt i yettwasexdamen deg uselmed n tmaziɣt ass-a i yersen ɣef tjerrumt tanwurit.

1. Taggayin n tefyirin.

Di tazwara tafyirt tezmer ad tili d taddayt neɣ d taḥerfit neɣ d tuddist anda yal yiwet seg-sent tebḍa d taggayin. Tafyirt tbeddu s usekkil ameqqran, tettfakka s “ugaz” neɣ s “ugaz n ubhat” neɣ s “ugaz n tuttra”. Tezmer ad tili d tafyirt tamagnut neɣ d tafyirt n ubhat neɣ d tafyirt n tuttra. Tezmer ad d-tili s talɣa n tilawt neɣ n tibawt. Am wakken yezmer ad d-yili usezwer n kra n usemmad, n yisemmaden neɣ n usumer neɣ n yisumar.

– **Awal-tafyirt**: Tikwal awal iman-is yezmer ad isiweḍ izen. Md. Ih. Uhu. Balak. Berka.

– **Tafyirt taddayt**: D tafyirt tameẓẓyant meṛṛa s wacu yezmer yiwen ad isiweḍ izen.

Md. D arğaz. D aweḥdi. D wuni. Ctayen. Nes. Yeẓwa.–

Tafyirt taḥerfit: Mi ara rnuɣ asemmad i tefyirt taddayt, ad tuɣal d taḥerfit. Tafyirt taḥerfit tesɛa asemmad imsegzi, asemmad usrid, asemmad arusrid i d-teggar tenzaɣt “i”, asemmad n tenzeɣt i d-teggar tenzeɣt menwala, asemmad ilelli i d-yeggar umernu. Md.

Buhun	y **esɣ**-d		Ufrič	imemmi-s	di ssuq	assennaṭ.
asemmad imsegzi	asentel	aseɣru	asemmad usrid	asemmad arusrid	asemmad n tenzeɣt	asemmad ilelli

– Tafyirt tuddist : D tafyirt i yesɛan ugar n yiwen n usumer.

- Tafyirt tuddist n umsentel : Deg tefyirt tuddist n umsentel, asumer imsentel yettwasentel ɣer usumer agejdan s tesɣunt n umsentel. Tasɣunt n umsentel tezmer ad tili n wakud, n yiswi, n tmentilt, n tenmegla, n userwes, n tuttra, n tewtilt, n unalkam, n war-azal. Daɣ tezmer ad tesɛu nnig n yiwen n usumer imsentel. Md. As-d ɣir-i **batta** texsed cra.

Si aɣa d-yas, ad ẓwuɣ.

Wel d-yusi **amaɣar** yerxa.

- Tafyirt tuddist n tuqqna: Isumar-is d ilelliyen anda tezmer ad d-tekk gar-asen tesɣunt n tuqqna. Ttilin sin neɣ ugar n sin n yisumar ilelliyen. Md. Cciɣ, swiɣ **sen** ẓwiɣ.

Ɛzem-d **neɣ** qqim.

- Tasemmudt : Asumer yettili d asemmad usrid, tezmer ad tili tesɣunt war-azal “belli”, am wakken yezmer ad tettwakkes. Md. Xseɣ ad ɛezmeɣ di tesdawit n Tɣerdayt.

Yeẓwa ad yexdem.

Yessen **belli** yenğem.

- Tamassaɣt : Yeggar-itt-id umqim amassaɣ “ay/i, aɣa...”, tezmer ad d-teglu s tmentilt, s turda, s tenmegla, s yiswi... Yettili yiwen neɣ sin neɣ ugar n sin n yisumar imassaɣen. Md. D baba i d-yusen si Fṛansa **i** yi-d-iwwin batta xseɣ. D cem **aɣa** sen-d-yuccen amensi.

– **Tafyirt tuddist-tussidt**: Tesɛa yiwet neɣ ugar n yisumar n tuqqna, yiwet neɣ ugar n yisumar igejdanen, yiwet neɣ ugar n yisumar n umsentel.

Md. Yeccu, yeswu, iqesser, si d-yutef baba-s, yeffeɣ.

2. Tasleḍt

Send ad selḍeɣ yal ṣṣenf n tefyirt ilmend n yisegran-is, semyezwareɣ ammud-a ilmend n ugemmay i d-yettwafken usawen-a.

1. Abrid iddren yif wenni immuten.

D **tafyirt taḥerfit tanemyagt**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y-: asentel, **-if**: d aseɣru, **abrid iddren**: asemmad imsegzi, **wenni immuten**: asemmad usrid.

2. Acc cra yettwaṭṭaf s uḍar ɣir amexluq yettwaṭṭaf s yiles.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer ilelli amezwaru: **Acc cra yettwaṭṭaf s uḍar**. **y**-: asentel, **-ttwaṭṭaf**: aseɣru, **acc cra**: asemmad imsegzi, **uḍar**: asemmad n tenzeɣt n wadeg “s”.

Asumer ilelli wis sin: **amexluq yettwaṭṭaf s yiles. y**-: asentel, -**ttwaṭṭaf**: aseɣru, **amexluq**: asemmad imsegzi, **yiles**: asemmad n tenzeɣt n wadeg “s”.

Asumer amezwaru d wis sin ttwaqqnen s tesɣunt n tuqqna “**ɣir**”.

3. Acc ḥedd yeqqar : Ibawen-ik ttewwan.

D **tafyirt tuddist tusridt**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

Asumer agejdan: **Acc ḥedd yeqqar**. **y**-: asentel, -**qqar**: aseɣru, **acc ḥedd**: asemmad imsegzi.

Asumer usrid: **Ibawen-ik ttewwan.** **-n** : asentel, **ttewwa**-: akenseɣru, **ibawen-ik**: asemmad imsegzi.

4. Adɣa, s ufus n umeddučel, d ttfaḥet.

D **tafyirt taḥerfit tanisemt**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi ak d usemmad n tenzeɣt n wadeg.

d : anmir, **ttfaḥet**: aseɣru, **adɣa:** asemmad imsegzi, **ufus n umeddučel**: asemmad n tenzeɣt n wadeg "s".

5. Alem amellal, wiği gaɛ d tadunt.

D **tafyirt taḥerfit tanisemt.** Yella-d usezwer n usemmad imsegzi ak d usemmad ilelli n tesmekta.

d : d anmir, **tadunt** : aseɣru, **alem amellal**: d asemmad imsegzi, **wiği gaɛ**: asemmad ilelli n tesmekta.

6. Ami wiği d alemmud, ay ameẓẓan, ad c-mmudeɣ arḍun.

D **tafyirt tuddist timsentelt**. Yella-d usezwer n usumer imsentel ak d usemmad arusrid.

Asumer agejdan: **ay ameẓẓan, ad c-mmudeɣ arḍun**. -**ɣ**: asentel, (ad) -**mmud-**: aseɣru, **arḍun**: asemmad usrid, **c**-: amqim asemmad arusrid, **ay ameẓẓan**: asemmad arusrid.

Asumer imsentel n tmentilt: **d alemmud. d** : anmir, **alemmud**: akenseɣru.

Ami wiği: d tasɣunt n umsentel n tmentilt.

7. An teyni n leɛmari: Isemḍayen-s i yijeldan, lxert-s i yiɣuyal.

Tafyirt tuddist tusridt. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer agejdan: **An teyni n leɛmari. an** : anmir, **teyni n leɛmari**: aseɣru.

Asumer usrid amezwaru: **isemḍayen-s i yijeldan. i**: anmir, **yijelliden**: akenseɣru amezwaru, **isemḍayen-s**: asemmad imsegzi

Asumer usrid wis sin: **lxert-s i yiɣuyal. i**: anmir, **yiɣuyal**: akenseɣru wis sin, **lxert-s**: asemmad imsegzi.

Asumer usrid amezwaru d wis sin ttwaqqnen s usmiwer.

8. Aɣerda i xfifen d tunt n mucc.

D **tafyirt taḥerfit tanisemt**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

d : d anmir, **tunt n mucc** : aseɣru, **Aɣerda i xfifen**: d asemmad imsegzi.

9. Aɣrem wel d-yettili di wass.

D **tafyirt taḥerfit tanemyant**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y- : asentel, (wel d)**-ttili** : aseɣru, **Aɣrem**: d asemmad imsegzi, **di wass**: asemmad n tenzeɣt n wakud.

10. Argab wel yesjiwin aɛeddis.

D **tafyirt taḥerfit tanemyant**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y- : asentel, (wel)**-sjiwin** : aseɣru, **Argab**: d asemmad imsegzi, **aɛeddis**: asemmad usrid.

11. Asmaḍ islemmad tukerḍa n terɣin.

D **tafyirt taḥerfit tanemyant**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

i- : asentel, **-slemmad** : aseɣru, **Asmaḍ**: asemmad imsegzi, **tukerḍa n terɣin**: asemmad usrid.

12. At yicca ttajren At yilan.

D **tafyirt taḥerfit tanemyant**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

-n : asentel, **ttajr-** : aseɣru, **At yicca**: asemmad imsegzi, **At yilan**: asemmad usrid.

13. Aṭṭan yettuṭṭa-d tiččelt, talwit ttas-d s uzaff.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer ilelli amezwaru: **Aṭṭan yettuṭṭa-d tiččelt**. **y**-: asentel, -**ttuṭṭa-d**: aseɣru, **Aṭṭan**: asemmad imsegzi, **tiččelt**: asemmad n tesmekta.

Asumer ilelli wis sin: **talwit ttas-d s uzaff. t**-: asentel, **-ttas**: aseɣru, **talwit**: asemmad imsegzi, **s uzaff**: asemmed n tenzeɣt n tɣara.

Asumer amezwaru d wis sin ttwaqqnen s usmiwer.

14 Awal d lfeḍḍet, asusem d wreɣ.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer ilelli amezwaru: **Awal d lfeḍḍet**. **d**: anmir, **lfeḍḍet**: aseɣru, **Awal**: asemmad imsegzi.

Asumer ilelli wis sin: **asusem d wreɣ. d**: anmir, **wreɣ**: aseɣru, **asusem**: asemmad imsegzi.

Asumer amezwaru d wis sin ttwaqqnen s usmiwe 15 Awal n leɛdu yessessa d wiwal n umeddučel yesɣerret.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer ilelli amezwaru: **Awal n leɛdu yessessa**. **y**-: asentel, -**ssessa:** aseɣru, **Awal n leɛdu**: asemmad imsegzi.

Asumer ilelli wis sin: **wiwal n umedducel yesɣerret. y-** : asentel, **-sɣerret**: aseɣru, **wiwal n umedducel**: asemmad imsegzi. **d**: tasɣunt n tuqqna.

Asumer amezwaru d wis sin ttwaqqnen s tesɣunt n tuqqna “d”.

16. Ayen ittmunkuẓen, iqeḍḍa; ayen i d-ttasen, yettaweḍ-d.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

Asumer ilelli amezwaru: **Ayen ittmunkuẓen, iqeḍḍa**. **i-** : asentel, **-qeḍḍa**: aseɣru, **Ayen ittmunkuẓen**: asemmad imsegzi.

Asumer ilelli wis sin: **ayen i d-ttasen, yettaweḍ-d. y-**: asentel, **-ttaweḍ-d**: aseɣru, **ayen i d-ttasen**: asemmad imsegzi.

Sin n yisumar-a ttwaqqnent s usmiwer.

17. Ayen-nni teṣṣid imar-u, ad t-tɣerrted tzeɣlek-č.

D **tafyirt tuddist tamassaɣt**. Yella-d usezwer n usumer amassaɣ d usemmad imsegzi.

Asumer agejdan: **ad t-tɣerrted tzeɣlek-č**. **t--d**: asentel, **ad -ɣerrt-**: aseɣru, **tzeɣlek-č**: asemmad ilelli n wakud, **t-** : amqim asemmad usrid.

Asumer amassaɣ: **Ayen-nni teṣṣid imar-u. t--d**: asentel, **-eṣṣi-**: akenseɣru, **imar-u**: asemmad ilelli n wakud, **Ayen-nni**: asemmad imsegzi.

18. Ay geḍɛen, yemmut.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y-: asentel, **-mmut-**: aseɣru, **Ay geḍɛen:** asemmad imsegzi.

19 Batta ɣer-č ayetli, ucc si-s ; batta lac, ucc s wul-č.

D **tafyirt tuddist-tussidt**. Yella-d usezwer n yisumar imsental.

- Inaw uddis imsentel amezwaru: **Batta ɣer-č ayetli, ucc si-s.**

Asumer agejdan: **ucc si-s.** Ø: asentel, -**ucc**: aseɣru, **si-s**: asemmad n tenzeɣt.

Asumer imsentel n tewtilt: **Batta ɣer-č ayetli. -**č: asentel, **ɣer-**: akenseɣru, **ayetli**: asemmad usrid.

Batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

- Inaw uddis imsentel wis sin: **batta lac, ucc s wul-č.**

Asumer agejdan: **ucc s wul-č.** Ø: asentel, **ucc**: aseɣru, **s wul-č**: asemmad n tenzeɣt.

Asumer imsentel n tewtilt: **batta lac.** Ø: anmir, **lac**: akenseɣru

batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

- Inaw ussid imsentel amezwaru ak d wis sin ttwaqqnen s usmiwer.

20. Batta taziri mεa-č, wal ṭelleb itran.

D **tafyirt tuddist n umsentel**. Yella-d usezwer n usumer imsentel n tewtilt d usemmad imsegzi.

Asumer agejdan: **wal ṭelleb itran**. Ø: asentel, **ṭelleb**: aseɣru, **itran**: asemmad usrid.

Asumer imsentel n tewtilt: **Batta taziri mεa-č. -č**: asentel, **mεa**-: akenseɣru, **taziri**: asemmad imsegzi.

Batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

21. Batta tregbed sen midden mεacaren, ini: iggen yedreč f yiggen si-sen.

D **tafyirt tuddist-tussidt**. Yella-d usezwer n usumer uddis usrid imsentel ak d yisemmaden imsegziyen.

- Inaw uddis usrid agejdan: **ini: iggen yedreč f yiggen si-sen.**

Asumer agejdan: **ini.** Ø: asentel, **ini**: aseɣru.

Asumer usrid: **iggen yedreč f yiggen si-sen.** y-: asentel, **-dreč**: akenseɣru, **iggen**: asemmad imsegzi, **f yiggen si-sen**: asemmad n tenzeɣt.

- Inaw uddis usrid imsentel: **Batta tregbed sen midden mεacaren.**

Asumer agejdan: **tregbed**. t--d: asentel, **-regb-**: aseɣru.

Asumer usrid: **sen midden mεacaren. -**n: asentel, **mεacar-**: akenseɣru, **sen midden**: asemmad imsegzi.

Batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

- Inaw uddis usrid imsentel yettwasentel ɣer yinaw uddis usrid agejdan s tesɣunt n umsentel n tewtilt “batta”.

22. Batta tregbed tigeḍfin tisunan, ini: aren (ctayen) nnej.

D **tafyirt tuddist-tussidt**. Yella-d usezwer n usumer imsentel

- Inaw uddis usrid agejdan: **ini: aren (ctayen) nnej.**

Asumer agejdan: **ini.** Ø: asentel, **ini**: aseɣru.

Asumer usrid: **aren (ctayen) nnej.** Ø: asentel**(-t-)** + akenseɣru**(c-ayen)**, **aren**: asemmad imsegzi, **nnej**: asemmad ilelli n wadeg.

- Asumer imsentel: **tregbed tigeḍfin tisunan.**

t--d: asentel, -**regb-**: akenseɣru, **tigeḍfin-**: asemmad usrid, **tisunan**: asemmad n wadeg.

Batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

- Asumer imsentel yettwasentel ɣer yinaw uddis usrid agejdan s tesɣunt n umsentel n tewtilt “batta”.

23. Bbi tajeldimt qedd n yimi-č.

D **tafyirt taḥerfit**.

Ø: asentel, **Bbi**: aseɣru, **tajeldimt qedd n yimi-č:** asemmad usrid.

24. Beḥḥa yerna basa.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y-: asentel, **-rna**: aseɣru, **Beḥḥa:** asemmad imsegzi, **basa:** asemmad usrid.

25. Bessi bessi, tẓukki tettağğa ağlef.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi ak d usemmad ilelli.

t-: asentel, **-ttağğa**: aseɣru, **tẓukki:** asemmad imsegzi, **ağlef:** asemmad usrid **Bessi bessi:** asemmad ilelli n tɣara.

26. Bessi n umeddučel (d) yeɣleb.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

Ø (d): anmir, **yeɣleb**: aseɣru, **Kra n umeddakel:** asemmad imsegzi.

27. Cecc-it neɣ ecc-it neɣ ucc-it.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**.

Asumer ilelli amezwaru: **cecc-it**. Ø: asentel, cecc**:** aseɣru, **-it**: asemmad usrid.

Asumer ilelli wis sin: **ecc-it**. Ø: asentel, ecc**:** aseɣru, **-it**: asemmad usrid, **neɣ**: tasɣunt n tuqqna.

Asumer ilelli wis kraḍ: **ucc-it**. Ø: asentel, ucc**:** aseɣru, **-it**: asemmad usrid, **neɣ**: tasɣunt n tuqqna.

Asumer amezwaru d wis sin d wis kraḍ ttwaqqnen s tesɣunt n tuqqna “neɣ”.

28. **Ḥebb aydi s yimi-s** al teqḍud sslaḥ si-s.

D **tafyirt tuddist n umsentel**.

Asumer agejdan: **Ḥebb aydi s yimi-s**. Ø: asentel, **Ḥebb**: aseɣru, **s yimi-s**: asemmad n tenzeɣt n wadeg.

Asumer imsentel n wakud: **al teqḍud sslaḥ si-s. t-d**: asentel, **-qḍu-**: akenseɣru, **sslaḥ**: asemmad usrid, **seg-s**: asemmad n tenzeɣt.

al: d tasɣunt n umsentel n wakud.

29. Ḥesb-i an leɛdu-č, teğd-i an yewwa-č.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**.

Asumer ilelli amezwaru: **Ḥesb-i an leɛdu-č**. Ø: asentel, **Ḥesb:** aseɣru, **-i**: asemmad usrid, **an leɛdu-č**: asemmad n tenzeɣt n userwes.

Asumer ilelli wis sin: **teğd-i an yewwa-č**. **t-d**: asentel, -ğ-**:** aseɣru, **-i**: asemmad arusrid, **an yewwa-č**: asemmad n tenzeɣt n userwes.

Asumer amezwaru d wis sin ttwaqqnen s usmiwer.

30. **Ḥret, ay aba**, ad nemjer.

D **tafyirt tuddist n tuqqna**.

- Asumer ilelli amezwaru: **Ḥret**. Ø: asentel, **Ḥret:** aseɣru.
- Asumer ilelli wis sin: **ay aba**. **ay**: anmir, **aba:** aseɣru.
- Asumer ilelli wis kraḍ: **ad nemjer**. **n-**: asentel, **-mjer:** aseɣru.
- Asumer amezwaru d wis sin d wis kraḍ ttwaqqnen s usmiwer.

31. Ḥret, ḥret, ay aba, batta wel tusi değ-č, ad tas değ-neɣ.

D **tafyirt tuddist tussidt**. Yella-d usezwer n usumer imsentel.

- Asumer ilelli amezwaru: **Ḥret**. Ø: asentel, **Ḥret:** aseɣru.
- Asumer ilelli wis sin: **Ḥret**. Ø: asentel, **Ḥret:** aseɣru.
- Asumer ilelli wis kraḍ: **ay aba**. **ay**: anmir, **aba:** aseɣru.
- Inaw uddis n umsentel: **batta wel tusi değ-č, ad tas değ-neɣ**.

Asumer agejdan: **ad tas değ-neɣ**. **t-**: asentel, **-as**: aseɣru, **seğ-neɣ**: asemmad n tenzeɣt n wadeg.

Asumer imsentel n tewtilt: **wel tusi değ-č. t-**: asentel, **-usi:** akenseɣru, **değ-č**: asemmad n tenzeɣt n wadeg.

batta: d tasɣunt n umsentel n tewtilt.

- Asumer amezwaru d wis sin ak d wis kraḍ ak d yinaw uddis n umsentel ttwaqqnen s usmiwer.

32.Idmaren n leḥrar d inilen n lesrar.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

d: anmir, **inilen n lesrar**: aseɣru, **Idmaren n leḥrar:** asemmad imsegzi.

33.Iggen yettettes tğuffa, iggen yessuğğum ad yettes.

D **tafyirt tuddist tussidt**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

- Asumer ilelli: **Iggen yettettes tğuffa**. **y-**: asentel, **ttettes:** aseɣru, **Iggen**: asemmad imsegzi, **tğuffa:** asemmad usrid.
- Inaw uddis usrid: **iggen yessuğğum ad yettes**.

Asumer agejdan: **iggen yessuğğum**. **y-**: asentel, **-ssuğğum**: aseɣru, **iggen**: asemmad imsegzi.

Asumer usrid: **ad yettes. y-**: asentel, **-ttes:** akenseɣru.

- Asumer amezwaru d yinaw uddis usrid ttwaqqnen s usmiwer.

34. Iğenni aḍu.

D **tafyirt taḥerfit**.

I-: asentel, **-ğenni**: aseɣru, **aḍu:** asemmad usrid.

35. Iles aweḥdi ad yeṭṭed twart.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

y-: asentel, **-ṭṭed**: aseɣru, **Iles aweḥdi:** asemmad imsegzi, **twart:** asemmad usrid.

36. Imi iqqsen wel t-ttitfen izan.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

-n: asentel, ttitf--: aseɣru, **izan:** asemmad imsegzi, **Imi iqqsen:** asemmad imsegzi, **t-:** amqim asemmad usrid.

37. Kull aydi d anebbah imi tewwurt-s.

D **tafyirt taḥerfit**. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

d: anmir, **anebbah**: aseɣru, **Kul aydi:** asemmad imsegzi, **imi tewwurt-s:** asemmad arusrid.

38. **Lac igget tefrit** wel tet-yehhezhez aḍu.

Tafyirt tuddist tamassaɣt. Yella-d usezwer n usemmad imsegzi.

Asumer agejdan: **Lac igget tefrit.** Ø: asentel, **Lac** : aseɣru, **igget tefrit**: asemmad imsegzi.

Asumer amassaɣ: **wel tet-yehhezhez aḍu. y-**: anmir, **-hhezhez**: akenseɣru, **tet-** : asemmad usrid, **aḍu-** : asemmad imsegzi.

39. Leɛdu wel ideggel d ameddučel, kermaca wel tdeggel (d) aren.

D **tafyirt tuddist tussidt**. Yella-d usezwer n yisemmaden imsegziyen.

- Inaw uddis usrid amezwaru: **Leɛdu wel ideggel d ameddučel**.

Asumer agejdan: **Leɛdu wel ideggel. i-**: asentel, **-deggel:** aseɣru, **Leɛdu**: asemmad imsegzi.

Asumer usrid: **d ameddučel**. **d**: anmir, **ameddučel:** akenseɣru.

- Inaw uddis usrid wis sin: **kermaca wel tdeggel (d) aren**.

Asumer agejdan: **kermaca wel tdeggel**. **t-**: asentel, **-deggel**: aseɣru, **kermaca**: asemmad imsegzi.

Asumer usrid: **(d) aren. Ø (d)**: anmir, **aren:** akenseɣru, **kermaca**: asemmad imsegzi.

- Inaw uddis usrid amezwaru d yinaw uddis usrid wis sin ttwaqqnen s usmiwer.

40. Manč i tzerɛed aɣa ad tmejred.

D **tafyirt tuddist n umsentel**.

- Asumer agejdan: **ad tmejred. t-d**: asentel, -**mejr-**: aseɣru.

- Asumer imsentel n userwes: **tzerɛed. t-d**: asentel, **-zerɛ-**: akenseɣru.

Manč i ... ara: d tasɣunt n umsentel n userwes.

Taggrayt

Segmi i nga tasleḍt tanseddast i 40 n yinzan n tumẓabt ɣef 93 i yellan deg wammud, i nettwali ccaḍen, anda i neḍfer tarrayt n teẓriwurit, tulmisin timuta i ɣer nsaweḍ, dakken :

– Inzan-a usan-d s talɣa n tefyirt tanemyagt wala s talɣa n tefyirt tarnemyagt.

– Ulac kra n wanzi i d-yusan s talɣa n wawal-tafyirt.

– Ulac kra n wanzi i d-yusan s talɣa n tefyirt taddayt.

– Inzan-a usan-d s umata s talɣa n tefyirt taḥerfit, neɣ n tefyirt tuddist timsentelt neɣ n tuqqna, am wakken usan-d daɣ s talɣa n tefyirt tuddist-tussidt i yellan ɣef tlisa gar tefyirt ak d uḍris, anda yeqwa usexdem n yisumar imassaɣen. Tafyirt tuddist tusridt yeggar-itt-d umyag aḥerfi “ini” neɣ ussid “qqar” deg wudem wis kraḍ asuf amalay. Am wakken i d-yettili s waṭas usezwer.

– Ddima yettili-d usezwer n usemmad imsegzi. Ticki yella usemmad imsegzi i ɣef d-yella usezwer yulles-as-d kra n umqim, daɣ asumer amassaɣ yusa-d s talɣa tibawt, asemmad imsegzi wis sin yettili-d ɣer taggara, nufa-d anagar tasurift-a.

Imi iqqsen wel **tt**-titfen **izan**.

Lac **igget tefrit** wel **tet**-yehhezhez **aḍu**.

– Ddima yettili-d usezwer n usumer imsentel deg tefyirt tuddist. Slid di tefyar i yecban : Ḥebb aydi s yimi-s al teqḍud sslaḥ si-s. D tafyirt tuddist n umsentel n wakud, ur tqebbel ara asezwer n usumer imsentel, mulac ad as-iṛuḥ unamek-is, ad ibeddel lawan deg-i ara d-yeḍru usumer agejdan ak d usumer n umsentel.

Deg : Ḥebb aydi s yimi-s al teqḍud sslaḥ si-s. Asumer agejdan ad d-yeḍru uqbel asumer imsentel.

Deg : Al teqḍud sslaḥ si-s, ḥebb aydi s yimi-s. Asumer agejdan ad d-yeḍru umbeɛd asumer imsentel.

– Yettili-d usezwer n yinaw uddis usrid imsentel ak d yisumar imsental deg tefyirt tuddist-tussidt.

– Yettili-d usezwer n usumer amassaɣ deg tefyirt tamassaɣt.

– Yettili-d usezwer n yisemmaden imsegziyen deg tefyirt tuddist n tuqqna.

– Asemmad usrid ddima yettili seld aseɣru neɣ akenseɣru.

Iɣelli tikwal usentel/ anmir neɣ useɣru, tikwal i sin anda gezzu n usumer yettuɣal d tamsalt n wattal:

Bessi n umeddučel (**d**) yeɣleb.

Batta tregbed tigeḍfin tisunan, ini: aren (**ctayen**) nnej.

Leɛdu wel ideggel d ameddučel, kermaca wel tdeggel (**d**) aren.

Tuget meqqren seg yinzan-a usan-d s talɣa n wudem wis kraḍ asuf s usexdem n umatar udmawan asuf amalay “y–”, ticki kan yella yisem unti i t-id-isegzayen i yettwasexdam umatar unti “t--”, daɣ s usexdem n umqim arudmawan “wi, wasi”, daɣ yettili-d usexdem n yisumar imassaɣen; tikwal maḍi i d-yettili usexdem n umatar udmawan deg wudem wis sin ladɣa mi ara yili wanzi yusa-d s talɣa n unaḍ.

Deg tuget yettili-d umqabal gar sin n yisumar neɣ gar sin n yinawen, icban :

Abrid **iddren** //yif //wenni **immuten**.

Acc cra yettwaṭṭaf s **uḍar** //ɣir //amexluq yettwaṭṭaf s **yiles**.

Iggen **yettettes** tǧuffa, // iggen **yessuǧǧum** ad yettes.

Idlisen

Chaker (S.), 1991, Manuel de linguistique berbère I, Ed. Bouchène, Alger.

Dallet (J.-M.), 1970, Berbère de l’Oued Mzab: le verbe, FDB, Fort-National.

Dallet (J.-M.), 1982, Dictionnaire kabyle-français, parler des At Mengellat, Ed. Selaf, Paris.

Delheure (J.), 1984, Dictionnaire mozabite-français, Ed. Selaf, Paris.

Delheure (J.), 1985, Iwalen d tmeǧǧa n’At Mzab “Faits et dires du Mzab”, Ed. Selaf, Paris.

Delheure (J.), 1989, Etude sur le mozabite, in EDB n°6, sous la direction de S. Chaker et Ou. Ould Brahim.

GOURILIAU (E.), 1898, Grammaire complète de la langue MZABITE comparée dans ses parties essentielles aux dialectes kabyle et Tamachek, Miliana, Imprimerie A. Legendre.

Mammeri (M.), 1990, Tajeṛṛumt n tmazight (tantala taqbaylit), Ed. Bouchène, Alger.

Moulieras (A.), 1985, Les Béni-Isguen (Mzab), essai sur leur dialecte, Fouque, Oran.

Naït-Zerrad (K.), 1996, Tajerrumt n tmaziɣt tamirant (taqbaylit), II-taseddast, Ed. ENAG.

Nouh (A.), 2006-2007, Amawal n Teqbaylit d Tumẓabt, Etude réalisée pour le compte du Haut Commissariat à l'Amazighité.

Ammud

1. Abrid iddren yif wenni immuten.
   Abrid yeddren yif win yemmuten.
2. Acc cra yettwaṭṭaf s uḍar ɣir amexluq yettwaṭṭaf s yiles.
   Yal kra yellan yettwaṭṭaf deg uḍar siwa amdan yettwaṭṭaf deg yiles.
3. Acc ḥedd yeqqar : Ibawen-ik ttewwan.
   Yal yiwen yeqqar : Ibawen-iw ttewwan.
4. Adɣa, s ufus n umeddučel, d ttfaḥet.
   Adɣaɣ, seg ufus n umeddakel, d tatteffaḥt.
5. Alem amellal, wiği gaɛ d tadunt.
   Alɣem amellal, maččči meṛṛa d tasemt.
6. Ami wiği d alemmud, ay ameẓẓan, ad c-mmudeɣ arḍun.
   Amer maččči d agrud, ay ameẓẓyan, ad ak-d-fkeɣ taḥnunt.
7. An teyni n leɛmari: Isemḍayen-s i yijeldan, lxert-s i yiɣuyal.
   Am ttmeṛ n leɛmari: urgalen-is i yigelliden, taggara-s i yiɣyal.
8. Aɣerda i xfifen d tunt n mucc.
   Aɣerda yettmalaḍen, d amur n umcic.
9. Aɣrem wel d-yettili di wass.
   Tamdint ur d-tettili deg yiwen n wass.
10. Argab wel yesjiwin aɛeddis.
    Aṭṭili ur iserwuy aɛebbuḍ.
11. Asmaḍ islemmad tukerḍa n terɣin.
    Asemmiḍ iselmad tukerḍa n tergin.
12. At yicca ttajren At yilan.
    At uzekka ttajren At tasutin.
13. Aṭṭan yettuṭṭa-d tiččelt, talwit ttas-d s uzaff.
    Aṭṭan iɣelli-d tikkelt, talwit tettas-d s uẓef.
14. Awal d lfeḍḍet, asusem d wreɣ.
    Awal d lfeḍḍa, tasusmi d ddheb.
15. Awal n leɛdu yessessa d wiwal n umeddučel yesɣerret.
    Awal n ucengu iseḍsay ma d awal n umeddakel isettruy.

16. Ayen ittmunkuẓen, iqeḍḍa; ayen i d-ttasen, yettaweḍ-d.
Ayen ittenqasen, yettfakka; ayen i d-yettasen, yettaweḍ-d.
17. Ayen-nni teṣṣid imar-u, ad t-tɣerrted tzeɣlek-č.
Ayen teḍsiḍ tura, ad t-tettruḍ deg temɣer-ik.
18. Ay geḍɛen, yemmut.
Ayen iɛeddan, yemmut.
19 Batta ɣer-č ayetli, ucc si-s ; batta lac, ucc s wul-č.
Ma tesɛiḍ cci, efk seg-s ; ma ulac, efk s wul-ik.
20. Batta taziri mɛa-č, wal ṭelleb itran.
Ma yella tiziri yid-k, ur sutur itran.
21. Batta tregbed sen midden mɛacaren, ini: iggen yedreč f yiggen si-sen.
Ma twalaḍ sin n yimdanen mɛacaren, ini: yiwen yerna wayeḍ.
22. Batta tregbed tigeḍfin tisunan, ini: aren (ctayen) nnej.
Ma twalaḍ tiweṭṭufin deg tseddarin, ini: awren atan s nnig.
23. Bbi tajeldimt qedd n yimi-č.
Hmej tuhmijt anect n yimi-k.
24. Beḥḥa yerna basa.
Beḥḥa yerna basa.
25. Bessi bessi, tẓukki tettağğa ağlef.
Kra kra, tiẓiwejt tetteg lɛec.
26. Bessi n umedducel (d) yeɣleb.
Kra n umeddakel d aṭas.
27. Cecc-it neɣ ecc-it neɣ ucc-it.
Sečč-it neɣ ečč-it neɣ efk-it.
28. Ḥebb aydi s yimi-s al teqḍud sslaḥ si-s.
Suden aqjun deg yimi-s ar d-teqḍuḍ ccɣel seg-s.
29. Ḥesb-i an leɛdu-č, teğd-i an yewwa-č.
Ḥseb-iyi am uɛdaɛ-ik, tgeḍ-iyi am gma-k.
30. Ḥret, ay aba, ad nemjer.
Krez, a baba, ad nemger.
31. Ḥret, ḥret, ay aba, batta wel tusi değ-č, ad tas değ-neɣ.
Krez, krez, a baba, ma yella ur d-tusi seg-k, ad d-tas seg-neɣ.
32. Idmaren n leḥrar d inilen n lesrar.
Idmaren n uḥuri d iẓekwan n lesrar.
33. Iggen yettettes tğuffa, iggen yessuğğum ad yettes.
Yiwen yettekkes acekkuḥ, yaweḍ yettraju ad t-yekkes.
34. Iğenni aḍu.
Yettxiḍ aḍu.

35. Iles aweḥdi ad yeṭṭed twart.
Iles lɛali ad yeṭṭeḍ tasedda..
36. Imi iqqsen wel t-ttitfen izan.
Imi inedlen ur t-keččmen yizan.
37. Kull aydi d anebbah imi tewwurt-s.
Ɣal aydi iseglaf ɣef yimi n tewwurt-is.
38. Lac igget tefrit wel tet-yehhezhez aḍu.
Ulac yiwet n tefriwt ur tt-ihuz waḍu.
39. Leɛdu wel ideggel d ameddučel, kermaca wel tdeggel (d) aren.
Aɛdaw ur yettuɣal d ameddakel, iwzan ur ttuɣalen d awren.
40. Manč i tzerɛed aɣa ad tmejred.
Amek i tzezɛeḍ ara tmegreḍ.
41. Mani llan wulawen, ad awḍen yiḍaren.
Anda llan wulawen, ad awḍen yiḍaren.
42. Melmi yeɣs ḥedd, abrid yeqreb ; wasi wel iɣis ḥedd, ula yeqreb yebɛed.
Melmi i yebɣa yiwen, abrid yeqreb ; win ur yebɣi yiwen, ɣas yeqreb yebɛed.
43. Mi teccu tsa, teccu truḍt.
Mi tečča tasa, tečča turiḍt.
44. Mucc, batta wel yufi tadunt ad yecc, ad yini texmej.
Amcic, ma ur yufi ara tasemt ad yečč, ad as-yini tumes.
45. Necci cekteɣ s lexla n taddart-ik, netta yeqqar-i mennect ɣer-č tarwa.
Nek ttcektiɣ ɣef lexla n uxxam-iw, netta yeqqar-iyi-d acḥal ɣur-k n dderya.
46. Ɣir lebɣel i nekkern llesl-s.
Siwa aserdun i inekren laṣel-is.
47. Seğm i laẓ d fad.
Segmu laẓ d fad.
48. Slemdeɣ-as tẓallit, yezzar-yi tamesğida.
Slemdeɣ-as taẓallit, yezwar-iyi ɣer lğameɛ.
49. Srem taɣrit tebzeğ ; ma teqqur, ad rrẓen isennanen.
Srem tasremt terḍeb ; ma teqqur, ad rrẓen yisennanen.
50. Ssetret, d taweḥdit sagged imudan wala sagged imuran.
Tuṣṣra, telha s ddaw tmedlin wala s ddaw yiɣulad.
51. Tanedmit teqqen amexluq.
Tinedmit teqqen amexluq.

52. Tazeggart wel yettwibbi si-s aḍil.
Tazeggart ur d-ttekksen seg-s aḍil.
53. Tigdi teslemmad tɣarit.
Tugdi tselmad tarewla.
54. Tiẓẓayt tessaraw-d ureɣ.
Tiẓẓayt (ayen i ireẓnen) tettaǧǧa-d ureɣ.
55. Tmusni tettsella s sen.
Ccreɛ tettwag s sin.
56. Uccen ittcemcmen yif war i tteṭṭsen.
Uccen i yettlawaḥen yif izem i yegganen.
57. Uctim yettwaffaẓ imawen.
Amcum, yettwaffaẓ deg yimawen.
58. Ul n ubeddiw imi-s, d yimi n uzemni ul-s.
Ul n umencuf deg yimi-s, imi n uzemni deg wul-is.
59. Ul n uḥemmaq imi-s, d yimi n lɛaqel ul-s.
Ul n učeqlal (d) imi-s, d yimi n lɛaqel (d) ul-is.
60. Ul ttḥerrec tuffa ɣir yella di-s waḍu.
Ur tettembiwil taffa siwa ma yella deg-s waḍu.
61. Wal feṛṛeḥ i batta iẓwan qbel aɣa tessned an d-usin.
Ur feṛṛeḥ i wayen i iɛeddan weqbel ad tissineḍ ayen i d-yusan.
62.. Wal qqar : Ɣir-i ibawen, ald ilin aɛyar.
Ur qqar : Sɛiɣ ibawen ard ttwaɛeyyren.
63. Wasi ɣer-s irden ad s-yettwarḍel aren.
Win i yesɛan irden ad as-yettwarḍen uwren.
64. Wasi ɣer-s ureɣ xsen-t midden, batta yexs yili d aydi.
Win i yesɛan ddheb bɣan-t medden, ma yebɣu yili d aydi.
65. Wasi yeṣṣu tamemt ad yelleɣ iḍudan-s.
Win i iɛerḍen tamemt ad yelleɣ iḍudan-is.
66. Wasi yettmetra an weɣyul : batta yufu an netta am weɣyul, batta wel yufi, aɣyul yif-i.
Win i isuturen am uɣyul : ma yufa am netta am uɣyul, ma ur yufi ara, yif-it uɣyul.
67. Wasi temleč mamma-nneɣ, ad yettusemma d baba-nneɣ.
Win i tezweǧ yemma-tneɣ, ad yettwasemma d baba-tneɣ.
68. Wasi wel yettjiwin, ini ad yemmet yelluẓ.
Win ur mreggu, ini ad yemmet iluẓ.
69. Wiği gaɛ ač mellel d aɣi.
Maččči meṛṛa ayen mellulen d iɣi.

70. Wiği gaɛ wuni irḍen abernus d arğaz.
Maččі meṛṛa win i yersan abernus d argaz.
71. Wi iccin amensi-s takẓin yeğ agellil.
Win i yeččan imensi-s ɣef lɛaṣar d agellil.
72. Wi iccin tyaziḍt n midden ad yessejder ufrič-s.
Win i yeččan tayaziḍt n medden ad yesṭaqet ikerri-yis.
73. Wi iḥefren tirest i yewwa-s, ad yehwa di-s.
Win i yeɣzen anu i gma-s, ad yeɣli deg-s.
74. Wi iketren imeddučal, ad yeqqim mebla umeddačel.
Win i iketren imeddukal, ad yeqqim mebla ameddakel.
75. Wi innan war d aɣyul ad t-iseṛṛem.
Wi i yennan izem d aɣyul ad t-iseṛṛem.
76. Wi iɣaben, tɣab tunt-s.
Win iɣaben, iɣab wamur-is.
77. Wi iqqaren bessi ad t-yejj Rebbi d bessi.
Win i yeqqaren drus ad t-yeğğ Rebbi d drus.
78. Wi isdessaren at lxert, rekkan-t.
Win i itteddun d at laxert, serkayen-t.
79. Wi issiwlen yenɣel aman.
Win imeslayen yenɣel aman.
80. Wi ixsen tiyni ad yeḥmel tadriwin.
Win i yebɣan ttmer ad yesteḥmel isennanen.
81. Wi iẓeggan yettɣar, ideggel-d yettɣar.
Win i iruḥun s tazzla, yettuɣal-d s tazzla.
82. Wi rwen yessenjuji.
Win i yurwen yeshulu.
83. Wi ttedheklen yettaweḍ, wi ttezzlen yettuṭṭa.
Win i yetteddun kra kra yettaweḍ, win i yettazzalen iɣelli.
84. Wi ttetten tiyaziḍin n midden ad yessejder tin-nes.
Win i ittetten tiyuzaḍ n medden ad yesṭaqet tin-is.
85. Wi ttettan lxir d ccer wiği d lḥer.
Win i yettettun lxir d ccer maččі d aḥuri.
86. Wi tufi-d yennu f weɣyul-s, ini-as mebruk yis.
Win i tufiḍ yerkeb ɣef uɣyul-is, ini-yas mebruk aɛudiw.
87. Wi ufin ur yeṭṭif ad ikelleb ul yettif.
Win i yufan ur yeṭṭif, ad inadi ur yettaf.
88. Wi yedded ufiɣer, yessuged-t azellum.
Win i yeqqes uzrem, isuged-it useɣwen.

89. Yeğğur ḍar mani yexs wul.

Yettruḥ uḍar anida i yebɣa wul.

90. Yekli taɣrart, yas-as-d wufliğ.

Iṭṭegger tacekkart, yus-as-d ucekkar.

91. Yeɣleb n id bessi d yeɣleb, bessi n id yeɣleb d bessi.

Aṭas n kra d aṭas, kra n waṭas d kra.

92. Yergeb tacerraft ifečč ijeddiden-s.

Iwala tagut yenɣel iyeddiden-is.

93. Yettɣaḍa d asennan n ṭṭebsi, tẓiwa d amčan-s.

Yettɣiḍ d asennan n uḍebsi, taẓiwa d amkan-is.

The Mysterious legend of A'Hagar
-The Magic of Imzad Music-

Aicha Laachemi
Médéa university
laachemi_aicha@yahoo.fr

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء على آلة الإمزاد الموسيقية التي تجسّد هوية الطوارق منذ مئات السنين، فهي تعتبر شكلا من أشكال الثقافة التارقية، أبت موسيقى الإمزاد أن تندثر أمام الزخم الموسيقي الجزائري المتنوع في عصرنا الحديث، إنَّها قيثارة بوتر واحد تمثل إرث الجنوب الجزائري.

وقد صنفتها اليونيسكو ضمن التراث العالمي، باعتبارها تساهم في تنشيط السياحة الصحراوية، تقول الأسطورة التارقية أن أيَّ رجل ترقي يعزف على آلة الإمزاد ستحلُّ به اللَّعنة، حيث يقتصر العزف على النساء بينما يصوغ الرِّجال ويلقون شعرا معبرا على نغمات اللحن الجميل، الثراء التاريخي في الجزائر شاسع شساعة الصحراء في الجنوب، كلُّ صخرة في هذا الوطن كُتبت عليها قصة أسطورية تستحقُّ أن تروى للعالم أجمع. فكيف يمكن لآلة موسيقيَّة أن تكون رمزا لهوية المواطن الترقي؟

الكلمات المفتاحية: الأدب الأمازيغي، التراث التارقي، الإمزاد، الفلكلور، الموسيقى.

Abstract:

The aim of this research paper is to highlight the Imzad musical instrument that embodies the identity of the Touareg hundreds of years ago. It is considered a form of culture of promotion. The music of the Imzad has preserved the Algerian musical momentum in our modern era. It is a single Potter guitar representing the heritage of the Algerian south.

UNESCO has announced that the Imzad is considered as a part that represented the universal heritage ,and also as a contribution to the revitalization of desert tourism, the myth of the Imzad says that any man who plays the Imzad guitar will solve the curse, where only women are playing while the men form and cast poems expressing the tones of beautiful melody, the richness of history Algeria vast desert in

the vastness of the South, every rock in this country, is written in the story of the mythical deserves to tell the whole world. How can a musical instrument be a symbol of a citizen's promotion?

Keywords: Amazigh literature, Touareg heritage, Imzad, folklore, music.

1-Music in the region of Tassili

The region is known for its many traditional musical instruments that reflect its nature and cultural heritage, Which expresses the compact of desert society and the most prominent of these instruments, the most important of which are[1]:

- The instrument of Imzad is one of the oldest musical instruments at the Touareg, where women are singled out for promotion, accompanied by men singing on their strings. What symbolizes the Imzad is the ascension of sovereignty, it is sacred to the promotion society as the embodiment of honor and "the charge of tangle the tone with the soul and the body.[2]"

- Imzad's history dates back to the story of a man collapsing with strength, suffering from his wounds, thirst and extreme hunger. he approached one of the tents to hear the sounds of the Al-Imzad where the women of the tents were sitting on this instrument to escape themselves. He gathered the other in his breath to reach them. The rhythm of their playing to express his miserable condition, to provide women with the aid of men after that, and since that time the man has become a singer singing rhythm rhythm of Imzad.

2− The way to play the Imzad:

The Imzad is played in the sitting position left or right by appropriate employment, hold the wooden arm and press the tendon the other hand uses the bow and is the second piece connected from one end to the other by tail hair the horse and the friction movement performed by the singer produce the melody.

3−The Legend of the Imzad

The legend says that any man who plays the Imzad will be cursed[3]; this musical instrument is very much like a bear; it has one tendon made from the tail of the horse. Its belly resembles a dried pumpkin, covered with goatskin or deer, and threaded to the back of the machine. On the edge, and playing with a wooden bow with a tendon of horse hair as

well, and the music of sad and thin and quiet calm the nature of the people of the desert.

a member an association to Save the Imzad, which was founded in 2003, asserts that this association and their founders, who was on their last visit to the Touareg tribal leader and offered their help, replied that they wanted nothing but Save the Imzad that is about to disappear. The speaker explains that the music has already disappeared, leaving only an elderly musician named Alamin Khohnn4; they contacted her and coordinated with her after the association was established, in order to train the girls of the region to play the Imzad.

Khohnn believes that "this machine is linked to the history of the Touareg, which is associated with their appearance and their cultures, which is a forbidden instrument for men, and anyone who tries to play it boycotts the tribe because they think it detracts from the manliness of its player"5.

There is no exact history of the roots of the Imzad instrument. Some narratives say that the Touareg queen, Tinhainan, who settled in the A'Hagar area of Tingast, was the first to invent the Imzad, the queen Tinhainan ruled in the fifth century AD. But she was not found alongside the queen who was buried in a huge mausoleum resembling a circular pyramid on an auction machine; Tinhinan's remains were found in the Abalsa area with all her clothes and leather harness. She was taken to the Pardo museum in Algiers. It is known that she lived a knight and a military engineer known for wisdom and savvy and united the tribes, and ruled out that they invented this machine.

4-Imazad…The Music of Peace

In another novel, it is said that the women Touareg were fed up from the wailing of women to kill her, at a time when the region witnessed bitter wars between the tribes, so they went astray and gathered some horse hair and went back to make their Imzad, which was found around her, and sat playing her first music, And they heard about it by the warriors of the other tribes hostile to its tribe; and they came and put their swords to hear them, and peace between the Touareg tribes.

At the beginning of the third millennium, the "House of the Imzad", which contributed significantly to the training of dozens of girls from the region, and includes "House" theater show, a dance hall and recording studio and workshop to manufacture this instrument6. Thus, this association breathed the spirit into this musical instrument, and the music of the Imzad recorded a distinguished presence in cultural events

and international festivals, especially the International Festival of the Music of the A'Hagar at Timing in the region of Tamenrasset.

6- Imzad and Tindi..Music of the Algerian Sahara

The story of the Tindi7 instrument is not unlike the story of the Imzad; it is also the Touareg women's who played it, it is made from a wooden vase to grind the grain, covered with the skin of an animal with a string of threads. Such as the swing, two girls sit on both ends to fix it, while another girl knocks on her, and the women around her to participate in the orchestra of musicians playing timed calibrations with the rhythm of Tindi. What distinguishes Tindi from other rhythmic instruments, it is covered with a cloth and then spray a little water to increase the rhythm, and the process of spraying water between time and time as needed. This is what gives him a spiritual philosophy that has to do with rain, fertility and optimism.

Al-Imzad and Al-Tindi, two musical instruments forbidden to men in Algeria, were made by women from the house in the desert. And they were offering meals of heavy music, sad and joyful.

Alta Imzad and Tindi are the Touareg communities of the Algerian desert, northern Mali and Niger, both made of household utensils; the first is a mug for drinking water, and the second is from a wooden bowl for grinding grains, each with a story.

7-Tendi to treat patients

Tindi is a popular musical instrument in the Tamangast region. It plays in weddings and religious festivals such as the Prophet's birthplace. It is also used in some spiritual rituals, the expulsion of the jinn and the healing of the sick from the touch. Here, Mouloud Fartouni, cultural counselor at the Directorate of Culture in the state of Tamangst, says that "Tindi has several uses according to the popular culture of the area of Al-Ahagar. It is used to heal patients suffering from pain according to the prevailing beliefs"8.

Al-Tindi also infects the infected scorpions and snakes, and the young when they reach puberty, From traveling, to a woman whose time has passed and is called "Tongalt", or something like a full-time celebration and a willingness to get married. It is known that women divorced in this region are more demanding than the virgin girl.

Tindi plays the beauty in the seasons of the Vergui9, so that the beauty of the Voyage is surrounded by the beauty and hovering around it. This dance is called the Eelogan, and the Tindi drums are heard on

occasions like the choice of the Queen of the Quarter or The tribe of the former, or the so-called selection of the head of ostrich; the names of these rituals vary from region to region.

The roots of the Tindi music10, according to researcher Badi Bida, the brother of the famous Tindi singer in the region Lalla Badi, dates back to 1935, when the Tindi moved from the Tassili region of the Algerian desert to the Aghar area. The Tindi then moved to Mali and the surrounding areas, In the late 1970s, and since then its ceremonial uses and rituals have been extended in Tuareg communities.

8-Music of the Imzad... The myth of Tassili and the symbol of the progressive heritage

When it is touched, Mawail touches the depths of thousands of years in order to infiltrate through her mighty nuggets some of the secret bordering on the arrogance and rigor of the mighty hippars of time.

It is an instrument music played by women for men and often played in the dark and men are forbidden to touch this machine because the old belief that because of this act will be a man or tribe hated.

As for the origins of the Imzad, the Touaregs say that a war broke out between their tribes. A woman started to make them and began to play them. If the warring men heard this music, they threw down their weapons and made peace. Some say that the spiritual mother of Touareg or Queen Tinhinan said that she made the Imazad from her horse and from the plant of the earth a miracle for men of great honor and elegance. While historical writings go to the conclusion that Tinhinan exploited its beauty and beauty to be politically dominated by a prosperous area at that time and ruled a large number of tribes called Imzad.

The Imzad is a wooden mug that attaches sheepskin to its mouth, and ends with a pair of horsehair sticks. The skin pierces two or three holes in the middle, and takes a crescent-shaped back and ties the ends with a rod of horsehair. This machine is very similar to the Arabic and violin, so it is considered the best instrument of musical instruments, which is very influential on the Touareg, especially the men and used in singing and singing, which affects the souls and emotions.

This Imzad is accompanied by singing in the evenings promotion, which includes the meanings of love and longing also includes the meaning of courage and war Variety singing Touareg depending on the place, either singing glories and tournaments or the popularization of

beloved in the long roads or singing occasions echoing poems put old on the subject of the occasion.

The poem is distinguished from other poems because it comes at intervals in which the woman chooses the most beautiful poems and deepest to perform while the men and women wrap around to listen to them, ranging topics of the poem between spinning and description and praise and sometimes up to the blame.

Among the most famous singers of the Imzad11:

- **Princess of the Witch**

The novels go on to say that Dasin has her own special atmosphere, which is played by Al-Imzad. It is her retirement three days before the play. She is one of the most famous Ahfar Fatten who has woven many heroic stories and legends about her life. She has known her respectable personality, which she said about her singing. My mother gives birth to him ».

- **Dean of the Imzad «Ben Omar Tarzkh»**

The Imzad's music director, Tassili Nagar, is the world's ambassador to the world, enabling her to raise our heritage to the world through poems that enrich contemporary history, daily life, customs and traditions12.

The artist worked hard and tireless effort in valuing the Imzad and represented the original Algerian desert in several countries of the world, including France, Italy, Spain and Japan. During her lifetime, the artist sought to teach this particular type of music to the younger generation of girls in Ghent, and organized the Imzad Education Workshops for young girls in her home.

9−The Machine not close to men:

The Imzad is a stringed instrument similar to an Arab or violin, made in the form of a wooden bowl, with a piece of sheepskin tied to the head. The fringes are made of horsehair hair and can be played very carefully.

And the most distinctive things in this ritual machine, that it is played by women only, and cannot be played by any man, especially since the legend is strongly present in the life of the Touaregs, which She says in this regard that the man playing on this machine will come The Touareg show great interest in music, and this is what is reflected in the field in their lives, especially in the field of singing, "Singing at

the Touareg, such as eating and drinking, do not get away from it or refrain from it, He sings in his house, on his way to fetch water, to water the animals, and in his deserts, while he dances, he sings for boredom and drowsiness on wet summer nights, where they like to walk after a day of intense heat.

Important space "and what is known about the progressive that he loves dancing, he dances if joy, and dance if And dance, dancing, dance, dancing, dancing, dancing, dancing, everyone dancing, and even the elderly see them moving their heads, dancing, dancing, dancing, dancing, dancing, dancing, dancing, dancing, dancing and dancing. And their shoulders in their councils to the music and drumsticks and shout their distinctive cries"13.

Between the mountains of A'Hagar and Tassili began the story of monotonous ... The instrument was found by the women of the Touareg spiritual sanctuary and mystic Blue man made it an important way to express emotions and vent them as well as the expression of ideas and embodiment.

The position of Imzad at the poet Progressive14:

اليوم الذي أموت فيه لابد ان تدفنوني في قطعة بيضاء ناصعة من الكتان مثـــل أوراق الكاغط وصدقوا عني ثلاث أغنيات من غناء الإمزاد والفاتحة.

The day I die, you have to bury me in a white piece of linen, like sheets of paper, and believe me three songs from the singing of the Imzad and the opening.

The UNESCO15 classified the Algerian Sahara in the A'Hagar and Tassili region as a human heritage. This is because of its unspeakable treasures, which are reflected in the enchanting landscapes carved by the wind on the rocks and created by the many volcanic eruptions that occurred millions of years ago.

This human space is classified as the largest open natural museum in the world. It contains more than thirty thousand sculptures and stone drawings on its solid rocks, in which a prehistoric man was created. He narrated the story of his glory, his customs and traditions, And its rituals in the Living, and all this area of more than eighty thousand square kilometers, rich in the material heritage of the Touareg civilization.

In terms of intangible heritage, the Touareg region is rich in artistic and musical styles, basing on old customs and traditions, reflected in their distinctive way of life and preservation, in terms of their rich colors and shapes, their unique lifestyle and their spiritual rituals.

More than anything else, especially since they connect them to the real sources of life, and consider them an integral part of their culture and culture, which cannot be separated in any way, whatever the motive or path, and the most important musical colors that are rich in the Touareg civilization, Al-Imzad, T-rated Intergovernmental Committee for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage, at its eighth session, a human legacy of Mahfouz.

Conclusion:

Touareg music has also had a significant impact on such well-known pieces of work, which blend traditional tribal music with modern culture. Songs blend a combination of Swahili and algerian lyrics, as well as traditional Touareg styles of music with more modern western styles. Additionally, the classic music incorporates numerous words in the native language of Imzad. The ever-popular Tindi for example, is an actual Imzad phrase that does in fact mean "no worries."

References:

1. انظر زكريا فؤاد، مع الموسيقى، ذكريات ودراسات، مصر، مكتبة مصر.
2. مولود فرتوني، الغناء والموسيقى عن التوارق، 2011، موقع أصوات الشمال، الجزائر http://www.aswatelchamal.com/ar/?p=98&a=19981
3. شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب ، سلسلة عالم المعرفة، 2001، العدد267.
4. السيسي يوسف، دعوة الى الموسيقى، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، 1981 العدد 46.
5. www.imzad.net
6. https://www.i24news.tv/ar/ أخبار/ثقافة/100496-160125-"إمزاد"-آلة-عزف-كادت-تنقرض-لولا-إعادة-نساء-الطوارق-إحياءها-من-جديد
7. https://al-ain.com/article/algeria-art-music
8. http://www.aranthropos.com/موسيقى-الإمزاد-شمس-الطوارق-التي-لا-تغ/
9. https://www.alaraby.co.uk/entertainment/2018/2/3/الإمزاد-والتيندي-موسيقى-الصحراء-الجزائرية
10. https://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/musique-illizi-ar.pdf

هوامش الدراسة:

---

(1) See https://www.i24news.tv/ar/أخبار/ثقافة/160125-100496-"إمزاد"-آلة-عزف-كادت-تنقرض-لولا-إعادة-نساء-الطوارق-إحياءها-من-جديد

[2] يوسف السيسي ، دعوة الى الموسيقى، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، 1981 العدد 46.

[3] مولود فرتوني، الغناء والموسيقى عن التوارق، 2011، موقع أصوات الشمال، الجزائر: http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=19981

[4] www.imzad.net

[5] https://al-ain.com/article/algeria-art-music

[6] www.imzad.net

[7] انظر مولود فرتوني، الغناء والموسيقى عن التوارق، 2011، موقع أصوات الشمال، الجزائر: http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=19981

[8] مولود فرتوني، الغناء والموسيقى عن التوارق، 2011، موقع أصوات الشمال، الجزائر http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=19981

[9] www.imzad.net

[10] https://al-ain.com/article/algeria-art-music

https://www.alaraby.co.uk/entertainment/2018/2/3/الإمزاد-والتيندي-موسيقى-الصحراء-الجزائرية

[11] مولود فرتوني، الغناء والموسيقى عن التوارق، 2011، موقع أصوات الشمال، الجزائر

:http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=19981

[12] https://al-ain.com/article/algeria-art-music

[13] http://www.aranthropos.com/موسيقى-الإمزاد-شمس-الطوارق-التي-لا-تغ/

[14] موسيقى الإمزاد...أسطورة الطاسيلي ورمز التراث الترقية، http://ineffable-dz.art/موسيقى-الإمزاد-أسطورة-الطاسيلي-ورمز-ا/

[15] https://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/musique-illizi-ar.pdf